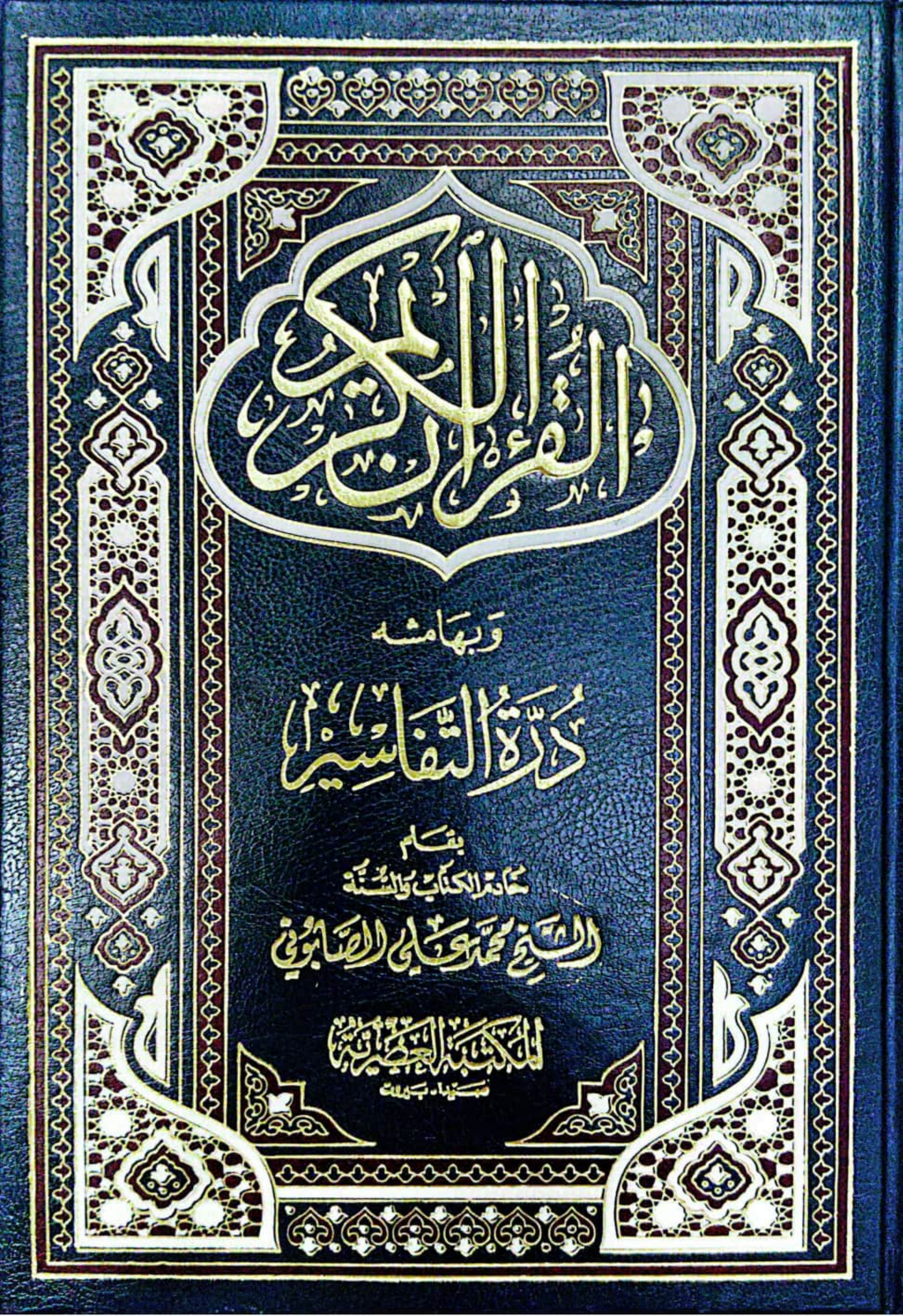
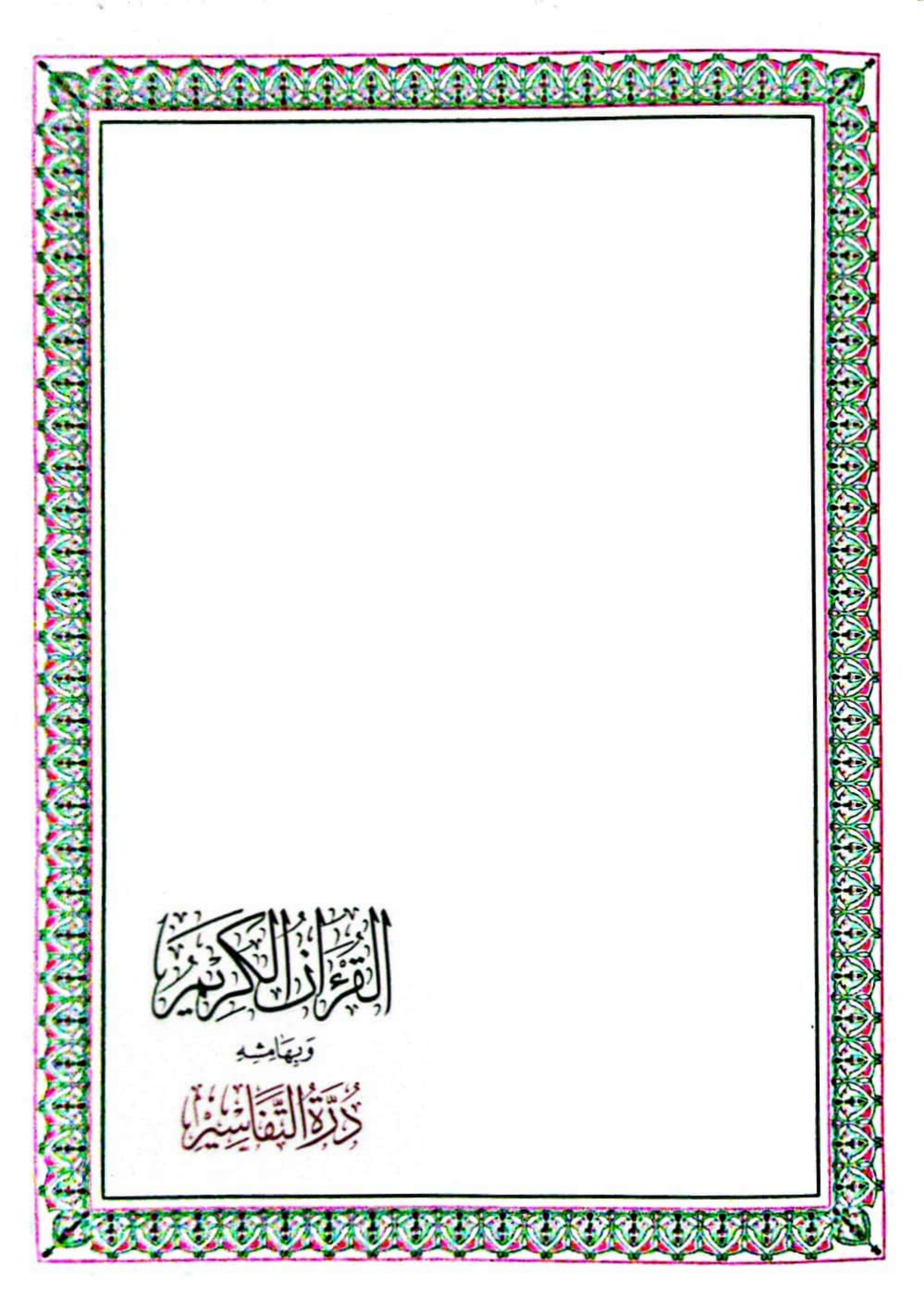
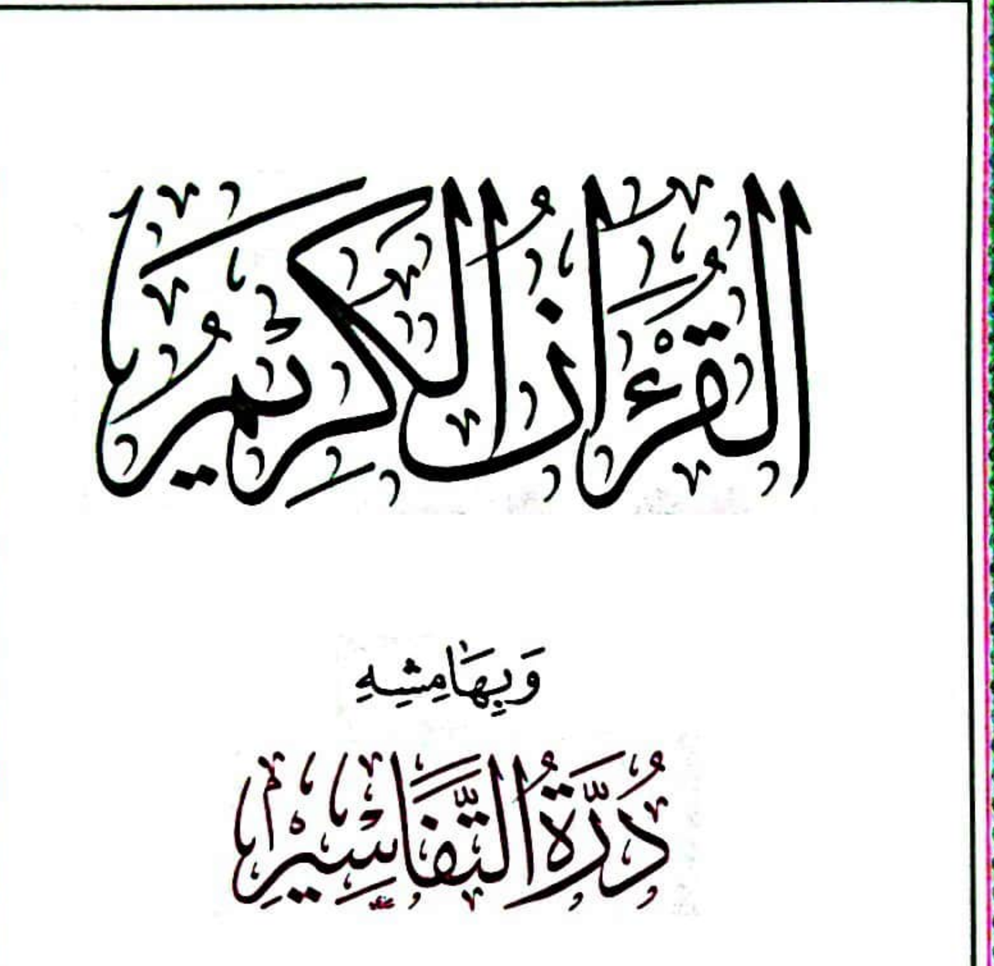

القرآن الكريم
وبهامشه
درة التفاسير
بقلم
خادم الكتاب والسنة
الشيخ محمد علي الصابوني
المكتبة العصرية
صيدا - بيروت


شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتجليد
لبنان


شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتجليد
لبنان


القرآن الكريم
وبهامشه
درة التفاسير



بقلم
خادم الكتاب والسنة
الشيخ محمد علي الصابوني



شركة أبناء شريف الأنصاري

للطباعة والنشر والتوزيع

صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية

الخندق العميق - ص.ب: 11/8355

تلفاكس: 655015 - 632673 - 659875 1 00961

بيروت - لبنان

• الدار النموذجية

بوليفار د. نزيه البزري - ص.ب: 221

تلفاكس: 720624 - 729259 - 729261 7 00961

صيدا - لبنان

• المطبعة العصرية

كفرجرة - طريق عام صيدا جزين

07 230195 - 230841 7 00961

تلفاكس: 655015 - 632673 - 659875 1 00961

صيدا - لبنان

2023 م - 1444 هـ

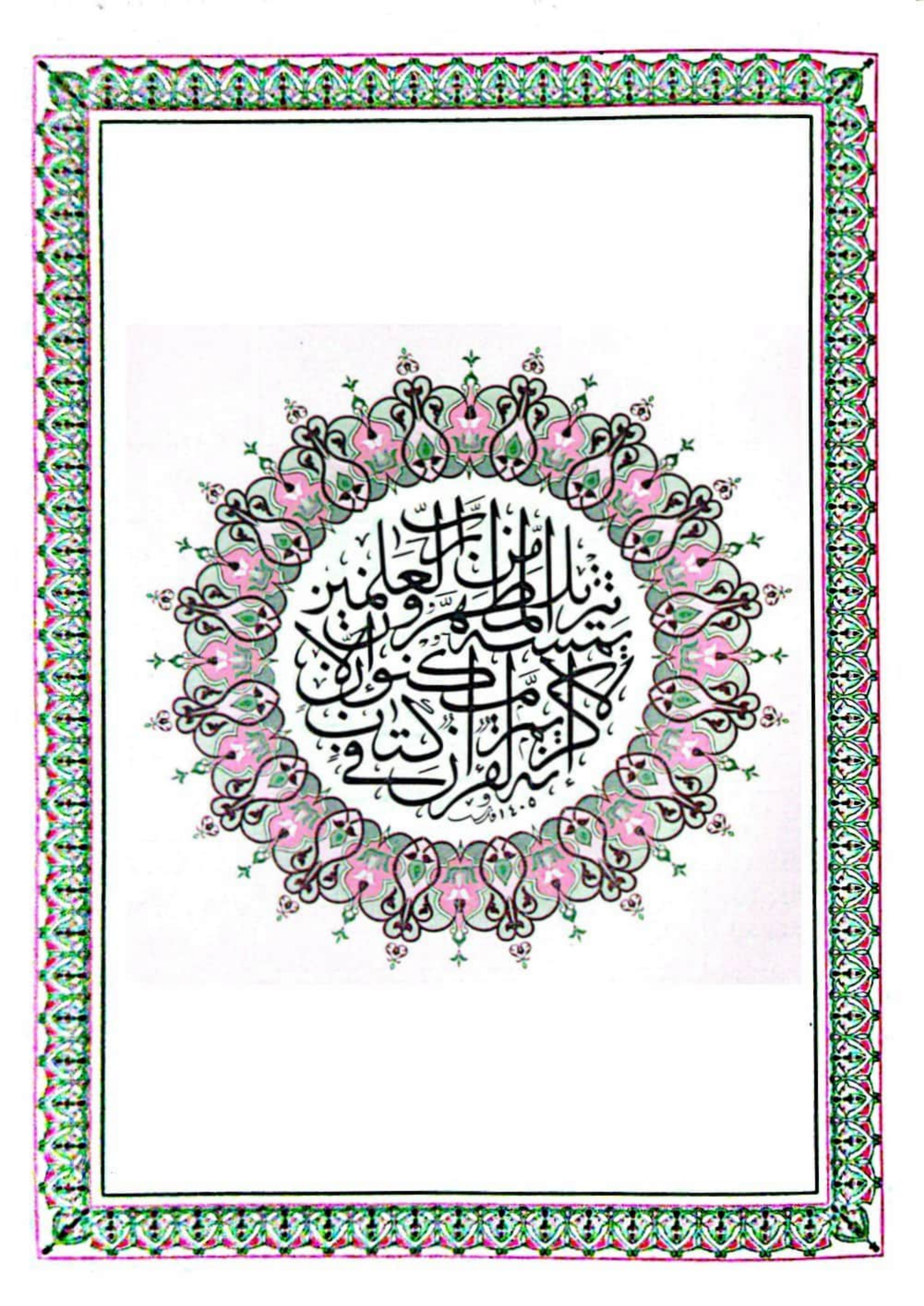
E. Mail alassrya@terra.net.lb
alassrya@cyberia.net.lb
info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت

alassrya.com



ISBN- 9953-34-260-1


إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون تنزيل من رب العالمين
١٤٠٥

إني لأعجب لمن يقرأ

القرآن

كيف يلتذ بقراءته

ولم يفهم معناه

الإمام الطبري

مُقدّمة النّاشر

الحمد لله الذي أنار عقول عباده المؤمنين بنور كتابه المبين، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير، إمام الأولين والآخرين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فهذا كتاب **(درة التفاسير)** على هامش القرآن الكريم قام بوضعه **خادم الكتاب والسُّنَّة فضيلة الشيخ محمد علي الصابوني** فأجاد فيه وأفاد حفظه الله تعالى، فكان أن خرج هذا الكتاب بأسلوبه الذي عوّدنا عليه فضيلته، سهل العبارة مع ذكره لأسباب النزول والشواهد من الأحاديث النبوية الصحيحة، وكانت تنبيهاته المهمة غاية في الدقة تلفت نظر القارئ إلى ما خفي من دقائق التفسير.

وما أحوجنا اليوم لمثل هذا الكتاب في وقت انشغل الناس فيه بأمور دنياهم عن دراسة العلم الشرعي، فكان من الضروري أن يكون هناك تفسير سهل مختصر بهذا الأسلوب ليسهل على عامة الناس فهم كتاب الله العزيز الذي هو طريق هدايتنا وصلاحنا فقد قال عليه الصلاة والسلام: «تَرَكْتُ فِيكُمْ ما إنْ تمسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلوا بعدي أبداً، كتابَ اللهِ وسُنَّتي» رواه مالك.

وقد حازت المكتبة العصرية على شرف إصدار هذا الكتاب مع المصحف الشريف فكان أن قمنا بإخراجه بطريقة يتناسب فيها التفسير مع حجم المصحف الشريف، وقمنا بتصحيحه مرات عديدة حرصاً على أن نقلّل من الأخطاء المطبعية ما أمكن، والكمال لله وحده.

نسأل الله العلي القدير أن يوفقنا في طباعة هذا الكتاب وأن يوفقنا لخدمة دينه وكتابه إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله من وراء القصد ،،،

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

والحمد لله رب العالمين

النّاشر

مُقدِّمة

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى.

أمَّا بعد:

فإن القرآن العظيم نورُ الله، ورسالته للعالمين، أنزله ربُّ العزة والجلال بأشرف لسان، وأفصح بيان، ليكون نظاماً ومنهاجاً للمسلم في حياته، حتى لا يَضلَّ ولا يَزيغ ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

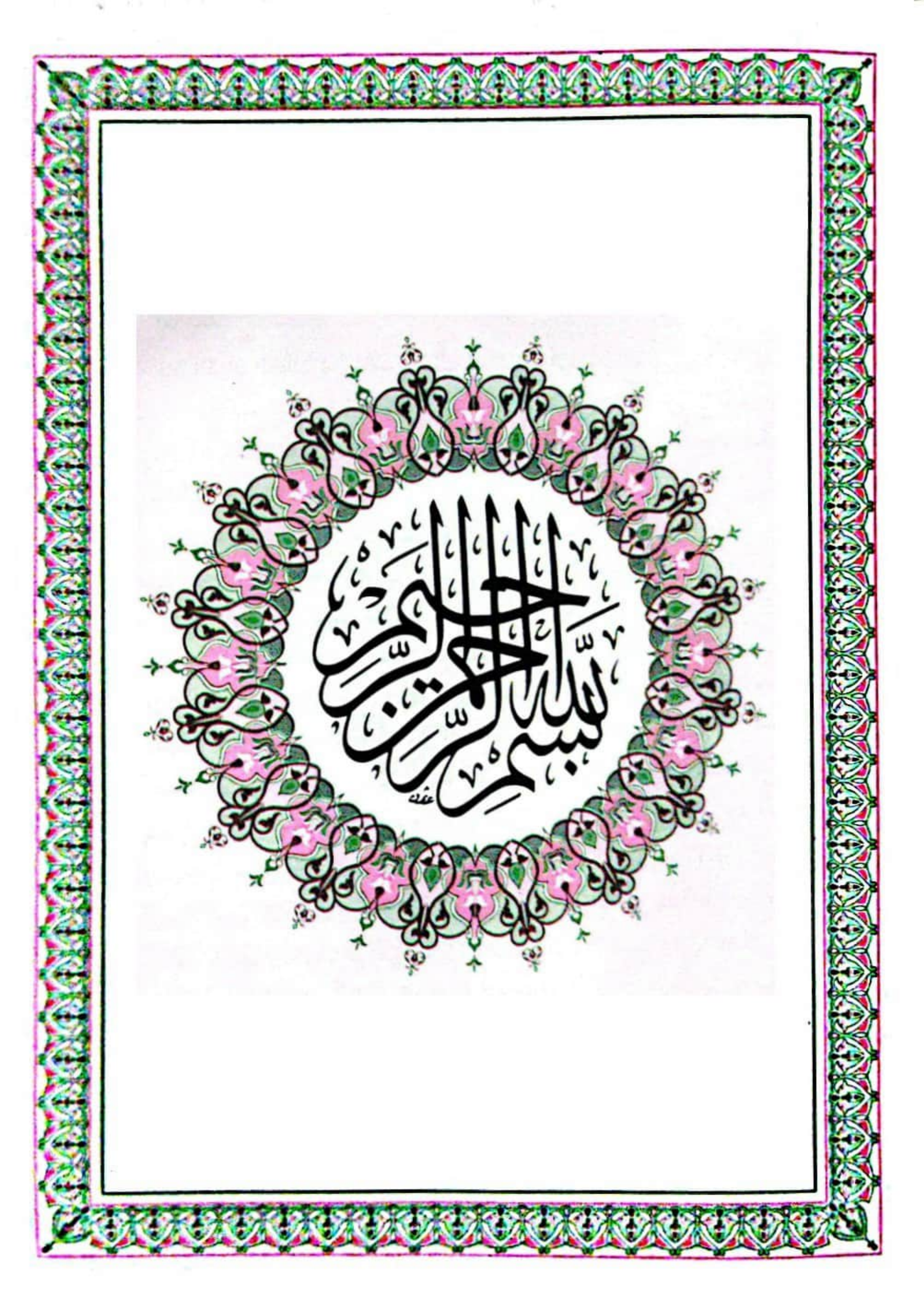
والمسلمون اليوم في أمسِّ الحاجة، إلى فهم كتاب الله العزيز، والتمسك به، في عصرٍ طغت فيه المادةُ، وتكالبتْ قوى الشر علينا من كل مكان، تريد أن تُبْعِدنا عن هذا النُّور الإلٰهي، ليسهل عليها ابتلاعُنا، والقضاءُ علينا، وفرضُ نظمها وقوانينها على العالم الإسلامي، ولا نجاةَ للمسلمين إلاَّ بالرجوع إلى هذا الكتاب العزيز، نقرؤه ونتدبَّرُه ونعملُ بما فيه، فهو طريقُ نجاتنا، وسبيلُ عزتنا ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤] وهذا هو القرآن العظيم، أضعه بين يديك أخي المسلم، لتقرأه على بيِّنة وبصيرة، ومعه شرح بسيط ميسَّر لبعض مفرداته وآياته، عسى الله أن ينير قلوبنا به جميعاً، ويجعلنا ممن يقرءون ويتدبَّرون، ويكرمنا بالنور التام يوم القيامة ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢] واللّٰهُ ولي التوفيق، والمعينُ لنا على تدبُّرِ آياتِه، والعملِ بتوجيهاته.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مكة المكرمة ـ غرة ذي الحجة ١٤٢٢هـ

خادم الكتاب والسنة

الشيخ محمد علي الصابوني


بسم الله الرحمن الرحيم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(أعوذ بالله) أي أحتمي وألتجئ إلى جلال الله وعظمته من شرّ الشيطان اللعين، **(الرجيم)** أي المطرود من رحمة الله، أن يضرني في نفسي وديني، وهذه الاستعاذة ليست من القرآن، وإنما هي أدبٌ وجّهنا سبحانه إليه بقوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ أي أبدأ تلاوتي وجميع أعمالي، مستعيناً باسم الرب الجليل خالق الإنسان، ومنشئ الأكوان ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الذي وسعت رحمتُه جميع الخلق، وعمَّ فضله سائر الوجود ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ الذي يرحم عباده المؤمنين، الذين آمنوا بوجوده ووحدانيته، فالرحمنُ اسمٌ (للذات المقدسة) ومعناه: ذو الرحمة الشاملة التي وسعت الخلق في أرزاقهم، ومصالحهم وحياتهم، وعمَّتْ المؤمنَ والكافر، والرحيم خاص بالمؤمنين ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

افتتح الله كتابه العزيز بالبسملة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ليرشد عباده المؤمنين، أن يبدءوا أعمالهم وأقوالهم وأفعالهم، بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، التماساً لمعونته وتوفيقه، ومخالفةً للوثنيين الذين يبدءون أعمالهم باسم الطواغيت، فيقولون: باسم اللّات، أو بِاسم العُزَّى، أو باسم الأمة والشعب، وكلُّ ذلك مخالفة للمنهج الربّاني الذي أرشدنا إليه ديننا الإسلاميُ الحنيف، أن نبدأ أقوالَنا وأفعالَنا وأعمالَنا، باسم ربِّ العزة والجلال، مفيض النعم على جميع الخلق.



سورة الفاتحة

سورة الفاتحة مكية وهي سبع آيات باتفاق، ولهذا تسمى (السبع المثاني) وتُسمَّى (أم الكتاب) ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ الثناء على رب العزة والجلال، فهو وحده المستحقُّ للثناء، لأنه الخالق المبدع الحكيم ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ خالق وموجد جميع المخلوقات: الإنس والجن والملائكة والشياطين، ومربِّيهم ومصلحُ شؤونهم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. المتصف بالرحمة الواسعة الذي يرحم عباده ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ المالك للجزاء والحساب يوم القيامة ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ نخصُّك وحدك بالعبادة وطلب العون ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ أرشدنا إلى الدين الحق وثبِّتنا عليه ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ الدين الذي ارتضيته لعبادك، من النبيِّين والصدِّيقين والشهداء والصالحين ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ غير الأشقياء الحائدين عن طريقك المستقيم، كاليهود المغضوب عليهم، والنصارى الضالين عن طريق الهداية والإيمان، (آمين) ليست آية من القرآن ولذلك لا تُكتب في المصحف ومعناها: استجبْ يا ربنا دعاءنا، ويُسنُّ ختم السورة بها، لما رواه البخاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: **(إذا قال الإمام ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقولوا: آمين، فمن وافقَ قولُه قولَ الملائكة، غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه)**.

وهذه السورة أعظم سور القرآن كما قال ﷺ: **«هي السبعُ المثاني والقرآنُ العظيم الذي أُوتيتُه»** رواه البخاري.



سورة البقرة

﴿الٓمٓ﴾ الحروف المقطَّعة للتنبيه على إعجاز القرآن، وأنه منظوم من أمثال هذه الحروف، فإن شكُّوا فليأتوا بسورة من مثل القرآن ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شكَّ أنه من عند الله ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الذين اتقوا سَخَط الله، بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ كل ما خفي عن حواسهم، كالجنة والنار، والملائكة والجن، والصراط والميزان ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يؤدُّونها على الوجه الأكمل، بأركانها وخشوعها وآدابها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يتصدَّقون في وجوه البر والإحسان، من بعض المال الذى أكرمناهم به، وهي تشمل الزكاة وسائر الإنفاق ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن العظيم ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ سائر الكتب السماوية ﴿يُوقِنُونَ﴾ يعتقدون اعتقاداً جازماً لا يخالطه شكٌّ ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بكل محبوبٍ ومطلوب، والفلاحُ: الظفر بكل ما يشتهيه الإنسان من أنواع الكرامة والسعادة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: إنما ذُكرت هذه الحروف المقطَّعة في أوائل السور، بياناً لإعجاز القرآن الكريم، وأنَّ الخلقَ عاجزونَ عن معارضته بمثلِه، مع أنه مركَّبٌ من هذه الحروف المقطَّعة التي يتخاطبون بها، وهو قولُ جمعٍ من المحقِّقين، ولهذا كلُّ سورةٍ افتُتحتْ بالحروف، فلا بدَّ أن يُذكر فيها الانتصارُ للقرآن، وبيانُ إعجازه وعظمته، مثلُ ﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾.

الجزء الأول — سورة البقرة

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

﴿كَفَرُوا﴾ جحدوا وحدانية الله ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ يتساوى عندهم ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ الإنذارُ: التخويف من عذاب الله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يصدِّقون بما جئتهم به من عند الله ﴿خَتَمَ﴾ طبع الله على قلوبهم، فلا يدخل إليها نور ﴿غِشَٰوَةٌ﴾ غطاء، وهذا على التمثيل حيث لم يستفيدوا من حواسهم، فكأنهم فقدوها ﴿يُخَٰدِعُونَ﴾ يعملون عمل المخادع، والخِداعُ: المكرُ والاحتيال ﴿مَّرَضٌ﴾ شك ونفاق وهو مرض قلبيٌّ روحيٌّ لا جسدي ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾ الحمقى ناقصو العقل والتفكير ﴿خَلَوْا﴾ انفردوا ﴿شَيَٰطِينِهِمْ﴾ رؤسائهم في النفاق والضلال ﴿يَسْتَهْزِئُ﴾ يسخر منهم كما سخروا من المؤمنين ﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾ فجورهم وكفرهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتخبَّطون حيارى، وصف تعالى المنافقين بعشر صفات هي (الكذبُ، والخداعُ، والمكرُ، والسَّفهُ، والاستهزاءُ، والإفسادُ في الأرض، والجهلُ، والضلالُ، والتَّذبذبُ، والسخريةُ من المؤمنين) وكلُّها صفات قبيحة، رسختْ في قلوب المنافقين.

قسم تعالى البشر في هذه السورة الكريمة، إلى ثلاثة أقسام: (مؤمنين، وكفارٍ، ومنافقين) فتحدَّث عن المؤمنين في خمس آيات، وعن الكفار في آيتين، وعن المنافقين في ثلاث عشرةَ آية، لينبِّه تعالى إلى عظيم خطرهم، وكبير ضررهم، ثم عقَّب ذلك بضرب مثلين لهم زيادة في الكشف والبيان، ولهذا كان عذاب المنافق، أشدَّ من عذاب الكافر ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ..﴾.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

﴿ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ أشعل ناراً ﴿صُمٌّ﴾ هذا على التشبيه أي هم كالصم لا يسمعون خيراً ﴿بُكْمٌ﴾ كالخرس لا يتكلمون بما ينفع ﴿عُمْىٌ﴾ كالعُمْي لا يبصرون الهدى، لهم حواسّ لكنهم لا ينتفعون بها، مثَّلَ تعالى لهم أولاً بإنسان في صحراء أشعل النار لتضيء له الطريق، فهبّت ريح عاصفة فأطفأت النار، وبقي في ظلماتٍ حالكة ﴿كَصَيِّبٍ﴾ مطر غزير مصحوب بالرعد والبرق والصواعق ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ خشية الموت من الصواعق المدمِّرة ﴿يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ يذهب بأبصارهم من شدة لَمعانه ﴿قَامُوا۟﴾ وقفوا عن السير، ومثَّل لهم ثانياً بقوم مسافرين أصابهم مطر شديد، يصحبه رعدٌ قاصف، وبرق خاطف، فوضعوا رؤوس أصابعهم في آذانهم ليدفعوا عنهم خطر الصواعق، وهو مَثَلٌ لحيرتهم وضلالهم ﴿فِرَٰشًا﴾ جعل الأرضَ ممهّدة كالبساط للبناء والزراعة ﴿أَندَادًا﴾ شركاء من الأوثان تعبدونهم من دون الرحمن ﴿عَبْدِنَا﴾ محمد ﷺ ﴿شُهَدَآءَكُم﴾ أنصاركم وأعوانكم ﴿أُعِدَّتْ﴾ هُيِّئت.

أقام تعالى في هذه الآيات، الأدلة والبراهين على قدرته ووحدانيته، فهو سبحانه الذي أنزل المطر من السحاب، فأخرج لهم به أنواع الزروع والثمار، فهو الخالقُ الرازق، الذي يستحقُّ أن يُعبد وحده، لا تلك الأصنام والأوثان التي لا تجلب لهم نفعاً، ولا تدفع عنهم ضُرًّا، كما أقام البرهانَ على إعجاز القرآن، بهذا التحدِّي الصارخ للإنس والجنّ ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ . .﴾!!

الجزء الأول — سورة البقرة

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

ربع الحزب ١

﴿وَبَشِّرِ﴾ البشارةُ: الخبرُ السارُّ المفرح ﴿جَنَّٰتٍ﴾ حدائق وبساتين ﴿رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ أعطوا عطاءً من ثمر الجنة وفواكهها ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾ متشابهاً في الصورة والمنظر، لا في الطعم والمخبر، إذا قُدِّم لهم قالوا: هذا الذي أتيتمونا به من قبل، فتقول لهم الملائكة: كُلْ يا عبدَ الله فاللونُ واحد، والطّعم مختلف ﴿أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ زوجات من الحور العين، مطهَّرات من الحيض، والنفاس، والبول والغائط وسائر القذارات، الحسيَّة والمعنوية ﴿خَٰلِدُونَ﴾ ماكثون في الجنة على الدوام ﴿لَا يَسْتَحْىِۦٓ﴾ عبَّر بالحياء عن الترك أي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة لحقارتها ﴿ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ قَصَد إلى خلقها بإرادته ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ صيَّرهن سبع سموات، خلقهنَّ وأتقنهُنَّ في أبدع خلقٍ وتقدير، بلا دعائم ولا أعمدة، واقفة بقدرة الله تعالى.

لمَّا ذكر تعالى في كتابه العزيز الذبابَ والعنكبوت، وضرب المثل بهما، استهزأ اليهود والمشركون، وقالوا: هذا ليس من كلام الله، وماذا أراد الله من ضرب الأمثالِ بمثل هذه الأشياء الحقيرة؟ فأنزل الله الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا...﴾ ردًّا عليهم، وبياناً للحكمة من ضرب الأمثالِ بالصغير والكبير، والعظيم والحقير، لأن المثل لا يُراد به، إلَّا توضيح الغامض، وتقريب البعيد إلى الذهن ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

﴿خَلِيفَةً﴾ قوماً يخلف بعضهم بعضاً، جيلاً بعد جيل ﴿يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي والآثام ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ يُريقها بالبغي والاعتداء ﴿نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ نُنزِّهك عما لا يليق بك من صفات النقص ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ نُمجِّدك ونُثني عليك ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ علَّمه أسماء جميع الأشياء مما سيخلقه إلى يوم القيامة، حتى الطائرة والقصعة والمغرفة ﴿أَنۢبِـُٔونِي﴾ أخبروني بأسماء هذه المخلوقات ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنكم أحقُّ بالخلافة من آدم ﴿تَكْتُمُونَ﴾ تُخفون وتُسرُّون ﴿ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾ سجود تحية وتعظيم ﴿إِبْلِيسَ﴾ اسمٌ للشيطان الأكبر ﴿رَغَدًا﴾ أكلاً هنيئاً واسعاً ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أوقعهما في الزلَّة وهي الخطيئة والمخالفة ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع سكنى وقرار ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ تمتُّعٌ بنعيم الدنيا، إلى وقت انتهاء آجالكم ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ ألهمه الله دعواتٍ دعا بها فتاب عليه ربه.

وينبغي أن نعلم أن سجود الملائكة لآدم، لم يكن سجود عبادة، إنما هو سجود تحية وتكريم، و«إبليس» لم يكن من الملائكة، وإنما كان من الجن لقوله سبحانه في سورة الكهف ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ وقد توجَّه له أمر خاص بالسجود لآدم ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾؟ والاستثناء في الآية منقطع، لأنه استثناء من غير الجنس، وقد قال الحسن البصري: لم يكن إبليسُ من الملائكة طرفةَ عين، لأن الملائكة ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

الجزء الأول — سورة البقرة

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

﴿ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا﴾ اهبطوا من جنة الخُلْد إلى الأرض ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ أي إن جاءكم رسولٌ يهديكم إلى الحقّ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا ينالهم خوفٌ في الآخرة، ولا يحزنون على ما تركوه في الدنيا ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إسرائيل اسم يعقوب عليه السلام ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ﴾ تذكَّروا نعمي على آبائكم ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ خافوني ولا تخافوا غيري ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ لا تخلطوا الحقَّ المنزل من عند الله، بالباطل الذي تفترونه ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ لا تُخفوا ما في كتابكم «التوراة» من أوصاف محمد عليه السلام ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ أتدعون الناس إلى فعل الخير والطاعة؟ ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ تتركونها فلا تفعلون الخير؟ ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ شاقة وثقيلة ﴿ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ المتواضعين لعظمة الله ﴿فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فضَّلتُ آباءكم على عالمي زمانهم ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ لا يُقبل منها فداء.

نصف الحزب ١

تكرَّر النداء لبني إسرائيل في القرآن، و«إسرائيل» اسم لنبيِّ الله الكريم «يعقوب» والد يوسف الصدِّيق، اسمه «يعقوب» وكنيته «إسرائيل» كما قال تعالى ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ ومعظمُ الأنبياء من نسله، إلّا نبينا محمداً ﷺ فمن ذرية «إسماعيل» عليه السلام، واليهود ينتسبون إلى (إسرائيل) ويزعمون أنهم شعب الله المختار، وهم الأشرار الفجار، ولذلك كثر الحديث عنهم في القرآن الكريم، وقد قارب الكلام عنهم معظم سورة البقرة، لينبِّهنا اللهُ تعالى إلى عظيم خطرهم، وكبير ضررهم، نسأله تعالى أن يطهِّر الأرضَ من رجسِهم.!

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ يذيقونكم أشدَّ أنواع العذاب وأفظَعَه ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ يذبحون الذكور من الذرية ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ يستبْقون الإناث للخدمة ﴿بَلَآءٌ﴾ امتحان واختبار شديد، ليتميَّز البَرُّ من الفاجر ﴿فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ﴾ فلقنا لكم البحر حتى صار طريقاً يابساً لتسلكوه ﴿وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ وعدناه بإنزال التوراة بعد أربعين ليلة ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ عبدتم العجل من بعد غيبة موسى عنكم ﴿عَفَوْنَا عَنكُم﴾ تجاوزنا عن تلك الجريمة الشنيعة رحمةً منا بكم ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾، جريمةٌ أخرى وهي طلبهم رؤية الله عياناً ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ أخذتكم صيحة العذاب حتى مُتّم ﴿بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ أحييناكم بعد أن أصبحتم أمواتاً، لتشكروا نعمتنا عليكم ﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ المنُّ: طعامٌ حلو يشبه العسل، والسلوى: لحم الطير السُّمَّاني، وسببُ تقتيل الذكور من بني إسرائيل، أن فرعون الجبار، رأى في منامه أن نارا خرجت من بيت المقدس، فأحرقت كلَّ الأقباط من أتباع فرعون، ولم تحرق أحداً من بني إسرائيل، فهالَهُ ذلك الأمرُ، وسألَ الكهنةَ عن رؤياه، فأوَّلوها له بأنه سيولد في بني إسرائيل غلام، يكون زوالُ ملكه، وهلاكُه على يديه، فأمر بذبح كل غلام يولد لهم من بني إسرائيل، فذلك قوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ﴾ أي يذيقونكم أفظع أنواع العذاب وأشنعه، بذبح الذكور، وإبقاء الإناث للخدمة والامتهان.

وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

﴿ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس وذلك بعد خروجهم من التِّيه ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ أي حُطَّ عنا ذنوبنا وخطايانا ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ غيَّر اليهودُ الظالمون قول الله، وقالوا سخريةً واستهزاءً: حبَّةٌ في شَعَرة، ودخلوا يزحفون على مقاعدهم ﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ عذاباً من السماء وهو الطاعون ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ بسبب عصيانهم وخروجهم عن طاعة الله، رُوي أنه مات منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً ﴿ٱسْتَسْقَىٰ﴾ طلب السُّقيا لقومه ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ انشقَّتْ وسالت ﴿ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ﴾ لا تطغوا بالأرض بأنواع الفساد ﴿وَفُومِهَا﴾ ثومها ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ أتستبدلون الخسيسَ بالنفيس؟

ثلاثة أرباع الحزب ١

﴿ٱهْبِطُواْ مِصْرًا﴾ ادخلوا أيَّ بلدٍ من البلاد تجدون ما تحبونه ﴿ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ لزمهم الذلُّ والهَوَان ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ رجعوا بسخط الله وغضبه الشديد.

ذكَّرهم تعالى بنعمته عليهم، وهم في أرض التِّيه، وذلك حين امتنعوا من دخول مدينة الجبَّارين وقتالهم، وقالوا لموسى ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ فعوقبوا على ذلك بالضياع أربعين سنةً، يتيهون في الأرض، ومع ذلك فقد أرسل اللهُ تعالى عليهم السحاب يظلِّلهم، وأنزل عليهم المنَّ والسلوى نعمةً منه عليهم، فجحدوا النِّعم، وقتلوا الأنبياء والمرسلين، فاستحقوا اللعنة والغضب ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾ بسبب عصيانهم وطغيانهم، ومجاوزتهم حدودَ الله تعالى، وبما اقترفوه من الجرائم الشنيعة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾

﴿هَادُواْ﴾ اليهود أتباع موسى ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ قومٌ يعبدون الكواكب ﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ عهدكم الموثَّق على العمل بما في التوراة ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ اقتلعنا جبل الطور، ورفعناه فوق رؤوسكم ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ اعملوا بما في التوراة بجدّ وعزيمة ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ بالعمل والتطبيق ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لتنجوا من عذاب الله ﴿ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ اصطادوا يوم السبت ﴿قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ مسخناهم قردة بعد أن كانوا بشراً ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا﴾ جعلنا مسخهم قردة عقوبةً لهم ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ لمن يأتي بعدهم من الأمم، ولمن شهدها وعاينها منهم ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ أتسخر منا وتهزأ يا موسى؟ ﴿مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ المستهزئين بعباد الله ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ ليست كبيرة هرمة ولا صغيرة فتيَّة ﴿عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ وَسَطٌ بين الكبيرة والصغيرة ﴿صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ شديدة الصُّفْرة ﴿تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ تعجب الناظرين بحسنها. . دعا تعالى أصحاب الديانات والمِلَل (المسلمين، واليهود، والنصارى) إلى الإيمان الصادق، وبيَّن أن أصحاب هذه الديانات، من آمن منهم بنبيّه وكتابه في زمانه، فلا يضيع أجره عند الله، أمَّا بعد بعثة خاتم النبيِّين محمد ﷺ، فلا يُقبل غيرُ دين الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ والإيمان بجميع الرسل شرطٌ لدخول الجنة، فمن كذَّب واحداً منهم، فقد كذَّب الله تعالى، ومن كذَّب الله تعالى استحقَّ الخلودَ في نار الجحيم.

قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوٓا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ التبس أمرُ البقر علينا، فلم ندر أي بقرةٍ أمرنا بذبحها؟ ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ وسنهتدي إلى معرفتها إن شاء الله ﴿لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ﴾ ليست مسخَّرة لحراثة الأرض ﴿وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ وليست مسخَّرة لسقاية الزرع والشجر ﴿مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ سليمة من جميع العيوب، ليس فيها لونٌ يخالف صفرتها ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لغلاء ثمنها ﴿فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا﴾ تدافعتم وتخاصمتم بشأنها ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ اضربوا القتيلَ بشيءٍ من البقرة، يحيا القتيلُ بإذن الله ويخبركم عن القاتل ﴿قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ صلُبت قلوبكم، فلم ينفع فيها وعظٌ ولا تذكير ﴿فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ﴾ في القسوة ﴿يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ﴾ يتصدع فينبع منه الماء، فالحجارة تلين وقلوبكم لا تلين ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ أترجون أن يؤمن اليهود ويدخلوا في دينكم؟ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ غيَّروا كلام الله من بعد ما عرفوه وضبطوه.

الحزب ٢

ذكر سبحانه قصة البقرة، إحياءً لذكرى تلك (المعجزة الباهرة) التي ظهرت في زمن موسى عليه السلام، حيث قُتل شخصٌ من بني إسرائيل، ولم يعرفوا قاتله، فسألوا موسى عنه، فأوحى الله تعالى إليه، أن يأمرهم بذبح بقرة، وأن يضربوا الميت بجزءٍ منها، فيحيا بإذن الله، ويخبرهم عن القاتل، لتكون برهاناً على قدرة الله في إحياء الخلق بعد الموت، وحجةً ساطعةً قاطعة على البعث والنشور.

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ﴾ ومن اليهود طائفة من العوامّ الجهلة ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ لا يعرفون ما في التوراة من التحريف والتبديل، إلّا ما أوحاه إليهم رؤساء الدين، من الأكاذيب والأباطيل ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ وما هم على يقين من اعتقادهم، إنما يظنون الظنون والأوهام ﴿يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ هلاكٌ وعذاب للذين حرَّفوا كلام الله وكتبوه بأيديهم ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ نسبوها إلى الله كذباً وزوراً ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ أياماً قلائل مدة عبادتهم للعجل ﴿أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ هل أعطاكم الله العهد أن لا يعذِّبكم على جرائمكم؟ ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ بل تكذبون على الله وتفترون ﴿كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ فعل جريمةً كالشرك وعبادة الأصنام ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ استولت عليه ذنوبه وآثامه، فأحاطت به كما يحيط العدوُّ بعدوه ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ هم أهل جهنم وسُكَّانها ﴿مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ العهد المؤكد غاية التأكيد ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ قولاً حسناً بلين الجانب وطيِّب الكلام ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ رفضتم الميثاق، وعادتُكم العنادُ، والإعراض عن الحق، رُوي أن أحبار اليهود، خافوا زوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة النبي ﷺ في التوراة، وكانت فيها أنه (حسنُ الوجهِ، حسنُ الشعر، أكحلُ العينين، رَبْعُ القامة) فغيَّروها وكتبوا مكانها أنه طويل، أزرق، سَبْط الشعر، فإذا سألهم أحد عنه، قرءوا لهم ما كتبوه وحرَّفوه، فيجدونه مخالفاً لما في التوراة فيكذبونه، وذلك من التحريف لكتاب الله تعالى في الكتاب المقدَّس (التوراة) وهذا من أفانين تلاعبهم في تحريف الكلام.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ اذكروا يا معشر اليهود حين أخذنا منكم العهد المؤكد أن لا يقتل بعضكم بعضاً ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ ولا يُخرج بعضكم بعضاً من داره ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ اعترفتم بذلك الميثاق وأنتم تشهدون بلزومه ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ فتلتم إخوانكم في الدين ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ كما طردتموهم من ديارهم، من غير تمسُّكٍ بالعهد ﴿تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ تتعاونون عليهم بالظلم والبغي ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ﴾ إذا وقعوا في الأسر فديتموهم، كانت قُريظة حالفوا (الأوس) وبنو النضير حالفوا (الخزرج) وكان كل فريق يقاتل مع حلفائه، فإذا أُسِرُوا فَدَوْهم ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أتصدِّقون ببعض أحكام التوراة وتكفرون ببعض؟ ﴿خِزْيٌ﴾ ذلٌّ وهوان ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أتبعنا على أثره بالرسل ﴿ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿غُلْفٌ﴾ أغطية لا تفقه الكلام، قالوه على سبيل السخرية والعناد.

في هذه الآيات تحذيرٌ من الله للمؤمنين، أن يأخذوا ببعض أحكام القرآن، ويتركوا بعضه، كما فعل اليهود، فيضلُّوا كما ضلَّ أهلُ الكتاب، ولهذا جاء التوبيخ الصارخ ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾؟ فالإيمان ببعض آيات الله، دون الكلِّ، كفْرٌ بالكتاب كلِّه، ولهذا جاء الإنكار والتوبيخ.

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ببعثة خاتم الأنبياء فيقولون: اللهم انصرنا على أعدائنا بالنبي المبعوث آخر الزمان ﴿كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ فلما بُعث محمد ﷺ كفروا برسالته ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ بئس الشيء التافه الذي باع به اليهود أنفسهم ودينهم ﴿بَغْيًا﴾ حسداً وعدواناً وطلباً للرئاسة ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ﴾ رجعوا بغضبٍ من الله زيادة على سابق غضبه عليهم ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ شديد مع الإذلال والإهانة ﴿ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ آمنوا بالقرآن المنزل على خاتم النبيِّين ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ نؤمن بالتوراة فقط المنزلة علينا ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ يكفرون بالقرآن مع أنه الحقُّ الساطع ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج الساطعات والمعجزات الباهرات ﴿ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ عبدتم العجل فجعلتموه لكم إلهاً ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ سمعنا قولك وعصينا أمرك ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ خالط حبُّ عبادة العجل قلوبهم حتى سكن فيها، شبَّهه بمشروبٍ لذيذ سائغ الشراب، شربوه فامتزج بدمائهم وأبدانهم، وهو من بديع الاستعارة ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ هذا أسلوب التهكُّم والسخرية، أي بئس هذا الإيمان الذي يأمركم بعبادة العجل، فهل صار الإيمان طريقاً للإشراك بالله، وطريقاً لعبادة العجل؟ وهذا نهاية السخرية بهم وبإيمانهم، كما تقول لرجلٍ عالم، يستحلُّ ما حرَّم اللهُ: بئسَ هذا العلمُ الذي تعلَّمتَه!! لا تريد ذمَّ العلم، وإنما تريد السخرية به، لأنه لم ينتفع بعلمه.

ربع الحزب ٢

الجزء الأول سورة البقرة

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

﴿الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ الجنة ﴿خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ﴾ خاصة بكم لا يشاركم فيها أحد ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ اشتاقوا الموت الذي يوصلكم إلى الجنة، فمن أيقن أنه من أهل الجنة اشتاق إليها ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ لن يتمنوا الموت مدى الحياة لأنهم كذبةٌ فجرة، وفي الحديث «**لو أن اليهودَ تمنَّوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار**» ﴿وَلَن﴾ تفيد التأبيد للمستقبل ﴿أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾ أشدَّ الناس حرصاً على الحياة ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ وأحرصَ من المشركين أنفسِهم ﴿لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ يتمنى الواحد من اليهود أن يعيش ألف سنة ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ ليس طولُ العمر بمنجيه ومبعده من عذاب الله ﴿بَصِيرٌ﴾ مطّلع على أعمال العباد ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ نزلت في اليهود قالوا لرسول الله ﷺ: من ينزل عليك بالوحي يا محمد؟ قال: جبريل!! قالوا: ذاك عدونا ينزل بالحرب والقتال، ولو قلتَ: «ميكائيل» الذي ينزل بالرزق، والرحمةِ، والمطر، لآمنَّا بك!! فنزلت الآية ﴿نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ خصّ القلب بالذكر، لأنه موضع الفقه، وتلقّي المعارف، ولهذا جاء في موطن آخر ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ وعمى القلب أخطرُ من عمى البصر ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ ساطعات واضحات الدلالة على صدق نبوتك ﴿الْفَاسِقُونَ﴾ الخارجون عن طاعة الله ﴿نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ طرحه جماعة منهم، فلم يستمسكوا بالعهد، لأن اليهود ليس لهم عهود ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ هذا مثلٌ يُضرب لمن يستخفّ بالشيء فلا يعمل به، كأنهم جعلوا التوراة نسْياً منسيًا، كمن يلقي بالشيء وراء ظهره.

الجزء الأول — سورة البقرة

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

﴿تَتْلُوا﴾ تُحدِّث وتروي ﴿عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ في عهد مُلك سليمان، اتَّبع اليهودُ طُرُق السحر والشعوذة، وتركوا كتاب الله المنير ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ ما كان سليمان ساحراً، ولا كفر بتعلمه السحر، نزلت في اليهود قالوا: لم يكن سليمانُ نبياً إنما كان ساحراً ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ الشياطينُ الكفرة علّموا الناسَ السحرَ ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ اسمٌ للملكَيْن أنزلهما الله إلى الأرض لتعليم الناس فكَّ السحر ﴿نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ امتحان وابتلاء من الله ﴿يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ يتعلّمون من السحر ما يكون سبباً في التفريق بين الزوجين ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ما يضرُّون بالسحر أحداً إلّا بمشيئة الله وتقديره ﴿مِنْ خَلَاقٍ﴾ ليس له من رحمة الله نصيب في الآخرة ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ لثواب الله أفضل لهم ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ من المراعاة، وهي النظر في المصالح، وما فيه الخير للإنسان، وقد حرَّفها اليهود اللُّعناءُ فجعلوها من الرعونة وهي كلمة سبّ وشتم، لذلك نهى الله المسلمين عنها. . كان اليهود يستعملون في حديثهم مع الرسول ﷺ كلمة ﴿رَاعِنَا﴾ يعنون بها المسبَّةَ والشتيمة، وروي أنَّ (سعد بن معاذ) سمعها منهم، فقال يا أعداء الله: عليكم لعنةُ الله، ! والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله ﷺ لأضربنّ عنقه، فقالوا: إنكم تقولونها!! فنزلت الآية تنهى المسلمين عن قولها، سدًّا لخباثة اليهود.

۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

١/٤ الحزب ٢

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ النسخُ: إبطالُ الحكم وتبديلُه ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ نمحها من قلبك، ونجعلك تنساها ﴿بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ نأت بما هو أنفع وأصلح للعباد، ردٌّ على اليهود حيث قالوا: عجباً لمحمد يأمر أصحابه بأمرٍ ثم ينهاهم عنه، ويأمرهم بخلافه!! ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ لا تكونوا يا معشر المؤمنين كاليهود المعاندين الذين طلبوا من نبيِّهم أن يريهم الله جهرة، فتضلُّوا كما ضلُّوا ﴿مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ تمنَّى أهل الكتاب لو يُرْجِعونكم إلى الكفر بعد إيمانكم ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ حسداً لكم على ما أكرمكم الله به من الدِّين الحق ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟﴾ اتركوهم وأعرضوا عنهم ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ حتى يأتيكم أمرُ الله بقتالهم ﴿هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ قال اليهود: لن يدخل الجنة إلا يهوديٌّ، وقال النصارى: لن يدخل الجنة إلا نصراني ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ شهواتهم الباطلة الفارغة ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ ائتونا بالحجة والبرهان على هذه المزاعم الكاذبة، إن كنتم صادقين أن الجنة خاصة بكم!! ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ أي ليس الأمر كما تزعمون، أن الجنة خاصة بكم، بلى يدخل الجنة، من استسلم لله، وخضع لحكمه، وهو مؤمن صادقُ الإيمان، فله جزاؤه الكامل يوم القيامة، ولا يعتريهم حزنٌ ولا كدر، لأنهم في نعيم مقيم، ومن شروط دخول الجنة: الإيمانُ، والإحسانُ، ولهذا قال تعالى ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي أحسن العبادة والطاعة لله عزَّ وجلَّ.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

﴿لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ قال اليهود: دينُ النصارى باطلٌ وكفروا بعيسى ﴿لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ وكذلك النصارى قالوا في اليهود: دينهم باطل ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ اليهود يقرءون التوراة، والنصارى يقرءون الإنجيل، فقد كفروا بأنبيائهم عن علم ﴿لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ كذلك قال مشركو العرب الوثنيون: الإسلام باطل، ومحمد ليس برسول ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ يفصل بين أهل الأديان بحكمه العادل ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ لا أحد أظلم وأفجر ممن مَنَع من عبادة الله ﴿وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ بتعطيلها كما فعل كفار مكة منعوا الرسول ﷺ والمؤمنين من أداء مناسك العمرة ﴿أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ ما ينبغي أن يدخلوا بيوت الله إلّا في خضوع وخشية، فضلاً عن التجرؤ على هدمها ﴿خِزْىٌ﴾ ذلة ومهانة ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ الجهاتُ كلها لله فإلى أي جهةٍ توجهتم في صلاتكم، فهناك قبلةُ الله، نزلت فيمن أضاع القبلةَ في سفره يتحرى ويُصلِّي ﴿قَـٰنِتُونَ﴾ خاضعون منقادون ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقهما ومبدعهما على غير مثالٍ سبق، وفيه معنى الاختراع، كمن يبتكر شيئاً لم يُسبق إليه ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ إذا أراد أمراً، حصل فوراً، من غير امتناع ولا إبطاء ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الوثنيُّون عبدة الأصنام والأوثان ﴿لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾ هلاَّ يكلمنا الله، ويخبرنا بأنك رسوله!؟ ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ تأتينا بمعجزة ساطعة قاطعة على صدق رسالتك!! ﴿مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ يعني قال الكفار مثل قول اليهود والنصارى، قالوا: دينُ الإسلام باطل، وما نحن عليه هو الحقُّ.

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

﴿تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ حتى تترك الإسلام المنير وتتّبع دينهم الأعوج ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ ما أنت عليه من الإسلام هو الدين الحق ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ سايرتهم على كفرهم وضلالهم ﴿مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ليس لك من يتولى أمرك ويدفع عنك عذاب الله، والمرادُ أمتُه لأن الرسول ﷺ معصوم ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ يقرءونه كما أنزل دون تحريف ولا تبديل ﴿فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في زمانهم، لا أفضل من جميع الأمم ﴿عَدْلٌ﴾ لا يُقبل منها فداء ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ لا تفيدها شفاعة بسبب الكفر ﴿ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ كلّفه بتكاليف، وامتحنه بمحنٍ قاسية فنفّذها، كصبره على النار، وهجرته من وطنه، وامتحانه بذبح ولده إسماعيل ﴿مَثَابَةً﴾ مرجعاً للناس يترددون إليه بين حينٍ وحين ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ أجعله يستمتع بدنياه ﴿أَضْطَرُّهُۥٓ﴾ ألجئه لعذاب الجحيم..

ثلاثة أرباع الحزب ٢

طلب الخليل إبراهيم أن يرزق اللّهُ المؤمنين فقط، فأجابه ربه: إني أرزق المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر، كيف أخلق خلقاً ثم لا أرزقهم!؟ لكنْ أرزقه في الدنيا، ثم أذيقه العذاب الأليم في الآخرة. قاسَ إبراهيم عليه السلام الرزقَ على الإمامة، فنبّهه تعالى على أن الرزق رحمة دنيوية، تشمل المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر، بخلاف الإمامة - يعني النبوة - فإنها نعمة إلهية خاصة بالأبرار فلا يُقاس أمرُ الرزقِ على النبوّة ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾!! فإن الفارق بينهما كبير.

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

﴿ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ يبني قواعده ويرفع بناءه ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ علِّمنا مناسك حَجّنا وعمرتنا ﴿رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ من العرب، والمرادُ به بعثةُ محمد خاتم النبيِّين ﷺ ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ القرآن العظيم، والسنة النبوية المطهرة ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهِّرهم من رجس الشرك والوثنيَّة ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ لا يزهد في دين إبراهيم ويُعرض عنه ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ إلا السفيه الأحمق، الذي استخفَّ نَفْسَه وامتهنها ﴿ٱصْطَفَيْنَٰهُ﴾ اخترناه للرسالة والإمامة ﴿أَسْلِمْ﴾ استسلمْ لأمر ربك وحكمه ﴿ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ اختار لكم دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ اثبتوا على الإسلام لتموتوا عليه ﴿حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ أشرف على الموت ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ مضتْ قبلكم وسلفتْ، وكانت على الهدى والخير ﴿وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ كلُّ نفسٍ تتحمل ما فعلته في الدنيا من الأعمال، ويعقوبُ هو نبيُّ اللّهِ المسمى «إسرائيل» الذي ينتسب إليه اليهود، فكيف يزعمون الانتساب إليه، وهم يخالفون وصيَّته ودينه!؟

كنَّى بالموت عن مقدماته في قوله ﴿حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ لأن الإنسان إذا مات، لا يستطيع أنْ يوصي بشيء، وفي التعبير بقوله (حضر الموتُ) كناية لطيفة غريبة، كأنه شخص غائب، لا بدَّ أن يقدم، ولذلك ورد في الدعاء المأثور (واجعل الموتَ خير غائب ننتظره)!!

الجزء الأول سورة البقرة

وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ
حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ
مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا
هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ
﴿١٣٧﴾ صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ
عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ
وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمۡ
تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ
وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ
وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ
بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ
وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤١﴾

﴿هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْ﴾ قال اليهود: كونوا على ديننا اليهودية تهتدوا، وقال النصارى: كونوا نصارى تهتدوا ﴿قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ أي بل نتَّبع دينَ الحنيفية السمحة دينَ إبراهيم ﴿حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ مائلاً عن الأديان كلِّها إلى الدين الحق، ولم يكن إبراهيم مشركاً، وفيه تعريض بشرك أهل الكتاب ﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ الأسباط هم حفدةُ يعقوب، جاء من نسلهم أنبياءُ بني إسرائيل ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ﴾ لا نؤمن بالبعض ونكفر بالبعض، كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ منقادون خاضعون لأمر الله ﴿شِقَاقٖۖ﴾ عداوة ومخالفة ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ﴾ يقيك اللَّهُ شرَّهم وأذاهم ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ﴾ دين الله الذي فطرنا عليه، حتى صار ملازماً لنا كالصبغ في الثوب ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ تجادلوننا في أمر الدين؟ وربُّ العزة والجلال هو خالقنا وخالقكم، فكيف تزعمون أنكم أبناء الله وأحبَّاؤه، وأنكم أهل الجنة دون من سواكم؟ ﴿وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ لنا جزاء أعمالنا ولكم جزاء أعمالكم، لا يتحمل أحد وزر غيره ﴿كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾ هل تزعمون أن الأنبياء كانوا على دين اليهودية أو النصرانية، فتكذبون عليهم وعلى الله؟ ﴿ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾؟ هل أنتم أعلم بحقيقة ما كانوا عليه، أم ربُّ العزة والجلال؟ وقد شهد الله لهم بأنهم كانوا مسلمين ﴿كَتَمَ شَهَٰدَةً﴾ لا أحد أفجرُ وأظلم، ممن أخفى الحقيقة التي أخبر الله عزَّ وجلَّ عنها!!

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

الجزء ٢ الحزب ٣

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ الحمقى ضعفاء العقول ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ ما صرفهم ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ الجهات كلُّها لله يأمر بالتوجه إلى أيِّ جهةٍ شاء، وهذا إخبار عن الغَيب، فقد قال السفهاء: لماذا ترك محمد قبلته الأولى (بيت المقدس) وانصرف إلى البيت الحرام؟ ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ أمة عدولاً خياراً ﴿يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ يرجع عن الإيمان إلى الكفر ﴿لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ صلاتكم إلى بيت المقدس ﴿تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ ترديد بصرك نحو السماء تشوقاً لتحويل القبلة ﴿قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ فلنوجهنَّك إلى قبلة تحبُّها ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ توجَّهْ في صلاتك جهة الكعبة المعظَّمة ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ في أي مكان كنتم فتوجهوا في صلاتكم نحو الكعبة المشرَّفة، فهي قبلتكم المعتمدة ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ اليهود والنصارى ﴿لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ يعرفون أن قبلة محمد ﷺ (الكعبة المشرفة) لأنَّ في كتبهم أنه يتحوَّل إليها، ولكنهم يعاندون ويكابرون. !

سُئل ﷺ عن من مات، وهو يصلِّي إلى بيت المقدس، قبل تحويل القبلة؟ فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ يعني صلاتكم، وأما شهادتنا على الأمم، فقد ورد في الصحيح، أنَّ الله تعالى يقول لنوح: هل بلَّغتَ؟ فيقول: نعم يا رب، فيقال لأمته: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من نذير!! فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمدٌ وأمته، فذلك قوله تعالى ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ رواه البخاري.

الجزء الثاني — سورة البقرة

ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

﴿كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ يعرفون محمداً بأوصافه كما يعرف أحدهم ولده، قال «عبد الله بن سلام»: لَمعرفتي بمحمد أشدُّ من معرفتي بابني، فإن أوصافه ﷺ في التوراة لا تختلف بمقدار شعرة، وأمّا ولدي فلا أدري ما كان من أمه!؟ ﴿لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ يخفون أوصافه عن علم ومعرفة ﴿ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ الشاكين في أمر رسالته ﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ﴾ لكل أمةٍ من الأمم قبلةٌ ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ يتوجه إليها الإنسان في صلاته ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ فبادروا وسارعوا إلى فعل الخيرات ﴿يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ﴾ في أي موضع تكونون يجمعكم اللّهُ للحساب والجزاء ﴿فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ﴾ لا تخافوهم ﴿بِكُلِّ ءَايَةٖ﴾ معجزة تدلُّ على صدق رسالتك ﴿وَيُزَكِّيكُمۡ﴾ يطهِّركم من رجس الشرك والوثنية، كما يعلِّمكم أحكام الكتاب العزيز، والسُّنَّةِ النبويّة المطهّرة، فاشكروا ربكم على نعمه الجليلة. !

أمر سبحانه عباده في أمور الآخرة، بالمسارعة والمسابقة ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ وأمّا في أمور الدنيا، فلم يأمرنا إلّا بالهُوَيْنى، بالمشي دون السعي ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾ لأن الآخرة تحتاج إلى بذلِ جهدٍ واجتهاد، أمّا الدنيا فقد قسم الله فيها الأرزاق والأعمار، فلا تحتاج إلى عناءٍ وتعب، وكدٍّ ونَصَب.

الجزء الثاني سورة البقرة

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

ربع الحزب ٣

﴿أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ لا تقولوا عن الشهداء إنهم أموات، بل هم أحياء عند ربهم يرزقون ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ لنختبرنكم بأنواع المحن ﴿صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ ثناءٌ من الله عليهم، ورفع لدرجاتهم ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ من أعلام دينه في الحج ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ لا حرج ولا إثم عليه بالسعي بين الصفا والمروة، كان أهلُ الجاهلية يسعون بين الصفا والمروة لصنمَيْن (إساف) و(نائلة) فلما جاء الإسلام خافوا أن يتشبَّهوا بأهل الجاهلية فنزلت ﴿يَكْتُمُونَ﴾ يُخفون ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل الواضحة كالمعجزات ﴿وَيَلْعَنُهُمُ﴾ يطردهم من رحمته ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ماكثين في جهنم على الدوام ﴿فَلَا يُخَفَّفُ﴾ لا يُخَفَّفُ عنهم العذاب ولو فترةً قصيرة ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ لا يُمهلون ولا يُؤخَّرون عن العذاب لحظة واحدة، عذابهم دائم، ومسكنهم الجحيم.

نهانا تعالى أن نقول عن الشهداء إنهم أموات، وأخبر أنهم أحياء، وقد قال ﷺ: «**لمَّا أُصيب إخوانكم بأُحد، جعلَ الله أرواحهم في جوْف طيرٍ خُضر، ترِدُ أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديلَ من ذهبٍ، معلَّقةٍ في ظلِّ العرش، فلَّما وجدوا طيبَ مأكلهم، ومشربهم، ومقيلهم، قالوا: من يبلِّغُ عنا إخواننا أننا أحياء في الجنة نُرزق؟ فقال الله سبحانه: أنا أبلِّغهم عنكم، فأنزل** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا..﴾ **الآية**» أخرجه أبو داود.

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ تعاقبهما بنظام محكم، يأتي الليل ثم يعقبه النهار ﴿وَٱلْفُلْكِ﴾ السفن العظيمة التي تسير فوق سطح البحر بقدرة الله ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ فرّق ونشر في الأرض من أنواع المخلوقات بطريق التوالد ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ تقليبها في مهابها، حارةً وباردة، وعاصفةً وليّنة ﴿لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ علامات واضحة ساطعة على قدرة الله ووحدانيته، لقوم يستعملون عقولهم، ولا يُهملون التفكير ﴿أَندَادًا﴾ شركاء مع الله ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ تفرّقت بهم أواصر المودة والمحبة ﴿كَرَّةً﴾ رجعة وعودة ﴿حَسَرَٰتٍ﴾ ندامات شديدة ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ آثار الشيطان وطرق إغوائه ﴿بِٱلسُّوٓءِ﴾ بالمعاصي والذنوب ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ ما تناهى قبحُه من الرذائل، كالزنى، واللواطة، والقتل، والسعي في الأرض بالفساد.

ذكر تعالى من آثار قدرته ووحدانيته ثمانية دلائل: **الأول**: السموات وما فيها من بدائع الخلق، من شمس وكواكب وقمر، **الثاني**: الأرض وما فيها من جبال وبحار وأنهار، **الثالث**: اختلاف الليل والنهار بالطول والقِصَر، **الرابع**: السفن العظيمة تمخر عُباب البحار، **الخامس**: المطر الذي جعله الله سبباً لحياة البشر، **السادس**: ما خلق في الارض من أنواع المخلوقات مع اختلاف الأشكال والصور، **السابع**: تصريف الرياح وتقليبها باردة وحارة، **الثامن**: السحاب الذي يحمل آلاف الأطنان من الماء، وكلّها دلائل باهرة على القدرة والوحدانية.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

﴿أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ ما وجدنا عليه آباءنا ﴿يَنْعِقُ﴾ يصيح في الأغنام ﴿دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ تسمع الصوت ولا تفهم الكلام، مثّل تعالى للكفار بالراعي الذي يصيح على أغنامه ويزجرها، فهي تسمع الصوت والنداء دون أن تفهم المراد والكلام، كذلك الكفار كالدواب السارحة لا ينتفعون بآيات القرآن ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ هم كالصمّ الذين لا يسمعون، والخرس الذين لا يتكلمون، والعمي الذين لا يبصرون ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ﴾ ما ذُكر عند ذبحه اسم غير الله كقول المشركين: باسم اللات والعُزّى ﴿ٱضْطُرَّ﴾ ألجأته الضرورة للأكل من المحرمات ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ غير طالب للمحرَّم ولا متجاوزٍ ما يسدُّ الرَّمَقَ ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ فلا عقوبة عليه في الأكل. لأن الضرورات تبيح المحظورات ﴿يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ يخفون صفة النبي ﷺ المذكورة في التوراة، وهم اليهود الخبثاء ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يأخذون مكانه عوضاً حقيراً من حطام الدنيا ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ كلام رضى ومسامحة، بل كلام غضب وسخط، كقوله: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ فنفيُ تكليمه لهم يراد به كلام الرضوان ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ لا يطهرهم من دنس الكفر والذنوب ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ ما أشدَّ صبرهم على نار جهنم!؟ وهو تعجيب من تمسكهم بالكفر والضلال ﴿شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ في خلافٍ ونزاع، بعيد عن الحق والصواب، وهذا شأنُ أهل الكتاب، عرفوا الحقَّ فلم يؤمنوا به، ولم يقبلوه.

۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

نصف الحزب ٣

﴿الْبِرَّ﴾ أعمال الخير والصالحات ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ﴾ ولكنّ البرّ الصحيح من آمن بوحدانية الله وصدّق بلقائه ﴿وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ وصدّق بملائكة الله، وكتبه السماوية، وأنبيائه المرسلين ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ أعطى المال وتصدّق على حاجته للمال وحبه له ﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ المسافر الذي انقطع في سفره ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ تحرير الأسرى وفدائهم من الرّق ﴿الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ الصابرين على المشاقّ والأمراض ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ حال القتال في الحرب ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ فرض عليكم أن تقتصّوا للمقتول من قاتله ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ﴾ الحرّ يُقتل بالحر ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ والعبد يُقتل بالعبد ﴿وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾ والمرأة تقتل بالمرأة، بالمساواة دون عدوان، كانوا في الجاهلية يقتلون الذكر بالأنثى، والكبير بالصغير، ويقتلون بالواحد عشرةً أو أكثر، فنزلت الآية. ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ مالاً كثيراً أو قليلاً، وقد نُسخت بآية المواريث، **قال قتادة:** كان في أهل الجاهلية بغيٌ وعدوان، وكان الحيُّ منهم إذا كان لهم عزٌّ ومنعة، فقتل عبدُهم عبدَ آخرين، قالوا: لن نقتل به إلاَّ حراً، وإذا قتلَتْ امرأةٌ منهم أخرى، قالوا: لن نقتل بها إلّا رجلاً، فأنزل الله ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ وأشارت الآية ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ إلى معنى سامٍ بديع، وهو أن في قتل القاتل حياةً للنفوس، فإن القاتل إذا أيقن بأنه سيُقتلُ إن قَتل، كفّ عن القتل، فأحيا نفسه وأحيا الآخرين، وبذلك تُصان الدماءُ، وتُحفظ حياةُ البشر.

الجزء الثاني — سورة البقرة

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

﴿مِن مُّوصٍ﴾ من الموصي الذي شارف الموتَ ﴿جَنَفًا﴾ ميلاً عن الحق ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ أو ارتكاباً للظلم عمداً ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ فأصلح بين الموصِي والموصَى له ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ لا ذنب عليه ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ فُرض عليكم صيام شهر رمضان ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ يستطيعون صيامه لكنْ بمشقة عظيمة، كالشيخ الهرم، والعجوز المسنَّة ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ يُطعم مسكيناً مكان كل يوم يفطره ﴿فَمَن شَهِدَ﴾ من حضرهُ شهر رمضان وكان حياً فليصُمْ هذا الشهر ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ إذا أفطر للمرض أو السفر فَلْيقض أياماً بعدد الأيام التي أفطرها ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ لتكملوا عدة شهر رمضان بقضاء ما أفطرتم ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ لتحمدوا الله على ما أرشدكم إليه من معالم الدين الحنيف، وإنما خُصَّ رمضانُ بفريضة الصيام، لتذكير المؤمنين بنعمة الله عليهم بنزول الكتاب العزيز ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ ابتدأ به نزولُ القرآن الكريم، فلم ينزل القرآن كلُّه في شهر رمضان ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ﴾ رأى هلال رمضان، أو أدركه شهر رمضان وهو حيٌّ، فعليه أن يصومه ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ روي أن جماعة من الأعراب سألوا النبيَّ ﷺ فقالوا يا محمد: أقريب ربُّنا فنناجيه ـ أي ندعوه سرًّا ـ أم بعيدٌ فنناديه؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ رواه الطبري.

والمعنى: إنني مع عبادي، أسمع دعاءهم، وأرى مكانهم، وأجيبُ من دعاني.

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

﴿ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ جماع النساء في ليالي رمضان ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ هنَّ سترٌ وسكنٌ لكم وأنتم سكنٌ لهنَّ ﴿تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ تخونونها بجماعهن في ليالي رمضان، روى البخاري عن البراء قال: «**لمَّا نزل صومُ رمضان كانوا لا يقربون النِّساءَ رمضانَ كلَّه، وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله الآية**» وأباح لهم الاستمتاع في ليالي رمضان ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ جامعوهنَّ واطلبوا بنكاحهن الذرية والولد، ولا تباشروهن لقضاء الشهوة فقط ﴿ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ﴾ نور النهار من ظلمة الليل، وهي استعارة بديعة ﴿عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ﴾ معتكفون فيها لعبادة الله ﴿وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ تدفعوها لهم رشوة ﴿مَوَٰقِيتُ﴾ أوقات لمعرفة مواعيد الصوم، والحج، والزكاة،

ربع الحزب ٣

والحكمةُ من ربط العبادات الدينية بالقمر دون الشمس، لتعاقب الفصول عليها، ولهذا يأتي الصوم أحياناً في الصيف، وأخرى في الشتاء، وكذلك الحج.. الرَّفثُ في الآية كناية عن الجماع، وقد جاء التعبير بقوله سبحانه ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ في غاية الجمال والإبداع، فالمرأة للرجل لباسٌ وسترٌ تُزيِّنه وتُكمِّله وتُجمِّله، والرجل سترٌ للمرأة ولباس، يزيِّنها ويُجمِّلها ويسترها، ولولا اللباسُ لبدت سوأةُ كلٍّ منهما، فانظر ـ رعاك الله ـ إلى روعة البيان في تصوير القرآن ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ وهذا التعبيرُ من ألطف أنواع الاستعارة البيانية، التي هي من خصائص القرآن.

الجزء الثاني — سورة البقرة

وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم في حِلٍّ أو حرم ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ فتنة المؤمن عن دينه أشدّ من قتلكم لهم في الحرم، فإذا استعظموا القتال فيه فجريمتهم أعظم ﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قاتلوا المشركين حتى لا يُفتن أحد في دينه، وحتّى تكسروا شوكتهم ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ يعلو الإسلام وترتفع رايته على سائر الأديان ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ هتكُ حرمة الشهر الحرام تُقابل بمثلها، فكما استحلُّوا دماءكم فيه فاستحلُّوا أنتم دماءهم ﴿ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ الهلاك ويراد به هنا ترك الجهاد والإنفاق في سبيل الله كما قال أبو أيوب الأنصاري ﴿أُحْصِرْتُمْ﴾ مُنعتم عن إتمام الحج بعدوٍّ أو مرض ﴿ٱلْهَدْىِ﴾ فاذبحوا ما تيسَّر لكم من الأنعام، وأقلُّه شاة ﴿يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُ﴾ مكان وجوب ذبحه وهو (الحرمُ) أو حيث أحصرتم ﴿نُسُكٍ﴾ ذبيحة وأقلُّها شاة، والحكم هنا على التخيير كما يقول الفقهاء، لأن الله ذكرها بـ(أو) المفيدة لجواز أيِّ شيء منها: الصيام، أو الصدقة، أو ذبح الشاة.. **عبَّر سبحانه عن ترك الجهاد بالتهلكة** ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾

لأن ترك الجهاد هلاكٌ لدين الإنسان، حيث يتغلب الأعداء على المؤمنين، (رُوي أن رجلاً من المسلمين، اخترق جنود الروم في إحدى الغزوات، فصاح الناسُ ألقى بنفسه إلى التهلكة!! فقال «أبو أيوب الأنصاري»: إنكم تحملون هذه الآية على غير معناها، فينا نحن معشرَ الأنصار نزلت هذه الآية، حين قلنا: لقد أعزَّ الله الإسلام وكثر أنصاره، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحناها فنزلت الآية، فكانت التهلكةُ، في ترك الإنفاق وترك الغزو) رواه الترمذي.

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ وقت الحج وزمانه في أشهرٍ معلومة هي «شوال، وذو القعدة، وعشرٌ من ذي الحجة» هذا زمان الإحرام بالحج ﴿فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ ألزم نفسه الإحرام فيها ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ فلا يقرب النساء، ولا يفعل معصية، ولا يخاصم أحداً من الناس لأنه في عبادة ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ لا حرج ولا إثم في التجارة في الحج، فإن التجارة الدنيوية لا تنافي العبادة الدينية ﴿أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ انتهيتم من الوقوف بعرفات، ودفعتم منها ﴿ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ في مزدلفة ﴿أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ انزلوا من عرفة لا من مزدلفة شأن المستكبرين، نزلت في (الحُمْس) من قريش كانوا لا يقفون بعرفة ويقولون: نحن سُكّان حرم الله لا نخرج من الحرم ويقفون بمزدلفة ثم يُفيضون منها فأمرهم الله بالوقوف بعرفة ثم الإفاضة منها، حيث يقف سائر الناس ﴿خَلَٰقٍ﴾ (نصيب من رحمة الله.. كان العرب في الجاهلية إذا قضوا مناسكهم، وقفوا في منى قريباً من (مسجد الخَيْف) يذكرون مفاخر آبائهم وأجدادهم، فيقول أحدهم: كان أبي كريماً كثير الضيوف، رحب الفناء، كثير العطاء، يحمي الضعيف، ويفكُّ الأسير، ويقري الضيف، يذكر مآثره ومفاخره، ويتناشدون الأشعار، وغرضُهم الشهرة والحمية، فنزل قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا..﴾ الآية.

۞ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

الحزب ٤

﴿أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ كبِّروا الله في أيام عيد الأضحى ﴿تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ نَفر من منى بعد تمام يومين غير يوم النحر ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ لا ذنب عليه ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ تأخر إلى اليوم الرابع من الأضحى فلا ذنب عليه بل هو أفضل ﴿لِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ لمن أراد الحجَّ على الوجه الأكمل ﴿تُحْشَرُونَ﴾ تُجمعون للحساب والجزاء ﴿أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ شديد الخصومة بالباطل ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ﴾ الزرع ﴿وَالنَّسْلَ﴾ الذرية من الإنسان والحيوان ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ حملته حميَّةُ الجاهلية على الفساد والطغيان ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ﴾ يكفيه نار جهنم عقاباً له ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ بئست جهنم فراشاً له ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ يبيع نفسه في سبيل الله طلباً لمرضاته، نزلت في (صُهَيْب الرومي) ضحَّى بكل ما يملك، من أجل أن يتركه المشركون يهاجر إلى المدينة المنورة ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ ادخلوا في الإسلام بجميع شرائعه وأحكامه، لا أن تأخذوا بعضاً، وتتركوا منه بعضاً ﴿زَلَلْتُمْ﴾ انحرفتم عن هداية الله ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون مجيء العذاب.

سبب النزول: رُوي أن «صُهَيْبًا» لمَّا أراد الهجرة، لحقه رجالٌ من قريش، فنزل عن راحلته، وقال: يا معشر قريش، تعلمون أني لا أُخطئ الرمي، والله لا تصلون إليَّ، حتى أرميَ كلَّ ما عندي، ثم أضرب بسيفي حتى ينكسر!! قالوا: جئتنا فقيراً لا تملك شيئاً، وأنت الآن ذو مال، فقال: إن دللتكم على مالي تتركونني؟ قالوا: نعم، فدلَّهم على ماله فتركوه، ففيه نزلت الآية ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ رواه الطبراني والحاكم وصحَّحه.

سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ اسأل اليهود ﴿ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ كم شاهدوا من معجزات باهرة ظهرت على يد موسى!! ﴿يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ من يكفر بنعم الله بجحودها أو الاستهزاء بها ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ عقابه أليم وشديد ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ زُيِّنت لهم شهوات الدنيا ومباهجها حتى نسوا الآخرة ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ ويستهزءون بالمؤمنين فيرمونهم بالسَّفه والجنون ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ والمؤمنون المتقون في درجات رفيعة عند الله يوم القيامة، يضحكون على الكفار ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بلا نهاية ولا انقطاع ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على الإيمان والفطرة ثم اختلفوا وتنازعوا وظهرت بينهم الوثنيةُ والإشراكُ ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ مبشرين المؤمنين بالثواب، ومنذرين الكفار بالعقاب ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ حسداً بينهم وظلماً ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ فُتنوا فتنةً عظيمة تشبه الزلزال، والتعبيرُ بالزلزلة يوحي بشدة الهول والكرب الذي نزل بهم، حتى يصل الأمرُ بالرسل وأتباعهم أن يقولوا: متى يأتينا النصرُ والفرَجُ!! ﴿ٱلْبَأْسَآءُ﴾ الشدائد والنوائب بقتال الأعداء ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾ المصائب والآلام والأمراض ﴿نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ قريب المجيء، فاستبشروا به يا معشر المؤمنين!! أشارت الآية إلى أن النصر يأتي عند شدة المحنة، وإذا كان الرسل ـ مع عُلوّ منزلتهم ـ بلغ بهم الضيقُ والحزنُ هذا المبلغ، دلَّ ذلك على أن الشدَّةَ قد بلغت منتهاها!! ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ ماذا ينفقون من أموالهم؟ وعلى من ينفقون؟ ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ﴾ قل لهم: أيَّ شيءٍ أنفقتموه، فالأحقُّ والأولى به آباؤكم وأقرباؤكم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ لا يضيع عند الله، والغرضُ: الحثُّ على البرِّ، وصلة الأرحام.

الجزء الثاني سورة البقرة

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ فرض عليكم قتالُ المشركين ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ وهو مكروه لكم طبعاً، لما فيه من خطر هلاك النفس ﴿تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا﴾ ولعلكم تكرهون شيئاً وفيه كل الخير والنفع لكم ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ يسألك أصحابك عن القتال في الشهر الحرام، أيحلُّ أم يحرم؟ ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ ذنب القتالِ فيه عظيم ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ومنعُ الناس عن الدخول في الإسلام ﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ فتنةُ المسلم عن دينه أكبرُ عند الله من القتل ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ بطلت أعمالهم الصالحة وذهب ثوابها ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ ضرر الخمر والقمار، أعظمُ مما فيهما من النفع الماديّ، فضياعُ العقل، وذهابُ المالِ،

ربع الحزب ٤

وما يجرُّه القمار من خراب البيوت، ودمار الأسر، ظاهر واضحٌ للعَيان، لا ينكره إلّا جاهل مكابر ﴿ٱلْعَفْوَ﴾ الفضل والزيادة عن الحاجة.

رُوي أنَّ عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه جاء إلى رسول الله ﷺ مع نفرٍ من الأنصار، فقالوا: يا رسول الله، أفتِنَا في الخمر والميسر؟ فإنهما مَذْهَبةٌ للعقل، مسْلَبةٌ للمال!! فنزلت ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ . .﴾ الآية، والميسرُ: هو القمار، ومن القمار المحرَّم ما انتشر في هذا الزمان باسم (اليانصيب) فهو حرام، ولو كان الغرضُ منه جمع المال للأعمال الخيرية، كبناء المستشفيات، والمدارس، والجمعيات الخيرية، لأن الله طيّبٌ لا يقبل إلّا طيباً، كما جاء في الحديث الشريف.

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠) وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣) وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤)

﴿ لَأَعْنَتَكُمْ ﴾ لأوقعكم في الحرج والمشقة ﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ ﴾ لا تتزوجوا بالمشركات الوثنيات حتى يؤمنَّ بالله واليوم الآخر ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ ﴾ عبدةٌ مملوكةٌ ﴿ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ ﴾ أفضلُ من حُرَّةٍ مشركة، ولو أعجبتكم بحسنها وجمالها ﴿ عَنِ الْمَحِيضِ ﴾ إتيان النساء وقت الحيض ﴿ هُوَ أَذًى ﴾ شيء مستقذرٌ وفيه أذى للزوجين ﴿ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ لا تجامعوهنَّ حتى ينقطع عنهن دم الحيض ويطهرن بالاغتسال ﴿ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ في المكان الذي أحلَّه الله لكم «الفرج» لا الدُّبر مكان (القَذَر والنَّجس)!! ﴿ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ الحرثُ: الزرعُ أي نساؤكم موضع الزرع، فالمرأة كالأرض، والنطفةُ كالبذر ﴿ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ كيف شئتم، قائمة، قاعدة، مضطجعة، بشرط أن يكون في القُبُل وفي الحديث: **ملعون من أتى امرأةً في دُبرها** ﴿ عُرْضَةً ﴾ مانعاً عن الخير بسبب حلفكم بالله.. قال ابن عباس: لا تجعلنَّ الله عُرضة ليمينك، أ[ن] لا تصنع الخيرَ، ولكنْ كفِّر عن يمينك وافعل الخير، ومراده أن لا يتعلّل باليمين، بأن يقول: قد حلفتُ بالله أن لا أكلم فلاناً، أو أن لا أفعل هذا الشيء، وأريد أن أبرَّ بيميني، فيكون الله عزَّ وجل، كأنه هو السبب في منعه عن فعل الخير، وهذا ممَّا لا يتفق مع شريعة الله ﴿ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ أي لا تجعلوا الحلف بالله، حاجزاً ومانعاً من فعل البرِّ، والخير، والإصلاح بين الخلق، بل كفِّروا عن اليمين، وافعلوا الخير، هذا أصحُّ ما قيل في تفسير الآية الكريمة.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَـٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

﴿بِٱللَّغْوِ﴾ اللغو: أن يحلف على الشيء معتقداً صدقه والأمر بخلافه، أو ما يجري على اللسان دون قصد اليمين، كقوله: "بلى واللّه، ولا واللّه" ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ﴾ يحلفون أن لا يقربوا نساءهم للإضرار بهن ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ انتظار أربعة شهور ﴿فَإِن فَآءُو﴾ رجعوا في المدة عمّا حلفوا عليه ﴿ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ ثلاث حِيَض أو ثلاثة أطهار ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ أزواجهن ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ﴾ للزوجات من الحقوق والواجبات على أزواجهن، مثلُ ما للرجال عليهن من الحقوق ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ منزلة وفضيلة بالرعاية، والإنفاق، فهي درجةُ (تكليف) لا درجةُ (تشريف) ﴿ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ﴾ الطلاق الرجعيُّ الذي يحقُّ للزوج أن يراجعها فيه مرّتان: المرة الأولى، والثانية ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ المرة الثالثة ﴿تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ فلا تحلُّ لزوجها حتى تتزوج بزوج آخر، بعد أن يدخل بها ثم يطلّقها، لقوله ﷺ لامرأة رفاعة: "**حتى تذوقي عُسَيْلته ويذوق عُسَيْلَتكِ**" وهي كنايةٌ لطيفةٌ عن الجماع، وقولُه تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ أي الزوج الثاني الذي دخل بها، لا الأول الذي طلّقها ثلاثاً، فتنبّهْ.

كان الرجل في الجاهلية، يطلّق امرأته متى شاء، ثم يراجعها قبل أن تنقضي عدّتُها، ولو طلّقها ألف مرة، فعمد رجل لامرأته فقال لها: لا آويك ـ أي لا أتركك في عصمتي ـ ولا أدعُكِ تحلّين لأحد!! فقالت: وكيف؟ قال: أطلّقك، فإذا دنا مضيُّ عِدَّتِك راجعتُك!! فشكت المرأةُ أمرها للنبي ﷺ، فأنزل الله قوله: ﴿ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ﴾ الآية.

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوٓا ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربنَ انتهاء العِدَّة ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ راجعوهنَّ من غير إضرار، أو اتركوهن حتى تنقضي عدتهنَّ ويملكن أنفسهن ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ لا تراجعوهن إرادة الإضرار بهن، لتظلموهنَّ حتى يلجأن إلى الافتداء ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ سخريةً واستهزاءً، بالتهاون في تطبيق أوامر الله ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ لا تمنعوهنَّ أن يرجعن لأزواجهنَّ، إذا صلحت الأحوال بين الزوجين ﴿يُوعَظُ بِهِۦ﴾ يُنصح به أهلُ الإيمان، نزلت في «معقل بن يسار» زوّج أخته رجلاً من المسلمين، فطلَّقها تطليقة لم يراجعها فيها حتى انقضت عدتها، ثم خطبها مع الخُطّاب فقال له أخوها: يا لئيمُ أكرمتك وزوّجتُك إيّاها فطلَّقتها، لا واللّهِ لا ترجع إليك أبداً!! فنزلت الآية، فدعاه فقال له: أزوّجك وأكرمك ﴿فِصَالًا﴾ فطاماً ﴿تَسْتَرْضِعُوٓا أَوْلَٰدَكُمْ﴾ تطلبوا مرضعة لأولادكم ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ لا إثم ولا حرج بشرط أن تدفعوا للمرضعة ما اتفقتم عليه من الأجر.

ربع الحزب ٤

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ خبرٌ يراد به الأمر، أي الواجب على الوالدت أن يرضعن أولادهنَّ، والتعبيرُ بلفظ الوالدات دون قوله: (والمطلّقاتُ) لاستعطافهن نحو الأولاد، فحصول الطلاق لهن، لا ينبغي أن يحرمهنَّ عاطفة الأمومة، والولد ليس أجنبياً عن الوالدين، هذه أمه وذاك أبوه، ومن حقّه عليهما أن يُشفقا عليه، وأن لا تكون العداوة بينهما سبباً لضياعه.

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ
فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ
﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ
أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا
وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ
وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ
مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ
قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ
لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟
ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ
وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

﴿يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ يموتون من الرجال ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ يتركون زوجات بعد وفاتهم ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ على هؤلاء الزوجات أن يمكثن في العدة أربعة شهور وعشرة أيام، حداداً على أزواجهن، والحكمةُ من العِدَّة: الحفاظ على الأنساب، والمراعاةُ للحقوق الزوجية، فالرابطة الزوجية أقدسُ رباط، فلا يصحُّ ذوقاً ولا أدباً أن تنسى الزوجةُ ذلك، فتترك الحداد على زوجها!! ﴿أَكْنَنتُمْ﴾ أخفيتم من الرغبة بالزواج بهن ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ ما لم تجامعوهنّ، فالطلاق قبل المساس (الزفاف) جائز إذا كان هناك مصلحة ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ ادفعوا لهن المتعة ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ الغني بقدر غناه ﴿وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ﴾ والفقير بقدر استطاعته ﴿فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ ذكرتم لهن مهراً معيناً ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ ادفعوا لها نصف المهر، ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ لا تنسوا الإحسان والجميل بين الزوجين، ليظل المعروفُ والإحسانُ صفةَ المؤمنين، حتى في حال الطلاق والفراق، فما أجمل وأروعَ شريعة الإسلام!؟

وقولُه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ بيانٌ لجواز الخُلْع، وأولُ خُلْعٍ حدث في الإسلام، كان في امرأة (ثابت بن قيس) أتت رسولَ الله ﷺ فقالت: (إن ثابتاً لا أَعتبُ عليه في خُلُق، ولا في دِينٍ، ولكنّي أكرهُ الكُفْر في الإسلام، واللهِ لا يجمعُ رأسي ورأسَه شيء أبداً!! فقال لها الرسول ﷺ: أتردِّينَ عليه حديقتَه!؟ قالت: نعم، فقال له الرسول الكريم: اقْبلِ الحديقةَ، وطلِّقها تطليقة) رواه البخاري.

حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ
قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ
فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ
﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً
لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن
مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَـٰتِ مَتَـٰعٌ
بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ
إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ
فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى
ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾
وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾
مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا
كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ صلاة العصر لأن الملائكة تشهدها ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ خاشعين ساكتين، عن زيد بن أرقم قال: «**كنّا نتكلمُ في الصلاة حتى نزلت الآيةُ، فأُمِرنا بالسكوت ونُهينا عن الكلام**» رواه البخاري ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ فصلُّوا مُشاةً على أرجلكم، أو ركباناً على الدواب ﴿مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ يُمتَّعن بالنفقة والكسوة مدة العِدَّة لعام كامل، وكانت هذه هي العدة، ثم نُسخت إلى أربعة أشهر وعشرة أيام ﴿خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ﴾ هم قومٌ من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد، فهربوا من وجه عدوهم، فأماتهم الله بضعة أيام ثم أحياهم بدعوة نبيهم، وكانوا سبعين ألفاً ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ خوفاً من الموت وفراراً منه ﴿يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ يُضيِّق ويوسِّع، على من يشاء من عباده، حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة، فلا تبخلوا بما وسَّع الله عليكم، وفي الآية تهديدٌ ضمنيٌّ لمن يبخل عن الإنفاق في سبيل الله.!

ثلاثة أرباع الحزب ٤

ذكر تعالى في سورة البقرة خبر إحياء الموتى في الدنيا في خمسة مواضع: في قصة أصحاب البقرة ﴿كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وفي قصة عزير ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ وفي قصة الذين طلبوا رؤية الله من بني اسرائيل ﴿ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ وفي قصة إبراهيم ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾؟ وفي قصة الذين خرجوا فراراً من الموت ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ﴾ وكلُّها براهين قاطعة، تدلُّ على قدرة الله على إحياء البشر بعد الموت، ردًّا على المنكرين للبعث.

الجزء الثاني — سورة البقرة

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

﴿ٱلْمَلَإِ﴾ وجوهُ القوم وأشرافُهم ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾ من بعد موت موسى ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ اجعل علينا أميراً وقائداً لنقاتل معه في سبيل الله ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ أخشى إن فُرض عليكم القتالُ أن لا تقاتلوا!! ﴿تَوَلَّوْا۟﴾ لمّا فرض عليهم القتال هربوا من وجه الأعداء ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ ثبتوا في الميدان ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ كيف يكون مَلِكاً علينا؟ ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ وليس ذا ثروةٍ تجعله مستحقاً لهذه المكانة ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً﴾ خصّه بالعلم الواسع، وقوة البدن، والعُمدة في الرئاسة: الرأيُ والتدبيرُ، والقوةُ في الجسد ﴿ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ علامة ملكه واصطفائه عليكم ﴿أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ أن يحضر أمامكم الصندوق ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فيه طمأنينة لقلوبكم ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ وشيء من آثار موسى (كالعصا والقميص، والنعل، وبعض الألواح التي كتبت فيها التوراة) ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يأتيكم هذا الصندوق تحمله الملائكة.

قال ابن عباس: جاءت الملائكة تحمل التابوت، حتى وضعته بين يدي طالوت، والناس ينظرون، فكان ذلك علامة لهم على اصطفاء طالوت للمُلْك، أما التابوت فهو (صندوق التوراة) الذي كان موسى عليه السلام إذا قاتل قدَّمه بين يديه، فتسكنُ نفوسُ بني إسرائيل، ولا يفرُّون من المعركة، كما كان فيه بقيةٌ من آثار موسى، وهي (العصَا، والثياب، والعمامة) وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

﴿فَصَلَ طَالُوتُ﴾ خرج بالجيش وانفصل عن بيت المقدس ﴿مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ مختبركم في جهادكم بالمرور على نهر، وأنتم في حرٍّ وعطش ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ فلا يصحبني في هذا الجهاد ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ ومن لم يشرب من الماء فهو الذي يقاتل معنا ﴿غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ اكتفى بجرعة ماء بيده ليسدَّ عطشه ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ شرب الجيش إلا فئة قليلة صبرتْ على العطش، وهم الذين قاتل بهم الأعداء ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ﴾ لا قوة لنا على قتال جالوت وجنوده، لكثرتهم وقلّتنا ﴿أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ املأ قلوبنا بالثبات والصبر ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ هزموا أعداءهم بتأييد الله ونصرته ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ انتصر داود على الأعداء، وقتل رأسَ الطغيان (جالوت) ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ جمع الله لداود بين الملك والنبوة، فكان مَلِكاً نبياً، وعلّمه العلم النافع الذي يسوس به بني إسرائيل، وقد افترى عليه اليهود فقالوا: إنه كان يدخل المعابد الوثنية، فيقيم فيها الطقوس الدينية، إرضاءً لرغبات زوجاته الوثنيّات، لعنهم اللهُ وأخزاهم.

كان الجيش الذي خرج مع طالوت لقتال العمالقة (٨٠) ثمانين ألفاً، فيهم المؤمنُ، وضعيف الإيمان، والشجاعُ والجبانُ، فأخذ بهم في أرض قفرة، لا ظلَّ فيها ولا ماء، فأصابهم حرٌّ وعطش شديد، وأراد أن يختبر صبرهم وطاعتهم، لأن الرجال إنما يعرفون وقت الشدائد والمحن، فلم يثبت معه إلّا (٤) أربعة آلاف، بهم قاتل وانتصر على الأعداء.

﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

الجزء ٣ الحزب ٥

﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ﴾ الرسل الكرام يتفاضلون في الرفعة والمنزلة والمكانة عند الله ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ كموسى ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ كمحمد سيّد الأولين والآخرين ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات الباهرات، كإحياء الموتى، وإبراء الأعمى والأبرص، والإخبار عن المغيّبات ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ أيّدناه وقوّيناه بجبريل عليه السلام ﴿خُلَّةٌ﴾ لا تنفعها صداقة ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ الدائم الباقي، القائم على تدبير شؤون الخلق ﴿سِنَةٌ﴾ نعاسٌ ولا غمضة عين ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أحاط كرسيه بالسموات والأرض، فكيف بالعرش العظيم الذي أحاط بالكرسي وبجميع المخلوقات؟ ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ لا يعجزه تعالى ولا يثقله حفظ الكون ﴿ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ الهدى من الضلال ﴿يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ بالشيطان وبكل ما عُبد من دون الرحمن، من صنم ووثن ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ الدين القوي ﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ لا انقطاع لهذا الحبل المتين، شبّه المستمسك بالإسلام، بالمستمسك بالحبل القويّ المحكم، وهو تشبيه تمثيليٌّ رائع، في غاية الإبداع، والمراد بالسِّنة: غمضةُ العين، أي لا تأخذه غمضةُ عين، ولا نومٌ أصلاً، لأن النوم أخُ الموت، وربنا حيٌّ لا ينام ولا يموت، وفي الحديث: «**إن الله لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينامَ، يخفضُ القِسْطَ ـ أي الميزان ـ ويرفعه، حجابُه النورُ، لو كَشَفه لأحرقتْ سُبُحاتُ وجهه، ما انتهى إليه بصرهُ من خلقه**» رواه مسلم.

تنبيه: آيةُ الكرسي أعظم آيةٍ في القرآن، كما ورد بذلك الخبر عن رسول الله ﷺ أنه قال: (سورة البقرة، فيها آيةٌ هي سيّدةُ آي القرآن: آيةُ الكرسي) رواه البيهقي.

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

﴿وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ناصرُ المؤمنين وحافظهم ومتولي شئونهم ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ من ظلمات الكفر إلى نور الهداية والإيمان ﴿أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ أمّا الكفار فأولياؤهم الشياطين، يخرجونهم من نور الإيمان، إلى ظلمات الشرك والضلال ﴿حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ جادل إبراهيمَ في وجود الله. وهو الطاغية «النمرود» الجبار ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ هذا تعليلٌ أي لأنْ آتاه الله الملك، بَطِرَ وأنكر وجود الله، فقابل الجود والإحسان، بالكفر والطغيان ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ غُلب واندحر، وانقطعت حُجّته، وأصبح متحيّراً ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ هو الرجل الصالح «عزير» والقرية هي (بيت المقدس) التي خرّبها بختنصّر المجوسي ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ مدمّرة سقطت سقوفُها على جدرانها ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ﴾ كيف يحييها الله بعد خرابها؟ ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغيّر بمرور الزمن الطويل ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ كيف نركّب بعضَها فوق بعض، ثم نُحييها بقدرتنا ونـ[فخ] فيها الروح؟ نظر عُزير فإذا بالحمار يقوم على رجليه ثم ينهق، أراه الله تعالى كيف أحيا العظام.

في قصة إبراهيم مع النمرود، أبدعُ طرق الإفحام في المناظرة، فإن إبراهيم لما قال له: إن [الله] يحيي ويميتُ، كان جواب الأحمق له: وأنا أيضاً أحيي وأميت!! دعا رجلين من السجن، كان [قد] حكم عليهما بالإعدام، فأطلق سراح واحد وقال: هذا أحييتُه، وأمر بقطع عنق الثاني وقال: [هذا] أمتُّه!! ولما رأى الخليلُ إبراهيم حماقة السفيه، وشغَبه في الدليل، عدل إلى أمر آخر ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ فأُسقط في يد السفيه، وانقطع أمام قوة الحجة.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

﴿كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ سأل إبراهيم عن الكيفية، ولم يسأل عن القدرة الإلهية، ولهذا أتى بصيغة «كيف» ولم يقل: هل تقدر على إحياء الموتى؟ ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ ضُمَّهُنَّ إليك ثم قطِّعهنَّ ﴿مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ فرِّق أجزاءهنَّ على رؤوس الجبال ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ مسرعات، فأخذ إبراهيم «طاووساً، ونسراً، وغراباً، وديكاً» فذبحهنَّ وخلط بعضهنَّ ببعض، فتطايرت الأجزاء إلى بعضها، وعادت تسعى إليه ﴿مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ لا يمنُّون على الفقير، ولا يؤذونه بذكر ذلك للناس، فينكسر قلبُ الفقير ﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ للشهرة والرياء الذي يُبطل الإحسان ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ كمثل الحجر الأملس، عليه شيء من التراب ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ أصابه مطر غزير شديد فذهب بالتراب، وترك الحجر أملس ليس عليه شيء، كذلك المرائي يذهب عمله الصالح أدراج الرياح، ضرب تعالى هذا المثل، لمن أبطل إحسانه ومعروفه، بالرياء وقصد الثناء. قوله تعالى ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ..﴾ نزلت في (عثمان) و (عبد الرحمن بن عوف) حين جهَّز عثمان ألف بعير بأحلاسها وأقتابها، ووضع بين يدي رسول الله ألف دينار، فصار رسول الله ﷺ يُقلِّبها ويقول: ما ضرَّ عثمانَ ما فَعَل بعد اليوم! وجاء (ابن عوف) بأربعة آلاف درهم، وقال للرسول: هذا نصفُ مالي؟، أقرضتُه لربي!! فقال له المصطفى ﷺ: بارك الله لك فيما أعطيت، وفيما أمسكت، فنزلت الآية ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ..﴾ الآية.

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ
لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ
فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ
فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ
لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا
لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم
بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ
﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ
وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾
يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ
أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ طلباً لرضوان الله ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ تصديقاً ويقيناً بثواب الله ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ﴾ كمثل بستان بمكانٍ مرتفع من الأرض ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ أصابها مطر غزير فأخرجت النبات والثمار مضاعفة ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ إن لم ينزل عليها المطر الغزير، فيكفيها النَّدَى، لجودة الأرض، ولطافة الهواء ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ هذا تمثيل لنفقة المرائي والمنَّان، مثّل له بإنسان عنده بستان، فيه من أنواع النخيل والأعناب والثمار، أصابته الشيخوخة وله أولادٌ صغار، لا يقدرون على العمل، وجاءت نار عظيمة أحرقت الشجر والثمر، كذلك عمل المنافق والمرائي، وهذا من روائع أمثال القرآن، في تصوير ضياع حسنات الإنسان، **قال الحسن البصري**: هذا مَثَلٌ قلَّ واللّهِ من يعقله، شيخ كبير، ضعف جسْمُه، وكثُر صبيانه، أفقر ما كان إلى جنَّته، فجاءها الإعصارُ فأحرقها، وإن أحدَكم أفقرُ ما يكون لعمله إذا انقطعت عنه الدنيا، تفسير ابن كثير.

وسأل **عمر بن الخطاب رضي الله عنه**، أصحاب النبي ﷺ يوماً فقال: فيمَ ترون هذه الآية نزلت ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾؟ قالوا: الله تعالى أعلم، فغضب عمر وقال: قولوا نعلم أو لا نعلم!! فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أميرَ المؤمنين! فقال عمر: يا ابن أخي، قلْ ولا تحقرْ نفسك!! فقال ابن عباس: (ضُرِبَت مثلاً لرجلٍ غني، يعمل بطاعة الله، ثم بُعث له الشيطانُ فعمل بالمعاصي، حتى أغرق أعماله) رواه البخاري.

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ ما أنفقتم من زكاةٍ أو صدقةٍ ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ أو نذرتم لله نذراً فوفّيتم فيه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ يجازيكم عليه ﴿أُحْصِرُوا۟﴾ الصدقات تكون لهؤلاء الذين حبسوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله ﴿ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لا يستطيعون السفر للتجارة والتكسب ﴿مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ يظنهم الذي لا يعرف حالهم أنهم أغنياء من شدة تعفُّفهم ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ تعرفهم بعلامتهم الواضحة ﴿إِلْحَافًا﴾ لا يُلِحُّون في السؤال، مع حاجتهم الماسّة للمال ﴿بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ يتصدّقون وينفقون على الدوام، لا يبخلون بالإنفاق ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ في السرّ والجهر ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ لهم ثواب ما أنفقوا ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فاتهم في الدنيا. مرّ رجل على سائل يطلب من الناس الإحسانَ، وهو يقول: أين الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله؟ فقال له الرجل: ذهبوا مع الذين لا يسألون الناسَ إلحافاً!!

روى القرطبي عن (سعيد بن جُبير) أنه قال: إن المسلمين كانوا يتصدّقون على أهل الذمة - من اليهود والنصارى - فلما كثُر فقراءُ المسلمين، قال النبي ﷺ لأصحابه: لا تتصدّقوا إلّا على أهل دينكم من المسلمين!! فنزلت هذه الآية ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ تُبيح لهم الصدقة على غير أهل الإسلام.

أقول: وهذا في غير الزكاة، لأنها خاصة بالمسلمين وإنما في صدقة التطوع يُعطى منها لأهل الكتاب.

ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

﴿يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ يتعاملون بالربا ويمتصُّون دماء البشر ﴿يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ لا يقومون من قبورهم إلا كالمصروع المجنون، الذي به مسٌّ من الجنّ، استحلُّوا الربا تشبيهاً له بالبيع، وهذا من تلبيس إبليس عليهم ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أحلَّ البيعَ لما فيه من تبادل المنافع، وحرَّم الربا لما فيه من الضرر الفادح ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ يُنقِصُه ويُذهِبُ بركتَه ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ يزيدها ويُنمِّيها ويبارك فيها ﴿كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ شديد الكفر بالله، كثير الفجور والإجرام ﴿وَذَرُواْ﴾ اتركوا مالكم من الربا عند الناس ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ﴾ فأيقنوا بحربٍ من اللّهِ ورسوله لكم ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ إذا كان المستدين معسراً ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ أمهلوه إلى وقت اليسر ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا﴾ خافوا ذلك اليومَ العصيبَ الرهيبَ، وهذه آخر آية نزلت من القرآن، وبنزولها انقطع الوحيُ، وقد عاش النبي بعدها تسع ليالٍ، ثم انتقل إلى الرفيق الأعلى، وفي الآية التذكير للبشر بالوقفة الكبرى، بين يديْ أحكم الحاكمين.! ويا شقاء المرابين في ذلك اليوم الرهيب!!

اليهود لعنهم الله، هم الذين أشاعوا الربا بين الناس، ليمتصُّوا دماء البشر، واستحلُّوه في ما بينهم وهو محرَّم عليهم في التوراة، لذلك غضب الله عليهم، ومسخهم إلى قردة وخنازير ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ وقد اقتدى بهم بعضُ المسلمين في زماننا، فتعاملوا بالربا، وهو جريمةُ الجرائم، وأعظم الكبائر عند الله ، فأصبحوا على حافةِ الكفر، ونار صقر، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾

﴿بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ﴾ إرشادٌ من الله تعالى إلى كتابة الدَّيْن، حفاظاً على الحقوق المالية ﴿كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ يكتب هذه المعاملات إنسان عادل، مأمون في دينه وتعامله ﴿وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾ يُمْلي عليه ويقرُّ ويعترف المديون، وليكتب الكاتبُ بما يسمع منه ﴿وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ لا يُنقِص من الحقّ شيئاً ﴿سَفِيهًا﴾ ناقص العقل ﴿أَوۡ ضَعِيفًا﴾ صبيًّا أو كبير السن ﴿وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ وكيلُه والقيِّمُ على شؤونه بالعدل، من غير نقص ولا زيادة ﴿مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ ممن يُوثق بدينه وعدالته ﴿وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ﴾ لا تضجروا وتملُّوا أن تكتبوا الدَّيْن، صغيراً كان أو كبيراً ﴿أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أعدلُ في حكم الله وشرعه ﴿وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ﴾ أعونُ على أداء الشهادة على الوجه العادل ﴿فُسُوقُۢ بِكُمۡ﴾ إن تفعلوا ما حُرِّم عليكم أصبحتم عُصاة فسقة، لأنكم خرجتم عن الطريق السويّ بمخالفتكم أمرَ اللّه.

تذكير: هذه أطول آية في القرآن الكريم، نزلت في (أمر الدَّيْنِ) والحقوقِ المالية، ولم تنزل في أمور العبادات، لأن المال عصَبُ الحياة، يحتاج إليه كل إنسان، وهذا يدل على عناية الإسلام بهذا الجانب الهام في حياة البشر (الجانب الاقتصادي) ولذلك أرشد تعالى إلى طرق حفظه وتنميته، وحذَّر من أكل أموال الناس بالباطل ﴿لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ . .﴾ الآية.

الجزء الثالث — سورة البقرة

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥

﴿فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ إذا كنتم في السفر، ولم تجدوا من يكتب لكم الدَّيْنَ، فاستوثقوا بأخذ الرهن، ولْيكنْ مقبوضاً ﴿أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ إذا أمِنَ الدائنُ المدين فاستغنى عن الرهن ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ فلْيؤدِّ المدينُ الحقَّ الذي في ذمته ﴿آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ من كتم الشهادة فهو مجرمٌ أثيم، لأنه ضيَّع الحقوق ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ يجازيكم عليه، ولمَّا نزلت ثَقُل ذلك على أصحاب رسول الله فقال لهم ﷺ: قولوا سمعنا وأطعنا، فأنزل الله بعدها ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ما في طاقتها وقدرتها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ لها جزاء ما عملت من خير ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ وعليها جزاء ما اقترفت من شر ﴿إِصْرًا﴾ لا تكلِّفنا بالتكاليف الشاقة التي تصعب علينا ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ استر سيِّئاتنا يوم الحشر الأكبر ﴿أَنتَ مَوْلَانَا﴾ ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ انصرنا على أعداء دينك الكفرة المجرمين.

وفي الحديث «**أن مَلَكاً أتى النبيَّ ﷺ فقال له: أبشرْ بنورَيْن قد أوتيتَهما، لم يُؤتهنَّ نبيٌّ قبلكَ: فاتحة الكتاب، وخواتيمِ سورة البقرة، لن تقرأ حرفاً منهما إلَّا أوتيته**» رواه مسلم.

وروى مسلم أنه لمَّا نزلت هذه الآية ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ ثقُل ذلك على أصحاب النبي ﷺ وشقَّ عليهم، فجاءوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا له: لقد كُلِّفنا من العمل ما لا نطيق!! فقال لهم ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب: سمعنا وعصينا!! قولوا: سمعنا وأطعنا، فأنزل الله قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا..﴾ الآية، رواه مسلم.

الجزء الثالث — سورة آل عمران

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

ترتيبها ٣ — آياتها ٢٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾

سورة آل عمران

﴿الٓمٓ﴾ الحروف المقطّعة للإشارة إلى إعجاز القرآن ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبودَ بحقٍّ إلا هو ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الدائم الذي لا يموت، القائم على تدبير شؤون الكون ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مصدِّقاً لما سبقه من الكتب السماوية ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ القرآن العظيم الفارق بين الحق والباطل ﴿عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ غالبٌ لا يُغلب، منتقم ممن عصاه ﴿لَا يَخْفَىٰ﴾ لا يغيب ﴿يُصَوِّرُكُمْ﴾ يخلقكم في أرحام أمهاتكم كما يشاء ﴿مُّحْكَمَٰتٌ﴾ واضحات الدلالة ﴿أُمُّ الْكِتَٰبِ﴾ أصلُ الكتاب وأساسه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ آيات أخرى خفيّات استأثر الله بعلمها ﴿زَيْغٌ﴾ ميلٌ عن الحق ﴿ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ﴾ طلباً لفتنة الناس في معتقدهم ﴿تَأْوِيلِهِۦ﴾ تفسير المتشابه ﴿وَالرَّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ الثابتون المتمكنون في العلم ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ كلٌّ من المحكم والمتشابه حقٌّ وصدقٌ لأنه كلام الرحمن ﴿لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ الزَّيغ: الميْلُ أي لا تُملها عن الحق والهدى، وكان ﷺ يقول: «**اللهمَّ يا مقلِّب القلوب، ثبِّتْ قلبي على دينك**» رواه الترمذي. . **نزل صدرُ هذه السورة في وفد** (نصارى نجران) قدموا المدينة المنوَّرة، وجادلوا الرسول ﷺ في شأن عيسى عليه السلام، فقال لهم ﷺ: ألستم تعلمون أن الله حيٌّ لا يموت، وأن عيسى يموت؟ وأن ربَّنا قيّمٌ على العباد، يحفظهم ويرعاهم ويرزقهم، وأن عيسى كان يأكل ويشرب ويُحْدِثُ الحَدَثَ، وأنَّ ربَّنا منزَّه عن ذلك كلِّه؟ فكيف يكون عيسى إلهاً كما زعمتم؟ فنزلت السورة، تفسير ابن كثير.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾

﴿لَن تُغْنِيَ﴾ لن تنفعهم الأموال والأولاد ولن تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله ﴿وَقُودُ النَّارِ﴾ حطب جهنم الذي توقد به ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ شأنُ الكفار وعادتُهم كحال وشأن آل فرعون ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أهلكهم الله بسبب كفرهم ومعاصيهم ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ تُجمعون وتساقون إلى جهنم ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ بئس الفراش الذي تفترشونه نار الجحيم ﴿آيَةٌ﴾ عِظةٌ وعبرة ﴿فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ طائفتين التقتا على القتال ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ﴾ يرى المؤمنون الكفارَ أكثر منهم وضِعْفَيهم، رؤية ظاهرةً للعين، لا بالخيال ﴿لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لأصحاب العقول السليمة ﴿حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ المشتهيات للنفس بالطبع ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ﴾ الأموال المكدَّسة من الذهب والفضة ﴿وَالْحَرْثِ﴾ أنواع الزروع والنبات ﴿حُسْنُ الْمَآبِ﴾ حسن المرجع والثواب ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ زوجات منزَّهة عن كل ما يُستقذر، من (الحيض، والبول، والغائط) لا يعتريهنَّ ما يعتري نساء الدنيا من الخَبَث والدَّنَس.

الحزب ٦

سبب النزول: لمَّا انتصر رسول الله ﷺ على المشركين في (غزوة بدر) جمع اليهودَ في المدينة المنورة، فقال لهم: أسلِموا قبلَ أن يصيبكم ما أصاب قريشاً!! إنكم تعلمون أني نبيٌّ مرسل، فقالوا: يا محمد، لا يَغُرنَّك من نفسك، أنك قاتلتَ نفراً من قريش، كانوا أغماراً لا علم لهم بالحرب!! إنك لو قاتلتنا لعرفتَ أننا نحن الرجال، وأنك لن تلقى شجعاناً مثلنا!؟ فأنزل الله على رسوله ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ رواه البيهقي.

ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾

﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ المطيعين لله الخاضعين لعظمته وجلاله ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ بيّن تعالى لخلقه بالدلائل والبراهين ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أنه لا معبود في الوجود بحقٍّ إلّا هو سبحانه ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ مقيماً للعدل في كل أمر ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ العزيز في ملكه، الحكيم في صنعه ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ الدين المرضيُّ عند الله هو الإسلام، لا يقبل الله من العباد سواه، وفي الحديث الشريف: «**والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هؤلاء، يهوديٌ ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أرسلت به إلا أدخله الله النار**» رواه مسلم ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ حسداً وطلباً للرياسة ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ استسلمتُ وأخلصتُ نفسي للّهِ وحده ﴿وَٱلْأُمِّيِّۦنَ﴾ مشركي العرب ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ بطلت أعمالُهم وذهب ثوابها، وليس لهم من ينصرهم من عذاب الله، واستعمالُ البشارة في العذاب: للسخرية والتهكُّم، كقوله سبحانه: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أما تخصيصُ الأسحار بالاستغفار ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ فلأنَّ الدعاء أقربُ إلى الإجابة، لأن النفسَ تكون أصفى، والروح تكون أجمع، والعبادةُ تكون أشقَّ، فكانت أقربَ إلى القبول والإجابة.

. **قال الحافظ ابن كثير**: كان (عبد الله بن عمر) يصلّي من الليل، ثم يقول: يا نافع، هل جاء السَّحر؟ فإذا قال نعم، أقبلَ على الدعاء والاستغفار حتى يصبح!! ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ ضاعتْ وذهبتْ أعمالهم الصالحة بسبب الكفر ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ ليس لهم من ينصرهم وينجيهم من عذاب الله.

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

﴿نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يُراد بهم أحبار اليهود ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ يدعون إلى التوراة لتفصل بينهم ﴿يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ يعرضون عن قبول حكم الله. نزلت في اليهود، زنى منهم اثنان، فتحاكموا إلى رسول الله ﷺ فحكم عليهما بالرجم، فأبوا وقالوا: لا نجد في كتابنا إلا التحميم، وأبَوْا أن يقبلوا بحكم التوراة، فنزلت الآية ﴿تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ ذلك الإعراض لزعمهم أن الله لن يعذبهم إلا أياماً قلائل ﴿يَفْتَرُونَ﴾ خدعهم وأطمعهم كذبهم على الله ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ﴾ تسلب المُلْكَ ممن تريد إذلالَهم ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ بيدك وحدك التصرُّفُ في شؤون الكون ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ﴾ تزيد في طول النهار وتنقص من الليل، وبالعكس ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ الزرع من الحبّ، والنخلة من النواة ﴿تُقَىٰةً﴾ أن تخافوا من جهتهم شيئاً.. ولمَّا فتح رسول الله ﷺ مكة، وعد المسلمين بملك فارسَ والروم، فقال اليهود: هيهات، من أينَ لمحمد ملكُ فارسَ والروم!؟ فنزلت الآية ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ...﴾ الآية.

أشارت الآية الكريمة: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ..﴾ إلى القدرة الإلهية الباهرة، فإن تغيير نظام الحياة، بإدخال الليل في النهار، والنهار في الليل، حيث يطول الليلُ، وينقص النهار شتاءً، وبالعكس، برهانٌ ساطع على وجود متصرِّف في الكون حكيم، كما أن إخراج النخلة من النواة، والإنسان من النطفة، بحيث تتوالد الحياة من الميت إلى الحيِّ، ومن الحيِّ إلى الميت، في دورة دائبة دائمة، أعظم برهان على عظمة الخالق المبدع جلَّ جلالُه!!

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

﴿مُّحْضَرًا﴾ حاضراً مشاهداً لها في صحف الأعمال ﴿أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ غاية في نهاية البعد ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ يخوّفكم عقابه وعذابه ﴿رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ رحيم بالخلق ﴿ٱصْطَفَىٰٓ﴾ اختار للنبوة ﴿وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ أهل عمران «عيسى» وأمه مريم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عالمي زمانهم ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ هم صنف واحد في الخير والصلاح ﴿مُحَرَّرًا﴾ صافياً مخلصاً للعبادة وخدمة بيت المقدس ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ في الخدمة، فالذَّكَرُ يَقصد للخدمة، والأنثى لا تصلح لضعفها وأنوثتها ﴿أُعِيذُهَا﴾ أجيرها بحفظك وأحصنها بجلالك ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ الشيطان المطرود من رحمة الله ﴿نَبَاتًا حَسَنًا﴾ ربّاها تربية فاضلة على الدين والاستقامة ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ جعل زكريا كافلاً لها متعهداً لمصالحها ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ من أين لكِ هذه الخيرات والأرزاق؟ ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ من غير عدٍّ ولا نهاية، **قال مجاهد**: كان يجد عندها في الصيف فاكهة الشتاء، وفي الشتاء فاكهة الصيف، فلذلك استغرب أمرها.

قوله تعالى: ﴿إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ سببُ هذا النذر، أنّ «حنّة» امرأة عمران، كانت عجوزاً وعقيماً، لا يأتيها ولد، فبينما هي ذات يوم تحت ظلّ شجرة، رأت طيراً يُطعم فرخه، فاشتهت الولدَ وتمنّته، وقالت: اللهمّ إنّ لك عليّ نذراً، إنْ رزقتني ولداً، أن أهبه لبيت المقدس، ليكون خادماً له، وتوفي زوجها «عمران» وهي حامل، فلما ولدت بمريم قالت: ﴿رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾؟ على سبيل التحسر والاعتذار، فهذا سرُّ النذر.

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك الوقت والمكان، دعا زكريا ربه متوسلاً ومتضرعاً إليه ﴿هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ﴾ ارزقني من فضل رحمتك وجودك، ولداً صالحاً مباركاً ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بشَّره جبريل ﴿قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ﴾ يصلي ويتعبد ربه ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدِّقاً برسالة «عيسى» الذي خُلِق بكلمة «كُنْ» من غير أب ﴿وَسَيِّدًا﴾ يسود قومه ويفوقهم ﴿وَحَصُورًا﴾ يحبس نفسه عن الشهوات عفةً وزهداً، ولا يقرب النساءَ مع قدرته على ذلك، وليس كما ظنَّ البعض أنه كان (عِنِّيناً) فهذا نقص وذم، والآيةُ مديحٌ له وثناء ﴿وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ﴾ عقيم لا تلد ﴿ءَايَةً﴾ علامةً على حمل امرأتي ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ علامتُك ألا تستطيع الكلام إلا بالإشارة، ثلاثة أيام بلياليها ﴿أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ﴾ الأخبار الغيبيَّة الهامة ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاهٍ وقدرٍ وشرف ﴿ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ من أهل المكانة والقرب عند الله تعالى، وعيسى عليه السلام آخرُ أنبياء بني إسرائيل، وقد أظهر الله بمولده عجائب قدرته، وباهر حكمته.

قال الحافظ ابن كثير: اعلمْ أن ثناء الله على (يحيى) أنه كان حصوراً، ليس كما قاله بعضُهم أنه كان عِنِّيناً ـ أي لا يستطيع إتيان النساء ـ لأن هذه نقيصةٌ وعيب، وإنما معناه أنه معصومٌ من الذنوب، أو يمنع نفسه من الشهوات كأنه يحصر نفسه، لأن عدم القدرة على النكاح نقصٌ، والآية وردت مورد الثناء، والفضلُ في كون الشهوة موجودة فيه، ثم يمنعها بالمجاهدة عفةً وزُهْداً. اهـ ابن كثير.

وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

نصف الحزب ٦

﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾ يكلّمهم وهو طفل صغير قبل أوان الكلام وهذه معجزة ﴿وَكَهْلًا﴾ ويكلّمهم وهو كبير السنّ، وفي الآية إشارة إلى نزول عيسى في آخر الزمان، لأنه رُفع إلى السماء وهو شاب ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ لم يقربني أحد فكيف يأتيني ولد؟ ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعلّمه الكتابة دون معلّم ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ الفقه والسداد في الرأي ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ويرسله رسولاً إلى بني إسرائيل ﴿بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالمعجزات التي أيّدني الله بها ﴿أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ﴾ أصوِّر لكم من الطين مثل صورة الطير ﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ﴾ الأعمى ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ﴾ وأخبركم بكثير من المغيّبات من المطاعم والمشارب في بيوتكم ﴿أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ عرف وتحقَّق كفر اليهود وإرادتهم قتله ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ من ينصرني لتبليغ دعوة الله؟ ﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾ المؤمنون الأصفياء، وهم كالصحابة لرسول الله ﷺ، وما من نبيٍّ إلّا وله أتباعٌ وأنصار، وأكثرهم أصحاباً خاتم المرسلين!!

وتكلُّمُ سيدنا عيسى عليه السلام وهو طفلٌ رضيع، إحدى معجزاته عليه السلام، وقد كانت أول كلمة نطق بها ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ ومن العجيب في أمر النصارى أنهم مع حرصهم الشديد، على ذكر خوارق عيسى ومعجزاته، لم يذكروا هذه المعجزة، وحذفوها من الأناجيل، لأنها تنقض أساس معتقدهم في (ألوهية المسيح) وتُثْبتُ عبوديّته لله تعالى، وهذا من جملة الافتراء على الله.

رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٥٣) وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ (٥٤) إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥٧) ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ (٥٨) إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ (٥٩) ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ (٦١)

﴿وَمَكَرُوا﴾ مكر اليهود الخبثاء بعيسى وأرادوا قتله ﴿وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ نجّاه الله من شرِّهم ورفعه إلى السماء، دون أن يُمسّ بأذى، سمّاه مكراً من باب التشابه باللفظ مع الاختلاف في المعنى ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضُك إليّ بروحك وجسدك، فهي وفاة قبضٍ لا وفاة موت ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ إلى السماء ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ وجاعل أتباعك المؤمنين ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فوق اليهود الكفار إلى يوم القيامة ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾ شأن عيسى وأمرُه العجيب، حيث خُلق من (أم) بدون أب كشأن آدم ﴿خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ﴾ خلق الله آدم من تربة الأرض من غير أب ولا أم، وقال له: كنْ فكان، فالقادرُ على خلق آدم، قادرٌ على خلق عيسى ﴿الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكّين في عظمة الله وقدرته ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ نتضرّع إلى الله، وندعوه أن يلعن الكاذب منا، ولمّا دعاهم ﷺ للمباهلة امتنعوا، وقبلوا دفع الجزية، وفي امتناعهم عن الملاعنة أعظم شاهدٍ على صدق نبوته ﷺ.

عقيدتنا في المسيح: اعتقادنا نحن المسلمين بأن عيسى (حيٌّ في السماء) لم يمت ولم يُصلب، وأنه سينزل في آخر الزمان، ليحكم بشريعة محمد ﷺ وقد رَفَعَه الله إلى السماء بروحه وجسده، وأمّا زعمُ بعضِهم أنه تُوفي ثلاث ساعات ثم رُفع، لقوله ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ فزعمٌ باطلٌ، كما وضّحه المحققون، **قال القرطبي**: والصحيح أن الله رَفَعه إلى السماء، من غير وفاةٍ ولا نوم، والآية إنما تشير إلى استكمال عيسى لأجله، ثم وفاته بعد انتهاء الأجل، اهـ. **أقول**: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ من التوفية لا من الوفاة، أي معطيك ومانِحُكَ كاملَ أجلك، كقوله سبحانه: ﴿فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ وقوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

الجزء الثالث — سورة آل عمران

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾

﴿ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ الأخبار الصادقة التي لا شك فيها ﴿كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ كلمة وسط عادلة يكون فيها إنصاف بعضنا لبعض هي ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ أن نعبد اللّهَ وحده ﴿لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ لماذا تخاصمون وتجادلون في شأن إبراهيم؟ فتقولون: إنه يهودي أو نصراني؟ ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ ما حدثت هذه الأديان إلا من بعده بقرون طويلة؟ وهذا ردٌّ على مزاعم اليهود والنصارى الباطلة، حيث زعموا أن إبراهيم كان منهم وعلى دينهم، فكيف يكون على دينهم، ولم يكن في زمانهم؟ ﴿حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ جادلتم في شأن عيسى وقد عشتم زمانه ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ فلماذا تجادلون في أمر إبراهيم، ولم تدركوا زمانه؟ أفليست هذه حماقة وسفاهة؟ ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ مائلاً عن الأديان إلى الدين القيِّم دين الإسلام ﴿أَوْلَى ٱلنَّاسِ﴾ أحقُّ الناس بالانتساب إلى إبراهيم ﴿لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ أتباعه المؤمنون ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ﴾ ومحمد ﷺ خاتم الأنبياء ﷺ والمؤمنون من أتباعه.

روي عن ابن عباس أن أحبار اليهود، ونصارى نجران، اجتمعوا عند رسول الله ﷺ فتنازعوا في شأن إبراهيم، فقالت اليهود: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إلّا نصرانياً، فأنزل الله ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ فأكذبهم جميعاً، وفي قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ سخرية بعقولهم وإزراء، إذ كيف يكون على دين اليهودية أو النصرانية، وهو عليه السلام قبلها بأزمان؟ أفليستْ هذه سفاهة وحماقة؟

يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَـٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمًاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَـٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمۡ فِى ٱلۡأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٦

﴿لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَـٰطِلِ﴾ لماذا تخلطون بين الحق والباطل بالتحريف والتزوير؟ ﴿وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ﴾ تخفون ما في التوراة والإنجيل من أوصاف محمد ﷺ وأنتم تعلمون حقيقة رسالته ﴿طَّآئِفَةٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ﴾ جماعة من اليهود ﴿وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ﴾ أول النهار ﴿وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ﴾ اكفروا بالإسلام في آخر النهار ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ ليشكّوا في دينهم ويرجعوا عنه، وهذه مكيدة خبيثة من اليهود حيث تآمروا أن يُظهروا الإسلام في أول النهار، ثم يرجعوا عن الإسلام في آخر النهار، ليشكّكوا ضعفاء الإيمان في دين الإسلام ﴿تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾ لا تصدّقوا أحداً إلا إذا كان يهودياً على دينكم، ومرادهم لا تؤمنوا برسالة محمد لأنه ليس على دينكم ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ﴾ يخصُّ بالنبوة من شاء من عباده ﴿مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمًا﴾ ملازماً له تطالبه وتلاحقه ﴿ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ ليس علينا حرج ولا إثم في أكل أموال العرب ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ يكذبون على الله في هذه المزاعم الباطلة ﴿لَا خَلَـٰقَ لَهُمۡ﴾ لا نصيب لهم من رحمة الله ورضوانه ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾ لا يطهرهم من دنس المعاصي والفجور.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾ هذا من تتمة كلام اليهود، بعضِهم لبعض، حكاه الله عنهم لتذكيرنا بعصبيتهم الدينيّة، يقولون: لا تصدّقوا أحداً إلا إذا كان على دينكم، وليست كما يظن البعض توجيهاً ربّانياً للمؤمنين، ألّا يثقوا ويطمئنوا لأحدٍ إلا إذا كان مسلماً!!

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ يفتلون ألسنتهم ويُميلونها عن اللفظ الصحيح إلى التحريف والتزوير ﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ لتظنُّوا أن هذا المحرَّف من كلام الله ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وليس من كلام الله إنما هو بهتان وزور ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ يكذبون على الله متعمِّدين التحريف والتبديل. ارتكبوا جريمتَيْن: جريمةَ التحريف لكلام الله، وجريمةَ الكذب على الله ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ لا يصحُّ ولا يُتصوَّر لأحدٍ من البشر، أوحى الله إليه بكتاب منزل، وجعله نبياً مرسلاً ﴿كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى﴾ أن يقول للناس: اعبدوني من دون الله، وهذا ردٌّ على النصارى الذين زعموا أن عيسى دعاهم إلى عبادته ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ ولكنْ يدعوهم إلى أن يكونوا علماء حلماء، منسوبين إلى الربِّ جلّ وعلا ﴿تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ ولا يمكن للنبيِّ المرسل، أن يدعو أحداً إلى عبادة الملائكة والأنبياء ﴿إِصْرِى﴾ عهدي ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ طائعين ومكرهين.

قال ابن عباس: ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد، لئن أدرك محمداً وهو حيٌّ أن يؤمن به وينصره، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته.

شرفٌ عظيمٌ لرسول الله ﷺ، لم ينلْه أحدٌ من الأنبياء قبله، أن يأخذ الله العهد على جميع الأنبياء والمرسلين، أنهم إن أدركوا حياة خاتم الأنبياء، أن يؤمنوا به وينضوُوا تحت رايته ولوائه، وأن يكونوا من أنصاره وأتباعه، وقد أشهدهم الله على هذا (العهد والميثاق) وشهد بنفسه عليه ﴿قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ ويا له من شرف عظيم لسيد المرسلين ﷺ!!

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

﴿وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ يعقوب والد يوسف الصّديق ويسمى «إسرائيل» والأسباطُ: هم بطونُ بني إسرائيل المتشعّبة من أولاد يعقوب ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ لا نؤمن ببعض الرسل ونكفر بالبعض، كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَمَن يَبْتَغِ﴾ من يطلب ديناً غير دين الإسلام ﴿فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ لن يتقبل الله غير دين الإسلام ﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ مصيره إلى النار المؤبّدة خالداً مخلّداً فيها أبداً، وفي الحديث: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هؤلاء يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي أُرسلتُ به إلا أدخله الله النار**» رواه مسلم ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ جاءتهم المعجزات والبراهين الدالة على صدق رسالة محمد ﷺ ﴿يُنظَرُونَ﴾ لا يُمهلون ولا يؤخّرون لحظة واحدة ﴿كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ ماتوا على الكفر ولم يتوبوا ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ لن يُقبل من أحدهم فدية، ولو افتدى بمثل ملء الأرض من الذهب، وفي الحديث: «**يقال للرجل من أهل النار: لو كان لك ما على الأرض أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقول الله له: قد سألتك ما هو أهونُ من ذلك، سألتك أن لا تشرك بي شيئاً، فأبيت إلا الشرك**» رواه مسلم. النصُّ القرآني القاطع، أن بعد مجيء الإسلام، خاتم الأديان السماوية، لا يقبل الله ديناً سواه، كما أخبر سبحانه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ فمن زعم أن اليهوديَّ إذا تمسّك بيهوديّته، وبالتوراة، والنصراني إذا بقي معتنقاً لنصرانيته، وطبّق أحكام الإنجيل، يدخل الجنة مع المسلمين، كذبٌ وضلال، يردُّه النصُّ الصريح القاطع.

لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾

الجزء ٤ الحزب ٧

﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ﴾ لن تصلوا إلى درجة الأبرار، ولن تنالوا وجوه الخير والإحسان ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ حتى تنفقوا من أفضل أموالكم وأحبّ الأشياء إليكم ﴿كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ كلُّ الأطعمة كانت حلالاً لأولاد يعقوب ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ﴾ إلا ما حرّمه يعقوب على نفسه وهو (لحم الإبل وألبانها) حين مرض بالعِرْق النَّسا، فنَذَر ألّا يأكلها. ثم حُرِّمت على بني إسرائيل أنواعٌ من الأطعمة عقوبةً لهم على جرائمهم ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ﴾ ائتوني بالتوراة واقرءوها عليّ ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ أنها لم تُحرِّم عليكم بسبب معاصيكم ﴿أَوَّلَ بَيۡتٖ﴾ أول مسجد ومعبد في الأرض ﴿وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ بُنيَ لعبادة الله ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ المسجد الحرام الذي هو بمكة ﴿مُبَارَكٗا﴾ ذا بركةٍ وفضل وعظمة ﴿وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ مصدر هداية ونور لأهل الأرض ﴿مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ الحجر الذي وقف عليه حين بنى الكعبة المشرفة ﴿تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾ تطلبون أن يكون دينُ الله معوجًّا غير مستقيم، وأنتم تعلمون أن الإسلام هو الدينُ الحقُّ.. عبَّر سبحانه عن ترك الحج بالكفر ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ تغليظاً وتشديداً، للتنبيه على أن من ترك هذه الفريضة، وهو قادر على أدائها، يوشك أن يقع في الكفر، كما أنه ذكر من مزايا هذا البيت ثلاثة وجوه: **الأول**: أنه أول المساجد على الإطلاق. **الثاني**: ما خصَّه به من وجوه الفضل، مقام إبراهيم، وزمزم والحطيم، والصفا والمروة، والحجر الأسود وغيرها. **الثالث**: إكرامُ من دخله بالأمن والاستقرار ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗا﴾.

وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ﴾ يستمسك بشريعته ودينه ﴿فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وُفِّق لكل خير واهتدى لطريق الجنة ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ تقوى حقَّة صادقة بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، **قال ابن مسعود**: بأن يُطاع فلا يُعصى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُذكر فلا ينسى ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ استمسكوا بالإسلام حتى يدرككم الموتُ فتموتون عليه ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ بدينه وكتابه، شبَّه القرآن بحبلٍ من تعلَّق به نجا، ومن تركه هلَك ﴿عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ على طرفِ حفرةٍ عميقة يوشك أن يقع بها ﴿ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ سواد الوجوه علامة أهل النار ﴿ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ هم المؤمنون الأبرار تشرق وجوههم بالنور التام يوم القيامة ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ في الجنة التي هي مكان تنزل رحمة الله، وهو كما يقول المفسرون، من باب (إطلاق الصفة وإرادة الموصوف) فالجنة دار الكرامة، ومكان تنزّل الرحمة الإلٰهية.

سبب نزول هذه الآيات: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾ ما ألقاه بعض الخبثاء (اليهود) من فتنة بين الأنصار، فقد مرَّ عليهم (شاس بن قيس) اليهودي، فرآهم في مجلس يتحدثون، فغاظه ذلك، فأرسل إلى شاب من اليهود خبيث، فقال: اذهب إليهم فذكّرهم بيوم بُعاث، وما كان بينهم من الهجاء، فألقى بينهم الفتنة، حتى تداعَوْا إلى السلاح، ووصل الخبر إلى رسول الله ﷺ فأسرع نحوهم وهو يقول: يا معشر الأنصار أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ فألقوا السلاح وبكوا، وعانق بعضهم بعضاً، وأنزل الله هذه الآيات، رواه ابن جرير، وانظر كامل القصة في تفسير الشوكاني.

وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾

ربع الحزب ٧

﴿خَيۡرَ أُمَّةٍ﴾ أنتم يا أمة محمد خير الأمم، وأنفعهم للناس، تخرجونهم من ظلمات الكفر، إلى نور الهداية والإيمان، روى البخاري عن أبي هريرة قال: «**خيرَ النَّاسِ للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم، حتى يدخلوا في الإسلام**» ﴿ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ الخارجون عن طاعة الله ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗى﴾ إلا ضرراً يسيراً بألسنتهم من سبٍّ وطعن ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾ ينهزمون أمامكم ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ لزمهم الذلُّ والهوانُ ﴿أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾ أينما وجدوا في أي مكان وزمان ﴿إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ عهد من الله ﴿وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ عهد من المسلمين أو غيرهم ﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾ لزمتهم الفاقة والخنوع ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗ﴾ ليس أهل الكتاب مستوين في المساوئ ﴿أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ﴾ طائفة مستقيمة على الحق ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ﴾ ساعات الليل وأوقاته ﴿فَلَن يُكۡفَرُوهُ﴾ لن يحرموا ثوابه، بيَّن تعالى أن أهل الكتاب، فيهم المؤمنُ والكافر، والبرُّ والفاجر، والآية نزلت فيمن أسلم من أهل الكتاب، من أحبار اليهود، وعلماء النصارى.

تبصير وتذكير: هذه الأمة المحمدية (أمة رسالة) وأمة إنقاذ، حمَّلها الله رسالةَ إنقاذ البشرية، من ظلمات الجهل والكفر، وهي أفضل الأمم بالنصِّ القاطع ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ أي أخرجت لخير الناس، وإنقاذهم من براثن الضلالة، وقد قال ﷺ: «**أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرُها وأكرمُها على الله**» رواه أحمد.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ كمثل ريح شديدة عاصفة فيها بردٌ شديد ﴿حَرْثَ قَوْمٍ﴾ أصابت زرع قوم ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ دمَّرته وأتلفته، شبَّه تعالى ما أنفقوه في سبيل المفاخر والثناء، بالزرع الذي أصابته الريح العاصفة الباردة المدمرة فأفسدته وأتلفته ﴿بِطَانَةً﴾ أصدقاء تودُّونهم وتطلعونهم على أسراركم ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ لا يقصِّرون في إيذائكم ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ﴾ تمنَّوا لكم ما يوقعكم في المشقة ﴿بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ﴾ ظهرت أمارات العداوة لكم على ألسنتهم ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ وما يبطنونه لكم من البغضاء أكثر ﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ﴾ الأنامل: أطراف الأصابع، والآية فيها تمثيل لشدة الغيظ والحنق على المسلمين ﴿غَدَوْتَ﴾ ذهبتَ أول النهار ﴿تُبَوِّئُ﴾ تُنزل وتوطِّن ﴿مَقَٰعِدَ﴾ أماكن لقتال أعدائهم في غزوة أُحد، وقد انتصر المسلمون ثم انهزموا لمخالفتهم وعصيانهم أمر الرسول ﷺ، ثم أعاد الله لهم النصر على الأعداء، وهو درسٌ بليغ للمسلمين، أن لا يخالفوا شيئاً من أوامر الله، وأوامر رسوله، فإن المعاصي تُهْلِكُ الإنسانَ، وتجلب له الشقاء والبلاء، كما قال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾.

أخرج البيهقي في الدلائل عن ابن شهاب أنه قال: (كان يومُ أُحدٍ يومَ بلاءٍ وتمحيص، اختبر به المؤمنين، ومَحَق به المنافقين، وأكرمَ فيه من أراد كرامته بالشهادة، ونزل في يوم أحد ستون آية من آل عمران).

الجزء الرابع — سورة آل عمران

إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

﴿هَمَّت طَّآئِفَتَانِ﴾ كادت طائفتان من جيش المسلمين ﴿أَن تَفْشَلَا﴾ أن تَجْبُنا وتَضْعُفا عن القتال، وهم "بنو سلمة" و"بنو حارثة" قال جابر: فينا نزلت هذه الآية، وما يسرُّني أنها لم تنزل لقول الله ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ رواه البخاري ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ نصركم ببدرٍ مع قلَّة الرجال والسلاح ﴿أَن يُمِدَّكُمْ﴾ يقوّيكم ويعينكم ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ﴾ بلى يمدُّكم بشرط الصبر، وتقوى الرحمن ﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾ من ساعتهم ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ معلَّمين ومدرَّبين على السلاح ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ ليهلك طائفةً منهم بالقتل والأسر ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ يخزيهم ويذلُّهم بالهزيمة ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ ليس لك من أمر العباد شيءٌ، بل الأمرُ كله لله، لمَّا كُسرت رباعيةُ النبي ﷺ، وشُجَّ وجهُهُ الشريف في غزوة أحد، قال ﷺ: **«كيف يُفلحُ قومٌ فعلوا هذا بنبيِّهم، وهو يدعوهم إلى ربهم»**؟ فنزلت الآية، رواه مسلم. ﴿فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ﴾ يرجعوا أذلاءَ مخذولين ﴿لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا﴾ لا تأخذوا الربا بطريق الظلم الصارخ، كانوا إذا كان أحدُهم له على إنسانٍ مائة، وحان الأجلُ، ولم يكن عنده وفاءٌ للدين، قال الدائنُ للمستدين: زدني في المال، وأزيدك في المدة!! فربما جعل المائة مائتين، ثم إذا حلَّ الأجل الثاني زاد، حتى تصبح المائة أضعافاً مضاعفة، وهذا ما يسمى في زماننا بـ (الفائدة المركبة) والآيةُ ليست للقيد، بحيث تصبح جائزةً إذا لم تكن مضاعفة، وإنما هي للتقبيح والتشنيع عليهم، حيث وصل بهم الجشع والطمع، إلى هذه الدرجة المتناهية في الظلم، وأكل أموال الناس بالباطل.

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾

الحزب ٧

﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ بادروا إلى ما يوجب لكم المغفرة من ربكم، بطاعته والجهاد في سبيله ﴿عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ وجنة فسيحة واسعة، عرضُها كعرض السموات والأرض ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ هُيِّئت لكلِّ من اتقى الله ﴿فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ في اليُسْر والعُسر ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ يحبسون غيظهم، مع قدرتهم على الانتقام ﴿فَٰحِشَةً﴾ معصيةً كبيرة متناهية في القبح، كالزنى ﴿ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ بفعل أيِّ ذنب ﴿فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾ طلبوا من الله أن يعفو عن زلَّتهم ﴿خَلَتۡ﴾ مضت وانقضت ﴿سُنَنٞ﴾ وقائع وأحداثُ الأمم المكذِّبة ﴿عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ انظروا ماذا حدث لهم من أنواع الهلاك والدمار؟ لتعتبروا ﴿قَرۡحٞ﴾ إن أصابكم قتلٌ، أو جراحٌ ﴿قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥ﴾ أصاب المشركين مثلُ ما أصابكم من الشدائد ﴿نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ نصرِّفها بين العباد، يومٌ لكم ويوم عليكم، والأيام لا تدوم على حال.

تنبيه: أمر تعالى بالمسارعة والمبادرة في أمور الطاعة والعبادة ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي إلى ما يوجب لكم المغفرة من ربكم، كما قال سبحانه: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ فأمور الآخرة ينبغي فيها التسابق والتنافس، أمَّا أمور الدنيا فتكون بالهُوَيْنى، من غير استعجال ولا تسابق، قال سبحانه: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾.

الجزء الرابع — سورة آل عمران

وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ﴾ يُنقِّيهم ويطهِّرهم من الذنوب والآثام ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يهلك ويستأصل الكفار ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ﴾ هل تظنون أن تدخلوا الجنة دون ابتلاء واختبار؟ ﴿جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾ ولم يتبيَّن ولم يتميَّز المجاهد منكم، من المتقاعس عن الجهاد ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ عند الشدائد ﴿تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ تشتهون لقاء الأعداء لتظفروا بالشهادة ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ حين شارفتم على الموت، وقُتل من قُتل من إخوانكم؟ والآية عتابٌ في حقّ من انهزم ﴿خَلَتْ﴾ سبق قبله رسلٌ كثيرون ﴿ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ رجعتم كفاراً بعد إيمانكم؟ ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ محدَّداً بوقت معلوم ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ﴾ كثيرٌ من الأنبياء قاتلوا لإعلاء كلمة الله ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ وقاتل معهم علماء ربانيون، وعُبَّادٌ صالحون ﴿فَمَا وَهَنُواْ﴾ ما ضَعُفوا ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾ وما ذلّوا لأعدائهم، والآيةُ تشجيع للمؤمنين على الصبر والثبات، وقد قال ﷺ: «**لا تتمنَّوْا لقاءَ العدوِّ، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**» رواه البخاري ومسلم.. نزلت هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ لمَّا قال المشركون في (غزوة أُحد): إن محمداً قد قُتل، ودبَّ الضعفُ إلى قلوب بعض المسلمين، فقال المنافقون: إن كان محمد قد قُتِل، فتعالوا نرجع إلى ديننا الأول!! وقال (أنسُ بن النضر): يا قوم إن كان محمد قد قُتِل، فإن ربَّ محمد حيٌّ لا يموت، وماذا تصنعون بالحياة بعد رسول الله ﷺ؟ فنزلت الآية عتاباً لبعض المسلمين من ضعفاء الإيمان.!

الجزء الرابع — سورة آل عمران

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَـٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَـٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

﴿ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾ الكفار ليسوا أنصاراً لكم، بل الله ناصركم ومتولي شؤونكم، فأطيعوا أمره ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ﴾ فلا تستنصروا بغيره ﴿كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ﴾ سنقذف في قلوبهم الخوف والفزع ﴿بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾ بسبب كفرهم وإشراكهم بالله ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ مسكنهم ومستقرهم نار جهنم ﴿مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ وبئست جهنم مسكناً لهم ﴿تَحُسُّونَهُم﴾ تحصدونهم بسيوفكم، وتقتلونهم قتلاً ذريعاً، بإرادته تعالى وأمره ﴿فَشِلْتُمْ﴾ جبُنتم وضعفتم عن عدوكم ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليمتحن صبركم وثباتكم ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ تُبْعِدون في الأرض هاربين ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ ولا يلتفت بعضكم لبعض، لإمعانكم في الهزيمة ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ يناديكم من ورائكم

ثلاثة أرباع الحزب ٧

يقول: إليَّ عبادَ الله، إليَّ عباد الله!! ﴿فَأَثَـٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ جازاكم غماً بالهزيمة، بسبب غمِّكم للرسول ﷺ بالمخالفة لأمره، جزاءً وفاقاً، فما أصابكم من همّ وغمّ، كان جزاءً على صنيعكم.

قال ابن مسعود: كان النساء يوم أُحد خلف المسلمين، يُجهِزْنَ على جرحى المشركين، فلو حلفتُ يومئذٍ أن أحداً منّا لا يريد الدنيا، لكنت بارًّا بيميني، حتى أنزل الله ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ ولم يبق مع النبي ﷺ إلّا تسعة نفر، وأشاع المشركون أن محمداً قد قُتل، واستُشهد حمزة في تلك الغَزوة، وحزن عليه النبي حزناً شديداً.

ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً
مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ
ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ
قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ
فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ
وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ
يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا
كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا
ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا
قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ أرسل عليكم النُّعاسَ بعد ذلك الغمّ الشديد للأمان والسكينة ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ يصيب فريقاً منكم ﴿أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ وجماعة أخرى . وهم المنافقون . شغلهم همُّ نجاة أنفسهم فلم يناموا ﴿ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ الظنّ السيِّئ أن الرسول قد قُتل، وأن الإسلام لن تقوم له قائمة ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ ليس لنا من الأمر شيء، ولو كان لنا اختيارٌ ما خرجنا لقتال، ولكنْ أُكرهنا للخروج ﴿مَضَاجِعِهِمْ﴾ لو لم تخرجوا من بيوتكم، لخرج الذين قدَّر اللَّهُ عليهم الموت إلى مصارعهم، فالحَذَرُ لا يُغني عن القَدَر ﴿ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أوقعهم الشيطانُ في الخطيئة والزلّة بوسوسته ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾ غُزاةً مجاهدين في سبيل الله ﴿حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾ ألماً وَكَمداً على الذين ماتوا في المعركة، والموتُ لا يمنع منه قعود، سواءً قعد الإنسان في بيته، أو خرج مجاهداً في سبيل الله . !

درسٌ وتذكرة: كانت غزوة أُحد درساً بليغاً للمسلمين، فقد كان النصر حليفهم بادئ الأمر، ثم جاءتهم الهزيمة بسبب عصيانهم لأمر الرسول ﷺ . . رُوي أن النبي ﷺ في (غزوة أُحد) وضع خمسين من الرماة فوق الجبل، وقال لهم: لا تبرحوا أماكنكم ولو رأيتمونا تخطَّفتنا الطير!! فلمَّا التقى الجيشان، لم تقوَ خيل المشركين على الثبات أمام سهام المسلمين فانهزموا، فلما رأى الرماةُ ذلك، تركوا الجبلَ وقالوا: الغنيمةَ الغنيمةَ، فجاءهم المشركون من خلف الجبل، وانقلب النصر إلى هزيمة.

الجزء الرابع — سورة آل عمران

وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ﴾ وسواء استشهدتم في الحرب والجهاد، أو متُّم على فراشكم ﴿لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ مرجعكم إلى الله فيجازيكم على أعمالكم ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ﴾ «ما» صلة للتأكيد أي فبسبب رحمةٍ عظيمة أودعها الله في قلبك، كنتَ هيِّناً ليِّناً مع أصحابك ﴿فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ ولو كنت جافي الطبع قاسي القلب، تعامِلُهم بالجَفَاء والغلظة ﴿لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ لتفرَّق أصحابك عنك ونفروا منك ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ لا يمكن لأحد أن يغلبكم ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ وإن أراد تعالى إذلالكم وتركَ نصركم فمن الذي يستطيع نصرتكم؟ ﴿يَغُلَّ﴾ يخون في الغنيمة ﴿بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ رجع بغضب شديد من رب العزة والجلال ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾ مسكنه ومصيره نار الجحيم ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ﴾ أنعم عليهم بأعظم نعمة وهي بعثةُ السراج المنير محمد ﷺ ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ أي من أين جاءتنا هذه الهزيمة؟ قل لهم: سببُ الهزيمة هو أنتم، بسبب مخالفتكم لأمر الرسول ﷺ.

مديحٌ وثناء: هذه الآية الكريمة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ ثناءٌ من الله عظيم، على نبيِّه الكريم، وإشادةٌ بالقيادة الحكيمة، فمع مخالفة بعض أصحابه لأوامره، وسعهم بخلُقه الكريم، وقلبه الرحيم، ولم يجابههم بالغلظة والشدة، وإنما خاطبهم باللطف واللين، ولذلك اجتمعت القلوبُ حول دعوته، وتوحَّدتْ تحت قيادته، ولو حصل مثل هذه المخالفة مع بعض قوّاد عصرنا، لأمر بشنقهم أو حرقهم لأنهم سببوا الهزيمة للجيش، فما أكرمه من ثناء على سيِّد الأنبياء، من رب العزة والجلال.!

وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

﴿يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ يوم التقى جمعُ المسلمين وجمعُ المشركين في أُحُد ﴿فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته وتقديره ﴿ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ ليعلم أهلَ النفاق وكانوا نحو رجل، رجعوا إلى المدينة، ولم يقاتلوا مع المسلمين، وقالوا: ﴿لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡ﴾ لقاتلنا معكم ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم﴾ يُظهرون خلاف ما يُبطنون ﴿فَٱدۡرَءُواْ﴾ ادفعوا الموت عن أنفسكم إن كان عدم الخروج يُنجي من الموت ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ﴾ لا تظنَّنَّ أنهم أموات ﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ بل هم أحياء يتنعَّمون في الجنان، نزلت في شهداء أُحد حين قالوا: من يُبلِّغ عنا إخواننا أننا أحياء؟ فقال الله تعالى: أنا أبلِّغهم عنكم، ﴿أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُ﴾ كثرة الجراح في أعقاب غزوة أُحد، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الخروج للأعداء في (حمراء الأسد) على ما بهم من الجراح والإثخان، فاستجابوا لأمر الله ورسوله، ومن رحمة الله أنه لم تقع معركة بينهم وبين المشركين، لأن الله ألقى في قلوب الأعداء الخوف والفزع، فلم يرجعوا للقتال.

الحزب ٨

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ...﴾ الآية نزلت في شهداء أُحد، فقد قال ﷺ: «**لمَّا أصيب إخوانكم بأُحد، جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، تردُ أنهارَ الجنة، وتأكل من ثمارها، فلما وجدوا طيب مأكلهم، ومشربهم، ومَقِيلهم، قالوا: من يبلِّغُ إخواننا عنا أننا أحياء في الجنة؟ لئلا يزهدوا في الجنة، ولا ينكلُوا عند الحرب، فقال الله: أنا أبلِّغهم عنكم، فأنزل قوله** ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢا..﴾» رواه أبو داود، وأحمد.

الجزء الرابع — سورة آل عمران

فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۗ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

﴿فَانقَلَبُوا﴾ رجعوا بنعمة السلامة وفضل الأجر والثواب ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ لم ينلهم مكروه ولا أذى ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ نالوا رضى الله عزّ وجلّ ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ يخوّفكم أولياءه الكفار ليُضعف قواكم ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ لا ترهبوهم فإني متكفّلٌ لكم بالنصر عليهم، وخافوني أن تعصوا أمري فتهلكوا ﴿يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يتسابقون نحو الكفر مسرعين، كأنهم في ميدان سباق ﴿حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ يريد تعالى أن يحرمهم من نعيم الجنة بنفاقهم وكفرهم ﴿نُمْلِي لَهُمْ﴾ نمهلهم ونؤخر آجالهم ﴿لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ ليكتسبوا الجرائم فيزداد عذابهم ﴿لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لن يترك المؤمنين على حالهم، دون ابتلاءٍ وتمحيص ﴿يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ يفصل بين المؤمن والمنافق ﴿يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ﴾ يُطلع بعضَ رسُلِه على أخبار المنافقين، بواسطة الوحي ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ يُجعل لهم طوق في عنقهم وفي الحديث: «**من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاته، مُثِّل له مالُه شُجاعاً أقرع - أي حيَّة ضخمة - يطوَّقه يوم القيامة، ويقول: أنا مالك، أنا كنزُكَ، وتلا ﷺ الآية الكريمة** ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾» رواه البخاري.. هذا طرفٌ من عقوبة مانع الزكاة، نسأل الله الحفظ والسلامة ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني إنهم سيموتون، والله هو الوارث لما في أيديهم، فما لهم يبخلون عليه بملكه، ولا ينفقون في سبيله!؟ ﴿تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ والله هو المطّلع على أعمال عباده وسيجازيهم عليها.

الجزء الرابع — سورة آل عمران

لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ هم اليهود اللعناء سمعوا قول الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فقالوا: لو كان غنياً ما استقرض ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ سنأمر الحفظة بكتابة ما قالوه في صحائف أعمالهم ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ ونكتب جريمتهم الشنيعة بسفكهم دماء الأنبياء ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ ذوقوا عذاب النار الشديدة الإحراق ﴿عَهِدَ إِلَيْنَآ﴾ أوصانا في التوراة ﴿يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ﴾ أن لا نصدِّق رسولاً حتى يأتينا بقربان وتنزل نار من السماء فتأكله!! وهذا منهم افتراء على الله ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الباهرات ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ فلمَ قتلتموهم إن كنتم صادقين في دعواكم الإيمان؟ ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ جاءوا بالمعجزات والصحف المملوءة بالمواعظ ﴿زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ﴾ أُبعِدَ عن نار جهنم ونجا من عذابها ﴿مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ الاستمتاع الباطل الخادع الذي لا يدوم ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ لتمتحنَّ وتختبرُنَّ بأنواع المحن والشدائد، في أموالكم بالفقر والمصائب، وفي أنفسكم بالأمراض والأسقام. . نزلت هذه الآية ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ في أحد أحبار اليهود (فِنْحاص بن عازوراء) دخل عليه «أبو بكر» ودعاه إلى الإسلام، فقال فِنْحاص: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من حاجة، وإنه إلينا لفقير، يطلب منا أن نقرضه، ولو كان غنياً ما استقرض!! فغضب أبو بكر وضرب وجهه ضربة شديدة، وقال: والله يا عدوَّ الله، لولا العهد لضربتُ عنقك، ففيه نزلت ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ . .﴾ الآية، رواه ابن أبي حاتم. تفسير ابن كثير.

ربع الحزب ٨

الجزء الرابع — سورة آل عمران

وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

﴿مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أخذ العهد المؤكَّد على اليهود في التوراة ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ لتظهرنَّ ما في التوراة من الأحكام الإلهية وأوصاف خاتم الأنبياء ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ طرحوا ذلك العهد ولم يبالوا به ﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ استبدلوا به شيئاً حقيراً من حطام الدنيا ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ من إخفاء الحق ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟﴾ ويحبون أن يحمدهم الناس وهم على باطل وضلال، نزلت في اليهود سألهم رسول الله ﷺ عن شيء فكتموه إياه، وأخبروه بغيره ظناً منهم أن الرسول رضي منهم وأعجب بكلامهم، ففيهم نزلت كما في البخاري ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ بمنجاةٍ وخلاص من العذاب ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ دلائل وعلامات لأصحاب العقول ﴿بَٰطِلًا﴾ عبثاً بدون حكمة ﴿فَقِنَا﴾ احمنا ونجنا من نار جهنم ﴿أَخْزَيْتَهُۥ﴾ أهنته غاية الإهانة وفضحته ﴿مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ ما وعدتنا به على ألسنة رسلك، ومرادهم أن يدخلهم الله الجنةَ دارَ المتقين.

تضرُّعٌ ودعاء: كرَّروا النداء بصيغة الدعاء (ربَّنا) خمس مرات، للتضرع وإظهار غاية الخشوع والتذلُّل، رغبةً في استجابة الدعاء، وهذا توجيه من الله لعباده المؤمنين، أن يكثروا من الدعاء والتضرع، فإنه مفتاح الفرج والقبول ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ولهذا جاءت الإجابة العاجلة المبشِّرة لهم بعدها، بقوله سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ...﴾.

الجزء الرابع — سورة آل عمران

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النِّسَاءِ — ترتيبها ٤ — آياتها ١٧٦

﴿فَاسْتَجَابَ﴾ أجاب دعاءهم ﴿بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ لا فرق بين الرجال والنساء في الأجر ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ هجروا أوطانهم نصرة لدين الله ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ﴾ أمحو عنهم ذنوبهم وأسترها بالغفران ﴿حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ حُسْنُ الجزاء وهي الجنة دار الهناء ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ﴾ لا يخدعنَّك تنقُّل الكفار في البلاد ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ يتمتعون بالدنيا ثم يزول ذلك النعيم ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مسكنهم نار الجحيم ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ بئس الفراش والقرار جهنم ﴿نُزُلًا﴾ ضيافةً وكرامة لهم من الله ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾ خاضعين متذلّلين للَّهِ ﴿اصْبِرُوا﴾ على مشاقّ الطاعات ﴿وَرَابِطُوا﴾ لازموا ثغوركم خشيةَ هجوم الأعداء. جاء بلال يُؤذن النبي ﷺ بصلاة الفجر، فقال: يا رسول الله، ما يُبكيك وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله عليَّ هذه الليلةَ هذه الآيات؟ ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ثم قال: **«ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكَّرْ فيها»**.

روى الحافظ ابن كثير عن عطاء (أنه استأذن مع ابن عمر على عائشة فقالا: أخبرينا بأعجب ما رأيتِهِ من رسول الله ﷺ؟ فبكتْ ثم قالت: كان كلُّ أمره عجباً!! دَخل عليَّ في ليلتي التي يبيتُ فيها عندي، ثم قال لي: ألا تأذنين لي أن أتعبَّد ربي هذه الليلة؟ فقلت: والله إني لأحبُّ قُربَك، وأحبُّ هَوَاكَ!! فتوضأ ثم قام يصلِّي، فبكى حتى بلَّ لحيته، ثم سجد فبكى حتى بلَّ الأرض، وظلَّ يصلِّي ويبكي حتى جاء بلال يخبره بطلوع الفجر، وذكرت الحديث المتقدم: **«ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكَّر فيها»**.

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴿١﴾ وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا ﴿٢﴾ وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا ﴿٣﴾ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ﴿٤﴾ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا ﴿٥﴾ وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا ﴿٦﴾

سورة النساء

الحزب ٨

﴿يا أيها الناس﴾ خطاب لجميع الخلق ﴿اتقوا ربكم﴾ خافوا عذابه بطاعته واجتناب معاصيه ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ آدم عليه السلام ﴿وبث منهما﴾ نشر وفرّق من آدم وحواء بطريق التناسل ﴿رجالا كثيرا ونساء﴾ خلائق كثيرين من الرجال والنساء ﴿رقيبا﴾ مراقباً ومطّلعاً على أعمالكم ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾ إذا بلغوا سنّ الرشد ﴿ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب﴾ لا تستبدلوا الحرام بالحلال بأكل أموال اليتامى ﴿حوبا كبيرا﴾ ذنباً عظيماً عند الله ﴿تقسطوا في اليتامى﴾ تعدلوا معهم في المهور ﴿مثنى﴾ انكحوا اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً ﴿أدنى ألا تعولوا﴾ الاقتصار على زوجة واحدة أقرب ألاّ تظلموا وتجوروا ﴿نحلة﴾ أعطوا النساء مهورهنّ عطيّةً عن طيب نفس ﴿آنستم﴾ أبصرتم ﴿وبدارا أن يكبروا﴾ مبادرين إلى إنفاقها مخافة أن يكبر الأيتام فينتزعوها من أيديكم ﴿حسيبا﴾ محاسباً ورقيباً، قالت عائشة: «**هذه اليتيمة تكون في حِجْر وليِّها، ويكون لها مالٌ وجمال، فيريد أن يتزوج بها دون أن يعدل في مهرها، فنُهُوا عن ذلك، وأُمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء**» رواه البخاري. . **بدأ الله السورة الكريمة**، بنداء الناس جميعاً، وأكدَّ الأمر بتقوى الله في موطنين: في أول الآية ﴿اتقوا ربكم﴾ وفي آخرها ﴿واتقوا الله﴾ ليشير إلى عظيم حقِّ الله على عباده، كما قرن بين (التقوى) و(صلة الرحم) فالناس جميعاً من أصل واحد، وهم أخوةٌ في الإنسانية، ولو أدرك الناس هذا، لعاشوا في سعادة وأمان، ولما كان بينهم حروب طاحنة مدمِّرة، تلتهم الأخضر واليابس، وتقضي على الكهل والوليد!!

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُولُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ للأولاد والأقارب حظٌّ من تركة الميت القريب، كما للإناث والنساء حظٌّ ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ﴾ سواء كانت التركة قليلة أو كثيرة، والآية ردٌّ لما كان عليه أهل الجاهلية من حرمان النساء والصغار ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا﴾ نزلت في الوصيّ، والمعنى كما تخاف على أولادك الصغار بعد موتك أن يُظلموا، وتخاف عليهم من الضياع، فعامل اليتامى بمثل ما تحبُّ أن يُعامل به أبناؤك الصغار بعد موتك ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ يأمركم ويفرض عليكم ﴿فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾ في شأن ميراث أولادكم ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ للابن الذكر ضعف نصيب الأنثى، فإن مات عن ابن وابنتين، فللابن النصف، وللبنتين النصف، فيكون ميراثه بقدر نصيب اثنتين من الإناث ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فرضاً لازماً محتَّماً بحكم الله وشرعه، لقد تولّى الله قسمة المواريث بنفسه، ولم يتركها لأحدٍ من خلقه، لئلا يقع حيفٌ أو ظلمٌ على أحد.

ووجه الحكمة في مضاعفة نصيب الذكر: هو أنَّ المرأة لا تُكلَّف بالإنفاق على أحد، بخلاف الرجل فإنه مكلف بالإنفاق على زوجته، وأولاده، وبالمهر، والسكن، والملبس، والمطعم، فنفقاته أكثر، والتزاماته المالية أضخم، أمّا سبب نزول آيات المواريث، فإن امرأة (سعد بن الربيع) جاءت بابنتَيْها إلى رسول الله ﷺ، فقالت يا رسول الله: إنَّ سعداً استُشهد معك بأُحد، وإن عمهما أخذ مالهما، فلم يَدَعْ لهما شيئاً، ولا تُنكحان إلّا بمالٍ!! فأنزل الله ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ . . .﴾ الآية، رواه البخاري.

الجزء الرابع — سورة النساء

۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى الثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٨

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ﴾ لكم أيها الرجال نصف ما يتركه أزواجكم من المال ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ إن لم يكن لزوجاتكم أولاد منكم أو من غيركم ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ فإن كان للزوجة ابنٌ أو بنت فلكم الربع من ميراثهن ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ﴾ من بعد قضاء الوصية وقضاء الدَّيْن ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ﴾ ولزوجاتكم واحدة فأكثر ربعُ التركة إن لم يكن لكم ولد، منهن أو من غيرهنَّ ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ فإن كان لكم أحد من الأولاد فلهن ثمن التركة ﴿يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ فإن كان الميت لا أصل له ولا فرع. وهذا معنى الكلالة. ﴿أَوِ امْرَأَةٌ﴾ لا أصل لها ولا فرع. أي لا والد لها ولا ولد. ﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ وللمورِّث أخ لأم أو أخت لأم ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ فللأخ من الأم السدس، وللأخت لأم السدس ﴿شُرَكَآءُ فِى الثُّلُثِ﴾ يقتسمون الثلث بالسوية إذا كان الإخوة لأم أكثر من واحد ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ أحكامُه وشرائعُه التي شرعها لعباده ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ عذاب شديد مع الإهانة والإذلال..

أجمع العلماء على أن المراد بالإخوة والأخوات هنا (الإخوة من الأم) و(الأخوات من الأم) يتساوى الذكر مع الأنثى لقوله تعالى ﴿فَهُمْ شُرَكَآءُ﴾ والشركة تقتضي المساواة، ونصيبهم الثلث فقط مهما كثروا، أمّا الإخوة والأخوات الأشقاء أو من الأب، فيختلف نصيبهم تماماً، فللشقيقة النصف، وللأخ الشقيق المال كله إذا انفرد، لقوله سبحانه ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ..﴾ الآية، فتنبَّهْ لهذا الأمر، والله يرعاك!!

الجزء الرابع — سورة النساء

وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾

﴿يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ﴾ جريمة الزنى، سميت فاحشةً لأنها منكر فظيع تناهى في القبح ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ﴾ احبسوهنَّ في بيوتكم ﴿أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ يجعل لهن مَخلَصاً بما يشرعه من الأحكام ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا﴾ اللذان مثنى الذي أي (والزاني والزانية) اللذان يقترفان جريمة الزنى فآذوهما بالتوبيخ والتقريع، والضرب بالعصا وأمثال ذلك ﴿فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا﴾ عن الفاحشة وأصلحا سيرتهما، فكفُّوا عن إيذائهما ﴿بِجَهَٰلَةٖ﴾ يفعلون المعصية ويرتكبون الذنب سفهاً وجهالةً ﴿يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ يتوبون سريعاً قبل مفاجأة الموت ﴿كَرۡهٗا﴾ مُكْرَهات على ذلك، وقد كانوا في الجاهلية يرثون المرأة كما يرثون المتاع، وكأنها سلعة تنتقل من شخص إلى آخر ﴿وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ﴾ تمنعوهن من الزواج بمن أردن، والعضلُ: المنع، يُقال: عَضَل المرأة إذا مَنعَها الزواجَ ﴿لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ يمنعها من الزواج، لتترك له مهرها أو بعضه ﴿يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ﴾ إلا إذا كانت المرأة ناشزاً، تريد فراق زوجها، فيأخذ منها بعضَ ما أدَّاها من المهر، والفاحشةُ هنا يُراد بها: النشوزُ والعصيانُ ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾ بالإحسان، والتلطف، وطيب الكلام، وحسن المعاملة ﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ﴾ إن كرهتم صحبتهن فاصبروا عليهن، واستمروا على الإحسان إليهن، ولا تطلقوهنَّ. فعسى أن تنقلبَ البغضاءُ إلى مودَّة ومحبَّة..

ما أعظم رحمة الله بالنساء!! حيث أمر الرجلَ بعدم التسرع في الفراق، فإنه لا يدري أين يكون الخير له!! وهذا إطماع للرجال بالخير الكبير، إن صبروا على أزواجهن.

وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ ٱلَّـٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّـٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

﴿ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ﴾ أردتم نكاح امرأةٍ مكان امرأةٍ طلَّقتموها ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾ دفعتم لها مهراً كبيراً ضخماً لا يكاد يُحصى ﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ لا تأخذوا من ذلك المهر شيئاً ﴿أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا﴾ أتأخذونه باطلاً وظلماً؟؟ ﴿أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ هذا من روائع الكناية أي كيف تأخذونه وقد استمتعتم بها بطريق الجماع!؟ **قال ابن عباس**: الإفضاء في هذه الآية الجماعُ، ولكنَّ الله كريم يَكْني ﴿مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ عهداً وثيقاً مؤكداً وهو «عقد النكاح» ﴿وَمَقْتًا﴾ مبغوضاً أشدَّ البغض ﴿سَلَفَ﴾ مضى ﴿وَرَبَـٰٓئِبُكُمُ﴾ الرَّبيبةُ: بنتُ المرأة من زوج آخر ﴿حُجُورِكُم﴾ بيوتكم وليس هذا للشرط وإنما هو لبيان الغالب ﴿وَحَلَـٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ﴾ زوجات أولادكم ﴿مِنْ أَصْلَـٰبِكُمْ﴾ المولودون من صلب الزوج، بخلاف الأبناء من التبنّي، فلا يحرم الزواج بزوجاتهن ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ما مضى منكم في الجاهلية، فقد عفا الله عنه، ويُلْحقُ بالجمع بينَ الأختين: الجمع بين (المرأةِ وعمتها) و (المرأة وخالتها) كما وردت به السنَّةُ النبويةُ المطهَّرة، فلا يصحُّ أن تكون المرأةُ ضَرّةً لعمتها أو خالتها، لما في ذلك من القطيعة للرحم. **سبب النزول**: كان أهلُ الجاهلية إذا مات الرجل وترك زوجته، جاء ابنه من غيرها أو وليُّه فورث امرأته كما يرثُ مَالَه، وألقى عليها ثوباً، فإن شاء تزوَّجها بالمهر الأول، وإن شاء زوَّجها غيره وأخذ مهرها، فأنزل الله تحريم ذلك بقوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ . .﴾ الآية.

وقال عكرمة: إن الآية نزلت في امرأةِ (أبي قيس) جاءت رسولَ الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، لا أنا وَرِثْتُ زوجي، ولا أنا تُرِكْتُ حتى أنكح وأتزوج!! فنزلت الآية، ابن كثير.

الجزء الخامس — سورة النساء

۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

الجزء ٥ الحزب ٩

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ذوات الأزواج لأنها في عصمة زوجها ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ إلا ما كان بملك اليمين فيحلُّ وطؤها بعد الاستبراء ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ أعفاء عن الحرام ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ غير زانين ﴿فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ فما تلذَّذتم به من النساء بطريق النكاح، فادفعوا لهنّ مهورهنّ، ولا يراد بالآية (نكاح المتعة) كما تأولها الجاهلون، فإنه نكاح باطل، وسئل (جعفر الصادق) عن نكاح المتعة، فقال: هو الزنى بعينه ﴿طَوْلًا﴾ سعةً وغنى ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ جمع خِدْن وهو الصاحب يزني بالمرأة سرًّا ﴿ٱلْعَنَتَ﴾ الزنى أي خاف على نفسه الوقوع في الزنى ﴿سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يرشدكم إلى طرائق الأنبياء والصالحين ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ يقبل توبتكم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ عليمٌ بمصالح العباد، حكيم في تشريعه لهم. **تنبيه هام:** نكاحُ المتعةِ كان جائزاً في ابتداء الإسلام، لقرب عهدهم بالجاهلية، ثم حُرِّم تحريماً مؤبَّداً، والذي روى تحريم المتعة (عليٌّ) رضي الله عنه، روى البخاري عن علي أنه قال (إن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الحُمُر الأهلية) ودليل التحريم أيضاً قوله ﷺ: **«إني كنتُ أذنتُ لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة»** رواه مسلم. والغرضُ من الزواج بناءُ الأسرة، لا قضاءُ الشهوة، وقد قال تعالى: ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ والإحصانُ لا يكون إلا في النكاح الصحيح، وقال: ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ والمتعةُ لا يراد بها إلا سفح الماء، وليس في المتعة ميراثٌ، ولا طلاق، ولا نفقة، فكيف يبيحها الإسلام!؟ وانظر كتابنا (موقفُ الشريعة الغرّاء من نكاح المتعة) ففيه ما يشفي الغليل، بالأدلة الساطعة القاطعة.

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَۚ وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

﴿وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ يحبُّ الله بما شرع لكم من الأحكام أن يطهِّركم من الذنوب والآثام ﴿يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ الفجرة، أصحاب الأهواء الدنيئة ﴿أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾ أن تنحرفوا عن الهدى إلى الضلال، وتكونوا فَسَقةً فَجَرة مثلَهم ﴿بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ بالطريق المحرَّم كالرشوة، والسرقة، والغصب، والربا، والقمار وغيرها من المحرمات ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ لا يسفكْ بعضكم دماء بعض، ولا يُقدم على قتل نفسه بطريق الانتحار ﴿نُصۡلِيهِ نَارٗا﴾ ندخله نار جهنم ونحرقه بها ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ﴾ لا يتمنَّيَنَّ أحدكم ما خصَّ تعالى به بعض الناس، من الجاه، أو المال، لئلا يؤدي ذلك إلى التحاسد والتباغض، نزلت لمَّا قال بعض النساء: ليتنا كنَّا رجالاً فنجاهد كما جاهدوا، ويكون لنا أجر الرجال!!

﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ سلوا ربكم من فضله يعطكم، فإنه جواد كريم وهَّاب ﴿مَوَٰلِيَ﴾ أقارب عصبة يرثون تركة قريبهم ﴿عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ حالفتموهم على النصرة والإرث ﴿فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ﴾ أعطوهم حقَّهم من الميراث، وكان هذا الحكمُ في أول الإسلام، ثم نُسخ بقوله سبحانه: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾ أي أحقُّ بإرثه من غيرهم.

قال ابن عباس: كان المهاجرون حين قدموا إلى المدينة، يرث المهاجرُ الأنصاريَّ دون أقاربه من ذوي الرحم، بالأخوَّة التي آخى الرسول بها، بين المهاجرين والأنصار، ثم نسخها الله بآية المواريث، فأصبح التَّوارثُ بالقرابة النسبيَّة، دون الأُخوَّة الإيمانية.

الجزء الخامس — سورة النساء

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ﴾ قائمون على أمور النساء بالإنفاق والتوجيه والرعاية، كما يقوم الولاةُ على الرعية ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ﴾ بما خصَّ الله به الرجال من كمال العقل والتدبير ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ﴾ وبما خصَّهم به من الكسب والإنفاق، وليس التفضيل تفضيل نوعٍ على نوع، وإنما هو تفضيل خصائص، فالرجل أقوى على تحمل المشاقّ في سبيل الكسب، ورعاية الأسرة بالتوجيه والتأديب، وليست الأسرة إلا كمدرسة، فيها مديرٌ، وأساتذةٌ، وطلاب، لكلٍّ عملٌ ووظيفة، فالمدير ليس أفضل من المعلِّم، وإنما هو مجرد تدبير إداري ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ وقولُه ﴿بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ للإشارة لحكمة جليلة، هي أن المرأة بمنزلة عضوٍ منه، فالرجل بمنزلة الرأس، والمرأة بمنزلة الجسد، ولا ينبغي أن يتكبر عضو على عضو، فالأذن لا تغني عن العين، ولا عار على الشخص أن يكون قلبُه أفضلَ من معدته، ورأسه أشرف من يده، فالكل يؤدي دوره بانتظام ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ﴾ أي مطيعات لله ولأزواجهن ﴿نُشُوزَهُنَّ﴾ تكبُّرَهُنَّ واستعلاءهن ﴿شِقَاقَ﴾ عداوة وخلاف بين الزوجين..

ربع الحزب ٩

تذكرة: **انظر إلى ترتيب العقوبات ودقتها**، حيث أمر تعالى بالوعظ، ثم بالهجران، ثم بالضرب ضرباً رفيقاً من غير إيذاء، والضربُ ليس للإساءة، وإنما هو علاج للمتعالية المستهترة، لكسر الغطرسة والكبرياء، وإخراج الوسواس الخناس من رأسها، ثم ختم الآية بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ لينبِّه الزوج على أن قدرة الله فوق قدرته، وأنه تعالى عونُ الضعفاء، وملاذ المظلومين! والظلمُ ظلماتٌ يوم القيامة.

الجزء الخامس — سورة النساء

وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ ينفقون أموالهم للفخر والشهرة، لا يقصدون به وجه الله، وهذا محبطٌ للعمل ﴿قَرِينًا﴾ صاحباً وصديقاً ﴿فَسَآءَ قَرِينًا﴾ بئس هذا الصاحب ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ وزن ذرة تراب أو هباءة ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ كيف حال الكفار حين نأتي من كل أمة بنبيِّها ليشهد عليها ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ وجئنا بك يا محمد شاهداً على أمتك!! ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ لو يُدفنوا في الأرض وتنشقُّ الأرضُ وتبتلعهم، قال النبي ﷺ لابن مسعود: «**اقرأ عليَّ القرآنَ!! قال: فقرأتُ عليه سورة النساء، حتى انتهيت إلى هذه الآية فقال: حسبُك الآن، فنظرتُ فإذا عيناه تذرفان**» رواه البخاري ﴿عَابِرِى سَبِيلٍ﴾ إذا كنتم مسافرين ولم تجدوا الماء فصلُّوا بالتيمُّم ﴿ٱلْغَآئِطِ﴾ أصلُ الغائط «الأرضُ المنخفضة» وهو كناية عن الحدث ﴿لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ جامعتم النساء ولا يراد اللمسُ باليد، إنما هو كناية عن الجماع، كما قال ابن عباس ﴿فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ اقصدوا رفع الحدث بالمسح بالتراب الطاهر، وجوهَكُم وأيديكم، فإن التيمم يجزئ عن (الوضوء والغُسْل) وهذا من رحمة الله ولطفه بعباده، ولهذا ختم الآية بقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ يسهِّل على العباد لئلا يقعوا في الضيق والحرج ﴿نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أُعطوا حظاً من علم التوراة، وهم أحبارُ اليهود، والآية تعجيب من حالهم، وتحذير من موالاتهم، حيث اختاروا الضلالة على الهدى ﴿تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ تضلُّوا كما ضلُّوا عن طريق الهداية والإيمان، لترجعوا عن الإيمان إلى الكفر، فتكونون مثلهم.

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ من هؤلاء اليهود اللعناء ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾ يبدّلون كلام الله في التوراة قصداً وعمداً ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا﴾ سمعنا قولك، وعصينا أمرك، وهذا أبلغ في الكفر والعناد ﴿وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ﴾ اسمعْ لا أسمعك الله، وهو دعاء عليه بالصَّمم ﴿وَرَٰعِنَا﴾ وهي كلمةُ سبٍّ وشتم، مأخوذة من الرعونة ﴿لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ﴾ فتلاً بألسنتهم وتحريفاً عن الحقّ إلى الباطل ﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ اليهود والنصارى ﴿ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا﴾ آمنوا بالقرآن العظيم المصدّق للتوراة التي بين أيديكم ﴿نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا﴾ نطمس منها الحواسّ فنذهبها ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ نجعل الوجوه كالأقفاء، ليس فيها عين ولا أنفٌ ولا فم ﴿يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ يمدحونها بالبراءة من الذنوب، نزلت في اليهود قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه ﴿فَتِيلًا﴾ هو الخيط الذي في بطن النواة ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ بالشيطان والأوثان وكلِّ ما عُبد من دون الرحمن.

سبب النزول: **نزلت في (كعب بن الأشرف)** أحد أحبار اليهود، سأله بعضُ مشركي مكةَ: هل نحن أهدى سبيلاً أم محمد وأصحابه؟ فقال اللعينُ: بل أنتم والله أهدى منه سبيلاً، ودينكم خيرٌ من دينه!! فضَّل لهم عدوُّ اللهِ الكفرَ على الإيمان، وعبادةَ الأوثان على عبادة الرحمن، من شدة حقده وبغضه لدين الإسلام، وهكذا كيد اليهود الخبثاء، لا يتورّعون عن الكذب على الله ورسله، في سبيل مآربهم الدنيئة، وقد قتله الله شرَّ قِتْلة، بيد رجلٍ مؤمن.

أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا (٥٢) أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا (٥٣) أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما (٥٤) فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا (٥٥) إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما (٥٦) والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا (٥٧) إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا (٥٨) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا (٥٩)

﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ طردهم من رحمته ﴿نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ حظٌ من ملك الدنيا ﴿نَقِيرًا﴾ لا يؤتون أحداً مقدار نقير، وهو قدر النُّقرة في ظهر النواة، لشدَّة بخلهم ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ المراد بالناس هنا: النبيُّ ﷺ حسده اليهودُ على النبوَّة، وكانوا يقولون: النبوة لا تخرج عن بني إسرائيل، فلما بُعث ﷺ من العرب أنكروا نبوَّته ﴿صَدَّ عَنْهُ﴾ لم يؤمن برسالته وأعرض عنه ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ تكفيهم نار جهنم المسعَّرة عقوبةً لهم ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم﴾ شُويت جلودهم واحترقت واهترت ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ أبدلناهم جلوداً غيرها ليدوم لهم ألمُ العذاب ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ دائماً لا حرَّ فيه ولا برد ﴿نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾ نعم هذا الشيءُ الذي ينصحكم به ربكم ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أجملُ عاقبةً وأحسنُ مرجعاً ومصيراً..

رُوي في سبب نزول الآية: ﴿يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ أن رسول الله ﷺ، لمَّا دخل مكة فاتحاً، طلب مفتاح الكعبة من (عثمان بن طلحة) فأبى أن يدفع له المفتاح، وقال: لو علمتُ أنه رسول الله لم أمنعه، فلوى عليٌّ يده وأخذه منه قهراً، فدخل الرسول ﷺ الكعبة وصلَّى بها ركعتين، فلما خرج أمر علياً أن يردَّ إليه المفتاح ويعتذر إليه، فقال له ابن طلحة: آذيتَ وأكرهتَ ثم جئت تترفَّق!! فقال: لقد أنزل الله فيك قرآناً يُتلى، وتلا عليه الآية، فكانت سبب إسلامه، وقال له الرسول ﷺ: هاكَ المفتاح يا عثمان، اليومُ يومُ وفاءٍ وبرٍّ. اهـ. رواه ابن إسحق، كذا في ابن كثير.

الجزء الخامس — سورة النساء

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

﴿الطَّاغُوتِ﴾ «كعب بن الأشرف» أحد طغاة اليهود، سُمّي بالطاغوت لإفراطِهِ في الطغيان ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ يعرضون عنك إعراضاً ولا يقبلون بحكمك، نزلت في خصومة بين يهودي ومنافق، رضي اليهودي بالتحاكم عند رسول الله ﷺ وأبى المنافق وقال له: بل نتحاكم إلى «كعب بن الأشرف» ولم يقبل بحكم الرسول ﷺ، وأتيا عمر فذكر له اليهودي ذلك، وكان من قصته أن قتله عمر، وانظر صفوة التفاسير ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق والمكر والخديعة ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أعرض عن معاقبتهم للمصلحة ﴿وَعِظْهُمْ﴾ ازجرهم عن الكفر والنفاق ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾ انصحهم بكلام بليغ مؤثر، يكون لهم رادعاً، ولنفاقهم زاجراً ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أُقسمُ بربك يا محمد لا يكونون مؤمنين ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ حتى يتحاكموا إليك فيما تنازعوا فيه ﴿حَرَجًا﴾ ضِيقاً ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ينقادوا لحكمك، ويرضوا به من غير معارضة ولا منازعة.

سبب النزول: نزلت الآيات في (بِشر) المنافق، جاءه يهودي يطلب منه حقَّه فجحده، فقال اليهودي: تعالَ نتحاكم إلى (محمد) فقال المنافق: بل نتحاكم إلى (كعب بن الأشرف) الذي سمَّاه الله طاغوتاً، ثم ذهب معه مكرهاً، فحكم الرسول لليهودي عليه، فلما خرج أبى أن يقبل بحكم الرسول ﷺ وقال لليهودي: تعال نتحاكم عند عمر، فلما سمع عمر القصة قال: انتظراني، فدخل بيته وأخرج سيفه، وضرب به عنق المنافق، وقال: هكذا أحكم فيمن لم يرض بحكم الله وحكم رسوله!!

الجزء الخامس — سورة النساء

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُن بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

﴿كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ لو فرضنا على هؤلاء المنافقين ﴿أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ كما كتبنا ذلك على بني إسرائيل ﴿أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم﴾ اتركوا منازلكم ودياركم ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ ما استجاب ولا انقاد إلَّا قليل منهم، لضعف إيمانهم، وعتوّ ضلالهم ﴿مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من طاعة الرسول ﴿وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ أشدَّ تثبيتاً لإيمانهم، وأبعدَ لهم عن النفاق والضلال ﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ احترزوا من أعدائكم وتيقظوا ﴿فَانفِرُوا ثُبَاتٍ﴾ متفرّقين جماعة بعد جماعة ﴿أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين جيشاً واحداً ﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ ليتأخرنَّ عن القتال كابن سلول المنافق وجماعته ﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ قتلٌ وهزيمة ﴿لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ لم أحضر المعركة فأُقتل كما قُتلوا ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ﴾ نصرٌ وغنيمة ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ﴾ ليقولنَّ متحسّراً ليتني كنت معهم في الغزو ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ لأنال حظاً وافراً من الغنيمة، هكذا شأن المنافقين، عند الحرب يظهر منهم الفزعُ، وعند الغنيمةِ يكون منهم الطمع. !

ثلاثة أرباع الحزب ٩

سبب النزول: رُوي أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ، فقال يا رسول الله: إنك والله أحبُّ إليَّ من نفسي ومالي وولدي، وإني لأذكركَ فما أصبرُ حتى آتيَ فأنظر إليك!! وإني تذكَّرتُ موتي وموتك، فعرفتُ أنك إذا دخلتَ الجنَّةَ، رُفعتَ مع النبيِّين، وأني إذا دخلتُ الجنةَ، أخشى أن لا أراك، لأنك في أعلى عليِّين!! فلم يردَّ عليه النبيُّ ﷺ شيئاً، وتغشَّاه الوحيُ فنزل عليه جبريل بهذه الآية ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ..﴾ الآية، رواه الطبراني ورجالُه رجالُ الصحيح.

الجزء الخامس — سورة النساء

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ﴾؟ أيُّ شيء يمنعكم عن الجهاد في سبيل الله؟ ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ﴾ وفي سبيل نصرة الضعفاء وتخليصهم من طواغيت الكفر، وهم العجزة من الرجال والأطفال الصغار والنساء ﴿أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ يتضرَّعون إلى الله أن يخرجهم من مكة، حين كانت وكْراً للكفر والطغيان ﴿وَلِيًّا﴾ يتولّى أمرنا ﴿نَصِيرًا﴾ من ينصرنا على أعداءِ دينك ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ﴾ المؤمنون يقاتلون لإعلاء كلمة الله ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ﴾ والكفار يقاتلون في سبيل الشيطان ﴿أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ﴾ فقاتلوا أعوان الشيطان الكفار الفجار ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ لا قدرة له على قتال أهل الإيمان ﴿بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ﴾ حصون منيعة وقصور عالية ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ ما لهم لا يفهمون الكلام؟ وهو تعجبٌ من فرط جهل المنافقين.

تنبيه: اتفق المفسرون على أن المراد بالقرية الظالم أهلُها (مكة) شرَّفها الله، التي كانت عاصمة العُتاة من المشركين، وموطن الكفر، وكان المشركون يذيقون المسلمين أنواع العذاب، ويأتي جماعة منهم (سعد، والمقداد، وابن عوف) إلى رسول الله ﷺ يشكون أمرهم، ويقولون يا رسول الله: ائذن لنا في قتال هؤلاء الكفرة، فقد كنّا في عزة ونحن مشركون، فلما آمنّا صرنا أذلة!! فيقول لهم الرسول ﷺ: كفُّوا أيديكم فإني لم أُومَرْ بذلك، ففيهم نزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ . .﴾ الآية، رواه النسائي، والحاكم وصحَّحه على شرط البخاري.

مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ﴾ من أطاع الرسول فقد أطاع أمر الله، لأنه مبلِّغٌ عن الله، ومرسَلٌ من جهته ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ ومن أعرض عن طاعتك، فلستَ موكَّلاً عليهم، ولا حافظاً لأعمالهم، وجزاؤهم علينا ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ أمرك يا محمد مطاعٌ عندنا ﴿فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ﴾ خرجوا من مجلسك ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ أضمروا عصيان أمرك ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ يسجل عليهم جرائمهم ليعاقبهم عليها ﴿أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾ إذا جاء المنافقين خبرٌ من الأخبار أفشوه وأشاعوه، لا سيما إذا كان فيه ضررٌ يلحق بالمسلمين ﴿يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ يستخرجونه بفهم وتحقيق ﴿أَشَدُّ بَأْسًا﴾ الله أشدُّ نكايةً وبطشاً ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ تعذيباً ﴿كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ نصيب من الذنب والوزر ﴿مُّقِيتًا﴾ مقتدراً على عقاب من يعصي أمره ﴿حَسِيبًا﴾ محاسباً للعباد على أعمالهم.

توضيح وبيان: كان المنافقون يذيعون أخبارَ المجاهدين، قبل أن يتثبَّتوا منها، بالظفر والغنيمة، أو النكبة والهزيمة، وفي ذلك ضرر كبير على المجاهدين، لأن في ذلك إفشاء (أسرار الحرب) ولو تركوا الحديث عن ذلك إلى الرسول ﷺ وأكابر الصحابة، لبقيت أسرار الحرب سرًّا لا يطَّلع عليه أحد، وفيهم نزلت ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ . .﴾ الآية وفي الآية إنكار على كل من يُحدِّث بكل ما سمع، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم «**كفى بالمرء كذباً أن يُحدِّث بكل ما سمع**».

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾

الحزب ١٠

﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ الخطاب لأصحاب النبي ﷺ الذين اختلفوا في شأن المنافقين، والمعنى: ما لكم أصبحتم فرقتين في شأن المنافقين؟ بعضكم يقول: نقتلهم، وبعضكم يقول: هم مؤمنون لا نقتلهم!! ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾ أذلَّهم ونكَّسهم، وردَّهم من عزّ الإسلام، إلى ذلّ الكفر، بسبب النفاق ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ ضاقت صدورهم ﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾ استسلموا لكم وانقادوا ﴿عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ لا طريق لكم إلى قتالهم، طالما سالموكم ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ﴾ ستجدون قوماً آخرين من المنافقين ﴿يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾ بإظهار الإيمان ﴿وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ بإظهار الكفر ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ كلما دُعوا إلى الشرك والضلال ﴿أُرْكِسُوا۟ فِيهَا﴾ انقلبوا إلى الكفر على أسوأ حال، ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ أينما وجدتموهم وتمكَّنتم منهم فاقتلوهم، وأولئك المنافقون جعلنا لكم على قتلهم حجة بيِّنة، وهذا هو المراد بالسلطان في الآية الكريمة.

توضيح: رُوي عن (زيد بن ثابت) أن رسول الله ﷺ خرج إلى (غزوة أُحد) فرجع ناس ممن كانوا معه من المنافقين، فكان أصحابُ رسول الله فيهم فرقتين: قال بعضهم: نقتلهم، وقال بعضهم: لا نقتلهم!! فأنزل الله ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ...﴾ الآية فقال النبي ﷺ: «**إنها طيبة، تنفي الخَبَث** ـ أي الأشرار من أهل النفاق ـ **كما تنفي النارُ خَبَث الحديد**» رواه البخاري، وقد استثنى تعالى من قتال المنافقين فئتين: من لحق منهم بالمعاهدين، ومن كان من المحايدين، لم يقاتل المسلمين.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ لا ينبغي لمؤمنٍ ولا يليق أن يصدُرَ منه قتلُ لمؤمن ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ إلا بطريق الخطأ من غير قصد ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ فعليه عِتقُ رقبةٍ مؤمنة، يعتقها من أسر العبودية لوجه الله ليصبح العبدُ حراً ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ وعليه أيضاً دية يؤدِّيها إلى ورثة المقتول، ككفارةٍ عن الذنب، وهي مائةٌ من الإبل ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ يُسقطوا الدية ويعفوا عن القاتل، وفي التعبير بقوله: ﴿يَصَّدَّقُوا۟﴾ إشارة إلى أنه فضلٌ منهم وإحسان يشبه الصَّدقةَ ﴿عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فإن كان المقتول من قوم أعداء لكم وهو مؤمنٌ ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ فإعتاقُ رقبة مؤمنة، ولا تجب الدية لئلا يستعين بها الأعداء على حربنا ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ﴾ إن كان المقتول من قوم كفرة، بينكم وبينهم عهدُ أمانٍ، فتجب الدية وعتق الرقبة المؤمنة ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ فمن لم يجد الرقبة، فعليه صوم شهرين متتابعين ﴿إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم للجهاد في سبيل الله ﴿فَتَبَيَّنُوا۟﴾ تثبَّتوا ولا تتعجلوا في القتل، فتندموا على ما حدث منكم.

سبب النزول: ١ ـ كان (الحارث بن يزيد) شديدَ العداء للنبي ﷺ وللمؤمنين، ثم أسلمَ وجاء مهاجراً إلى المدينة المنورة، فلقيه أحد الصحابة وهو (عياش) فقتله، وهو لا يعلم إسلامه، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا..﴾ الآية، أسباب النزول للواحدي، ورواه ابن جرير الطبري.

٢ ـ وعن ابن عباس أنه قال: لحق المسلمون رجلاً في غُنَيْمة له ـ أي معه قطيع من الغنم ـ فسلَّم عليهم، فقتلوه وأخذوا غنمه، فنزلت ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا..﴾ الآية، رواه البخاري.

الجزء الخامس — سورة النساء

لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ لا يتساوى عند الله القاعدون عن الجهاد ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ غير أهل الأعذار كالأعمى، والأعرج، والمريض ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ﴾ لا يتساوى القاعدون والخارجون للجهاد عند الله، فالمجاهدون بأعلى المراتب والدرجات ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ وكلاً من الفريقين وعده الله بالجنة، المجاهدون لكونهم جاهدوا، والقاعدون لأن العذر حبَسَهم ﴿ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ ظلموا أنفسهم بالمُقام مع الكفار وترك الهجرة، نزلت في قوم أسلموا ولم يهاجروا، وأخرجهم المشركون يوم بدر، فقُتل منهم جماعة، كما في رواية البخاري ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ عاجزين عن إقامة شعائر الدين فيها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ مقرهم النار وساءت مستقراً لهم وسكناً ﴿مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ يجد متسعاً في الأرض وأماكن يهاجر إليها، يرغم بها أنوف أعدائه ﴿وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ ثبت أجر هجرته على الله تعالى ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ لا يقدرون على الخلاص، ولا يهتدون لطريق الهجرة.

ربع الحزب ١٠

سبب النزول: ١ ـ كان قوم من المسلمين يُخْفون إسلامَهم، أقاموا بمكة ولم يهاجروا، فأخرجهم المشركون معهم يوم بدر لقتال المسلمين، فأصيب بعضُهم وقُتل مع المشركين، فنزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ . .﴾ الآية. ٢ ـ وكان (ضَمْرة بن القيس) من المؤمنين المستضعفين، شيخاً كبير السنّ، مريضاً لا يستطيعُ الركوب، فلمَّا سمع ما أنزل الله في أمر الهجرة، قال لأبنائه: احملوني إلى المدينة، والله لا أبيتُ الليلةَ بمكةَ، فحملوه على سرير، فمات في الطريق، قبل أن يصل إلى المدينة، فقال بعضُ المسلمين: ذَهب أجرهُ، فأنزل الله ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا . .﴾ الآية رواه الطبراني، ورجاله ثقات.

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ هذه صلاة الخوف في الحرب، صلاها ﷺ بأصحابه ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ تصلي جماعة مع رسول الله ﷺ وجماعة أخرى تبقى في وجه العدو تحرسهم ﴿وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ ولتأخذ الطائفة التي قامت معك أسلحتهم وليكونوا حذرين من عدوهم ﴿فَإِذَا سَجَدُوا۟﴾ فإذا صلوا تأتي الطائفة الأخرى التي لم تصلِّ للاقتداء بالنبي ﷺ فتصلِّي معه، وهكذا ينقسم الجيش إلى طائفتين: طائفة تصلي، وطائفة تحرس، مع أخذ الجميع لكامل أسلحتهم ﴿وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ كونوا متيقظين من العدو ﴿فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ﴾ إذا ذهب الخوف وأمنتم، فأتمُّوا الصلاة وأقيموها على وجه الكمال ﴿كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ فرضاً محدوداً بأوقات معلومة، لا يجوز تأخيرها عنه ﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾ لا تضعفوا أمام أعدائكم ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ﴾ إن كنتم تجدون ألم الجراح فهم مثلكم يألمون ﴿خَصِيمًا﴾ لا تجادل وتدافع عن الخائنين.

سبب النزول: نزلت هذه الآيات في قصة من أعظم القصص، للدفاع عن يهودي مظلوم اتُّهم بالسرقة، وكان السارق مسلماً اسمه (طُعمة بن أبيرق) سرق درعاً من جاره ليلاً، وأودعه عند يهودي، وكان الدرع في كيس من دقيق، فيه ثقوب، فصار الدقيق يتناثر من بعض الثقوب، ووُجد الدرع عند اليهودي، وجاء قوم (طُعْمة) يدافعون عن صاحبهم كذباً وزوراً، حتى همَّ النبيُّ ﷺ أن يصدِّقهم ويتَّهم اليهودي، فنزلت إحدى عشرة آية في هذه القصة، لتبرئة اليهودي وإدانة المسلم، وهذه عدالة الإسلام.

وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلۡ
عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمٗا ﴿١٠٧﴾ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ
مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ
عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ
سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا
رَّحِيمٗا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا
ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿١١٢﴾ وَلَوۡلَا
فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن
يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن
شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾

﴿يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡ﴾ يخونونها بالمعاصي، ومخالفة شرع الله نزلت في «طُعمة بن أبيرق» سرق درعاً من جاره «قتادة» ووضعها عند يهودي وجاء قومه يدافعون عنه ويرمون اليهودي بالسرقة، مع علمهم أن السارق هو صاحبهم «طُعْمة» ﴿إِذۡ يُبَيِّتُونَ﴾ يدبّرون بليل اتّهامَ اليهودي البريء، وشهادة الزور دفاعاً عن صاحبهم السارق ﴿جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ﴾ دافعتم عن السارق والخائن في الدنيا ﴿فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾؟ فمن يدافع عنهم في الآخرة؟ ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾ من يتولى الدفاع عنهم ونصرتهم من عذاب الله؟ وهذه الآيات فيها تحريم الدفاع عن الباطل وأهله، وهي تشير إشارة دقيقة إلى حرفة (المحامين) فلا يجوز للمحامي أن يتولى الدفاع عن مبطل، مهما كان الأجر كبيراً، ولا يمسك قضية يعلم أن صاحبها ظالم، فالجريمةُ عظيمة والعقاب شديد!! ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا﴾ يرتكب ذنباً صغيراً أو إثماً كبيراً ﴿فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ احتمل أعظم الذنوب والجرائم. ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ﴾ لولا فضلُه عليك بالنبوة، ورحمتُه لك بالعصمة ﴿لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ﴾ يصرفوك عن طريق الحق، حين طلبوا منك أن تبرّئ صاحبهم من السرقة، وتلصقها باليهودي ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ﴾ وبالُ إضلالهم راجع إليهم ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ أنزل عليك القرآن، وعلّمك السُّنَّة المطهَّرة.. والآيات درس بليغ للانتصار للحق والعدالة، حيث تنزلت من علياء السماء، هذه الآياتُ الكريمة، التي تَفيضُ رحمةً، وعدالةً، وسُمُوًّا!! وانظر صفوة التفاسير ١/ ٢٩٩.

سُورَةُ النِّسَاءِ — الجزء الخامس

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾

﴿مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ النجوى: السرُّ بين اثنين فأكثر، أي لا خير في كثير من الحديث، الذي يتحدث الناس به في السر ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾ إلا ما كان فيه نفع للناس، كالتعاون على الخير، والإصلاح بين المتخاصمين ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ يخالف أمر الرسول ﷺ ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يسلك طريقاً يخالف فيه طريق المؤمنين، والآية تشير إلى الإجماع، الذي هو أحد مصادر التشريع الإسلامي ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ ندخله جهنم يحترق فيها ﴿إِلَّا إِنَاثًا﴾ ما يعبد المشركون إلا أصناماً يزينونها ويعظمونها ويسمونها آلهة «كاللات، والعزى، ومناة» ﴿شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ متمرداً على الله، بلغ غاية العتو والفجور ﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ طرده من رحمته ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ عدداً مقطوعاً هم بعث النار ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ آمرهم بتقطيع آذان الأنعام أي تشقيقها كما فعلوا بالبحائر ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ بالكفر وإحلال ما حرّم الله، ومنه تشبُّه النساء بالرجال في الهيئة، واللباس والتبرج، وغير ذلك ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ﴾ يعدهم الشيطان بالوعود الكاذبة، والأماني الخادعة ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ بالخداع والباطل، بتحسين القبيح وتزيينه في عيونهم، حتى يرى المخدوعُ اللذة في الزنى واللُّواطة، والمدنيّة في التكشف والتعري ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مسكنهم وإقامتهم في نار الجحيم ﴿مَحِيصًا﴾ مفراً ولا مهرباً.. أما نصيب الشيطان من بني آدم، فهو كما رواه مسلم في حديث (بعث النار، أنه من كل ألفٍ /٩٩٩/ تسعمائة وتسعة وتسعون) أجارَنا اللهُ من نار الجحيم.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

﴿قِيلًا﴾؟ قولاً، يعني لا أحد أصدق قولاً من الله ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ ليس دخول الجنة بشهوات وتمنّيات أحد من الناس، لا من المسلمين ﴿وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ولا من اليهود والنصارى، وإنما بالإيمان والعمل الصالح ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ من يفعل الشرَّ والمنكر ينل عقابه ﴿مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ من عمل الصالحات سواء كان ذكراً أو أنثى، بشرط أن يكون مؤمناً يدخله الله الجنة ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أخلص عمله واستسلم لحكم الله ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مطيع لله مجتنب لنواهيه ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً من الدين الباطل إلى الدين الحق دين الإسلام ﴿خَلِيلًا﴾ عبداً صفياً، اصطفاه تعالى لمحبته وخُلّته ﴿يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ في أمرهنَّ وشأنهن ﴿لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ لا تدفعون لهن مهورهنَّ كاملة ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ وترغبون في نكاحهن لمالِهنَّ أو جمالهنَّ ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل والإنصاف، **قال ابن عباس:** كان الرجل في الجاهلية تكون اليتيمةُ تحت كفالته، فإذا كانت جميلة وأحبّها تزوّجها وأكل مالها، وإلَّا منعها من الزواج فإذا ماتت ورثها، فحرَّم الله ذلك. ابنُ كثير.

سبب النزول: رُوي عن قتادة أنه قال: تفاخر المؤمنون وأهلُ الكتاب، فقال أهل الكتاب ـ اليهود والنصارى ـ: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أحقُّ بالله منكم!! وقال المؤمنون: نبينا خاتم النبيِّين، وكتابنا يحكم على سائر الكتب، فأنزل الله ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ..﴾ الآية أسباب النزول للواحدي ص ١٠٤.

وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

﴿خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا﴾ زوجها ﴿نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ تجافياً عنها أو كراهيةً لها ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾ لا إثم عليهما أن يتصالحا ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ الصلح خير من الفراق ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ جُبلت على الشحّ وهو شدة البخل، قالت عائشة: «**الرجل تكون عنده المرأة يريد أن يفارقها، فتقول له: أجعلك من شأني في حلّ**» رواه البخاري، تريد لا تطلّقني وأُسقِطُ حقوقي من القِسْمة ﴿كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ هي التي ليست بذات زوج ولا مطلّقة، أي لا تميلوا عن المرغوب عنها ميلاً كاملاً فتجعلوها كالمعلّقة ﴿أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ العدل الكامل في المحبة، وميل القلب ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ ولو بذلتم كلّ جهدكم، وكلَّ ما في وسعكم وقد كان ﷺ يعدل بين نسائه ويقول: «**اللهمَّ هذا قَسمي فيما أملكُ، فلا تؤاخذني فيما لا أملك**» ﴿وَكِيلًا﴾ شهيداً وقيّماً على شؤون عباده ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ لو شاء لأهلككم وأتى بخيرٍ منكم ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ أجر الدنيا العاجل، فعند الله ما هو أسمى وأعلى ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ سميعاً لأقوال العباد، بصيراً بأعمالهم، وفيه معنى التوبيخ لمن يرائي بعمله، وفي الحديث الشريف «**من كانت الدنيا همَّه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرَّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلّا ما قُدِّر له منها، ومن كانت الآخرةُ همَّه، جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وجاءته الدنيا راغمة**» رواه الترمذي.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٠

﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ قائمين بالعدل في أموركم وشهاداتكم ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ إن كان المشهود عليه غنياً فلا يُراعى لغناه، أو فقيراً فلا تمتنعوا من الشهادة عليه شفقة به ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ اللّهُ أولى بالمشهود له، والمشهود عليه ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ فلا تسيروا مع هوى النفس بترك العدل ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ﴾ وإن تُحرِّفوا في الشهادة، أو تتركوا إقامتها محاباة لأحد ﴿كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وسيجازيكم على أعمالكم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ اثْبُتوا وداوموا على الإيمان ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ الكتب الإلهية السماوية جميعها ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ التعبير بالبشارة للسخرية والتهكم أي بشّرهم بالعذاب الأليم في دركات الجحيم ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ أيطلبون بموالاة الكفار القوة والغلبة؟ ألا يعلمون أن الكفار، لا عزَّة لهم ولا كرامة، فكيف يرجون بموالاتهم العزَّة؟. ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ العزةُ لأولياء الله دون أعدائه؟.

تنبيه: ينبغي أن يُفرِّق المؤمنُ بين العزَّة والكِبْرِ، فالعزة إكرامُ المرءِ نفسَه، فلا يضعها موضعَ الذلَّةِ والمهانة، وأما الكِبْرُ فهو جهلٌ وغرورٌ، وهو أن يرى الإنسان في نفسه الترفُّع عن الناس، وينزل نفسه فوق منزلتها. !

وقال رجل لعليٍّ: إن الناس يرون أن فيك كبراً!؟ قال: ليس ذاك بالكبر، ولكنها عزةُ المؤمن، وتلا الآية ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ..﴾ الآية.

ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴿١٤٧﴾

﴿يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ﴾ ينتظرون بكم الدوائر ﴿فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ غنيمة على الأعداء ﴿أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾ جاهدنا كما جاهدتم فأعطونا من الغنيمة ﴿وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ﴾ ظفر وغلبة على المؤمنين ﴿أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ ألم نقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم؟ ﴿وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾ ثبّطنا عزائم المؤمنين حتى انتصرتم عليهم؟ فهاتوا نصيبنا ﴿سَبِيلًا﴾ لن يمكّن الله الكفرة من إفناء المؤمنين بالاستئصال ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ يفعلون فعل المخادع، بإظهار الإيمان وإبطان الكفر ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ﴿مُّذَبۡذَبِينَ﴾ متردّدين بين الكفر والإيمان ﴿لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ لا ينتسبون إلى المؤمنين، ولا إلى الكافرين ﴿سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾ حجة واضحة لعذابكم ﴿ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ﴾ الطبقة السفلى من قعر جهنم.

بيانٌ وتوضيح: شرَطَ تعالى لتوبة الكافر شرطاً واحداً، هو (ترك الكفر) وأما المنافق فقد شرط لتوبته أربعة شروط هي: (الكفّ عن النفاق، وإصلاح العمل، والاعتصام بالله، والإخلاص لدينه) فتدبر أسرار الكتاب العزيز ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا﴾ يُخلّصهم من عذاب الله، أو يخفّف عنهم العذاب ﴿ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ عن النفاق ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ أعمالهم ونيّاتهم ﴿وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ تمسكوا بكتاب الله وشريعته الحنيفية ﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾ جعلوه صافياً لله، ولم يبتغوا بعملهم إلّا وجه الله ﴿أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ هو الجنة وما فيها من النعيم المقيم، ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ﴾ أيُّ منفعةٍ لله في عذابكم؟ إن شكرتم ربكم وآمنتم به!؟ ﴿شَاكِرًا عَلِيمٗا﴾ شاكراً صنيعَ من أحسن العمل، عالماً بمن يستحقُّ الكرامة.

۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

الجزء ٦ الحزب ١١

﴿ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ﴾ الفحش في الكلام والدعاء على الناس ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ إلا المظلوم فله أن يخبر عن ظالمه ويدعو عليه ﴿سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ سامعاً لدعاء المظلوم، عالماً بالظالم ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ لم يؤمنوا ببعض الرسل، ويكفروا بالبعض، كما فعل اليهود والنصارى ﴿جَهْرَةً﴾ عياناً نراه بأعيننا ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ وهي نارٌ من السماء أهلكتهم ﴿ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ عَبَد اليهودُ الخبثاء العجل ﴿ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ معجزات موسى الواضحة كالعصا، واليد، وفلق البحر ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾ رفعنا فوقهم جبل الطور، لمَّا امتنعوا عن تطبيق أحكام التوراة ﴿لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ لا تعتدوا باصطياد السمك يوم السبت ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا﴾ ادخلوا باب بيت المقدس، خافضين رؤوسكم تعظيماً لأمر الله، فخالفوا ودخلوا يزحفون على مقاعدهم استهزاءً بأمر الله ﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ عهداً وثيقاً بأن يستمسكوا بأوامر الله، وينتهوا عن مناهيه، فخالفوا وعصوا أمر الله، فاستحقوا اللعنة والغضب.

سبب النزول: رُوي أن (كعب بن الأشرف) رأس (أفعى اليهود) وجماعة من أحبارهم، جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد، إن كنتَ نبياً كما تزعم، فأتنا بكتاب من السماء جملة واحدة، كما أتى موسى بالتوراة جملةً واحدة، فأنزل اللهُ ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ..﴾ الآية، رواه ابن جرير الطبري.

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ فبسبب نقضهم الميثاق ﴿لَعَنَّٰهُمْ﴾ طردناهم من رحمتنا وأذللناهم ﴿وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ وسفكهم دماء الأنبياء، ظلماً وعدواناً **قال ابن مسعود:** قتل اليهود في يوم واحد (٤٣) نبياً ثم فتحوا أسواقهم كأنهم لم يفعلوا جُرْماً ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ مغطَّاة بأغشية، لا تَعِي كلامَك يا محمد ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ رميهم مريم بالزنى، وقولهم عن عيسى: إنه ابنُ زنى، وهو جرم عظيم ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ﴾ زعمهم أنهم صلبوا عيسى ﴿رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ قالوه على سبيل التهكم والاستهزاء، لأنهم لا يعتقدون برسالته ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ ما قتلوا عيسى وإنما قتلوا شخصاً ألقى الله شَبَهه عليه ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ رفع الله عيسى إلى السماء فهو حيٌّ، حتى ينزل آخر الزمان ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ ليس أحد من اليهود والنصارى، إلَّا ويؤمن بعيسى أنه عبد لله قبل موته، ولكنْ هيهات أن ينفعه ذلك!! والعجيب في أمر النصارى أنهم يعتقدون بألوهية عيسى، ويؤمنون بأنه صُلب، فكيف يكون إلهاً ويصلب؟ هذا عجيب بل أعجبُ العُجاب!!

إذا صُلبَ الإلٰهُ بفعلِ عبدٍ ... يهوديّ فما هذا الإلٰه؟

ثم كيف يكون إلهاً؟ وهو يأكل ويشرب، ويبول ويتغوَّط؟ أليست هذه أعظم الأكاذيب في حقّ الذات الإلهية! هل يقبلها من له عقلٌ سليم!؟ ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ لكنِ الثابتون في الدين، المتمكِّنون من العلم، يؤمنون بما أُنزل إليك يا محمد ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ منصوبٌ على المدح، المؤدُّون لها على وجه الخشوع والخضوع.

۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧٠﴾

ربع الحزب ١١

﴿أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ الآية ردٌّ على من أنكر رسالة خاتم الأنبياء، وقدَّمه في الذكر لتقدمه في الفضل ﴿وَٱلۡأَسۡبَاطِ﴾ الأحفاد من ذرية يعقوب، وليسوا إخوة يوسف، فإنهم ليسوا أنبياء، لأن ما صدر منهم من الحسد والكذب، والإقدام على قتل أخيهم، يتنافى مع النبوة ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ كلَّمه بلا واسطة مَلَك، وأكَّد الخبر بقوله: ﴿تَكۡلِيمٗا﴾ لرفع احتمال المجاز ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ مبشِّرين من أطاع الله بالجنة، ومنذرين من عصى الله بنار الجحيم ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ﴾ إن لم يشهد لك بالرسالة اليهودُ والنصارى، فالله يشهد لك بذلك وتكفيك شهادةُ الله لك بالرسالة ﴿وَصَدُّواْ﴾ منعوا الناس عن الدخول في دين الإسلام ﴿كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ﴾ جمعوا بين الكفر والظلم، وهو أشدُّ أنواع البغي والطغيان ﴿لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ﴾ لن يعفو الله عنهم مع فجورهم وظلمهم ﴿وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا﴾ ولن يهديهم إلى طريق الجنة، لأنهم ماتوا على الكفر ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ إلَّا الطريق الموصل إلى نار الجحيم، وسمَّاه هدايةً سخرية وتهكماً ﴿بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ جاءكم محمد خاتم النبيِّين بالقرآن العظيم، الهادي إلى الصراط المستقيم ﴿فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ فآمنوا بالرسول وبما جاءكم به من عند الله، يكن ذلك الإيمان خيراً لكم، ينجيكم من عذاب الله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ عليماً بأحوال العباد، حكيماً في ما دبَّره لهم، والآية فيها ترغيب وترهيب، ووعيد وتهديد، فمن أحسن العملَ لاقى خيراً، ومن أساءَ العملَ لقيَ شرًّا . !

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يا معشر النصارى ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ لا تتجاوزوا الحدَّ في المسيح فتجعلوه إلهاً ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ لا تنسبوا إلى الله الزوجة والولد ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ المسيح وُجِدَ بكلمة «كُنْ» من غير أب ولا نطفة ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ ذو روحٍ مبتدأةٍ من الله، وليس كما زعمتم أنه ابنُ الله ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ﴾ ولا تقولوا الآلهة أقانيم ثلاثة: «الآب، والابن، والروح القدس» ﴿ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ﴾ كفُّوا عن التثليث، فإنه أنجى لكم من عذاب الله ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ﴾ لن يأنف ويترفَّع ويستكبر المسيح أن يكون عبداً لله ﴿وَمَن يَسۡتَنكِفۡ﴾ ومن يأنف ويتكبَّر عن عبادة الله ﴿فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا﴾ يجمعهم عنده للحساب والجزاء ﴿جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ هو محمد ﷺ صاحب المعجزات الباهرات ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ القرآن العظيم، النور الوضَّاء، الذي من استمسك به نجا، ومن أعرض عنه هلك ﴿ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ﴾ صدَّقوا بوحدانية الله ﴿وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ﴾ تمسكوا بكتابه المنير ﴿فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ﴾ في جنته دار الخلود والنعيم، التي هي مكان تنزل الرحمة. .

سبب النزول: رُوي أن وفداً من النصارى، قدموا على رسول الله ﷺ في المدينة المنورة، فقالوا: يا محمد: لِمَ تعيب صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى!! قال: وبأيِّ شيء أَعِيبُه؟ قالوا: تقول عنه إنه (عبد لله)، قال: إنه ليس بعار عليه أن يكون عبداً لله!! قالوا: بلى إنه ليس بعبد، إنه ثالث ثلاثة، فأنزل الله ﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ . .﴾ الآية، أسباب النزول للواحدي.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ
لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا
إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ
وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ
يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

ترتيبها ٥ — آياتها ١٢٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ
الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ
يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ
وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ
الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا
عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

﴿يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ الميت الذي لا والد له ولا ولد ﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾ شقيقة أو لأب ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ لها نصف تركة أخيها ﴿وَهُوَ يَرِثُهَا﴾ وأخوها الشقيق يرث جميع التركة، إن لم يكن لها ولد ﴿أَن تَضِلُّوا﴾ يوضح الله لكم الأحكام، خشية أن تضلُّوا عن طريق الهدى والإيمان.

٥ — نصف الحزب ١١

* * *

سورة المائدة

﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ وفُوا بجميع العهود، التي عاهدتم عليها الله تعالى أو عباده ﴿بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ وهي «الإبل والبقر والغنم والماعز» سميت بهيمة لأنه لا نُطق لها ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ وأنتم محرمون ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ لا تنتهكوا حرمات الله ومعالم دينه ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ ما أهدي إلى بيت الله الحرام ﴿وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ القاصدين بيت الله الحرام للحج أو العمرة ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ﴾ لا يحملنكم بُغْضُ قوم على الاعتداء عليهم. ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ هذا مبدأ إنساني كريم، جمع كلَّ الفضائل والمحاسن، وهو أن يكون التعاونُ بين الناس، قائماً على أساس الحقِّ والعدل، بقطع النظر عن القرابة والعقيدة، بحيث يكون الإنسان مع الحقِّ، وبجانب المظلوم، سواءً كان مسلماً أو غير مسلم!!

سبب النزول: روي عن ابن عباس أن المشركين كانوا يحجون البيتَ، ويهدون الهدايا، ويعظِّمون الشعائر، وينحرون الإبل لإطعام الفقراء، فأراد المسلمون أن يُغيروا عليهم، فنزلت هذه الآيات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ..﴾ رواه الطبري.

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ أكلُ الميتة ﴿وَٱلدَّمُ﴾ المسفوحُ السائل ﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾ بجميع أجزائه ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ ذُكر عند ذبحه غيرُ اسم الله، كقولهم: باسم اللّات، أو باسم الرئيس القائد ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾ المضروبة بعصا أو حجر فماتت، ومثلُها التي تُصْعقُ بشحنةٍ كهربائية، أو تضرب في رأسها بساطور أو مسمارٍ حديدي، فكلُّها يحرم أكلُها لأنها موقوذة ﴿تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ وحُرِّم عليكم أن تطلبوا معرفةَ ما قُسم لكم بواسطة ضرب القداح ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ خروج عن طاعة الله ﴿فِى مَخْمَصَةٍ﴾ ألجأته الضرورة لأكل شيء من المحرَّمات، في وقت مجاعة ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ غير متعمد للإثم، ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ذبائح اليهود والنصارى ﴿حِلٌّ لَّكُمْ﴾ حلال لكم ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ الحرائر العفيفات من نساء أهل الكتاب، يحلُّ لكم الزواج بهنَّ ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ أعفَّاء بالزواج غير مجاهرين بالزنى.

تنبيه: في ذبح الحيوان راحة له، وما يفعله غير المسلمين من صعقه بشحنةٍ كهربائية، أو ضربه بمسمار حديدي، أو ساطور على رأسه، ظناً منهم أنه راحة للحيوان، فهذا هو التعذيب له، وهو يدخل في الموقوذة التي حرّمها الله تعالى، وقد وضّح الرسول ﷺ طريق الراحة للحيوان، فقال: «إن الله كتبَ الإحسانَ على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة، ولْيُحِدَّ أحدكم شفْرتَه، ولْيُرِحْ ذبيحته» ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ غير متخذين عشيقات، يزنون بهنّ بطريق الفجور ﴿يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ بجحد شرائع الإسلام، ويرفض أحكام الله ﴿حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ بطل عملُه الصالح الذي كان قد فعله، فذهب أدراجَ الرياح، وخسر آخرته.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٩﴾

﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أردتم القيام إلى الصلاة وأنتم محدثون ﴿وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ﴾ مع المرافق كما بيَّنته السنة النبوية ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ﴾ امسحوا رؤوسكم بأيديكم بمقدار الكفّ، والسُّنَّة مسحُ جميع الرأس ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ واغسلوا أرجلكم مع الكعبين، والآيةُ وردت بالفتح ﴿وَأَرۡجُلَكُمۡ﴾ فهي معطوفة على الأيدي، ولهذا حُدِّدت الغاية ﴿إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾ أمَّا المسحُ فليس له نهاية، وفي الحديث: «ويل للأعقاب من النار» رواه مسلم ﴿مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ﴾ موضع قضاء الحاجة «بيت الخلاء» وهو الحدث الأصغر ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ جامعتموهن وهو الحدث الأكبر ﴿مِّنۡ حَرَجٖ﴾ ضيق في الشرائع والأحكام. ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ أي عدلكم مع الأعداء أقربُ لتقوى الله، وحصولكم على محبته ورضوانه. نزل حكم التيمم، رحمة من الله على عباده، فقد يكون الإنسان مريضاً، أو به جراحة ببدنه، ويضرُّه استعمال الماء، أو يكون مسافراً ولا يجد الماءَ، فيتيمَّم للوضوء والجنابة.

سبب النزول: نزلت آية التيمم في قصة السيدة عائشة، حيث كانت مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وفقدت عقداً وأخذ الناس يبحثون عنه، وحضر وقت الصلاة وليس معهم ماء، فنزلت آية التيمم ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾ ثم وجدوا العقد تحت البعير، فقال أحد الصحابة: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر..) كما هي الرواية في الصحيحين.

الجزء السادس — سورة المائدة

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣﴾

﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ بحفظكم من أعدائكم ﴿فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ﴾ عصمكم من شرّهم، نزلت حين خرج رسولُ الله ﷺ إلى يهود بني النضير يستعينهم في دية قتيل، وجلس إلى جوار دار، وتآمروا أن يُلقوا عليه رحى طاحون فيقتلوه، فأخبره جبريل بذلك فحاصرهم، ثم أجلاهم عن ديارهم ﴿ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗا﴾ كفيلاً يكفل على قومه بالوفاء بالعهد ﴿إِنِّي مَعَكُمۡ﴾ بالنصرة والعون ﴿وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ﴾ قوّيتموهم ونصرتموهم على الأعداء ﴿وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ﴾ بالإنفاق ابتغاء مرضاة الله ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾ يبدّلون كلام الله في التوراة، ويؤولونه على غير الوجه المراد منه ﴿وَنَسُواْ حَظّٗا﴾ تركوا نصيباً وافراً من أحكام الله في التوراة ﴿خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ خيانة وغدر منهم، فالخيانةُ عادتُهم، والغدرُ دينُهم ومذهبُهم، وليس لليهود عهود، فليتنبَّه العرب والمسلمون إلى خطر هذه الأمة الباغية.

ثلاثة أرباع الحزب ١١

سبب النزول: نزلت هذه الآية ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ..﴾ في يهود (بني النضير) الذين كانوا يسكنون في المدينة، أرادوا أن يلقوا على رأس رسول الله، رحى الطاحون ليقتلوه، وأن يغدروا به وبأصحابه، وهو جالس تحت ظل بيت لهم، فنزل عليه جبريل يخبره الخبر، ويأمره وأصحابه بمغادرة المكان، ونجّاه الله من شرّهم، ودفع عن المسلمين ذلك الكيد الخبيث، والقصةُ مشهورةٌ في السيرة النبويّة.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ سمُّوا أنفسهم نصارى ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ أخذنا منهم العهد المؤكد، على التمسك بالشريعة، والإيمان بخاتم الأنبياء ﴿فَنَسُوا حَظًّا﴾ تركوا ما أمروا به في الإنجيل، فلم يؤمنوا بالرسول محمد ﷺ ولا بالقرآن، ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ ألصقنا وأوقعنا بين فِرَقِ النصارى العداوة والبغضاء إلى قيام الساعة، فكلُّ فرقةٍ تُكفِّر الأخرى ﴿جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﷺ ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا﴾ يبيّنُ لكم الكثير مما كنتم تكتمونه في التوراة والإنجيل ﴿وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ يتركه ولا يبيِّنه، ولو أظهر لكم كل شيء لفضحكم ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ﴾ كفر الذين اعتقدوا ألوهية المسيح ﴿أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ﴾ من يستطيع أن يدفع عذاب الله، لو أراد إهلاك المسيح وأمه وأهل الأرض جميعاً؟ فالمسيح عبدٌ وليس بإله، ولو كان إلٰهاً لدفع عن نفسه الموت، والآيةُ حَكَمتْ بكفر النصارى، وفيها غاية التهديد والوعيد، لمن اعتقد ألوهية المسيح.!

تذكير: في قوله تعالى: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يعني ألزمنا وألصقنا بين فرق النصارى، العداوةَ والبغضاء إلى قيام الساعة، ولا يزالون متباغضين متعادين، يكفِّر بعضُهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً، وكل فرقةٍ تمنع الأخرى دخول معبدها.. وهكذا نجد الأمم الغربية ـ وهم أبناء دينٍ واحد ـ يتفنَّنُ بعضُهم في إهلاك بعض، ويكفي أن نعلم أن ما يزيد على خمسين مليوناً حُصدت أرواحهم في الحرب العالمية الأولى والثانية، وكلهم من النصارى.

وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ قال كلٌّ منهما ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ نحن مقرَّبون عند الله ومحبوبون عنده، فلا خوف علينا ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ لو كنتم كما تزعمون أبناءه وأحبَّاءه، فلماذا يعذبكم الله على كفركم بنار جهنم؟ ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ بشرٌ كسائر الناس، وليس لكم ميزةٌ على سائر الخلق ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ على انقطاع من الرسل، فلم يُبعث بين عيسى ومحمد رسولٌ للبشر، وكانت مدة الفترة (٥٧٠) سنة ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ لئلا تحتجُّوا فتقولوا: ما بعث الله إلينا رسولاً، فكيف يعذبنا الله؟ ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ تعيشون كالملوك معزَّزين منعَّمين، عندكم الخدَمُ والحشَم ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ أرضَ بيت المقدس ﴿قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ عظام الأجساد هم «العمالقة» ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ من المؤمنين الصادقين وهما من النقباء ﴿ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ باب «بيت المقدس» ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ﴾ إذا دخلتم باب المدينة غلبتموهم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟﴾ على الله وحده اعتمدوا، إن كنتم حقاً مؤمنين..

تذكير: لِنَقِفْ لحظة يسيرة، أمام جواب اليهود الشنيع، لنبيهم الكريم موسى حين قالوا له ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ ولنقارنه بجواب صحابة رسول الله ﷺ حين دعاهم لقتال المشركين ببدر، حيث قالوا: سِرْ بنا على بركة الله، فوالله لو خضتَ بنا هذا البحر، لخضناه معك، ما تخلَّف عنك منَّا أحدٌ، لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ ولكنْ نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، أين هذا الجواب البديع، من جواب اليهود الشنيع!؟.

قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ ﴿٣١﴾

﴿لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا﴾ قال اليهود الجبناء لنبيهم موسى: لن ندخل البلدة مدى الحياة ﴿مَّا دَامُوا۟ فِيهَا﴾ ما دام العمالقة ساكنين فيها ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ﴾ وهذا منهم سوءُ أدب، وإفراطٌ في العصيان والعناد ﴿لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾ في هذا براءة من مقالة السفهاء، واعتذار إلى الله ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا﴾ افصلْ بيننا وبين العصاة، بحكمك العادل ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ الأرض المقدسة محرَّم عليهم دخولها أربعين سنة ﴿يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يبقون ضائعين في الصحراء، تائهين فيها عقوبةً لهم ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ لا تحزن على هؤلاء السفهاء ﴿أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ﴾ ترجع بإثم قتلي، وإثمك الذي ارتكبته من قبل ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ يعني حسَّنتْ وزيَّنتْ له نفسه ﴿يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يحفر فيها ليدفن غراباً قتله ﴿يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ كيف يستر ويدفن عورة أخيه؟ وكلمة ﴿يَـٰوَيْلَتَىٰٓ﴾ كلمة جزع وتحسُّر، وهذه الآية أصل في دفن الميت، وهو مما أكرم الله به الإنسانَ ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ أي جعل له قبراً يؤويه ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ على عدم اهتدائه إلى دفن أخيه، لا على قتله، ولو كان ندمه على قتله، لكان ذلك توبةً له كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما.

الحزب ١٢

تنبيه: هذه أول جريمةِ قتلٍ تقع على ظهر الأرض، والحكمةُ من ذكر هذه القصة، أن الحسد هو الذي أفرز هذه الجريمة الشنيعة، وهذا الداءُ الوبيلُ (داء الحسد) خُلُق اليهود اللعناء، حسدوا خاتم الأنبياء، فكذبوا رسالته، وحرَّفوا أوصافه، فاستحقوا اللعنة والدمار، وغضَبَ الجبار.

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ من أجل هذه الجريمة الشنيعة ﴿كَتَبْنَا﴾ فرضنا على بني إسرائيل في التوراة ﴿أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا﴾ أقدم على قتل غيره ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ فكأنه سفك دماء البشر، لأنه هتك حرمة الدماء ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ ومن تنزّه عن قتل أحد، فكأنه أحيا جميع الناس، فإن العدوان على الفرد، عدوانٌ على المجتمع ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الواضحات ﴿لَمُسْرِفُونَ﴾ مجاوزون الحدّ بالكفر والقتل وسائر المعاصي ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يحاربون دين الله، ويقاتلون رسوله ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ يفسدون في الأرض بأنواع الجرائم الخطيرة، ﴿أَن يُقَتَّلُوٓا۟﴾ يُقتلوا جزاء بغيهم ﴿يُصَلَّبُوٓا۟﴾ يُصلبوا بعد القتل ليراهم الناسُ ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ تُقطع اليدُ اليمنى والرجلُ اليسرى وبالعكس ﴿أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بالسجن والإبعاد عن وطنهم ﴿خِزْىٌ﴾ ذلٌّ لهم وفضيحة، والآية نزلت في قُطّاع الطرق وتسمى «آية المحاربة».

سبب النزول: روي عن أنسٍ أن رهطاً من الأعراب من قبيلة (عُرَينة) قدموا على رسول الله ﷺ، وأظهروا حبَّ الإسلام، فاجتَوَوْا المدينة - أي استوخموها - فبعثهم رسولُ الله ﷺ إلى إبل الصدقة بالبادية، وأمرهم أن يشربوا من ألبانها وأبوالها، فلمّا صَحُّوا قتلُوا راعيَ النبيِّ واستاقوا الإبل، فأرسل الرسولُ في آثارهم، فجيءَ بهم فقُطِعتْ أيديهم وأرجلُهم، وأُلقوا في الحرَّة حتى ماتوا، وفيهم نزلت ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ..﴾ الآية، رواه البخاري ومسلم.

يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٤٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾

﴿عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ دائم لا ينقطع ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ كلُّ من سرق. رجلاً كان أو امرأة. فاقطعوا يده اليمنى بالشروط المعروفة شرعاً ﴿نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ عقوبةً له تمنعه من العودة للسرقة، وردعاً لغيره ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ لا تتأثر ولا تحزن لصنيع الأشقياء من المنافقين، الذين يتسابقون نحو الكفر بسرعة زائدة، كأنهم في مَيْدان سباقٍ ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ ولا تحزن لصنيع اليهود ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ مبالغون في سماع الأكاذيب والأباطيل ﴿لَمۡ يَأۡتُوكَ﴾ لم يحضروا مجلسك، تكبراً وإفراطاً في العداوة ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ﴾ يحرّفون كلام الله ويتلاعبون في نصوص التوراة بأحكام لم يشرعها الله ﴿إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ إن أمركم محمد بالجَلْد فاقبلوا حكمه ﴿وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْ﴾ وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا.. نزلت في يهودي زنى وهو محصن فقالوا: اذهبوا إلى محمد فإن أمركم بالجلد فخذوا بحكمه، وإن أمركم بالرجم فلا تقبلوا حكمه، والقصّةُ مفصّلة في صحيح مسلم.

ربع الحزب ١٢

قصة لطيفة: قال الأصمعيُّ: كنتُ أقرأ القرآن، وبجانبي أعرابيٌّ يسمع، فقرأتُ في آية السرقة سهواً ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ وختمتها ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ فقال الأعرابي: كلامُ من هذا؟ فقلت: كلامُ الله!! فانتفض وقال: ليس هذا كلام الله!! أعد عليَّ الآية، فأعدْتُها وتنبّهتُ فقلت في ختامها ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ فقال: أصبتَ هذا كلام الله !! عزَّ، فحكَمَ، فَقَطع، ولو غَفر ورحِمَ ما قطع!!

سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ﴾ يسمعون الأراجيف والأكاذيب، ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِ﴾ يأكلون المال الحرام، وأفحشُه الربا والرشوة، وهم اليهود اللعناء ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ﴾ إن تحاكموا إليك يا محمد فاحكم بينهم بما أمرك الله ﴿أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ اهجرهم ولا تبالِ بهم، لأنهم لا يقصدون بتحاكمهم اتباع الحقّ، بل ما يوافق أهواءهم ﴿بِٱلۡقِسۡطِ﴾ بالعدل والحقّ، وإن كانوا ظلمةً فجرة ﴿وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ﴾؟ تعجيب من الله لنبيه ﷺ أي كيف يحكِّمك اليهود ويرضون بحكمك؟ وعندهم التوراة فيها حكمُ الله لا يعملون به؟ ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾ يُعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ فيها بيان واضح، ونور ساطع ﴿ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾ انقادوا لحكم الله ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ لليهود ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ﴾ العلماء منهم والفقهاء ﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ بما عُهد إليهم واستحفظهم عليه ربُّ العزة والجلال أن يصونوا الكتاب من التحريف والتضييع، ولكنهم فرَّطوا في هذا الأمر.

تنبيه: تكفَّل الله بحفظ القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ لأنه خاتمة الكتب السماوية، ولم يتكفلْ بحفظ التوراة والإنجيل، فلذلك دخلهما التحريف والتبديل، والحكمةُ من حفظ الله للقرآن الكريم، أنه آخر الكتب السماوية، ومحمد ﷺ آخرُ الأنبياء والمرسلين، فلو حُرِّفَ القرآنُ فلن ينزلَ كتاب آخر يكشف المحرَّف من كلام الله، ولن يأتي رسول يوضِّح ما دخل عليه من تحريف، فلذلك اقتضت الحكمة الإلهية، بحفظ القرآن من التبديل والتحريف ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾!!

الجزء السادس — سورة المائدة

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ أتبعنا على آثار النبيِّين ببعثة «عيسى» آخر أنبياء بني إسرائيل ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ وأنزلنا عليه الإنجيل فيه النور الواضح، والبيان الساطع ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ وأنزلنا إليك يا محمد القرآن العظيم بالعدل والصدق ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مصدِّقاً للكتب السماوية التي سبقته ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ أميناً وشاهداً عليها، وحاكماً على كل كتاب قبله، ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ لا توافقهم على أهوائهم الفاسدة ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ لكل أمةٍ جعلنا لها شريعة خاصة، ومنهاجاً بيِّناً واضحاً، ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ﴾ احذر هؤلاء الأعداء أن يصرفوك عن شريعة الله ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ أيطلبون شريعةً غير شريعة الله، وحُكماً غير حكم الله؟ ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يصدِّقون بتشريع الله الخالد.

تحذير: إنَّ من السفه والجهل، أن يترك قادةُ المسلمين وزعماؤهم القرآن المبين، الذي فيه الهدى والخير والعدلُ، ويطبِّقوا قوانين غربية من وضع البشر، لم تجلب لهم إلا الشقاء والخسران، وقد صدق من قال:

شَرِيعَةُ اللَّهِ لِلْإِنْسَانِ تِبْيَانُ ... وَكُلُّ حُكْمٍ سِوَى القُرْآنِ خُسْرَانُ

وما نراه من تشتُّتٍ وتفرُّق، بين قادة العرب وزعمائها، وعدم اجتماع آرائهم على الوحدة، وعدم التضامن بينهم، هو نتيجة للإعراض عن تحكيم شريعة الله، وقد نبَّه إلى هذا البلاء والخطر سيد البشر ﷺ حين قال: «**وما احتكَمَ أئمتُهم إلى غير ما أنزل الله، إلَّا جعل الله بأسَهم بينَهم شديداً**».

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾

(نصف الحزب ١٢)

﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ . .﴾ توالونهم وتصافونهم كأنهم إخوانٌ لكم، مع أنهم لكم أعداء ألدَّاء ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ﴾ هم يد واحدة عليكم، يتعاونون ضدكم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ﴾ من يصادقهم يكُنْ مثلهم في الكفر ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ شكٌ ونفاق ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾ يتسابقون إلى مودتهم ومحبتهم ﴿تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾ يقولون نخاف حوادث الدهر، أن تكون لهم الغلبةُ على المسلمين، لذلك نحن نصادقهم ﴿أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ﴾ بالنصر لرسوله على أهل الكتاب ﴿جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ أغلظ الأيمان ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ متواضعين لإخوانهم المؤمنين ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ متكبرين على الكافرين ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ لا يخافون في ذات الله أحداً، وهذه صفة المؤمنين الكُمَّل، ﴿وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ ليس اليهود والنصارى أولياءكم، إنما وليكم وناصركم اللّهُ ورسولُه والمؤمنون، وهؤلاء حزبُ الله الغالبون على أعدائهم، وفي الآية تعريضٌ بأن من وَالَى (اليهودَ والنصارى) فهو من حزب الشيطان، لا من حزب الرحمن، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾.

سبب النزول: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان «رفاعةُ بنُ زيد» و «سُوَيْد بن الحارث» قد أظهرا الإسلام، ثم زاغا ونافقا، وانكشف أمرهما، وكان رجال من المسلمين، لا يزالون يوادُّونهما ويصادقونهما، فأنزل الله عزّ وجل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا . .﴾ الآية، أسباب النزول للواحدي.

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ﴾ أذنتم للصلاة ودعوتم لها ﴿ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ سخروا منكم ومن صلاتكم، فكيف تصادقونهم وهم على هذه الحالة من العداوة والبغضاء؟ ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ هل تعيبون علينا وتنكرون منا؟ ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ إلّا إيماننا بالله وبما جاء به رسُل الله؟ فهل هذا عيبٌ أو مطعن؟ ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾ هل أخبركم بما هو شرٌّ من هذا الذي تعيبوننا عليه؟ ﴿مَثُوبَةً﴾ ثواباً وجزاءً عند الله تعالى ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ من طرده من رحمته، ومسخهم إلى قردة وخنازير ﴿أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ هؤلاء الملعونون شرٌّ منا نحن الذين تسخرون علينا. وذكر المثوبة للتهكم والسخرية ﴿ٱلسُّحْتَ﴾ الحرام ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مقبوضة عن العطاء، وهو اتهامٌ شنيع من اليهود للذات الإلهية، بالبخل ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أبعدهم الله وطردهم من رحمته على هذه المقالة الشنيعة. لعنَ اللّهُ اليهود، لم ينج من شرهم أحدٌ، لا نبيٌ ولا وليٌّ، حتى ربُّ العالمين جلّ وعلا اتهموه بالشحّ والبخل، فما أخبثهم من أمة!! وما أفجرهم من شعب!!

فلعنةُ اللّهِ على اليهودِ ... لأنهم من إخوةِ القرودِ

سبب النزول: عن ابن عباس أن نفراً من اليهود، جاءوا إلى النبي ﷺ، فسألوه عن الرسل الذين يؤمن بهم؟ فتلا عليهم الآية ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ . .﴾ الآية فلما ذكر (عيسى) جحدوا نبوته، وقالوا: ما نعلم أهل دينٍ شراً من دينكم، فأنزل الله ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ . .﴾ الآية، انظر تفسير الطبري.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

﴿ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ لو أن اليهود والنصارى آمنوا بالله حق الإيمان، واتقوا محارم الله ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ محونا عنهم ذنوبهم ﴿أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ طبّقوا الأحكام التي شرعها الله لهم في التوراة والإنجيل ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ﴾ وما جاءهم به خاتم النبيين محمد ﷺ ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ﴾ لوسّع الله عليهم الأرزاق، وأغدق عليهم النعم، بإفاضة بركات السماء والأرض ﴿أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ معتدلة مستقيمة، وهم الذين آمنوا بمحمد خاتم النبيين ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ وكثير منهم أشرار فُجّار، خارجون عن طاعة الله ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ يحفظك وينجيك من شرّ أعدائك ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ لستم على دين صحيح ﴿حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ بأن تعملوا بأحكامها، ومن جملتها الإيمان بمحمد ﷺ ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ فلا تحزنْ على هؤلاء الكفرة الفجرة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ هم المسلمون أتباع خاتم المرسلين ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ اليهود أتباع موسى ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ طائفة من النصارى يحلقون أوساط رؤوسهم ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ أتباع عيسى ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ من كان مؤمناً بالله وبرسوله في زمانه، فهم الناجون، وأما بعد بعثة محمد ﷺ، فلا يقبل الله إلا الإسلام.

سبب النزول: عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يُحرس ليلاً، حتى نزلت هذه الآية ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فأخرج النبي ﷺ رأسه من القُبَّة، وقال: «**يا أيُّها الناسُ انصرفوا فقد عصَمني الله**» رواه الترمذي.

الجزء السادس سورة المائدة

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرۡ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

﴿أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ ظنَّ اليهود ألاَّ يصيبهم عذابٌ وبلاء بقتل الأنبياء ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ تمادوا في الغيِّ والضلال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ﴾ زعم النصارى أن مريم ولدت إلهاً، وأن الله حلَّ في ذات عيسى، وهو كفرٌ صارخ ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾ وقال المسيح: أنا عبدٌ مثلكم، فاعبدوا الله الخالق العظيم، وأولُ كلمة نطق بها المسيح ﴿قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ ولا نجدها في الأناجيل مع أنها معجزة، لأنها تهدم أصلَ الاعتقاد عندهم في ألوهية المسيح ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ قال بعض النصارى: الآلهة ثلاثة (الآب، والابن، والروح القدس) وهي عقيدة التثليث ﴿إِلَّا رَسُولٞ﴾ ليس إلهاً ولا ثالث ثلاثة ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞ﴾ عفيفة طاهرة، وليست زانية كما زعم اليهود ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ إشارة رائعة إلى (**بشرية المسيح**)، كنَّى بها عن الحدث، لأن من يأكل ويشرب يحتاج أن يبول ويتغوَّط، فكيف يكون إلهاً؟ والقرآنُ يتنزَّه عن ذكر الألفاظ القبيحة، فلم يقل تعالى: كانا يبولان ويتغوَّطان، وإنما أتى بالكناية ﴿كَانَا يَأۡكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ للإشارة والتنبيه إلى أن من يأكل ويشرب، يحتاج إلى إخراج الفضلات، والربُّ منزَّه عن ذلك.! وهي صفعة موجعة للنصارى الذين اعتقدوا ألوهية المسيح. ﴿نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ نوضِّح لهم الأدلة والبراهين على بطلان ألوهية عيسى ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ كيف يُصرفون عن الحقِّ إلى الباطل؟ مع أن الأمر أوضح من الشمس في رابعة النهار؟

وقولُ عيسى ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ﴾ دليلٌ ساطع قاطع، على بشرية عيسى وعبوديته لله تعالى.

قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ لا تجاوزوا الحدّ، فتقولوا عن المسيح: إنه إلَهٌ، أو ابن إلَه ﴿غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ غلواً باطلاً ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ﴾ لا تتّبعوا أسلافكم وأئمتكم في الضلال ﴿سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ ضلوا عن الطريق المستقيم ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لعن اللّهُ رؤساء اليهود ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ﴾ لُعنوا في الزبور والإنجيل، ولُعنوا بكل لسان، على عهد داود، وعيسى، ومحمد في القرآن ﴿لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ لا ينهى بعضهم بعضاً عن قبيح فعلوه ﴿يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يصادقون المشركين الوثنيين ضدّ خاتم الأنبياء، ﴿أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً﴾ أشدُّ الناس عداوة للمؤمنين: اليهودُ، والمشركون الوثنيون ﴿أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ «نصارى الحبشة» الذين آمنوا بمحمد، وليست الآية تشمل جميع النصارى، فإن عداوتهم للمسلمين ظاهرة، والحروب الصليبية تشهد بذلك، وما أحداث «البوسنة» و«الهرسك» عنا ببعيد، فقد ذبح النصارى المسلمين ذبح النعاج، وهدموا المساجد، وقتلوا الأطفال، والشيوخ والنساء، وكفاهم ذلك ضلالاً وكفراً!! ﴿قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ علماء ربّانيين، وعُبّاداً صالحين ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ لا يتكبرون عن قبول الحق، والتصديق بالرسول والقرآن. . **قال الزمخشري:** وصف الله شدةَ عداوة اليهود، وصعوبةَ إجابتهم للحقّ، ولين عريكة النصارى، وسهولةَ ميلهم إلى الإسلام، وجعل اليهود قرناء المشركين الوثنيين، في شدة العداوة للمؤمنين، بل نبّه على زيادة عداوتهم بتقديمهم على الوثنيّين.

الجزء ٧ الحزب ١٣

الجزء السابع — سورة المائدة

وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

﴿مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ إذا سمعوا القرآن ﴿تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ ترى أعينهم تمتلئ بالدموع، يبكون بغزارة من خشية الله ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ صدَّقنا بنبيِّك محمد وبالقرآن العظيم ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ مع أمة محمد الذين يشهدون على الخلائق يوم القيامة، نزلت في (النجاشي) ملكِ الحبشة وفي القسس والرهبان، حين تلا القرآن عليهم «جعفر بن أبي طالب» بكَوْا حتى ابتلَّتْ لحاهم بالدموع، ففيهم خاصة نزلت الآيات ﴿فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ﴾ جازاهم على إيمانهم ﴿جَنَّاتٍ﴾ حدائق وبساتين تجري من تحت قصورها أنهارُ الجنة ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ﴾ لا تمنعوا أنفسكم ممَّا أحلَّ الله لكم من اللذائذ، كاللحوم، وبعض المآكل، والنساء.. نزلت فيمن حرَّم على نفسه أن يأكل اللحم، رُوي أن رجلاً قال للنبي ﷺ يا رسولَ الله: «**إني إذا أكلتُ اللحمَ، أخذتني شهوتي، وانتشرتُ للنساء - أي لجماعهنَّ - وقد حرَّمتُ عليَّ اللحمَ، فأنزل الله** ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ...﴾» الآية رواه الترمذي، وهي عامة في كل من حرَّم ما أباحه الله تعالى من المآكل والمشارب ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ لا تتجاوزوا حدود ما أحلَّ اللهُ لكم، إلى ارتكابِ الحرام المحظُور ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ كلوا مما أحلَّ الله من أنواعِ الطيباتِ واللذائذ، بشرط أن يكون من كسب حلالٍ، ووجهٍ مشروع.

سبب النزول: روي أن رسول الله ﷺ جلس يوماً، فذكَّر الناس ووعظهم، وذكر القيامة وخوَّفهم منها، فاجتمع عشرة منهم واتفقوا على أن يصوموا النهار، ويقوموا الليل، ولا يأكلوا اللحم، فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك، وفيهم نزلت هذه الآية، وأصلُها في الصحيحين.

الجزء السابع — سورة المائدة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوا وَّآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوا وَّآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوا وَّأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾ كلُّ مسكرٍ خامَرَ العقل، وهو يشمل المسكرات، والمخدِّرات ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾ القمارُ ﴿وَالْأَنصَابُ﴾ الأصنام التي عبدها المشركون ﴿وَالْأَزْلَامُ﴾ الأقداحُ التي كانوا يستقسمون بها في الجاهلية، يعرفون بها رأي الآلهة: أمرني ربي، نهاني ربي، فيقدمون على العمل بعد معرفة رأي الآلهة ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ خبثٌ وقذر ونجسٌ من تزيين الشيطان ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ اتركوها بالكليَّة، وكونوا بعيدين عنها كل البعد، والتعبيرُ بالاجتناب أقوى أنواع التحريم ﴿جُنَاحٌ﴾ ليس عليهم إثم ولا حرج ﴿فِيمَا طَعِمُوا﴾ فيما شربوا من الخمر قبل التحريم، نزلت لمَّا قال بعضُ المسلمين: كيف بأصحابنا وقد ماتوا وهم يشربون الخمر؟ رواه الترمذي ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ﴾ ليختبرنكم ويمتحننكم ﴿لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ﴾ وأنتم محرمون بحج أو عمرة ﴿وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ سوء عاقبة المخالفة، نزلت الآية في غزوة «الحُدَيبية» ابتلاهم الله بالصيد، وهم محرمون بالعمرة، فكانت الغزلانُ، والأرانبُ، والطيور، تغشاهم في رحالهم، حتى همُّوا بصيدها، فأنزل الله تحريم ذلك.. **سبب النزول:** عن أنسٍ أنه قال: (كنتُ ساقي القوم، يوم حُرِّمت الخمر في بيتِ (أبي طلحةَ) وإذ منادٍ ينادي من طرف الرسول ﷺ: ألاَ إن الخمر قد حُرِّمت!! فأراقها المسلمون في سكك المدينة، فقال لي أبو طلحة يا أنسُ: اذهب فأهرقْها!! فلمَّا نزل تحريمُ الخمر، قال ناسٌ من أصحابِ الرسول ﷺ: كيفَ بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها؟ فنزلت ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا..﴾ الآية أخرجه الترمذي.

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾

الحزب ١٣

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ﴾ سواءٌ كنتم محرمين أو غير محرمين ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ﴾ ويحرم عليكم صيد ما يعيش في البر ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ ما دمتم محرمين ﴿تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون فيه للحساب ﴿قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ قواماً لمصالحهم الدنيوية والدينيَّة ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ الأشهر الحرم الأربعة ﴿وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ ما يُهدى من الأنعام لبيت الله الحرام، وما يُوضع في عنقه قلادة ليعرف أنه مُهْدَى لفقراء الحرم ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ لا يتساوى الحرام والحلال، ولا الرديء والجيد، وهو بيانٌ لجميع المكاسب، والأقوال، والأعمال ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ الناقة تُشقُّ أذنها للطواغيت ﴿وَلَا سَآئِبَةٍ﴾ الناقة تترك وتُسيَّب للأصنام ﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾ الناقة التي ولدت أنثى ثم ولدت أنثى أخرى، فيقال: وصلت أخاها، فيحرِّمون أكلها وذبحها، وتبقى للأوثان ﴿وَلَا حَامٍ﴾ الفحل إذا طرق عدداً من الإناث يقال: حمى ظهره، وكلُّ هذه من عقائد وخرافات أهل الجاهلية المخترعة، التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولذلك حذَّر الله منها، وشنَّع على من فَعَلها.

تنبيه: قوله تعالى ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ هذا مثلٌ ضربه الله للتميز بين الحَسَن والقبيح، والنافع والضار، وهو حكمٌ عام يتناول جميعَ المكاسب، والأعمالِ، والأفعالِ، والرجال، فالمؤمنُ لا يتساوى مع الكافر، كما لا يتساوى البرُّ مع الفاجر، والعبرةُ بالجودة والحُسْن، دون الكثرة والقلة، فدرهمٌ من الحلال، خير من ألفٍ من الحرام، لأن الحرام خبيث مردود، والحلال طيِّبٌ مبرور.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

﴿حَسْبُنَا﴾ يكفينا ما كان عليه آباؤنا من الدين والشريعة ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ أيتبعونهم ولو كان آباؤهم جهلاء؟ وهو تقبيح لهم وتشنيع ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ احفظوا أنفسكم والزموا إصلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ﴾ لا يضركم ضلالُ من ضلَّ إذا كنتم مهتدين!! بشرط النصح للآخرين، فقد قال أبو بكر الصدِّيق: «**إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها!! وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيِّروه، أوشك أن يَعُمَّهم الله بعقاب"**» رواه الترمذي ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إذا سافرتم للجهاد أو التجارة ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ شككتم في شهادة الشهود ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ اطُّلع بعد حلفهما على كذب الشهود ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ الأقربان للميت، (نزلت في قصة رجلين من النصارى هما (عديٌّ)، و (تميم الداري) خرج معهما فتًى من بني سهم للتجارة إلى بلاد الشام، ومرض الفتى فأوصاهما أن يحملا متاعه إلى أهله، وكان معه إناء من فضة، فلما مات أخذا الإناء فباعاه وتقاسما ثمنه، فاستحلفهما رسولُ الله ﷺ فحلفا. .) وانظر كامل القصة في الترمذي.

توضيح وبيان: سأل (مُعاذُ بنُ جَبل) رسول الله ﷺ عن قول الله عزَّ وجل: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ . .﴾ الآية، فقال له يا مُعاذ: «**مُرُوا بالمعروف، وتَنَاهوا عن المنكر، فإذا رأيتم شُحًّا مُطَاعاً، وهوىً متَّبعاً، وإعجابَ كل امرئٍ برأيه، فعليكم أنفسُكم، لا يضرُّكم ضلالةُ غيركم**» رواه الترمذي وابنُ مردويه.

۞ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٠﴾ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾

٥ المائدة — الحزب ١٣

﴿يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ يجمع الرسل والخلائق للحساب والجزاء ﴿مَاذَآ أُجِبۡتُمۡ﴾ ما الذي أجابتكم به أممكم؟ وسؤال الرسل للتوبيخ لأقوامهم ﴿بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾ جبريل عليه السلام ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ﴾ تكلمهم وأنت طفل رضيع ﴿وَكَهۡلٗا﴾ وتكلمهم في سنّ الشيخوخة، وفي الآية إشارة إلى استكمال حياة عيسى عليه السلام بعد نزوله إلى الأرض ﴿تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ﴾ تصوّر الطين بصورة الطير، فتنفخ في تلك الصورة فتصبح طيراً ﴿بِإِذۡنِي﴾ بمشيئتي وأمري ﴿وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ﴾ الأعمى ﴿تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِي﴾ تحيي الميْت فيخرج حياً من قبره بإرادتي ومشيئتي، تكررت ﴿بِإِذۡنِي﴾ أربع مرات، للتنبيه على أن ما جاء به من الخوارق والمعجزات، إنما كان بمشيئة الله وإرادته لا بقدرة عيسى ﴿جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الواضحة ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ هل يُنزل ربُّك علينا المائدة؟ وسؤالهم لم يكن عن شك، إنما عن استفسار ورغبة في نزول المائدة، وأخطأوا في التعبير، ومرادهم هل يجيبنا ربك إذا طلبنا منه المائدة؟ تنبيه: قوله تعالى ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا﴾ في سنّ الطفولة، وفي سنّ الشيخوخة، وتكلُّمُ (عيسى) في الفراش، وهو طفل رضيع، هذه معجزة ظاهرة، حيث لم تجرِ العادةُ بكلام الصبيّ، وهو ابنُ أيام طفلٌ رضيعٌ، وتكلُّمه في سنّ الشيخوخة إشارةٌ لطيفة، تدلُّ على حياته في السماء، وأنه سينزل إلى الأرض في آخر الزمان، ليكلِّم الناسَ بحقيقة أمره ورسالته، وليس كما زعم اليهود أنهم صلبوه، واعتقد بذلك النصارى فعلّقوا الصُّلبان!!

الجزء السابع — سورة المائدة

قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

﴿مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لمَّا طلب الحواريون المائدة، دعا عيسى ربه أن ينزلها عليهم من السماء، كمعجزة له على صدق نبوته، وفي الحديث: «**أُنزِلتْ المائدةُ من السماءِ خبزاً ولحماً، وأُمِرُوا أن لا يخونوا ولا يدَّخروا لِغَدٍ، فخانوا وادَّخروا ورفعوا لغدٍ فَمُسِخوا قردةً وخنازير**» رواه الترمذي ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ يكون يوم نزولها يوم فرحٍ وسرور لنا ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾ حجة ناطقة بصدق نبوتي ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾ رفعتني إلى السماء، وقبضتني إليك ﴿ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ الحفيظ لأعمالهم والشاهد على أفعالهم، وهذه المحادثة لعيسى عليه السلام، تكون يوم القيامة على رؤوس الخلائق، ليعلم النصارى أنهم كانوا على باطل في عبادتهم للمسيح عليه السلام.. قرأ ﷺ هذه الآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ فبكى، وقال: (اللهمَّ أُمَّتي أُمَّتي!! فأرسل الله إليه جبريل، وقال له: اذهب إلى محمد وقل له: «إنَّا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك) رواه مسلم ﴿يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ قال الله هذا يوم (العدالة الإلهية) ينتفع المؤمنون الصادقون فيه بصدقهم، لأنه يوم الجزاء على العمل ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ﴾ لهم بساتين وحدائق، تجري من تحت دورها وقصورها أنهارُ الجنة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ هو الظفرُ بالمطلوب والمحبوب، وهي الجنة دار السرور والحبور ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ له سبحانه جميع ما في الكون، خلقاً، ومُلْكاً، وتصرفاً، لا مالك في ذلك اليوم سواه.

* * *

سُورَةُ الأَنْعَامِ ترتيبها ٦ آياتها ١٦٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

سورة الأنعام

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أبدع خلْقَها وأحكَمَ صنعها ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ خلق النور والظلام، والليل والنهار ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يسوّون بين الخالق المبدع الحكيم، والأصنام التي نحتوها بأيديهم، وعبدوها من دون الرحمن ﴿خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ خلق أباكم آدم من طين ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ حدَّد لكل إنسانٍ زمناً يموت فيه ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ زمنُ البعث والنشور ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ تشكُّون في الله وفي إحيائكم بعد الموت ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ﴾ معجزة باهرة، وآية قرآنية ناطقة ﴿مُعْرِضِينَ﴾ لا يلتفتون إليها ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ أمماً كثيرين أهلكناهم لمّا كذبوا الرسل ﴿مِّدْرَارًا﴾ غزيراً متتابعاً ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ دمَّرناهم بسبب معاصيهم ﴿كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ مكتوباً على ورق ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ مسُّوه بأيديهم، وهو أبلغُ من المعاينة ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ هلاَّ نزل على محمد مَلَك يشهد بنبوَّته؟ ﴿لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ هلكوا بعذاب الاستئصال إذ لم يؤمنوا ﴿لَا يُنظَرُونَ﴾ لا يُمهلون.

سبب النزول: (نزلت هذه الآية ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ في (النضر بن الحارث) و (ابن أبي أميّة) و (نَوْفل) قالوا لرسول الله ﷺ: لن نؤمن لك، حتى تأتينا بكتابٍ من عند الله، ومعه أربعةٌ من الملائكة، يشهدون أنه من عندِ الله، وأنك رسولُ الله) أسباب النزول للواحدي ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ لو أنزله الله كما طلبوا لقالوا: هذا سحر واضح، سحرنا به محمد، من شدة فجورهم وعنادهم ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ لا يُمهلون بل يأتيهم العذاب أسرع ممَّا يتصوَّرون.

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

﴿جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا﴾ لو جعلنا الرسول مَلَكاً ﴿لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ نبعثه في صورة رجل، ليتمكنوا من مشاهدته ﴿مَّا يَلْبِسُونَ﴾ اشتبه الأمرُ عليهم واختلط، فقالوا: هذا إنسانٌ وليس مَلَكاً ﴿فَحَاقَ﴾ نزل بهم وأحاط عاقبةُ سخريتهم وهو العذاب الأليم ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ قضى وأوجب على نفسه الرحمة تفضلاً منه وإحساناً ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ أن يجمع جميع الخلائق ليجازيهم على أعمالهم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شكَّ في مجيئه ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ﴾ له جلّ وعلا كلُّ ما استقرَّ في الكون، فهو ربُّه وخالقُه ومالكُه ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقهما ومبدعهما على غير مثالٍ سابق، بمعنى «المخترع» لهما ﴿يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ هو الرازق لعباده برزقهم ولا يرزقونه ﴿ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ الذي ذلت له الجبابرة، وخضعت له الرقاب ﴿ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ الحكيم في خلقه، الخبير بشؤون عباده.

ثلاثة أرباع الحزب ١٣

تنبيه: طلب المشركون أن يكون الرسول من الملائكة لا من البشر، فقالوا ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ ولو استجاب الله طلبهم، لأرسله لهم في صورة رجل، لعدم استطاعة البشر رؤية المَلَك في صورته الملكية، وحينئذٍ يلتبس الأمر عليهم ويختلط، هل هذا مَلَكٌ أم رجل من البشر؟ وجميعُ الأنبياء إنما رأوا المَلَك في صورة البشر، ولم يره أحد منهم على صورته الملكيَّة، غير النبي ﷺ كما في حديث عائشة (رأى رسولُ الله ﷺ جبريل في صورته مرتين: مرة عند سدرة المنتهى، ومرة في جياد مكة، له ستمائة جناح، قد سدَّ الأفق) رواه الترمذي.

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَـٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾

﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً﴾ شهادة أيّ شيء في الكون أكبر؟ حتى يشهد لي بالنبوة؟ ﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ الله يشهد لي بالرسالة، وكفى بها شهادة!! ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ﴾ وأوحى الله إليَّ هذا القرآن المعجز ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ لأخوّفكم به يا أهل مكة ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ وأنذر كلَّ من بلغه القرآنُ إلى قيام الساعة ﴿ءَالِهَةً أُخْرَىٰ﴾ تقرُّون بوجود آلهة أخرى مع الله!؟ ﴿يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ أحبار وعلماء اليهود والنصارى، يعرفون محمداً ﷺ بأوصافه في كتبهم، كما يعرف الواحد منهم ولده، ولكنهم ينكرون ويكابرون ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾ جوابهم حين سُئلوا ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ أقسموا أنهم لم يكونوا مشركين ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ غاب عنهم ﴿أَكِنَّةً﴾ أغطية كثيرة ﴿وَقْرًا﴾ صَمَماً ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ يبتعدون عن سماع القرآن، وينهون غيرهم عن سماعه، ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ ما يهلكون بهذا الصنيع إلا أنفسهم، وما يشعرون بذلك، لشدة غبائهم وحماقتهم، فقد جمعوا بين الضلال والإضلال، وكفى بذلك سفاهةً وحماقة!! ﴿وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ عُرضت عليهم نار جهنم فرأوها، وجواب (لو) محذوف لتهويل الأمر، أي لرأيتَ أمراً عظيماً مَهُولاً، تشيب له الرءوس، وتطيشُ له الأحلام ﴿يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ يتمنون الرجوعَ والخلاصَ، ولكنْ هيهات ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حتى لا نرى هذا الموقف الهائل.

سبب النزول: روي أن كفار مكة قالوا لرسولِ الله ﷺ يا محمد: لقد سألنا عنك اليهود والنصارى، فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكرٌ، فأتنا بمن يشهد أنك رسول الله؟ فنزلت ﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ..﴾ الآية، أسباب النزول للواحدي.

بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

﴿بَلْ بَدَا لَهُم﴾ ظهر لهم ما كانوا يخفونه في الدنيا من القبائح ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا﴾ لو ردُّوا إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر والضلال ﴿حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ ما هي إلا هذه الحياة الدنيا، ولا بعث ولا نشور ﴿وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ حبسوا أمام ربِّ العزة والجلال، كما يقف الجاني أمام سيده للحساب ﴿كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ خسر المكذِّبون بالبعث ﴿بَغْتَةً﴾ جاءتهم القيامة فجأة ﴿يَا حَسْرَتَنَا﴾ قالوا: يا خيبتنا وشقاءنا على ما ضيَّعنا في الدنيا من صالح الأعمال ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ يحملون جرائمهم وذنوبهم ﴿لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ يؤلمك يا محمد تكذيبهم لك وقولهم عنك: إنك شاعر، ساحر، مجنون ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ فإنهم من قرارة نفوسهم يعلمون صدقك ولكنهم جاحدون معاندون، وهو إشارة إلى قول أبي جهل: «**ما نكذِّبك يا محمد وإنك عندنا لمصدَّق، وإنما نكذِّب ما جئتنا به**» رواه الترمذي ﴿كَبُرَ عَلَيْكَ﴾ شقَّ وعظم ﴿نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾ سِرْداباً في جوف الأرض تسكن فيه، والغرضُ من الآية: أن يقطع الرسولُ طمعَه من إيمانهم، ولا يتحسَّر على ضلالهم وطغيانهم.

سبب النزول: روي أن (الأخنسَ) التقى بأبي جهل في أحد طرقاتٍ مكة، فقال له: ليس هنا غيري وغيرُك، أخبرني عن محمد، هل صادق أم كاذب!! فقال له أبو جهل: والله إن محمداً لصادق، وما كذب قطُّ؟ ولكنْ تنازعنا نحن وبنو هاشم في الزعامة، فأطعموا فأطعمنا، وسَقَوْا فسقينا، وأجاروا فأجَرْنا، ثم افتخروا علينا فقالوا: بُعث فينا نبيٌّ!! فمن أين نأتيهم بنبيٍّ؟ والله لا نؤمن به ولا نصدِّقه، فنزلت فيه الآية.

۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

الحزب ١٤

﴿ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ إنما يستجيب للإيمان ولدعوتك يا محمد، الذين يسمعون كلام الرحمن سماع تفهُّم واعتبار ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ أمَّا موتى القلوب - وهم الكفار - فلا يستفيدون من دعوتك، شبَّههم تعالى بالموتى، في عدم السماع والانتفاع ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾ يقول كفار مكة: هلاَّ نزل على محمد معجزة تدل على صدقه؟! كالناقة، والعصا، والمائدة ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ اللَّهُ لا يعجزه أن يأتيهم بما اقترحوا ﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا يعلمون أن إنزالها يستجلب لهم البلاء ﴿أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ مخلوقة مثلكم، خلقها اللَّهُ ودبَّر أرزاقها وأحوالها ﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾ ما تركنا في القرآن شيئاً يحتاجه الناس إلاَّ بيَّنه لهم ﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾ المكذبون لآيات الله، كالصمِّ والخرس، يتخبَّطون في ظلمات الجهل والكفر ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ بالفقر والمرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ ليتذلَّلوا ويتيبوا لربهم ﴿مُّبْلِسُونَ﴾ آيسون من رحمة الله، وفي الحديث الشريف **«إذا رأيتَ اللَّهَ تعالى، يعطي العبدَ في الدنيا، وهو مقيم على معاصيه، فإنما هو استدراج»** ثم قرأ الآية، رواه أحمد.

قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ هذا مَثَلٌ ضربه الله للمشركين، في جهلهم وقلة إدراكهم وفهمهم، مثَّل لهم بالأصمِّ والأبكم، أي هم مَثَلُ الأصم الذي لا يسمع، والأبكم الذي لا يتكلم، ثمَّ هو مع هذا في ظلماتٍ لا يبصر، فكيف يهتدي مثلُ هذا لنور الإسلام؟ أو يخرج من أوحال الضلالة!؟

فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ﴾ أهلكهم الله عن آخرهم ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾ أخبروني لو أذهبَ الله عنكم حواسّكم، فأصمّكم وأعماكم ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ من يقدر أن يردَّ عليكم هذه الحواسَّ غير الله تعالى؟ ﴿يَصْدِفُونَ﴾ يُعرضون ﴿بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ فجأةً بدون سابق إنذار، أو علَناً بالليل أو بالنهار ﴿خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ قل لهؤلاء المعاندين: أنا لستُ إلهاً حتى تطلبوا مني أن أوسّع عليكم الأرزاق، أو أقلب لكم جبال مكة ذهباً، إنما أنا عبدٌ للهِ لا أملك شيئاً من خزائن ملكه ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ ولا أدّعي أيضاً أني أعلم الغيب حتى تسألوني عن وقت نزول العذاب ﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾ لا أتبع إلا أوامر الله ووحيه ﴿هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ هل يتساوى الكافر والمؤمن؟ والجاهل والعالم؟ ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ بالصباح والمساء ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ يطلبون رضى الله والقربَ منه، وإذا طردتهم تكون من الظالمين.

سبب النزول: عن عبد الله بن مسعود قال: مرَّ الملأ من قريش على النبيﷺ وعنده (صُهَيْبٌ) و (عمَّارٌ) و (بِلَال) فقالوا يا محمد: أرضيتَ بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين منَّ الله عليهم من بيننا؟ اطردهم عنك، فلعلّك إن طردتهم أن نتّبعك!! فأبى ﷺ ذلك، فقالوا: فإذا جئناك فأبعدهم عنك، وأقعدهم حولك إذا انصرفنا!! فهمَّ رسول الله أن يفعل ذلك طمعاً في إسلامهم، فأنزل الله ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ..﴾ الآية رواه الطبراني وأحمد.

الجزء السابع سورة الأنعام

وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

﴿فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ ابتلينا وامتحنا الغنيَّ بالفقير، والعالم بالجاهل ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ ليقول المترفون والأغنياء: أهؤلاء الفقراء الصعاليك سبقونا إلى الإسلام، واهتدوا إليه دوننا؟!! ﴿بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أليس ربُّ العالمين، هو العالم بمن يشكر فيهديه، ومن يكفر فيخزيه؟ ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ﴾ ألزم نفسه الرحمةَ تفضلاً وإحساناً على عباده ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ ارتكب ذنباً بسفاهة منه ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ تاب بعد فعل الذنب وأصلح العمل ﴿نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ نوضِّح الدلائل والحجج ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ ليتوضّح طريق المجرمين، وينكشف أمرهم ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ على بصيرة من شريعة الله ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ ليس عندي ما أعجّل لكم من أنواع العذاب ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ ما الحكم إلا لله وحده ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ يبيِّن الحقَّ والباطل بحكمه العادل ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ عند الله تعالى أمور الغيب كلها، لا يعلمها إلَّا هو ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ لا تسقط ورقةٌ من شجرة، إلَّا يعلم وقت سقوطها ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾ ولا تغيب حبة في بطون الأرض إلا يعلمها ﴿كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ اللوح المحفوظ.

ربع الحزب ١٤

سبب النزول: قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا..﴾ نزلت هذه الآية في الذين نهى الله نبيَّه ﷺ عن طردهم، فكان رسول الله ﷺ إذا رآهم بدأهم بالسلام، وقال: «**الحمدُ لله الذي جعل في أمتي، من أمرني أن أبدأهم بالسلام**» أسباب النزول للواحدي.

وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٦٤﴾ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞۚ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾

﴿يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ الوفاة الصغرى (النوم)، لأن النائم يشبهُ الميْتَ ﴿وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ يعلم ما كسبتم بجوارحكم من الإثم بالنهار ﴿ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾ يوقظكم في النهار ﴿لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗى﴾ لتستكملوا أجل حياتكم المقدَّر لكم. ﴿وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً﴾ ملائكة تحفظ أعمالكم ﴿وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ لا يقصّرون في شيء ممّا كُلّفوا به ﴿ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾ من ينقذكم من أهوال وشدائد البر والبحر في أسفاركم؟ ﴿تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ﴾ تدعون ربكم علانية وسراً لينقذكم من الكرب، وتنسون آلهتكم المزعومة ﴿عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ من فوقكم بالصواعق، والحاصب، ومن تحت أرجلكم بالخسف، والزلازل، ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾ يجعلكم فِرَقاً مختلفة الأهواء، يقاتل بعضكم بعضاً!! ولمّا نزلت هذه الآية ﴿عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ﴾ قال رسول الله ﷺ: أعوذ بوجهك، ﴿أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ﴾ قال: أعوذ بوجهك ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾ قال رسول الله: «**هذا أهونُ أو هذا أيسر**» رواه البخاري.

روى مسلم في صحيحه عن ثوبانَ أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله زَوَىٰ لي الأرضَ فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإن مُلْكَ أمتي سيبلغ ما زُوِي لي منها، وأعطيتُ الكنزين: الأحمرَ، والأبيض ـ يعني الذهب والفضة ـ وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسَنَة عامة ـ أي بقحط أو جدب ـ فأعطانيها، وسألته ألاَّ يُسلّط عليها عدواً من غيرها فأعطانيها، وسألته ألاَّ يُذيق بعضها بأسَ بعضٍ، فمَنَعنيها) رواه مسلم.

وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ليس على المؤمنين المتقين ﴿مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ شيءٌ من حساب الكفار، على استهزائهم بآيات الله، ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ ولكنْ عليهم أن ينصحوهم ويذكّروهم، لعلهم يجتنبون الخوض في آيات القرآن ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ خدعتهم الدنيا الفانية وأطمعتهم بالباطل، حتى ظنوا أن لا حياة غيرها ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ ذكّر بالقرآن لئلا تُسْلَم نفسٌ إلى الهلاك، وتُرهن بسوء عملها ﴿كُلَّ عَدْلٍ﴾ تفتدي بكل فدية ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ لا يُقبل منها، ولو جاءت بملء الأرض ذهباً ﴿شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء حار بالغ نهاية الحرارة ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا﴾ نرجع إلى الكفر والضلالة ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ اختطفته الشياطين وأضلّته ﴿حَيْرَانَ﴾ متحيراً لا يدري أين يذهب؟ وهذا مثلٌ ضربه الله لمن يعبد آلهة غير الله، ويظن أنه على خير وهدى، حتى يأتيه الموت فيتحقَّق له الخسران. **قال ابن عباس**: «هذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى لمن يدعو إلى عبادة الأوثان، ولمن يدعو إلى عبادة الرحمن» بمثل رجلٍ ضلَّ في الطريق، وابتعد عن إخوانه، وهم ينادونه أقبِلْ فهذا طريق الأمان، فإن استجاب لهم نجا، وإلاَّ ضلَّ وهلك..

تنبيه: لقد بلغ من سفه قريش وطغيانهم، أنهم كانوا يخوضون في مجالسهم بالطعن بالقرآن، والتكذيب بآياته، ويجعلون من القرآن والرسول مجالاً للسخرية والاستهزاء، فأُمِرَ المؤمنون بعدم مجالستهم، وعليهم أن ينصحوهم ويذكّروهم، وإذا لم يرتدعوا، فليس عليهم من جرائم المشركين شيءٌ، وفي هذا نزلت ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ الآية.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـٔٗاۚ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٨١﴾

(الحزب ١٤)

﴿أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ أتعبد أحجاراً تجعلها آلهة؟ وتترك عبادة الخالق الرازق؟ ﴿فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ أنت وقومك في بُعدٍ عن طريق الهدى، وضلالٍ واضح بيِّن ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ المُلْك الواسع الباهر ﴿جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ ستر بظلمته كل الأشياء ﴿أَفَلَ﴾ غاب الكوكبُ ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأٓفِلِينَ﴾ لا أحبُّ عبادة إلهٍ غائبٍ متغيِّر ﴿ٱلْقَمَرَ بَازِغٗا﴾ ساطعاً منتشرَ الضوء طالعاً من الأفق ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ على زعمكم، ﴿ٱلشَّمْسَ بَازِغَةٗ﴾ طالعةً بنورها الوهاج ﴿هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ أكبر من النجم والقمر ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ خاصموه في أمر الله.

تنبيه هام: لم يقل إبراهيم ذلك اعتقاداً بألوهيتها، بل استدراجاً لقومه، لإقامة الحجة عليهم، حيث بيَّن لهم بالدليل المحسوس أن هذه الكواكب، مخلوقات مسخَّرة تظهر ثم تغيب، فكيف تُعبد من دون الله؟ ولهذا سمَّاها تعالى حجة ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فهو في مقام مناظرة لقومه - كما قال الحافظ ابن كثير - لا في مقام نظر، وحاشا الخليل أن يشكَّ في الربِّ الجليل، وهو أبو الأنبياء، وإمام الحنفاء!! لقد ابتكر إبراهيم طريقةً عجيبة، على بطلان عبادة الأوثان، بطريق ادعاء ألوهية (النجم، ثم القمر، ثم الشمس) وهي التي كانت تُعبد مع الأوثان، فلما أوضح أن النجم لا يصلح أن يكون رباً، انتظر ما هو أضوأ منه وأنور، وهو القمر حين يكون بدراً، ولما غاب عن الأنظار، انتظر الشمس إذ كانت أكبر جرماً، وأضوأ نوراً، فلما غابت أعلن براءته من جميع هذه المعبودات، لأن الإله لايتغيّر، وكلُّ ذلك بطريق الاستدراج.

الجزء السابع سورة الأنعام

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ صدَّقوا بوجود الله ووحدانيته ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ لم يخلطوا إيمانهم بشيء من الشرك ﴿لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ من عذاب الله، والمراد بالظلم: الشرك، لما رُوي عن ابن مسعود: لمَّا نزلت هذه الآية شقَّ ذلك على الناس، وقالوا: وأيُّنا لم يظلم نفسه؟ فقال لهم ﷺ: ليس ذاك، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ رواه مسلم ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ هذا نصٌّ قاطع على أن إبراهيم كان في حديثه في (مقام المناظرة) لقومه لا في **(مقام النظر)**، والبحث عن الله، ولذلك ختم الله القصة بقوله ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ فتنبَّهْ لهذا والله يرعاك ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾ اصطفيناهم للنبوة والرسالة ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم﴾ سقط عملهم الصالح وبطل ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾ الكتب السماوية، والحكمة الربانية ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ اقتدِ يا محمد بسيرة هؤلاء الرسل المهديِّين، **قال ابن عباس: «نبيُّكم محمد ﷺ ممن أُمر بالاقتداء بالأنبياء والرسل السابقين»** وهذا دليل واضح على وحدة الرسالات السماوية، فالدينُ واحد، وإن كانت الشرائع مختلفة.. **تنبيه هام:** ممَّا يدلُّ دلالة قاطعة، على أن إبراهيم عليه السلام لم يشكَّ في ذات الله، وإنما كان يريد باستدراجه لهم، إقامة الحجة عليهم، قولُه سبحانه: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ..﴾ كما يدل عليه قول سيد الأنبياء ﷺ: (نحن أحقُّ بالشكِّ من إبراهيم) رواه البخاري، ومعناه: نحن لم نشكَّ فإبراهيم أولى أن لا يشكَّ، وهذه شهادةٌ بالبراءة والنزاهةِ عن الشكِّ، من رسول الله ﷺ لخليل الرحمن.

الجزء السابع — سورة الأنعام

وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

﴿حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ ما عظَّم اليهودُ اللَّهَ حقَّ عظمته، ولا عرفوه حقَّ معرفته ﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ حين قال اللعناءُ: ما تنزَّل شيءٌ من وحي الله، على أحدٍ من الرسل ﴿قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا﴾ تجعلونه في أوراق مكتوبة مفرّقة، تظهرون بعضها ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ وتخفون كثيراً منها، لا سيَّما ما يتعلَّق بأمر محمد ﷺ ونبوّته.. رُوي أن أحدَ أحبار اليهود، جاء إلى رسول الله ﷺ يجادله. وكان حَبْرًا سميناً. فقال له ﷺ: «**أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى: هل تجد فيها أن الله يُبغضُ الحبْرَ السمين؟**» فغضب وقال: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ فنزلت الآية ﴿خَوْضِهِمْ﴾ باطلهم وضلالهم ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ أهل مكة ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ سائر أهل البلاد ﴿غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ أهواله وشدائده ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ بالضرب والتعذيب ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ خلِّصوها من العذاب إن استطعتم ﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ العذاب المخزي المهين ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ ما أعطيناكم من أموال الدنيا ومتاعها ﴿تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ تقطعت علاقات المحبة بينكم، وضاع ما زعمتموه من شفاعة الأصنام والأوثان.

سبب النزول: رُوي أنَّ أحدَ كبارِ أحبارِ اليهود، جاء يخاصمُ النبيَّ ﷺ، في أمر الرسالة، فقال له الرسولُ ﷺ: «**انشدكَ بالله الذي أنزل التوراةَ على موسى، أمَا تجد في التوراة، أن الله يُبغضُ الحَبْرَ السَّمينَ!؟**» فغضبَ وقال: والله ما أنزل الله على بشرٍ من شيء!! فقال له أصحابه: ويحك ولا على موسى؟ فكرّر قوله الفاجر، فأنزل الله ﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ رواه الطبراني.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٤

﴿فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ﴾ يفلق الحبَّ لخروج النبات، ويفلق النواة لخروج الشجرة ﴿الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ يخرج الإنسان الحيَّ من النطفة، والطير من البيضة، والشجرة الباسقة من النواة الميِّتة، **وقال ابن عباس**: يخرج المؤمن من الكافر، والكافرَ من المؤمن ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ شقُّ ضياء الصبح عن ظلمة الليل ﴿حُسْبَانًا﴾ بحساب دقيق منتظم ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ مستقرٌّ في الرحم، ومستودع في الأرض حين يموت الإنسان، ﴿قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ﴾ أخرجنا لكم من شجر النخيل، عناقيد متدلِّية الأغصان ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ﴾ وأخرجنا أشجار الزيتون والرمان، مشتبهاً ورقُه، مختلفاً ثمره ﴿وَيَنْعِهِ﴾ وقت نضجه ﴿وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ﴾ ونسبوا إلى الله ما لا يليق من البنين والبنات، فقال النصارى: عيسى ابنُ الله، وقال المشركون: الملائكةُ بناتُ الله ﴿صَاحِبَةٌ﴾ زوجة، والولدُ لا يكون إلَّا من زوجة، والله سبحانه منزَّه عن الزوجة والولد.

قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ هذه من دلائل القدرة الباهرة، أي يُخرج من النواة الصُّلبة، شجرة باسقةً ذات أغصان وأوراقٍ وثمار، ويُخرج النباتَ الغضَّ الطريَّ من الحبِّ اليابس، كما يُخرج من النطفة الميتة إنساناً سوياً، ويُخرج المؤمن من الكافر، والكافرَ من المؤمن، والعالم من الجاهل، وبالعكس، وهذا الأخير قولُ ابن عباس، وهو محمول على وجه الاستعارة البديعة، على تأويل الحيِّ بالمؤمن، والميت بالكافر!!

الجزء السابع سورة الأنعام

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لا تحيط به تعالى الأبصارُ، ولا تراه في الدنيا ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ وهو يراها ويحيط بها، وهذا لا ينافي رؤية المؤمنين لربهم في الجنة، فإن ذلك مقطوع به لقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وللحديث في الصحيحين «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر». ﴿بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ جاءتكم في القرآن الحججُ والبراهين، التي تفرّقون بها بين الهدى والضلال ﴿نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نبينها ونوضّحها ليعتبروا ﴿وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ﴾ قرأتَ وتعلّمتَ من أهل الكتاب ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا﴾ عدواناً لعدم معرفتهم بعظمة الله وجلاله ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ مجتهدين بالحلف بأغلظها وأوكدها ﴿جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ معجزة مما طلبوا ﴿ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أمرُ مجيء المعجزات إلى الله، وليست لي ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ﴾ نقلّبُ قلوبهم عن الإيمان بسبب كفرهم ﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ نتركهم في ضلالهم، يتخبّطون ويتردّدون حيارى، والعَمَهُ: يكون في القلب، كالعمى في البصر.

سبب النزول: روى ابنُ جرير عن ابن عباس أنه قال: قال المشركون: يا محمد لتنتهِيَنَّ عن سبِّ آلهتنا، أو لنهجونَّ ربك، فنزلت ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ..﴾ الآية، وفيها دليل على أن الطاعة إذا أدّتْ إلى معصيةٍ وجب تركها، فإن ما يؤدّي إلى الشرّ شرٌّ، كمن ينهى إنساناً عن سماع الغناءِ مثلاً، فيسبُّ الإسلامَ ويهزأ من الدين لجهله، ولهذا ينبغي أن تكون الدعوة بطريق الحكمة.

۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ جمعنا لهم كل شيء ﴿قُبُلًا﴾ عياناً ومشاهدة حتى رأوا الملائكة ﴿مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟﴾ بسبب شقائهم وإغراقهم في الضلال ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ يوسوس بعضهم لبعض بالكلام المزخرف، المنمَّق الباطل، ليغرُّوهم ويخدعوهم ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ﴾ ولتميل إلى هذا القول المزخرف قلوب الكفار الفجار ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾ وليكتسبوا ما يكتسبونه من الذنوب والآثام ﴿أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ هل أطلب قاضياً بيني وبينكم غير الله تعالى؟ ﴿ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ موضَّحاً فيه الحقُّ والباطل، والهدى والضلال ﴿ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكِّين في معرفة ذلك ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأحكام ﴿يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ما ينسبونه إلى الله تعالى من الزوجة والولد، وقد دلَّت الآية على أن أكثر الناس، كفرةٌ فجرة، وأن نسبة المؤمنين قلةٌ قليلة، بالنسبة إلى الكفار، كما دلَّ عليه حديث الصحيحين «**يا آدمُ أخرجْ بعثَ النار من ذريتك!! فيقول آدم: وما بعثُ النار؟ فيقول: من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعون**» **قال مالكُ بن دينار**: شيطانُ الإنس أشدُّ عليَّ من شيطان الجن، فإن شيطان الجن يذهب عني بالتعوذ بالله منه، وشيطانُ الإنس لا يزال بي حتى يجرَّني إلى المعصية جرًّا، وقرأ ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ الآية، وقد ارتقى شَياطينُ الإنس في زماننا درجات، فصوَّروا الكذب «دبلوماسية» والتكشف والتعري «تقدمية»، والتحرر من الفضيلة «مدنيَّة» والتمسك بالدين «رجعية» يخدعون الناس بالألفاظ التي أوحى لهم بها زعيمهم إبليس!!

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ۗ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

﴿فَصَّلَ لَكُم﴾ فصّل لكم ربكم، ووضّح ما يحرم عليكم من المآكل ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ إلا وقت الاضطرار فيباح لكم المحرَّم ﴿ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ اتركوا المنكرات والمعاصي، الظاهرَ منها والباطن ﴿وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ الأكلُ ممّا ذُبح لغير الله، خروج عن الطاعة ومعصية لله ﴿لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ يوسوسون إلى الكفار ﴿لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ في شأن أكل الميتة ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ إن أطعتموهم في استحلال الحرام أشركتم بالله، قال المشركون للمؤمنين: عجباً لكم تأكلون ممّا قتلتم - أي ذبحتموه - ولا تأكلون مما قَتَل اللّهُ يعني «الميتة»!! ﴿كَانَ مَيْتًا﴾ بمنزلة الميت، أعمى البصيرة ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ بنور الهداية والقرآن ﴿كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ كمن يتخبّط في ظلمات الكفر والضلالة؟ ﴿صَغَارٌ﴾ ذلٌ عظيم وهوان عند الله تعالى ﴿بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ بسبب استكبارهم، ومكرهم المستمر.

سبب النزول: ١ - رُوي عن ابن عباس أنه قال: قال المشركون للمؤمنين: إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله، فما قتلَهُ الله أحقُّ أن تأكلوه - يريدون الميتة - مما قتلتموه أنتم بأيديكم، فنزلت ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ..﴾ الآية، رواه أبو داود والترمذي. ٢ - وكان سببُ إسلام (حمزة) عمّ النبي ﷺ أن (أبا جهل) اللعين، رأى رسول الله ﷺ يصلّي، فألقى سلا الجزور - كرشه - على ظهر النبي ﷺ وهو ساجد، وبلغ الخبرُ إلى (حمزة) ولم يكن قد أسلم، فجاء مغضباً وضرب رأس أبي جهل بالسوط، وقال: أتهزأ من محمد وأنا على دينه؟ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله!! وفيه نزلت ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ..﴾ الآية.

الجزء الثامن — سورة الأنعام

فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسۡتَقِيمٗاۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾

ربع الحزب ١٥

﴿يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ﴾ يوسّع قلبه لقبول الإسلام، ويقذف فيه النور الإلهي، ﴿وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ ومن يرد شقاوته وإضلاله ﴿يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ يضيق صدره بدين الإسلام، فيرفضه ويأباه ﴿حَرَجٗا﴾ شديد الضيق ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يتكلف صعود السماء فلا يستطيعه، هذا ما قاله المفسرون، وفي عصرنا ظهرت (**معجزة القرآن**) فإن الإنسان إذا علا في الجو، قلّ (الأوكسجين) فتأتيه عوارض الاختناق وتكاد نفسه تزهق، وهو تشبيهٌ رائعٌ بضيق صدر الكافر بالإسلام ﴿ٱلرِّجۡسَ﴾ الخذلان والعذاب النفسي ﴿ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾ أكثرتم من إضلال الإنس ﴿ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ﴾ انتفع الإنسُ بتزيين الجن لهم الشهوات، والجنُّ بطاعة الإنس لهم ﴿ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ﴾ منزلكم ومقامكم نار جهنم، ليس لكم منها مهرب ولا مخرج.

توضيحٌ وبيان: لمَّا نزلت هذه الآية ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ..﴾ سأل بعض الصحابة رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله كيف يشرح الله صدره؟ فقال ﷺ: «**نور يقذفه الله في قلب المؤمن، فينشرح وينفسح!!**» فقالوا: هل لذلك علامة يُعرف بها؟ قال: «**الإنابةُ إلى دار الخلود** ـ أي الإقبال على الآخرة ـ **والتجافي عن دار الغرور** ـ أي الدنيا ـ **والاستعداد للموت قبل نزوله**» رواه البيهقي وابن جرير الطبري.

سورة الأنعام — الجزء الثامن

وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ﴾ مراتب ومنازل من عمله، المؤمن في درجات النعيم، والكافر في دركات الجحيم ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ﴾ عن الخلق وعن عبادتهم ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ واسع الرحمة بالعباد ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ لو شاء لأهلك العصاة ﴿وَيَسْتَخْلِفْ﴾ ويأتي بخلقٍ آخرين، يكونون أعبدَ للَّهِ وأطوع ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ لستم ناجين من عذاب الله بالهرب ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على طريقتكم في محاربة دين الله ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ إني سائرٌ على منهجي في الدعوة إلى الله ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ جعل المشركون نصيباً للَّهِ مما خلق لهم ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾ من الزروع والحيوانات نصيباً ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ هذا نصيب الله، وهذا نصيب الآلهة والأصنام، وكانوا إذا أصابهم قحط أكلوا نصيب الله، وتحاموا عن نصيب الأصنام ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بئس هذا الحكم الجائر ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ ليهلكوهم بالإغواء.

معجزة قرآنية علمية: قولُه تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ . .﴾ الآية، هذه حقيقة علمية، ذكرها القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، يدركها كلُّ من صعد شواهق الجبال . . مثَّل تعالى لضيق صدر الكافر بالإيمان، بمن يعلو في طبقات الجوِّ، حتى تكاد نفسه تُزهق، وروحه تتمزَّق، وتكاد تخرج من جلدها، وتعتريه عوارضُ الاختناق، من قلة (الأوكسجين) وهذه حقيقة لم يكن يعرفها الناسُ من قبل، وإنما عرفها الطيَّارون، وقد كان المفسرون يقولون: (كأنما يصعَّد في السماء) كمن يحاول الصعود إلى السماء ولا يستطيع، وما اكتشفه العلم أن الأوكسجين يقلُّ في الطبقات العليا، حتى يكاد الإنسان يختنق، أقربُ إلى التصوير القرآني البديع.

وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن
نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ
ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ
يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ
خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن
مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ إِنَّهُۥ
حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٣٩﴾ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ
سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ
قَدۡ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ
أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ
مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ
مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ
حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾
وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ
ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿١٤٢﴾

﴿أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ﴾ قال المشركون: هذه حيواناتٌ وزروعٌ حرامٌ ممنوعة على غير آلهتنا الأصنام، ﴿وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا﴾ لا تُركب كالبحائر والسوائب، ﴿وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا﴾ عند الذبح إنما يذكرون عليها اسم الأصنام ﴿ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ﴾ كذباً على الله ﴿خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا﴾ إشارة إلى نوعٍ آخر من قبائح المشركين؛ أي قالوا: ما تحمله هذه البحائر والسوائب حلالٌ للذكور، دون الإناث ﴿مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُۚ﴾ وإن كان ما في بطونها ميتة، اشترك فيها الذكور والإناث ﴿سَيَجۡزِيهِمۡ وَصۡفَهُمۡۚ﴾ سيجازيهم على كذبهم وافترائهم على الله ﴿قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا﴾ دفنوا بناتهم جهالةً وسفاهة ﴿جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ﴾ بساتين من العنب، منها مرفوعات على عرائش ﴿وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ﴾ ومنها متروكات على وجه الأرض ﴿حَمُولَةٗ وَفَرۡشٗاۚ﴾ منها ما يحمل الأثقال كالإبل الكبار، ومنها الصغار التي تفرش أي تُضجع للذبح كالغنم.

الحزب ١٥

تنبيه: قال ابن عباس: إذا سرَّك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ﴾ رواه البخاري.. نزلت هذه الآية: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا..﴾ في قبيلتين من قبائل العرب، هما: قبيلة (ربيعة) وقبيلةُ (مضر) كانوا يئدون بناتهم مخافة العار، أو مخافة الفقر، وهي جريمة فظيعة منكرة، شنَّع عليها القرآن ﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾ وانظر القصة المحزنة في كتابنا (صفوة التفاسير) ١/ ٤٢٣ التي ذكرها الإمام القرطبي في تفسيره.

ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ خلق ربكم من الأنعام ثمانية أنواع تأكلونها ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ من الضأن (الكبش، والنعجة) ومن المعز: (التيس، والعنزة) ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ قل لهم على وجه التوبيخ: هل حرَّم ربكم عليكم الذكور من الضأن والمعز؟ أم حرَّم الإناث منهما؟ ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ أم حرَّم الجنين الذي حملته إناث الجنسين؟ ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ أخبروني عن ذلك بعلم عن الله، لا بظنونٍ وتخرُّصات، والمقصودُ إنكارُ أن الله سبحانه حرَّم عليهم شيئاً من الأنواع الأربعة ﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ لا أجد في الوحي المنزل عليَّ ﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ شيئاً محرَّماً من المطاعم ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ إلا أن يكون المأكول ميتة ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ دماً سائلاً مُهراقاً ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ قذرٌ ونجس ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ ذبح على اسم غير الله، فهذا هو المحرَّم في الشريعة الغراء، وما سوى ذلك فهو من سفه أهل الجاهلية، فالحلالُ ما أحلَّ اللّهُ، والحرامُ ما حرَّم اللّهُ، والآيةُ نصٌ على أن التحريم إنما يُعلم بالوحي، لا بالأهواء والآراء الشخصية ﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ حرَّمنا على اليهود خاصة، كلَّ ما ليس منفرجَ الأصابع، كالإبل، والنَّعام، والإوزّ، والبطّ، عقوبةً لهم على معاصيهم ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ وحرمنا عليهم شحوم البقر والغنم، إلا ما علق بظهورهما من الشحم ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ ما حملته الأمعاء من المباعر والمصارين ﴿جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ عاقبناهم بسبب ظلمهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في جميع ما قصصناه عليك يا خاتم الأنبياء.

فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فإن كذبك اليهود ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، مع شدَّة إجرامكم ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ أي لا يُدفع عذابه ولا نقمته عن المجرمين، فلا تغترُّوا بسعة رحمة الله، فإن عذابه إذا نَزَل لا يُـرفـع ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ يقول مشركو العرب: لو أراد الله ما كفرنا ولا أشركنا، يحتجون (بالقضاء والقدر) لرفع المسؤولية عنهم، وهذه فرية على دين الله، فمن الذي أخبر الكافر أن الله أراد له أن لا يؤمن؟ ومن عرَّف تارك الصلاة أن الله شاء له أن لا يصلِّي؟ ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ هل عندكم حجة أو برهان على صدق قولكم فتظهروه لنا؟ ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ ما هي إلا ظنون وأوهام ﴿وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ تكذبون ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ بإرسال الرسل، وإنزال الكتب ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ من فقر ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ كبائر الذنوب.

ثلاثة أرباع الحزب ١٥

توضيحٌ وبيان: قولُ المشركين: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ كذبٌ على الله، فقد زعموا أن ما هم عليه من الكفر والإشراك، واقعٌ بمشيئةِ الله، فهم إذاً معذورون عند الله، ولو شاء الله ما أشركوا، وغرضُهم أن يتعلّلوا (بالقضاء والقدر) لدفع المسئولية عنهم، وهذه نزعة جبرية شيطانية، يحتجُّ بها السفهاء، عندما تقرعهم الحجَّةُ، كما يقول المجرمُ العاصي، والمرتكبُ لأنواع القبائح والمنكرات: هذا قَدَرُ الله لا مهربَ ولا مفرَّ منه!! وقد ردَّ الله مزاعمهم الباطلة بوجهين: **الأول:** أن هذه مقالةُ السفهاء قبلهم، **والثاني:** أن هذا كذبٌ على الله، خلطوا صدقاً بكذب.

الجزء الثامن سورة الأنعام

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ تكتمل قوّته ويصبح بالغاً راشداً ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل الذي أمر الله به ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها وما تقدر عليه ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ سبيلي وديني الذي لا اعوجاج فيه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الطرق المعوجّة ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ فتحرفكم عن سبيل الهدى. . خطَّ رسولُ الله ﷺ لأصحابه خطاً بيده، ثم قال: «**هذا سبيلُ الله مستقيماً**»، ثم خطَّ خطوطاً عن يمين ذلك الخطّ وشماله، ثم قال: «**وهذه السُّبل ليس منها سبيل** - أي طريق - **إلَّا عليه شيطان يدعو إليه**» ثم قرأ هذه الآية رواه أحمد ﴿طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ لئلا تقولوا: إنما نزلت الكتب المقدَّسة على اليهود والنصارى ﴿دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ كنا عن معرفة ما في كتبهم جاهلين، لا نقرأ ولا نعرف ما فيها ﴿جَاءَكُم بَيِّنَةٌ﴾ جاءكم القرآن العظيم، فيه النور والهدى والبيان، فلم يبق لكم حجة ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ أعرض عنها لشقاوته، ولم يستفد من النور الوضّاء، وفي هذه الآية، دليلٌ واضح على أن الله لا يعذِّب أحداً، حتى تبلغه الدعوة، ويأتيه الرسول ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ. .﴾ هذه الوصايا العشر، مما لا تختلف باختلاف الأمم والأزمان، وهنَّ محرّمات على جميع ذرية آدم، ولهذا أكّدها الله في هذه السورة، وكرّر فيها لفظ الوصية ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾ ليتمسك بها المسلمون، ولا ينسوها في حياتهم الاجتماعية، فهي وصايا (إلهية ربانية) وقد ذُكرت هذه الوصايا في التوراة والإنجيل، ولكنَّ اليهود والنصارى لا يطبِّقونها. !

الجزء الثامن — سورة الأنعام

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظر الكفار الأشقياء إلّا أن تحضرهم الملائكة لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ للفصل بين الخلق يوم القيامة ﴿بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ كطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، وهذه بعض علامات الساعة الكبرى ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ وإذا جاءت بعض هذه العلامات، لا ينفع أحداً إيمانٌ ولا توبة، وفي الحديث: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعتْ ورآها الناسُ آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها**» ثم قرأ الآية رواه البخاري ﴿فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ فرّقوا الدينَ فأصبحوا فيه شيعاً وأحزاباً، وهم اليهود والنصارى ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ فِرَقاً وأحزاباً في الضلالة ﴿قِيَمًا﴾ مستقيماً لا عوج فيه ﴿وَنُسُكِى﴾ عبادتي كلُّها ومنها الذبحُ ﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى﴾ حياتي ووفاتي ﴿خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ يخلف بعضكم بعضاً، جيلاً بعد جيل.

تنبيه هام: التفريقُ الذي نبَّهت عليه الآية، هو الاختلاف في أصول الدين، لا في فروعه، والآية نزلت في (اليهود والنصارى) كما قال ابن عباس، وليست في الأئمة المجتهدين، الذين اختلفوا في فروع الدين، كما فهم ذلك بعضُ الجاهلين، فالاختلافُ في الفروع رحمة، وفي الأصول بلاءٌ ونقمة، فتنبَّه لهذا واللّه يرعاك. ! **ثانياً**: دلَّ قوله تعالى: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ أن الإيمان عند النزع والاحتضار، لا ينفع صاحبَه، ولا يُقبلُ منه هذا الإيمان، لأنه ليس بإيمان اختياري، إنما هو إيمانُ من شاهد العذاب، والله يريد منا الإيمان بالغيب، والله أعلم.

الجزء الثامن — سورة الأعراف

سُورَةُ الأَعْرَافِ

ترتيبها ٧ — آياتها ٢٠٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾

سورة الأعراف

الحزب ١٦

﴿المٓصٓ﴾ الحروف المقطّعة للتنبيه على إعجاز القرآن، وأنه مركّبٌ من أمثال هذه الحروف، ومع ذلك عجز بلغاؤهم وفصحاؤهم عن الإتيان بمثله ﴿حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ ضيق، أي لا يكن صدرُك ضيقاً من تبليغه خشية التكذيب ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ من الأوثان والكهّان ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ﴾ كثير من القرى أهلكناها لمّا كذبوا رسلهم ﴿بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ ليلاً أو وقت القيلولة «الظهر» وهم مستريحون ﴿دَعْوَىٰهُمْ﴾ دعاؤهم وتضرّعهم ﴿أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ فلنسألنّ الأمم ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ولنسألنّ الرسل، وسؤال الأمم توبيخ، وسؤال الرسل تكريم، ولا ينجو أحد من السؤال ﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ رجحتْ حسناته على سيئاته ﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ رجحت سيئاته على حسناته ﴿مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ جعلناها لكم مكاناً وقراراً ﴿مَعَٰيِشَ﴾ ما تعيشون به من المطاعم والمشارب ﴿خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ خلقنا أباكم آدم من طين، ثم صورناه أبدع تصوير، في أجمل صورة، وأبدع خلق ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ سجود تحية وتكريم، إظهاراً لفضله.

تنبيه: المراد بالوزن وزنُ أعمال البشر، ولا غرابة في وزن الأعمال، فقد كشف لنا العلم الحديث، عن ميزانٍ للحرارة في جسم الإنسان، وميزانٍ للضغط، وميزان لحرارة الجو، وميزانٍ لسرعة الرياح، وميزان للزلازل، فهل نستبعد على قدرة الله وزنَ أعمال البشر!؟ ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ سجدت جميعُ الملائكة إلا إبليس اللعين، أبى واستكبر وكان من الكافرين.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾

﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ ما الذي دعاك لترك السجود ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ أنا أشرف من آدم وأفضل منه، فكيف يسجد الفاضل للمفضول؟ ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾ اهبط من السماء ﴿الصَّاغِرِينَ﴾ الذليلين المهانين ﴿أَنظِرْنِي﴾ قال اللعين: يا رب أمهلني إلى يوم القيامة ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ بسبب إضلالك لي ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ﴾ لأقعدن لآدم وذريته على طريق الهداية والإيمان لأصرفهم عنه ﴿مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ اخْرُجْ من عالم القدس مذموماً، مطروداً من رحمتي ﴿فَوَسْوَسَ﴾ ألقى لآدم وحواء بطريق الوسوسة، بصوتٍ يشبه الهمس ﴿مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا﴾ ليظهر لهما ما كان مستوراً من العورات ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أقسم لهما بالله كاذباً خدعهما به ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾ أخذا يقطعان من ورق الجنة، ويلصقانه على أجسامهما، ليسترا به ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ظاهر العداوة، فكيف وثقتما بكلامه!؟ قاسَ اللعينُ قياساً سخيفاً، أن النارَ أفضلُ من الطين، وجهِلَ أن الفضلَ إنما يكون بالطاعة، وامتثال الأمر!! فمن هو الآمرُ أليس اللّهُ ربَّ العالمين؟ ولو كان له عقلٌ لسارع إلى السجود، ولكنه لعناده وحماقته تكبَّر وأبى.

توضيح وبيان: تقدَّم معنا في سورة البقرة، أن إبليس لم يكن من الملائكة، وإنما هو من الجنّ، لقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ ولأن الملائكة لا يعصون أمر الله، وإبليس قد عصى، والملائكة ليس لهم ذرية، وإبليس له ذرية، وإنما كُلِّف بالسجود لآدم، بأمر خاص توجَّه له من رب العزة والجلال ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ..﴾ فتدبَّر الأمر فإنه هام. !

الجزء الثامن — سورة الأعراف

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

﴿مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ﴾ لكم في الأرض سكنى واستقرار، إلى حين انتهاء أعماركم ﴿يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾ أنزلنا عليكم لباسين: لباساً يستر عوراتكم كالسروال والقميص، ولباساً يزيّنكم وتتجمّلون به كالبُرْد والطيلسان ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ لباسُ الإيمان والخشية من الرحمن، أعظمُ وأفضلُ لباس، سمّاه لباساً بطريق الاستعارة البديعة، فإن طهارة الباطن أهمُّ من جمال الظاهر ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ لا يُغوينّكم ويخدعنكم بإضلاله ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا﴾ ينزع عنهما اللباس لتنكشف العورات، وتُنتهك الحُرمات ﴿يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ الشيطانُ يبصركم هو وجنوده ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ من حيث لا تبصرونهم أنتم ﴿فَاحِشَةً﴾ هي الطواف حول الكعبة المشرّفة عُراة، سمّاها (فاحشة) لأنها فعلة متناهية في القبح ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل والاستقامة ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ﴾ توجّهوا بكلّيتكم لعبادة الله.

أخرج مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال: (كان العرب يطوفون حول البيت عُراة، والمرأةُ تطوف بالليل عُريانة، وتقول:

اليومَ يبدو بعضُه أو كلُّه ... فما بدا منه فلا أُحِلُّه

فأمر الرسولُ أن لا يطوفَ بالبيتِ عريان).

تنويرٌ وتبصير: التكشفُ والتعرّي سفهٌ وفجور، وغرضُ إبليس اللعين من وراء تكشف النساء، إشاعةُ الفاحشة بين البشر، وهذا ما يروّج له تلامذةُ إبليس، الذين يتفنّنون في إغراء النساء في التكشف، وخلع جلباب الحياء، والله يكشف لنا عن غرض إبليس بقوله: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا..﴾ أي عوراتهما، وقد تحقق غرض إبليس، في هذه المسلسلات الخلاعية الماجنة، وفي مسابقات مَلكات الجمال، والمجلّات الهابطة.

الجزء الثامن — سورة الأعراف

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٣٤ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ قَالُوٓاْ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ٣٧﴾

الحزب ١٦

﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ﴾ البسوا ثيابكم لستر عوراتكم وتزيَّنوا ﴿عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ عند كل صلاةٍ وطواف ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ﴾ في الأكل والشرب والزينة ﴿مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ من حرَّم المستلذات من المآكل والمشارب والملابس؟ ومن حرّم التَّجمُّلَ بالثياب؟ ﴿خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ هذه الزينة والطيبات مخلوقةٌ للمؤمنين، ويشاركهم فيها الكفارُ، وستكون خالصةً صافية للمؤمنين يوم القيامة ﴿حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ القبائح من المنكرات التي تناهى قُبْحُها ﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾ جميع المعاصي والذنوب ﴿وَٱلۡبَغۡيَ﴾ العدوان على الناس وظلمهم ﴿سُلۡطَٰنٗا﴾ بدون حجة ولا برهان ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞ﴾ لكل أمة كذَّبتْ رسولَها، وقتٌ محدَّد لهلاكها ﴿إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ﴾ إن جاءكم رسلي يرشدونكم لطريق الخير والسعادة ﴿نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يُصيبُهم حظُّهم مما قُدِّر لهم من الأعمار والأرزاق ﴿رُسُلُنَا يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾ جاءتهم ملائكةُ الموت لقبض أرواحهم الشرّيرة ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ﴾ قالوا لهم تهكُّماً وتوبيخاً: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ ادعوهم ليخلّصوكم من العذاب!! ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾ قال الأشقياء المجرمون: لقد غابوا عنَّا فلا ندري أين مكانهم ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ اعترفوا على أنفسهم بالكفر والضلال، في عبادة من لا يستحقُّ العبادة!! يقولون ذلك على سبيل التحسُّر والتفجع، لخسارتهم الفادحة يوم القيامة.

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

﴿ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ﴾ ادخلوا مع أمم أمثالكم من الفجرة في نار الجحيم ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ كلما دخلت طائفة النّارَ، لعنت الطائفة الأخرى التي أضلّتها ﴿ادَّارَكُوا فِيهَا﴾ تلاحقوا واجتمعوا جميعاً في نار جهنم ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ﴾ قال الأتباع للقادة الرؤساء: يا ربنا هؤلاء الذين أضلّونا ﴿فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ ضاعفْ لهم العذاب، لأنهم سبب شقائنا وضلالنا ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ العذاب مضاعفٌ للفريقين: للرؤساء، والأتباع ﴿أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ لا يصعد لهم عملٌ صالح ﴿فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ لا يدخل الكفار الجنة حتى يدخل الجمل في ثقب الإبرة، وهذا تمثيل بديع، لاستحالة دخول الكافر جنة النعيم، كما يستحيل دخول الجمل على ضخامته في ثقب الإبرة ﴿مِهَادٌ﴾ لهم من تحتهم فراشٌ من النار ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أغطية من النار من فوقهم، فالنار تحيط بهم من الأعلى والأسفل ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ طهّرنا قلوب أهل الجنة من الحقد، والعداوة، والبغضاء، لأن الجنة دار الطُّهر والطهارة، لا يدخلها إلّا طاهر مطهّر.

تنبيه: في الحديث الشريف: «إذا خلَصَ المؤمنون من النار، حُبِسُوا بقنْطَرةٍ بين الجنةِ والنَّار، فيُقتصُّ لبعضهم من بعض، مظالمُ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذِّبُوا ونُقُّوا ـ أي طُهِّروا من الذنوب ـ **أُذِنَ لهم بدخول الجنة، فوالذي نفسُ محمدٍ بيدِه، إنَّ أحدَهُم أهدى بمنزلِهِ في الجنة، منه بمنزلِهِ كانَ في الدنيا»** رواه البخاري ﴿هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ هدانا للإيمان، لننال هذا النعيم الخالد ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ صارت لكم ميراثاً دائماً بعملكم الصالح.

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

نصف الحزب ١٦

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ﴾ النداءُ يكون بعد استقرار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار ﴿وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا﴾ وجدنا ما أخبرتنا به الرسل من النعيم والكرامة حقاً، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم من العذاب والهوان حقاً؟ ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ﴾ أعلن معلنٌ ونادى منادٍ على رؤوس الأشهاد، بأن لعنة الله على كل كافر فاجر ﴿يَصُدُّونَ﴾ يمنعون الناسَ عن الدخول في دين الإسلام الحقّ ﴿عِوَجٗا﴾ يريدون أن يكون دينُ الله معوجًا غير مستقيم، ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ﴾ بين أهل الجنة وأهل النار حاجز، وهو السور المذكور في القرآن ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ﴾. ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ﴾ وعلى أعالي هذا السور رجال ﴿بِسِيمَىٰهُمۡۚ﴾ يعرفون أهل الجنة بعلامتهم، وهي (بياض الوجوه)، وأهل النار بعلامتهم وهي (سواد الوجوه) ﴿وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ﴾ لم يدخل أصحاب الأعراف الجنة وهم يطمعون في دخولها ﴿أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا﴾ أغيثونا بشيء من الماء فقد احترقنا ﴿نَنسَىٰهُمۡ﴾ نتركهم في العذاب ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾ كما تركوا الإيمان والعمل لهذا اليوم العصيب.

. تنبيه: المرادُ من الآية أن الله يتركهم في العذاب، كما تركوا العمل للآخرة، ويعاملهم معاملةَ المنسي، ولا يراد بالنسيان هنا حقيقتُهُ، وهو ذهابُ الشيء من الذاكرة ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾ قال ابن عطية: النسيانُ في هذه الآية بمعنى الترك، أي نتركهم في العذاب، كما تركوا النظر للقاء هذا اليوم، شبّه تعالى حالهم، بحال من يغضب عليه الملِكُ، فيلقيه في السجن، ثم يتركه ولا يسأل عنه. !

الجزء الثامن — سورة الأعراف

وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

﴿جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ﴾ جئنا أهلَ مكة بكتاب معجز «القرآن العظيم» ﴿فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ بيَّنا معانيه ووضَّحنا أحكامه، عن معرفةٍ منا ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ ما ينتظرون إلّا عاقبة ما وُعدوا به من العذاب، ﴿ٱلَّذِينَ نَسُوهُ﴾ تركوا العمل بالقرآن وضيَّعوه ﴿رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ جاءتنا الرسل بالأمر الحقِّ فلم نؤمن بهم ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ هل لنا اليوم شفيع يشفع لنا؟ أو عودة إلى الدنيا لنعمل صالحاً؟ ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواءً بالمعنى اللائق به، من غير تشبيهٍ ولا تعطيل ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ يغطِّي الليل على النهار فيذهب بضيائه ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ يطلبه سريعاً حتى يدركه، فكأن الليلَ والنهارَ فارسان يتسابقان ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ مظهرين الضراعة والذلة والخشوع ﴿بُشْرًۢا﴾ تبشر بنزول الغيث والمطر ﴿أَقَلَّتْ﴾ حملت الرياح سحاباً مثقلاً بالماء ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ كما أحيينا الأرضَ بالمطر المدرار، كذلك نخرج الموتى من قبورهم!!

تنبيه: كثيراً ما يضرب القرآنُ المثلَ للبعث بعد الموت، بالأرض الميتة تحيا بالغيث والمطر، لكمال التشابه بينهما، وهو أمرٌ مشاهد محسوس، قال تعالى: ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ وقال سبحانه: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ وهكذا يذكِّرنا الله بما نراه في الدنيا، من خروج النبات والزروع والثمار، بالماء الهاطل من السماء، الذي تحيا به الأرض بعد جدبها ويبسها، لتذكير البشر بالبعث بعد الموت.

وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾

﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ نكداً: قليلاً وبعُسْرٍ ومشقَّة، هذا مَثَلٌ ضربه اللّهُ للمؤمن والكافر، فالمؤمن كالأرض الكريمة التربة، يخرج النباتُ فيها وافراً حسناً، والكافرُ كالأرض الخبيثة التربة، لا يخرج النبات فيها إلّا قليلاً، وبعسرٍ ومشقة ﴿نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ نكرِّرها بأساليب مختلفة ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ السادة والأشراف من قومه ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ لم يقل: لستُ ضالاً، وإنما جاء بأسلوب في غاية الحسن لنفي أيِّ شائبة من شوائب الضلال لحقت به، ولو بمقدار الذرة ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ أتحرَّى ما فيه صلاحكم، قولاً، وفعلاً ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ يخوفكم عذاب الله ﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾ ولتخافوا ربكم بامتثال أوامره ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ أنجيناه والمؤمنين معه في السفينة ﴿قَوْمًا عَمِينَ﴾ عمي القلوب عن معرفة الحق ﴿فِى سَفَاهَةٍ﴾ في خفةِ عقل، وسخافة رأي، والعمى يكون في البصر، و﴿عَمِينَ﴾ جمعُ عَمٍ وهو أعمى القلب والبصيرة، قال في لسان العرب: ورجلٌ عَم: إذا كان أعمى القلب، ورجلٌ عَمِيّ القلب: أي جاهل، وأما الأعمى فهو الذي فَقَد البصرَ ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ فهذا خاص.

ثلاثة أرباع الحزب ١٦

تنبيه: قولُ الله عزَّ وجل: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا . . ﴾.

قال ابن عباس: هذا مَثَلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر، فالمؤمن طيِّب، وعملُه طيِّب، كالأرض الطيِّبة، ثمرها طيب، والكافر خبيثٌ، وعملُه خبيثٌ، كالأرض السَّبخة المالحة، التي لا خير فيها ولا بركة، ولا يُنتفع بشيءٍ منها، إلا بظهور الحشرات والبعوض.

أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّي﴾ أوامر الله ونواهيه ﴿نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ بالغ النصح لكم، أمينٌ في تبليغ دعوة الله ﴿خُلَفَآءَ﴾ استخلفكم في الأرض ﴿مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ من بعد إهلاك قوم نوحٍ ﴿بَصْۜطَةً﴾ زاد في أجسامكم ضخامةً وقوة ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ تذكَّروا نعم الله الجليلة عليكم، واشكروه عليها ﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ هل نهجر عبادة الأصنام والأوثان؟ ﴿رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾ حلَّ بكم عذاب الله وغضبه ﴿ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ نزولَ العذاب، وأنا أنتظر ما يحلُّ بكم من عقاب الله وغضبه ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ﴾ استأصلناهم بالكلّية فلم نبق منهم أحداً، وقطعُ الدابر كنايةٌ لطيفة عن إهلاكهم واستئصالهم جميعاً ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ معجزة واضحة ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ هذه الناقة معجزتي إليكم، خُلقت من صخرٍ أصمٍّ، وإضافتُها إلى الله للتشريف والتكريم، ومعنى «آية» معجزة دالة على صدقي.

توضيح: طَلَب قوم صالح من نبيِّهم معجزة خارقة، واقترحوا عليه أن يشقَّ لهم صخرة عظيمة، ويُخرجَ لهم منها ناقةً حاملاً تلد أمامهم، حتى يصدِّقوه، فدعا اللّٰهَ فخرجت الناقة، فكانت معجزة باهرة كما طلبوا ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ لا تتعرضوا لقتلها ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ينزل بكم عذابٌ شديد موجع، ويُروى أن (قوم صالح) أعطوه العهود والمواثيق أن يؤمنوا به، إن أجابهم لذلك، فدعا الله وظهرت المعجزة، ومع ذلك أقدموا على قتلها فأهلكهم الله، قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾.

الجزء الثامن — سورة الأعراف

وَاذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أسكنكم وأنزلكم في أرض الحِجْر - بين الحجاز والشام - ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ تبنون في سهولها القصور الرفيعة ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ لسكناكم، وإنما نحتوا البيوت في الجبال لطول أعمارهم، لأن الأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم ﴿ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ اذكروا نِعَمَ الله عليكم ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟﴾ ولا تفسدوا في الأرض إفساداً ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ قتلوا الناقة بسهم رموها به ﴿وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ واستكبروا عن طاعة الله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة التي دمَّرتهم ﴿جَٰثِمِينَ﴾ موتى هامدين لا حَرَاك بهم ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ الفعلة الشنيعة المتناهية في القبح، وهي «اللواطة»؟ ﴿مَا سَبَقَكُم﴾ ابتكرتم هذه الفعلة القبيحة فلم يفعلها أحد قبلكم ﴿قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ مجاوزون الحدَّ في البغي والإجرام..

توضيح وتذكير: دلت الآية على أنهم أول مخترع لهذه الجريمة الشنيعة، فلم يفعلها قبلهم أحد من البشر، تعافها طباع البهائم، وقد عادت إلى الظهور في الجاهلية الحديثة، وقد سنَّت بعض البلاد الغربية، قانوناً بإباحة اللواطة، يكون النكاح فيه بطريق رسمي مسجّل، ويا لها من انتكاسة خُلُقية شنيعة!!

قال عَمْرو بنُ دينار: ما نَزَا ذَكَرٌ على ذكر قبل قوم لوط، وهم أول من فعل هذه الجريمة. وقولُه تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾؟ لمَّا كان هذا العملُ الشنيعُ، مركوزاً في العقول فُحْشُه، أتى به معرَّفاً بالألف واللام ﴿ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ بخلاف الزنى فإنه قال فيه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ أتى به منكَّراً، ودلَّ هذا على أن اللواطة، أفحشُ وأقبحُ من الزنى.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾

﴿أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ يتطهَّرون عن إتيان الرجال في الأدبار، يقولون ذلك سخريةً واستهزاء بلوط عليه السلام وقومه، عابوهم بما يُمدح به الإنسان ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الهالكين، الباقين في العذاب، لأنها كانت كافرة ﴿مَّطَرًا﴾ حجارة من سجيل، نزلت عليهم من السماء كالمطر الزاخر، شُبِّه العذاب بالمطر المدرار لكثرته وشدته ﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ معجزة تدل على صدقي ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ﴾ لا تظلموا الناس وتُنقصوهم حقوقهم ﴿بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ بكل طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ تتوعدون من أراد المجيء إلى شعيب، بقتله أو سلب ماله ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ تطلبون أن يكون دين الله أعوج غير صالح ﴿قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ كنتم قلّة أذلّة، فأصبحتم كثرةً أعزة ﴿عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ الهلاك والدمار، وهو تهديد شديد..

تنبيه: جَمع الله لقوم لوط أنواعَ العذاب: ١ ـ الحجارة من السماء، نزلت عليهم كالمطر المدرار، وهي حجارةٌ من سجيل أشدُّ فتكاً من الرصاص. ٢ ـ وقلبَ بهم دورهم وبيوتهم، فجعل عاليها سافلها، كما قال سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ وفي قوله سبحانه: ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ وصفٌ لهم بالبهيمة الصِّرفة، وتنبيه على أن العاقل، ينبغي أن يكون الدافع له إلى المباشرة الجنسية، طلب الولد، وبقاء النسل، لا قضاء الشهوة فحسب، فإنها من عمل الحيوان.!

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

الجزء ٩ الحزب ١٧

﴿ٱلْمَلَأُ﴾ السادة والأشراف من قوم شعيب ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ المستكبرون على الله، وعلى الإيمان برسوله ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ﴾ أنت وأتباعك من الوطن ﴿فِى مِلَّتِنَا﴾ أو لترجعنّ إلى ديننا بعبادة الأصنام ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ أتجبروننا ولو كنا كارهين لذلك؟ ﴿ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ احكم بيننا وبينهم بحكمك العادل ﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة العظيمة ﴿جَٰثِمِينَ﴾ باركين على الركب ميّتين ﴿يَغْنَوْا۟ فِيهَا﴾ كأنهم لم يعيشوا في ديارهم منعّمين، ولم يقيموا فيها ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ كيف أحزن على قوم كافرين ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ عاقبناهم بالبؤس والفقر والمرض ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾ كي يتذلّلوا ويخضعوا ويتوبوا إلى الله من ذنوبهم ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ حتى كثروا ونما عددهم وازداد ﴿بَغْتَةً﴾ أخذناهم بالعذاب فجأةً، من حيث لا يدرون ولا يعلمون، والأخذُ بالعقاب والعذاب فجأةً وبغتةً، أشدُّ ألماً، وأعظم حسرة.

تنبيه: كان قوم شعيب مع نقصهم للمكيال والميزان (قُطّاعَ طريق) يسلبون أموال الناس، ويتوعدونهم ويهدِّدونهم، ويُخيفون المارة، ويمنعون من أراد الإيمان، ولهذا قال تعالى: ﴿تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾.

قال ابن عباس: كانوا يقعدون على الطرقات، المفضية إلى (شعيب) عليه السلام، فيتوعَّدون من أراد المجيء إليه، ويصدُّونه ويقولون له: إنه كذاب فلا تذهب إليه، على نحو ما كانت تفعله قريش مع رسول الله ﷺ.

الجزء التاسع — سورة الأعراف

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

﴿بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بركات السماء: المطرُ، وبركاتُ الأرض: النباتُ والثمارُ، والمرادُ يوسّع عليهم الخير من كل جهة ﴿بَأْسُنَا بَيَٰتًا﴾ هل أمنَ المكذّبون لرسل الله، أن يأتيهم عذابنا ليلاً، وهم نائمون غافلون عنه؟ ﴿بَأْسُنَا ضُحًى﴾ وهل أمنوا أن يأتيهم عذابنا نهاراً جهاراً، وهم يَلْهون ويعبثون؟ ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ هل أمنوا استدراج الله لهم بالنعمة، ليهلكوا؟ سمّى إنعام الله عليهم بأنواع النعم، مع كفرهم بالله (مكراً) لأنه يشبه فعْلَ من يمكر بعدوّه، وهذا هو الاستدراج ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ المفرطون في الخسران ﴿يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ من بعد هلاك أهلها، ويخلفونهم فيها ﴿أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ أهلكناهم بذنوبهم كما أهلكنا من قبلهم ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ نختم على قلوبهم فلا يدخلها نورٌ ولا هداية ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ تبصُّر وتفكُّر، لأنهم كالصُمّ الذين لا يسمعون الكلام ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ هذه أخبار الأمم المهلكة ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ جاءتهم الرسل بالمعجزات الواضحات ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ استمرُّوا على التكذيب، من حين مجيء الرسل، إلى أن ماتوا على الكفر والضلال.

قال المفسرون: كان سبب سكنى بني إسرائيل بمصر، مع أن أباهم (يعقوب) عليه السلام، كان بالأرض المقدّسة، أن الأسباط ـ أولادَ يعقوب ـ جاءوا مصر إلى أخيهم يوسف، فمكثوا وتناسلوا في مصر، فلما ظهر فرعون استعبدهم، واستعملهم في الأعمال الشاقة، فأحبَّ موسى أن يخلّصهم من هذا الأسر، والذلّ والهوان، ويذهب بهم إلى الأرض المقدسة، وطن آبائهم الأولين.

حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾

﴿حَقِيقٌ﴾ جديرٌ بي وحقٌّ عليَّ ﴿بِبَيِّنَةٍ﴾ حجة قاطعة ومعجزة ساطعة من عند الله، وهي العصا واليد ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ﴾ أطلق سراحهم من العبودية لك. ﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ حية عظيمة ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ أخرجها من فتحة صدره، فإذا لها نور ساطع، يضيء ما بين السماء والأرض ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ قال أشراف قومه: هذا عالم بالسحر ماهر فيه ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخِّر النظر في أمرهما، حتى ترى رأيك الرشيد فيهما ﴿ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ وأرسل في أطراف البلاد من يجمع لك السحرة ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ خيَّلوا لها ما يخالف الحقيقة ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ أفزعوهم وأرهبوهم إرهاباً شديداً ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ تبتلع بسرعة العصيَّ والحبال، ومعنى ﴿يَأْفِكُونَ﴾ يكذبون ﴿وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾ رجعوا ذليلين لأنهم غُلبوا ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ﴾ خرُّوا ساجدين لله ربِّ العالمين، لأن الحقَّ بهرهم، فلم يتمالكوا أنفسهم من السجود، والتعبيرُ بلفظ (ألقي) يشير إلى المسارعة دون تردُّد، كأن أحداً دفعهم وألقاهم، وأعلنوا إيمانهم أمام الطاغية الجبَّار ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾.

ربع الحزب ١٧

قال ابن إسحاق: صُفَّ أمام فرعون خمسةَ عشرَ ألف ساحر، مع كل ساحرٍ حبالُه وعصيُّه، وفرعون في مجلسه مع أشراف مملكته، فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصرَ فرعون، وبصَرَ موسى، ثم أبصارَ الناس، ثم ألقى رجلٌ ما في يده من العصيِّ والحبال، فإذا هي حيات كأمثال الجبال، قد ملأت الوادي، ولهذا قال تعالى ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ تفسير الطبري.

قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾

﴿قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡ﴾ قال فرعونُ الجبار للسحرة: آمنتم بموسى قبل أن تستأذنوني؟ ﴿مِّنۡ خِلَٰفٖ﴾ يعني أن يقطعَ من أحدهم يدَه اليمنى ورجلَه اليسرى، ويجعله أشلَّ وأعرج ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ﴾ يعلِّقهم على الخشب حتى الموت ﴿مُنقَلِبُونَ﴾ راجعون إلى الله لا محالة، ونفَّذ ذلك فيهم، **قال ابن عباس**: كانوا في أول النهار سحرة، وفي آخره شهداء بررة ﴿أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا﴾ اصبُبْ علينا الصبر حتى يغمرنا ويفيض علينا، طلبوا من الله أبلغ أنواع الصبر ليثبتوا أمام جبروت فرعون ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ ويتركوا عبادتك، وعبادة آلهتك ﴿وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ﴾ نقتِّل أبناءهم الذكور لئلا يتناسلوا، ونستبقي نساءهم للخدمة ﴿وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾ عالون عليهم بالقهر والغلبة ﴿ءَالَ فِرۡعَوۡنَ﴾ قومه وأتباعه ﴿بِٱلسِّنِينَ﴾ بالقحط والجدب ﴿وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بإذهاب الثمار من كثرة الآفات ﴿لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ كي يتَّعظوا وينزجروا عن كفرهم وضلالهم، ويرجعوا إلى ربهم.

قوله تعالى: في آية (٩٩) من هذه السورة ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ سمَّى تعالى إمهالَه، واستدراجَه لهم بأنواع النعم (مكراً) لأنه يشبهُ صورةَ من يمكر بصاحبه، ليوقعه في المهلكة، ففي الآية استعارةٌ بديعة، **قال الحسن البصري**: المؤمنُ يعمل بطاعة الله، وهو مشفقٌ خائفٌ، وَجِلٌ، والفاجر يعمل بالمعاصي والموبقات وهو مطمئنٌّ آمن. اهـ تفسير ابن كثير.

فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

﴿جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ الخِصبُ والغنى ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ نستحقُّها وهي بسعينا وحظِّنا ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جدب وبلاء ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ﴾ يتشاءموا بموسى والمؤمنين، ويقولون: هذا بشؤمهم ﴿طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ما يصيبهم من خير وشر، من قِبَل الله، وليس بشؤم موسى ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ المطر الشديد، والسيل الجارف الذي جاءهم كالطوفان ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ الذي أكل زرعهم ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ السوس الذي نخر حبوبهم، وقيل: هو القمل المعروف ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ التي ملأت بيوتهم، وعكَّرت حياتهم ﴿وَٱلدَّمَ﴾ صارت مياهُهم دماً كلما استسقوا الماء انقلب إلى دم ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ علامات واضحة تشير إلى غضب الله عليهم ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ استكبروا عن الإيمان لغلوّهم في الإجرام ﴿ٱلرِّجْزُ﴾ العذاب ﴿يَنكُثُونَ﴾ ينقضون عهودهم ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أهلكنا وخرَّبنا ﴿يَعْرِشُونَ﴾ من الجنَّات والمزارع.

قال المفسرون: أرسل الله على فرعون وقومه أنواع البلاء، عقوبةً لهم على جرائمهم، أرسل عليهم ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾ وهو السيلُ الدافقُ، الذي خرَّب بساتينهم ومزارعهم، وقضى على الثمار، ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ الذي حَصَد ما بقي من الزروع والحبوب ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ السوس الذي نخر لهم ما جمعوه من الحبوب ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ حتى ملأت بيوتهم وطعامهم، وكانت تدخل عليهم كالذباب، وإذا جلسوا لطعامهم وثبتْ الضفادعُ نحو أفواههم ﴿وَٱلدَّمَ﴾ صارت مياههم دماً، فما يستقون من بئرٍ ولا نهرٍ، إلَّا وجدوه دماً أحمرَ عبيطاً، ولهذا قال تعالى: ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ يعني دلائل وعلامات واضحات، تشير إلى سخط الله عليهم، تفسير ابن كثير.

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

﴿وَجَٰوَزْنَا﴾ عبرنا بهم البحر الأحمر جهة خليج السويس ﴿يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ﴾ مرُّوا على أقوام يقيمون على عبادة تماثيل من البقر ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ صنماً نعبده كما لهؤلاء أصنام يعبدونها؟ استحسنوا ما رأوا لأنهم من صنف البقر، والجنسُ يألفه الجنسُ، لا يميِّزون بين الهدى والضلال، ﴿قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ تجهلون عظمة الله، وما يجب أن يُنزَّه عنه ﴿مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ هالك ومدمَّر عملهم وعبادتهم ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم أفظع أنواع العذاب ﴿بَلَآءٌ﴾ امتحان ﴿مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ الوقت الذي وعده الله فيه للمناجاة ﴿ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى﴾ كنْ خليفتي فيهم إلى أن أرجع ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ تفتَّت الجبل وتناثر من هيبته تعالى ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ سقط مغشيًّا عليه ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك يا رب أن يراك أحد في الدنيا.

نصف الحزب ١٧

قال المفسرون: لما أغرق الله فرعونَ، ونجَّى موسى ومن معه من المؤمنين، مرُّوا على قوم من العمالقة الكنعانيين، الذين أُمر موسى بقتالهم، وهم يعكفون على أصنام يعبدونها من دون الله، فقالوا لنبيهم: اجعل لنا صنماً نعبده، كما لهؤلاء أصنام!! وهذا القولُ منهم يدلُّ على غاية السَّفه والجهل، وكأنهم استحسنوا عبادة الأصنام، ولهذا ردَّ عليهم بقوله: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أي قوم سفهاء جهلة، لا تعرفون عظمة الله وجلاله! تعجَّب موسى من كلامهم القبيح، فوصفهم بالجهل المطلق، وأكَّده بـ (إنَّ) المفيدة للتأكيد، لأنه لا جهل أعظمُ مما رأى منهم ولا أشنع!!

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ وَرَأَوۡاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ يَرۡحَمۡنَا رَبُّنَا وَيَغۡفِرۡ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

﴿ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾ اخترتك على الناس بالرسالة الإلهية ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ بتكليمي إيَّاك بدون واسطة ﴿فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ﴾ ألواح التوراة ﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ﴾ بجدٍّ واجتهاد ﴿بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ بأحسنِ ما فيها ممَّا أجرُه أكثر ﴿دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ أرضَ مصر التي كانت منازل الفاسقين «فرعون وقومه» ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ﴾ سأمنع المتكبرين وأحول بينهم وبين فهم آياتي التنزيلية ﴿سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ﴾ طريق الهدى والرشاد لا يسلكونه ﴿سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ﴾ وإن يروا طريق الغيِّ والضلال سلكوه ﴿حَبِطَتۡ﴾ بطلتْ أعمالهم الخيريَّة من إحسان، ومعروف، وصلة رحم ﴿خُوَارٌۚ﴾ صوتٌ كصوت البقر، وهذا العجل صاغه لهم السامريُّ المنافق وصوَّره بصورة عجل، ولكنه كان جسداً لا روح فيه، وذكرُ الجسد يدلُّ على ذلك ﴿سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ ندموا على جناياتهم أشدَّ الندم ﴿قَدۡ ضَلُّواْ﴾ شعروا بجناياتهم الكبرى حيث عبدوا العجل، قالوا معترفين بذنبهم، ملتجئين إلى ربهم: لئن لم يتداركنا ربنا برحمته، لنكونَنَّ من الأشقياء الخاسرين.

تنبيه: لقد حكى تعالى ضلالَ بني إسرائيل، الذين عبدوا العجلَ في غيبة نبيِّ الله موسى عليه السلام، الذي صاغه لهم (السامريُّ) والعجلُ ذكرُ البقر، وقد احتال بإدخال الريح فيه، حتى كان يُسمع له صوتٌ كصوت البقر، فكانوا كلما خارَ سجدوا له، وإذا سكت رفعوا رءوسهم، وهذا العمل منهم يدل على غاية السَّفه والجهل، فكيف طاوعتهم نفوسهم عبادةَ العجل، لولا أن رءوسهم خاوية من العقل!؟

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي
مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ
أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ
يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي
رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ
ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ
تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ
﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي
نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخۡتَارَ
مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ
قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ
ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي
مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾

﴿غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا﴾ رجع موسى من المناجاة غضبان على قومه ﴿أَسِفٗا﴾ شديد الحزن ﴿بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي﴾ بئس ما فعلتموه من عبادة العجل وقت غيبتي ﴿وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ﴾ طرح الألواح لِمَا عراه من شدة الغضب ﴿وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ﴾ أخذ بشعر رأس أخيه «هارون» يجرُّه إليه ﴿ٱبۡنَ أُمَّ﴾ يا ابنَ أمي إن القوم استضعفوا قوتي وحاولوا قتلي ﴿فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ﴾ فلا تسرَّهم بما تنال مني من المكروه، حتى يشمتوا بي ﴿ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ﴾ عبدوه ﴿سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ﴾ أما الغضب فهو أن الله تعالى لم يقبل لهم توبة، حتى يقتل بعضهم بعضاً ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ وأمّا الذلة فقد ضُربت عليهم إلى يوم القيامة ﴿سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾ سكن الغضبُ عنه وزال ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ الزلزلةُ الشديدة، وهم الذين طلبوا رؤية الله، فأماتهم الله ثم أحياهم بدعوة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام.

تعبيرٌ بديع: ما أجمل هذا التصوير الفنيَّ البديع في قوله سبحانه: ﴿سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ﴾ فقد شبَّه الغضبَ بإنسانٍ هائج، يُرعد ويزمجر، يريد أن يبطش بخصمه، وصوتُه يرتفع عالياً، طالباً الانتقام، ثم اختفى ذلك الصوت وسكت، ففي الآية الكريمة (استعارة لطيفة) يستشعر جمالَها كلُّ من تذوّق حلاوة الفصاحة والبيان، وإنما جاء هذا الإبداعُ، عن طريق (الاستعارة اللطيفة) ولو قال: زال عنه الغضبُ، لما كانت هذه الروعة في التصوير الفني البديع.

الجزء التاسع سورة الأعراف

۞ وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

ثلاثة أرباع الحزب ١٧

﴿هُدۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ تبنا ورجعنا إليك من جميع ذنوبنا ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ﴾ أعذّب به العصاة المجرمين ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ عمّت الخلق كلّهم، فالرحمة واسعة، لأنها صفة الذات المقدسة، وأمّا العذابُ فبمقتضى معاصي العباد ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ سأجعل هذه الرحمة خاصة في الآخرة بمن اتقى الله، وآمن بخاتم الأنبياء، ثم بيَّن صفاتهم، فقال ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ يتبعون محمداً ﷺ الذي يجدون أوصافه في التوراة والإنجيل، ﴿ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، هذا وصفه في الكتب السماوية ﴿إِصۡرَهُمۡ﴾ التكاليف الشاقة التي كانت على بني إسرائيل، ﴿وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ﴾ أجلّوه وعظّموه ووقّروه، ونصروا دينه ﴿وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ يحكمون، وأوصافُ رسول الله ﷺ مذكورة في التوراة والإنجيل، بمثل ما هو في القرآن، كما ورد ذلك عن عبد الله ابن عمرو بن العاص في حديث البخاري.

لطيفة: في قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ دلالة واضحة قاطعة، على أن رسالة محمد ﷺ عامة لجميع الخلق، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ وفي الحديث الشريف «**أُعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي...**» وذكر منها قوله: «**وكان النبي يُبعثُ إلى قومه خاصة، وبُعثتُ إلى الناس عامة**» رواه البخاري.

وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾

﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ﴾ فرّقنا بني إسرائيل إلى اثنتي عشرة فرقة ﴿ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ قبائل من أولاد يعقوب، لترجع كلُّ قبيلة إلى رئيسها، ويخفَّ أمرهم على موسى ﴿ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ ﴾ طلبوا منه الماء، وهم في الصحراء فضرب الحجر ﴿ فَٱنۢبَجَسَتْ ﴾ فانفجرت منه عيون الماء (١٢) عيناً بعدد القبائل، وهذه معجزة عظيمة لموسى، حيث تدفّقتْ عيونُ الماء كالأنهار، من حَجَرٍ أصمَّ ﴿ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ عرفت كل جماعة منهم عينهم الخاصة بهم ﴿ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ بلدة بيت المقدس ﴿ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾ قولوا عند دخولكم: يا ربَّنا حُطَّ عنا ذنوبنا، فبدَّل الظالمون أمر الله، وقالوا: حنطة بدل ﴿حِطَّةٌ﴾ سخرية واستهزاء ﴿ رِجْزًا ﴾ أرسلنا عليهم عذاباً شديداً من السماء «الطاعون» الذي حصد منهم أربعةً وعشرين ألفاً في ساعة واحدة ﴿ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ يعتدون فيصطادون السمك يوم السبت ﴿ شُرَّعًا ﴾ ظاهرة على وجه الماء ﴿ وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ﴾ وفي غير يوم السبت، لا تظهر لهم الأسماك، والمراد بالقرية هنا: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ (بحيرة طَبريَّة) والسؤالُ سؤالُ تقريع وتوبيخ، لأنهم كانوا يُخفون هذه الحادثة، ويقولون: إن بني إسرائيل لم يكن فيهم عصيان، فنزلت الآية موبِّخةً لهم، ومقرِّرة لما جرى منهم، لتكون معجزةً لرسول الله ﷺ فيما أخفَوْه، وقد انقسم أهلُ هذه القرية ثلاثة أقسام: فرقةٌ اعتدتْ، وفرقةٌ وعظتْ، وفرقة سكتتْ، قال ابن عباس: (ما أدري ما فعل الله بالفرقةِ الساكتة، أنَجوْا أم هلكوا؟ قال عكرمة: فلم أزل به حتى عرّفته أنهم نَجَوْا، لأنهم كرهوا ما فعله أولئك، فكساني حُلَّة)، رواه الطبري، وانظر تفسير الشوكاني.

الجزء التاسع — سورة الأعراف

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

﴿لِمَ تَعِظُونَ﴾ لَمَ تنصحون قوماً؟ ﴿اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ سيهلكهم لأنهم عصوا أمره بالصيد يوم السبت؟ فلا فائدة في النصح والتذكير ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ ننصحهم لنعذر عند الله بقيامنا بواجب النصح. ﴿نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ تركوا ما ذكَّرهم به صلحاؤهم ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ نجَّينا الناهين، وأخذنا العصاة المجرمين بعذاب شديد وجيع ﴿يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم وإجرامهم ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ فلما استعصوا وتكبَّروا عن ترك ما نُهوا عنه ﴿قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ مسخناهم إلى قردة وخنازير ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ أعلمَ إعلاماً بيِّناً يشبه الأذان ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ ليسلطنَّ على اليهود إلى قيام الساعة ﴿مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ من يذيقهم أسوأ أنواع العذاب.

تنبيه: لقد سلَّط الله على اليهود بختنصَّر المجوسي، وسلَّط عليهم ملك الروم فأفنى كثيراً منهم، وسلَّط عليهم (هتلر) النازي فاستباح حماهم، ولا يزال وعد الله سارياً عليهم إلى أن تقع (المعركةُ الفاصلة) بين المسلمين واليهود، وتطهر الأرضُ من رجسهم، تحقيقاً لنبوءة خاتم المرسلين ﷺ، الذي أخبر عن ذلك بقوله: «**لا تقوم الساعةُ حتى يقاتلَ المسلمونَ اليهودَ، فيقتلهم المسلمون..**» الحديث رواه مسلم ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرَّقناهم في البلاد وشرَّدناهم فِرَقاً وطوائفَ، ليس لهم وطن يسكنونه، حتى لا تكون لهم شوكة، وما اجتمعوا في أرض فلسطين اليوم، إلا ليذبحوا على أيدي المؤمنين إن شاء الله تعالى ﴿عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ﴾ يأكلون السُّحتَ والحرام، ويقولون متبجِّحين: سَيَغْفر اللهُ لنا لأننا شعْبُه المختارُ!! وهذا اغترار منهم، وكذبٌ على الله.!

۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

الحزب ١٨

﴿نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ اقتلعنا جبل الطور، ورفعناه فوق رءوسهم ﴿ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ وقلنا لهم: خذوا التوراة واعملوا بما فيها بجدٍّ وعزيمة، وإلّا سحقناكم به، لأنهم أبوا تطبيق أحكام التوراة ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ حَمَلَ بعض المفسرين هذه الآية على التمثيل، يعني أن الله دلَّهم بمخلوقاته على أنه خالقهم، فقامت مقام الإشهاد، **وقال بعضهم:** خلق الله آدم وأخرج ذريته من صلبه، وأخذ عليهم العهد أنه ربهم، حينما كانوا في عالم الذرّ ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ خرج من دين الله ﴿مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ صار في زمرة الضالين، الراسخين في الغواية، وهو «بلعم»، باع دينه بعَرَضٍ من الدنيا حقير، وقد ضرب الله له المثل بالكلب، إن طردته وزجرته لهث، وإن تركته على حاله لهث، وهو تمثيل في منتهى القبح والشناعة. ! **قولُه تعالى:** ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ للمفسرين في هذه الآية قولان: **أحدهما:** أن الله لمَّا خلق آدم، استخرجَ من صلبِه ذريته، وهم أمثالُ النمل، وأخذ عليهم العهدَ بأنه ربُّهم، فأقرُّوا وشهدوا بذلك. **والثاني:** أن هذا من باب (التمثيل) لِمَا وضع الله في الكون، من الأدلة والبراهين، على وجوده ووحدانيته، لحديث **«كلُّ مولودٍ يُولد على الفطرة»** رواه البخاري، **قال ابن كثير:** دلت الأحاديث على أن الله استخرج ذرية آدم من صلبه، وميَّز بين أهل الجنة والنار، وأمَّا الإشهادُ فإنما هو فَطْرُهم على التوحيد، وقد فسَّر الحسنُ البصري الآية بذلك، ولهذا قال: ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ ولم يقل: من آدم، وقال: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل: من ظهره، أي جعل نسلهم جيلاً بعد جيل. اهـ.

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

﴿ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ خلقنا لها خلقاً كثيراً ﴿قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ قلوبهم معمية لا يفهمون الحق ولا يدركونه ﴿أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ دلائل قدرة الله نظر اعتبار ﴿آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ الآيات والمواعظ سماع متدبر ومتعظ ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ هم كالبهائم لا يعرفون لماذا خُلقوا؟ بل هم أسوأ حالاً من البهائم، لأن البهائم تعرف منافعها ومضارها، وهؤلاء لا يميِّزون بين النافع والضارّ ﴿يُلْحِدُونَ﴾ يميلون في أسمائه من الحقّ إلى الباطل، فقد اشتقُّوا اللّات من (الله) والعُزّى من (العزيز) ومناة من (المنّان) ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ نستنزلهم نحو الهلاك، شيئاً فشيئاً، والاستدراج: الأخذ بالتدريج ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ يعني من جنون، والمراد بالصاحب محمد ﷺ ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يتحيّرون ويتردّدون ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ متى مجيئها وإتيانها؟ ﴿حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ شديد الطلب لمعرفتها، وكأنّ أمرها يهمُّك وحدك!!

توضيح: من تفكّر في الأمثال المضروبة في القرآن، يرَ بوضوحٍ وجلاء أن المثلَ الذي ضرَبه الله لعلماء السّوْء، أقبحُ وأبشعُ وأشنعُ، ممّا ضربه لعبدة الأوثان والأصنام، مثّل لعُبّاد الأوثان بالعنكبوت اتخذت بيتاً، وبالذباب الذي يهوي على الطعام، أمّا علماء السّوْء، فقد مثّل لهم بالكلب ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ وبالحمار الذي يحمل الكتب الضخمة، ولا يناله منها إلّا التعبُ ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ لأن علماء السّوء بتهالكهم على الدنيا، والمناصب الرفيعة، أصبحوا كالكلاب والحمير، وكفى بهذه الأمثال تقبيحاً وتشنيعاً لمن باع دينه بدنياه!!.

الجزء التاسع — سورة الأعراف

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمۡۚ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٞ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

﴿مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ آدم عليه السلام ﴿وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ حواء ﴿لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَا﴾ يأنس إليها ويطمئن بها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ واقعها، والتغشي كناية عن الجماع ﴿حَمۡلًا خَفِيفٗا﴾ يريد الجنين ﴿فَمَرَّتۡ بِهِۦ﴾ استمرت بحمله لا تجد به ثقلاً ﴿فَلَمَّآ أَثۡقَلَت﴾ صارت ذات ثقل لكبر الولد في بطنها ﴿صَٰلِحٗا﴾ ولداً صالحاً سويّ الخِلْقة، لنشكرنك على نعمائك ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ جعل أولاد آدم لله شركاء، حيث عبدوا الأصنام والأوثان، وليس آدم وحواء بدليل قوله: ﴿عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ بصيغة الجمع أي عمّا يشرك به البشر. **قال الحسن البصري**: هم اليهود والنصارى، رزقهم الله أولاداً فهوّدوهم ونصّروهم، وأشركوا بالله ﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ﴾ الآية للتقريع والتوبيخ، أي هل لهذه الآلهة المزعومة أرجل تمشي؟ أم أيدٍ تفتك وتبطش؟ أم آذان تسمع بها الأصوات؟ إنها جمادات، فكيف تكون آلهة؟ ثم إنها لا تستطيع نصرهم، ولا أن تدفع عن نفسها من أرادها بسوء، فهي في غاية العجز والضعف، فكيف يليق بالعاقل عبادتها؟

تنبيه هام: قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ هذا في ذرية آدم، وليس بآدم وحواء، بدليل قوله تعالى ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ بالجمع، ولو كان في آدم وزوجه لقال: يشركان، ومن المستحيل أن يستجيب آدم - وهو نبيٌّ مكرّم - لأمرٍ يخدش الإيمان، بل هو شرك بالرحمن، فيسمي ولده «عبد الحارث» استجابة لوسوسة إبليس. **قال الحسن البصري**: (كان هذا في بعض أهل الأديان، ولم يكن بآدم عليه السلام) هذا هو الحقّ الذي عليه الجمهور، وانظر تفسير ابن كثير.

إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي ٱلْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

﴿وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ﴾ الذي يتولَّى حفظي ونُصرتي هو ربُّ العزة والجلال ﴿يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يتولَّى عباده الصالحين بالحفظ والتأييد ﴿تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ الأوثان التي تعبدونها من دون الرحمن ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ لأنها جمادات لا تحسُّ ولا تسمع ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ تراهم يقابلونك بعيون مصوَّرة، كأنها ناظرة وهي جماد لا تبصر ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ أمرٌ للرسول ﷺ بمكارم الأخلاق، أي خذ بالسهل اليسير في معاملات الناس ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ بالمعروف والجميل، المستحسن من الأقوال والأفعال ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أعرض عن السفهاء، ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ وسوسة ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ تحصَّنْ بالله والتجئ إليه ﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾ لا يكفُّون عن إغوائهم ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ﴾ معجزة مما اقترحوا وطلبوا

سجدة

﴿لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا﴾ هلَّا أتيتَ بها واخترعتها من تلقاء نفسك!! كان كفار مكة يطلبون بعض المعجزات من رسول الله ﷺ، كقولهم: إن كنتَ صادقاً فأحيِ لنا فلاناً لنسأله، أو اقلب لنا جبال مكة إلى ذهب، مما فيه تعجيز للرسول ﷺ، وإذا قال لهم: هذا لا يمكن إلَّا بأمر الله، قالوا: هلَّا اختلقتها واخترعتها من عند نفسك!! وهي سخرية وتهكم بالرسول ﷺ، فأمره الله أن يردَّ سفههم بقوله: ﴿إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ أي أنا عبدٌ ولست بإله، حتى تطلبوا مني هذه الخوارق؟ ﴿بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ هذا القرآن حججٌ ساطعة، وبراهينُ قاطعة، من رب العزة والجلال، يكفي برهاناً على صدق رسالتي ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ﴾ إذا تلي القرآن فاستمعوا إليه بتدبر وتبصُّر ﴿وَأَنصِتُوا۟﴾ اسكتوا عند تلاوته، لتنالوا رحمة الله عزَّ وجل.

الجزء التاسع — سورة الأنفال

سُورَةُ الأَنفَالِ — ترتيبها ٨ — آياتها ٧٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

سورة الأنفال

نصف الحزب ١٨

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ غنائم بدر لمن هي؟ وكيف تُقسم؟ ﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ قل لهم: الحكمُ فيها لله ولرسوله، وليس لكم ﴿وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أصلحوا أحوالكم بالائتلاف، وعدم الاختلاف ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فزعت ورقَّتْ استعظاماً لشأنه، وهيبة منه ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ يعتمدون على ربهم، وإليه يفوِّضون أمورهم ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ منازل رفيعة عند الله ﴿يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ﴾ يكرهون القتال كراهة من يُساق إلى الموت، وهو يشاهد أهواله ﴿إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ يعدكم إحدى الطائفتين: العِير - التجارة - أو النفير - الرجال - على أنها غنيمة لكم ﴿غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ تحبون الغنيمة وتكرهون الحرب، ومعنى ﴿ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ ذات السلاح ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ يستأصلهم ويهلكهم ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ اختار الله لكم القتال، ليُظهِر عزة الإسلام، ويمحق الباطلَ وأهلَه، ولذلك كانت (غزوةُ بدر) تاجاً بين سائر الغزوات!

سبب النزول: قال عُبادة بنُ الصامت: (فينا نزلت هذه الآيات نحن أصحابَ بدر، حين اختلفنا وتنازعنا، وساءتْ أخلاقنا في أمر الغنائم، فنزعها الله من أيدينا، وجعل أمرَها لرسول الله ﷺ، فقسمها بيننا على السواء، فكان في ذلك تقوى الله، وطاعة رسوله، وإصلاح ذات البَيْن) رواه البيهقي وأحمد، وكان الرسول ﷺ قد وعدهم بإحدى الحسنيين: العير، أو النفير - يعني الرجال - فاختار الكثير منهم العير لكثرة الغنيمة، وكرهوا القتال، فنزلت الآية.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

﴿تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تطلبون منه الغوث والنصر، والآية تشير إلى قوله ﷺ: «**اللهم أنجزْ لي ما وعدتني**» ﴿مُرْدِفِينَ﴾ متتابعين ﴿بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ بشارة لكم ﴿وَمَا النَّصْرُ﴾ النصر ليس بالكثرة والقوة، إنما هو بتأييد الله لمن أراد نصره!! ﴿يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ﴾ يجعل النعاسَ يغشاكم كالغطاء ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ أمناً من عنده سبحانه، وهذه من الآيات الباهرة، حيث أصاب المسلمينَ النومُ في أحلك الأوقات، لأن وقت الخوف لا تكاد العينُ تنام من الفزع ﴿مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ وهذه آية أخرى حيث فقدوا الماء، فأنزل الله عليهم المطر حتى سالت الأودية ﴿رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ وساوسه وتخويفه لكم من العطش ﴿كُلَّ بَنَانٍ﴾ أطراف الأصابع، فإذا ضُربت الأصابعُ، تعطّل المحاربُ عن القتال ﴿شَاقُّوا اللَّهَ﴾ عصوا أمر الله وعادوه ﴿زَحْفًا﴾ زاحفين نحوكم ﴿مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ مظهراً للفرار ليخدع عدوه ﴿مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ منضماً إليها ليقاتل العدو معها ﴿بَاءَ بِغَضَبٍ﴾ رجع بغضب وسخط عظيم من الله ﴿وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ﴾ مسكنُه النارُ.

توضيح وبيان: لمّا نجت القافلةُ، وجاء المشركون إلى (بدر) استشار الرسول ﷺ أصحابه، في الخروج إلى قتالهم، فكرهوا ذلك وقالوا: يا رسول الله، إنّا لم نستعدَّ للحرب، وإنما خرجنا للقافلة، فقام (المقدادُ) فقال: يا رسول الله، امضِ بنا لما أمركَ الله، فنحن معك، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ ولكنْ نقول: فقاتلا إنّا معكما مقاتلون!! فسُرَّ الرسولُ من كلامه، وقال: «**أبشروا أيها الناسُ، وسيروا على بركة الله**».

سُورَةُ الأَنفَال — الجزء التاسع

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ بقوتكم وقدرتكم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بإلقاء الرعب في قلوبهم ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ ما رميت وأصبتَ أعين المشركين بقبضة من تراب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ بإيصال هذه إلى عيونهم، **قال ابن عباس**: أخذ رسولُ الله ﷺ قبضةً من تراب ورمى بها في وجوه المشركين، وقال: شاهت الوجوهُ، فلم يبق منهم أحد إلّا أصاب عينيه الترابُ، فولّوْا مدبرين ﴿تَسْتَفْتِحُوا۟﴾ تطلبوا الفتح والنصر على المؤمنين ﴿جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ جاءكم النصر - يريد الهزيمة - سمّى الهزيمة نصراً على وجه السخرية والتهكم، قال أبو جهل: اللهمَّ أيُّنا كان أفجر، وأقطع للرحم، فأهلكه اليوم

ثلاثة أرباع الحزب ١٨

يطلب عدوُّ الله أن ينصره اللهُ على رسول الله، فأنزل الله الآية ﴿فِئَتُكُمْ﴾ جماعتُكم التي تستنجدون بها ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ يفسخ عزيمته، ويغيِّر مقصده، ويثبّته على الإيمان، أو يزيغ قلبه، ولهذا كان ﷺ يقول في دعائه: «**اللهمَّ مصرِّف القلوب، ثبِّتْ قلوبنا على طاعتك**» رواه مسلم ﴿تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون عنده للحساب والجزاء يوم القيامة.

سبب النزول: رُوي أن النبي ﷺ أخذ قبضةً من تراب، ورمى بها وجوه المشركين يوم بدر، وقال: «**شاهت الوجوه**»، فلم يبق أحد منهم إلا دخل التراب في عينيْه ومنخريْه، من تلك الرميةِ، فولّوا الأدبارَ منهزمين، وهذه إحدى المعجزات الظاهرة لرسول الله ﷺ، فنزلت الآيةُ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ..﴾ الآية رواه الطبري.

الجزء التاسع — سورة الأنفال

وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

﴿يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ تذكَّروا نعمة الله عليكم، حين كنتم بمكة قلَّة وأذلة، تخافون أن يقتلكم المشركون ويفتنوكم عن دينكم ﴿فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾ نَقَلكم إلى المدينة، وجعلها حصناً لكم، تسكنونها آمنين من أعدائكم ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ﴾ لا تخونوا دينكم بإطلاع المشركين على أسراركم ﴿فِتْنَةٌ﴾ محنة وابتلاء ﴿فُرْقَانًا﴾ نوراً تفرقون به بين الحق والباطل، والهدى والضلال ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ يحبسوك ﴿يَقْتُلُوكَ﴾ قتلة رجل واحد ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ يطردوك من وطنك مكة ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ يتآمرون عليك ويدبِّرون لك المكائد، والآية تشير إلى اجتماعهم في (دار الندوة) وتشاورهم في أمر التخلص من رسول الله ﷺ، واستقرَّ رأيهم على أن يضربوا الرسول ضربة رجل واحد، ليتفرق دمه في القبائل، وانظر قصته مفصَّلة في كتابنا صفوة التفاسير ١/٥٢١.

سبب النزول: روى الزُّهْريُّ أن رسول الله ﷺ لمَّا حاصر يهودَ (بني قُريظة) طلبوا الصلح، فأمرهم أن ينزلوا على حكم (سَعْدِ بنِ مُعَاذ) فقالوا: أرسلْ لنا (أبا لُبابة) فبعثَهُ رسولُ الله ﷺ إليهم ـ وكان أبو لُبابة صديقاً مناصحاً لهم ـ فقالوا: يا أبا لُبابةَ ما ترى؟ أننزل على حكم سعد؟ فأشار إلى حلقه ـ يعني أنه سيحكم بالذبح ـ قال أبو لُبابة: فوالله ما زالتْ قدمايَ عن مكانها، حتى عرفتُ أني قد خنتُ الله ورسوله!! فقال: والله لا أذوق طعاماً، ولا أشرب شراباً، حتى أموتَ، أو يتوبَ الله عليَّ!! فأنزل الله ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ ثم نزلت توبته، رواه ابن ابي حاتم.

الجزء التاسع — سورة الأنفال

وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ۚ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

﴿أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ كيف لا يستحقون العذاب وقد تسبَّبوا في إخراجك من وطنك؟ ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ وهم مستمرون في إجرامهم، ومنعهم الناس عن عبادة الله، حيث منعوا الرسول ﷺ وأصحابه من أداء العمرة (عام الحديبية) ألا يكفي هذا سبباً لعذابهم؟ ﴿صَلَاتُهُمْ﴾ ما كانت عبادة المشركين وصلاتهم عند الكعبة المشرَّفة ﴿إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ صفيراً وتصفيقاً، كانوا يطوفون بالبيت وهم عُراة، يُصفِّرون ويصفِّقون للأذى والتشويش ﴿الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ ليفرِّق الله بين الخبثاء الأشرار، وبين الطيِّبين الأبرار أهل التقوى والإيمان ﴿فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا﴾ يجعلهم متراكمين بعضهم فوق بعض، كالرُّكام (النفايات) التي تحتاج إلى إحراق، فيحرقهم بنار الجحيم يوم القيامة ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ إن يكفُّوا عن الكفر وحرب الرسول ﷺ ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من الذنوب والآثام ﴿مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ مضت عادة الله الجارية في إهلاك الطغاة المكذبين ﴿لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قاتلوا المشركين حتى لا يكون شرك، ولا يبقى من يفتن المؤمن عن دينه ﴿الدِّينُ﴾ تضمحلّ الأديان الباطلة، ويبقى دين الإسلام الحق، عالياً على جميع الأديان.

سبب النزول: قال ابن عباس (كانت قريش يطوفون بالبيت، وهم عراةٌ ـ لا يلبسون شيئاً من الثياب ـ يصفِّرون ويصفِّقون، ليشوِّشوا على المسلمين عبادتهم، ففيهم نزلت هذه الآية ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً..﴾) الآية رواه ابن أبي حاتم.

الجزء العاشر — سورة الأنفال

۞ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾

الجزء ١٠ الحزب ١٩

﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد ﷺ ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ يوم بدر، الذي فرق الله فيه بين الحقّ والباطل ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ جمع المؤمنين، وجمع الكافرين ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بجانب الوادي القريب من المدينة ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ وأعداؤكم الكفار بجانب الوادي البعيد عن المدينة ﴿وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ والعير التي فيها تجارة قريش على ساحل البحر ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ لو تواعدتم مع المشركين على القتال، لاختلفتم معهم في الوقت، ولكن الله جمعكم على غير ميعاد ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ﴾ ليعزَّ الإسلام وأهله، ويذلَّ الشرك وجنده ﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾ لجبُن أصحابُك ولم يقدروا على حرب القوم، ولم يقل: لفشلتَ تكريماً للرسول ﷺ، وإنما نسب الفشلَ إلى أصحابه، وهذا من محاسن القرآن ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ قلّل الله المشركين في أعين المؤمنين، لتزداد شجاعتهم وجرأتهم عليهم، وقلّل المؤمنين في أعين المشركين، ليتجرؤوا عليهم لتقع المعركة، وهذه كرامة من الله عظيمة للمؤمنين، فقد كان عددُ المشركين ألف مقاتل، ولكنَّ الله سبحانه قلّل عددهم في أعين المؤمنين، حتى يتجرأ المؤمنون على قتالهم، لتقع الحرب، وينصر الله جنده، ويُعِزَّ الإسلامَ وأهله، مع قلة عددهم وسلاحهم، **قال ابن مسعود:** لقد قُلّلوا في أعيننا يوم بدر، حتى قلتُ لصاحبي: أيكونون سبعين؟ قال: يمكن أن يكونوا مائة؟ وكان ذلك من آيات الله الباهرة.

وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟﴾ لا تتنازعوا وتختلفوا، فتضعفوا وتجبنوا أمام أعدائكم ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ تذهب قوتكم وبأسكم ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ خرجوا أشراً وتكبراً، وطلباً للفخر والثناء ﴿جَارٌ لَّكُمْ﴾ قال لهم الشيطان: أنا مجيرٌ ومعين لكم في حربكم ﴿تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ﴾ تلاقى الفريقان: حزبُ الرحمن، وحزب الشيطان ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ ولّى هارباً مولّياً الأدبار. جاءهم الشيطان بصورة (سُراقة بن مالك) فقال: لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني سند لكم في الحرب ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ قال المنافقون: اغترَّ المسلمون بدينهم، فعرّضوا أنفسهم للهلاك ﴿يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لو رأيتَ الكفار حين تقبض الملائكة أرواحهم الشريرة وتضربهم على وجوههم وظهورهم بمقامع الحديد ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ ويقولون لهم: ذوقوا عذاب النار المحرقة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ ذلك العذاب بسبب ما كسبتم من الكفر والإجرام ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ هذه سنةُ الله وعادتُه، في الطغاة المتجبرين، أن يهلكهم كما أهلك فرعون وجنوده المجرمين.

تنبيه: قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا..﴾ الآية، أشارت إلى قول (أبي جهل) لمّا قال لهم أبو سفيان: ارجعوا فقد سلمت عيرُكم وتجارتكم، فقال عدوُّ الله: لا والله لا نرجع، حتى نأتي بدراً، فنشرب فيها الخمور، وننحر بها الجزور، وتعزف علينا القِيانُ - المغنّيات - وتسمعَ بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا بعد ذلك أبداً، قال الطبري: فسُقوا مكان الخمر كؤوس المنايا، وناحت عليهم النوائح مكان القِيان، وصارت أموالهم غنائم للمسلمين. اهـ. تفسير الطبري.

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ۙ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

﴿يغيّروا ما بأنفسهم﴾ ذلك الذي حلّ بقريش بسبب أنهم غيّروا نعمة الله، فغيّر الله ما كانوا عليه من نعمة الأمن والاستقرار، إلى العذاب والدمار ﴿شرّ الدوابّ﴾ شرٌّ من يدب على وجه الأرض ﴿الذين كفروا﴾ فهم شرٌّ من البهائم والدواب، لانسلاخهم عن الإنسانية ﴿ينقضون عهدهم﴾ نقضوا عهودهم مراراً وتكراراً ﴿فإمّا تثقفنّهم﴾ إن ظفرت بهم في الحرب ﴿فشرّد بهم﴾ اقتلهم ونكّل بهم تنكيلاً شديداً، نزلت في يهود (بني قريظة) عاهدوا الرسول ألا يحاربوه، ثم نقضوا عهدهم مرات عديدة ﴿فانبذ إليهم﴾ إن أحسستَ خيانة قوم بينك وبينهم عهد، فاطرح إليهم عهدهم على بيّنةٍ ووضوحٍ من الأمر، ولا تقاتلهم دون إعلام لهم، فيكون ذلك خيانة وغدراً

ربع الحزب ١٩

﴿سبقوا﴾ أفلتوا من العذاب ﴿لا يعجزون﴾ لا يعجزون ربهم ﴿ما استطعتم من قوة﴾ أعدُّوا لأعدائكم جميع أنواع القوة: «المادية، والروحية، والمالية» ﴿ومن رباط الخيل﴾ الخيل التي تربط في سبيل الله ﴿جنحوا للسلم﴾ مالوا للمسالمة والمصالحة، فأجبهم إلى ما طلبوا، بشرط عزة الإسلام ومصلحة المسلمين.

وجاء التعبير في **قوله تعالى:** ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ منكّراً، ليشمل جميع أنواع القوة (المادية، والعسكرية، والروحية) وكل ما يمكن من الأسلحة، وقد كان القتال بالسيوف والرماح، ومرت العصور والدهور، وتطوّر السلاح إلى الدبّابات المدرّعة، والطيارات القاذفة والصواريخ عابرة القارات، والقنابل الخانقة، والمسلمون مدعوّون إلى الاستعداد التام، بكل أنواع القوة.

وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٩﴾

﴿يَخۡدَعُوكَ﴾ إن أرادوا بالصلح خداعك ليستعدوا لحربك ﴿فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ فاللَّهُ يكفيك شرَّهم، فأنت بذلتَ ما في وسعك، والله يتولى أمرك ﴿أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ﴾ قوّاك وأعانك بنصره، وبالمؤمنين من المهاجرين والأنصار ﴿وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ﴾ جمع بين قلوب الأنصار على ما كان بينهم من العداوة والبغضاء بعظيم قدرته، وبديع صنعه ﴿حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بالغ في حثّهم وحضّهم على القتال ﴿عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ﴾ إن وُجد منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين، وإن وجد منكم مائة يغلبوا ألفاً من الكفار ﴿قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ بسبب أن الكفار سفهاء فجرة، لا يعرفون حكمة الله في تشريعه ﴿يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ لا يصحُّ لنبي من الأنبياء، أن يأخذ الفداء من الأسرى، حتى يُكْثِرَ فيهم القتلَ والجراحات، لِيُضْعِف شوكتهم ﴿عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا﴾ تطلبون بالفداء متاع الدنيا الفاني؟ ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ﴾ والله سبحانه يريد لكم العزة والكرامة، والشهادة في سبيله.

توضيح هام: قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا..﴾ هذه الآية صريحةٌ في جواز (الصلح والمسالمة بشرط (عزة الإسلام والمسلمين) أمَّا الصلحُ الدنيءُ المَهينُ، الذي يُفرض اليومَ فرضاً على العرب والمسلمين، كالصلح مع شُذَّاذ الآفاق (اليهود الصهاينة) فهو (استسلامٌ) وليس (بسلام) وهو ذلٌّ وهوان، يأباه دينُ الله، وعزةُ المؤمن، إذ كيف نرضى لمجموعة من اللصوص سرقوا ديارنا وأوطاننا أن نصالحهم، وهم غاصبون معتدون!؟ فلْينتبه المسلمون لهذا، ولا يخدعنَّهم شياطينُ السياسة بمثل هذه التُّرَّهات!!

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٧٥﴾

﴿مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ نزلت في (العباس) عمّ النبي ﷺ وقع أسيراً في غزوة بدر، فأمر الرسول أن يُضاعف عليه الفداء ﴿فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إيماناً وإخلاصاً يعطكم أفضل مما أخذ منكم من الفداء، روي أن النبيّ ﷺ قال لأصحابه: أضعفوا على العباس الفداء، فقال العباس: تتركني أستجدي من قريش ما حَيِيتُ!! فقال له ﷺ: وأينَ الذهبُ الذي تركته عند أم الفضل وقلت لها: إني لا أدري ما يحدث لي؟ وهذا الذهب يكفيك ولأولادك مدى حياتك، ودفنته معها في مكان كذا وكذا!! فقال: من أخبرك بهذا؟ فقال: ربّي، فقال: أشهد أنك رسول الله وأنك صادق، فوالله ما اطّلع عليه أحد غيري وغير أم الفضل، وهذه إحدى معجزاته ﷺ الغيبية ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ قوّاك ونصرك الله عليهم ﴿ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟﴾ آووا المهاجرين، ونصروا رسوله ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ في الحماية، والولاية والنصرة ﴿ٱسْتَنصَرُوكُمْ﴾ طلبوا نصرتكم ﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ يجب أن تنصروهم لإيمانهم، وإن قصّروا في الهجرة ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ﴾ أهلُ القرابة أحقُّ بالميراث من غيرهم.. وهذه الآية نسخت ما كان بين المهاجرين والأنصار من الإرث.

تنبيه: قولُه تعالى: ﴿قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ..﴾ نزلت في العباس عمِّ الرسول ﷺ، خرج مع المشركين في بدر، ووقع أسيراً ضمن الأسرى، وكان له مال كثير خبأه في مكة، في مكان لا يعرفه أحد، إلّا هو وزوجتُه (أم الفضل) ولمَّا أمر الرسول ﷺ بمضاعفةِ الفداء عليه، شكا إليه أنه لا يملك هذا المال، فقال له الرسول: أين الذهب الذي خبأته في مكان كذا؟ وقلتَ لزوجك كذا وكذا؟ فكانت هذه سبباً لإسلامه.

الجزء العاشر — سورة التوبة

سُورَةُ التَّوْبَةِ (مدنية ٩ — آياتها ١٢٩)

بَرَآءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى الَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

سورة التوبة

تركُ التسمية في السورة لا دخل للرأي فيه، إنما هو بالوحي. والحكمةُ أن السورة نزلت بالعذاب، والتسميةُ رحمةٌ، ولا تناسبَ بين الرحمة والعذاب ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ البراءةُ: قطعُ الصلة والعلاقة بين واحد وآخر أي اللّهُ بريءٌ من عهود المشركين، ورسولُه كذلك بريء منهم ﴿فَسِيحُوا﴾ سيروا يا معشر المشركين آمنين الآن، مدة أربعة أشهر ﴿غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ غير ناجين من عذابه بالهرب ﴿وَأَذَٰنٌ﴾ إعلانٌ صريح للمشركين الناقضين للعهود ﴿بَرِيٓءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ متبرئ من عهودهم ورسولُه بريءٌ أيضاً منها ﴿لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ لم ينقضوا عهدهم معكم، بل وفُوا به ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا﴾ لم يعينوا عليكم أحداً ﴿فَأَتِمُّوٓا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ أكملوا لهم العهد إلى انتهاء المدة ﴿فَإِذَا انسَلَخَ﴾ انقضت أشهر العهد الأربعة ﴿وَاحْصُرُوهُمْ﴾ احبسوهم في ديارهم وحصونهم إلى أن يُسْلِموا أو يُقْتَلوا ﴿كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ اقعدوا لهم على كل طريق وممرٍّ ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ طلب جوارك وأمانك ليتعرّف على الدين فامنحه الأمان.

سبب البراءة: (سببُ البراءة أن النبي ﷺ كان قد عاهد المشركين في (صلح الحديبية) على وقف الحرب بينه وبين المشركين عشر سنين، ثم نقضوا عهودهم، فأمر الله رسولَه أن يُنْهي هذه العهود، وأن يقطع هذه العلاقات فبعث الرسول (أبا بكر) ثم أتبعه (بعليّ) لينادي يوم الحج بهذه الأمور: أن لا يقرب البيت مشرك، وأن لا يطوف بالبيت عُريان، وأنه لا يدخلُ الجنةَ إلا مؤمنٌ، ومن كان بينه وبين الرسول مدة، فأجلُه إلى مدته) رواه البخاري.

الجزء العاشر — سورة التوبة

كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشۡتَرَوۡاْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلٗا فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾

﴿لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ﴾؟ كيف تراعي عهود المشركين مع غدرهم وخيانتهم، ونقضهم للعهود؟ ﴿يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ﴾ إن يظفروا بكم ﴿لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ﴾ لا يراعوا في شأنكم ﴿إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ﴾ الإلّ: العهد، أي لا يراعون فيكم عهداً، ولا أماناً، ولا قرابة ﴿يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ يتحدثون إليكم بكلام حلوٍ معسول ﴿وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ﴾ الوفاء بما عاهدوكم عليه ﴿وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ خارجون عن طاعة الله، ليس لهم عهد ولا ذمة ﴿نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم﴾ نقضوا عهودهم وخانوكم ﴿وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ بالنيل منه والسخرية بشعائره وأحكامه ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ قاتلوا قادة وزعماء الكفر والضلالة ﴿لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ﴾ لا عهود لهم ولا مواثيق ﴿لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ﴾ ليكفُّوا عن كفرهم، ويرجعوا إلى هداية الله ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا﴾؟ حثٌّ وتحريضٌ على قتالهم، لأنهم خائنون ناقضون لعهودهم!! ﴿بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ﴾ هم البادئون بالعدوان عليكم ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ﴾؟ هل تهابون أعداءَكم، وتخافون منهم، فتتركون قتالهم؟ فالله أحقُّ بأن تخشوا عقوبته!!

قوله سبحانه: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ . .﴾ هذه الآيةُ غايةٌ في حسن المعاملة، وكرم الأخلاق، لأن المراد ليس قتلَ الكافر، وإهراقَ دمه، بل إقناعُه وهدايتُه، حتى يعرفَ الحقَّ ويتَّبعَه، ويتركَ ما هو عليه من الكفر والضلال، وبذلك سَمَا الإسلامُ بتشريع الجهاد، أسمى غايات الفضل والكمال، وأمر بتأمين الكافر حتى يسمع كلام الله، ثم يرجع إلى وطنه . !

الجزء العاشر — سورة التوبة

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾ قاتلوا المشركين أعداء الدين ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ يكون قتلكم لهم تشفياً منهم ﴿وَيُخْزِهِمْ﴾ يذلهم ويهينهم ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ يُذهب ما في قلوبكم من الغضب والوجد الشديد عليهم ﴿وَلِيجَةً﴾ بطانة من غير المسلمين، وهو الذي يطّلع على أسرارك ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ بطلتْ وذهب ثوابها ﴿يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ عمارتُها على نوعين: (حسّية) وذلك بإشادتها وبنائها، و(روحية) بأداء الصلاة، والذكر، وطلب العلم فيها، وهذه أعظم من الأولى، وفي الحديث: «**إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد، فاشهدوا له بالإيمان**» رواه الترمذي ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ لم يرهب أحداً غير الله ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ الخطاب للمشركين قالوا: نحنُ أهلُ حرم الله، وسَدَنَةُ بيته العتيق، نعمر البيت، ونسقي الحجيج، فنزلت الآية رداً عليهم، إذ لا ينفع عمارةُ البيت، وسقاية الحجيج، بدون إيمان، ولا جهاد!!

ثلاثة أرباع الحزب ١٩

سبب النزول: لمّا وقع (العباس) في الأسر، في غزوة بدر، عيّره المسلمون بالشرك، وقطيعة الرحم، وجعل (عليٌّ) يوبّخ العباسَ بقتال رسولِ الله ﷺ، فقال العباس: ما لكم تذكرون مساوئنا، وتكتمون محاسننا؟ فقال: وهل لكم من محاسن؟ قال: نعم، إنَّا لنعمرُ المسجدَ الحرامَ، ونحجبُ الكعبة، ونسقي الحجيجَ، ونفكُّ الأسيرَ، فنزلت ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ..﴾ الآية، انظر أسباب النزول للواحدي، وتفسير ابن كثير.

الجزء العاشر — سورة التوبة

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم﴾ يخبرهم بما يسرُّهم على لسان رسوله ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ﴾ برحمته تعالى لهم، ورضوانه عليهم ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾ حدائق وبساتين، فيها القصور والحور، مع الخلود الدائم في جنان النعيم ﴿ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ﴾ لا تتخذوهم أولياء إن فضّلوا الكفر على الإيمان، ولو كانوا أقرب الناس إليكم، أبناءً أو إخوةً، أو آباء ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ من يفضّلهم على دين الله، فهو الظالم لنفسه المستحقُّ لعذاب الله ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ﴾ أي إن كان هؤلاء الأقارب من الآباء، والأبناء، والإخوان والزوجات والعشيرة ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها وجمعتموها ﴿تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ تجارة تخافون بَوارها ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾ منازل تعجبكم الإقامة بها ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ إن كانت هذه الأشياء أغلى عندكم من محبة الله ورسوله، والجهاد في سبيله ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ انتظروا عذاب الله ﴿بِمَا رَحُبَتْ﴾ على سعتها. ﴿وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ انهزمتم أمام أعدائكم ولم تثبتوا.

قال الطبري: يخبرهم تعالى أن النصر بيده، وليس بكثرة العَدَد، وأنه ينصر القليلَ على الكثير إذا شاء، ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ آل عمران (١٢٦).

سبب النزول: لمَّا أمر الرسولُ ﷺ أصحابه، بالهجرة إلى المدينة المنورة، فمنهم من كان يُسرع إليها امتثالاً لأمر الرسول ﷺ، ويترك الأهل والعشيرة والمال، ومنهم من كانت تتعلق به زوجته وولدُه، ويقولون له: لا تتركنا وحدنا فنضيع، فيرقُّ قلبه فيجلس معهم، ويترك الهجرة في سبيل الله، فنزلت الآية ﴿إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ..﴾ تتوعَّد المتثاقلين عن الجهاد بعذاب أليم.

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾

﴿ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ﴾ هذا على التشبيه أي هم بمنزلة القذر والنَّجس، لخُبثِ باطنهم، وُصفوا بالنَّجس للمبالغة، كأنهم عينُ النجاسة، وروي عن بعض السلف: من صافح مشركاً فليتوضأ، والجمهور أنه على التشبيه ﴿خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ﴾ فقراً وفاقةً بسبب منعهم من دخول مكة، أو منعهم من الحج ﴿يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ﴾ يدفعوا مبلغاً من المال مقابل حمايتهم وأمنهم، وهو مبلغ يسير (٤٨) درهم في السنة عن كل شخص، والعاجز لا يؤخذ منه شيء ﴿عَن يَدٖ﴾ عن انقيادٍ واستسلام ﴿صَٰغِرُونَ﴾ أذلاء مقهورون بسلطان الإسلام، وعزة المسلمين، وهذا خاصٌ بأهل الذمة من اليهود والنصارى ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ يشابهون في الكفر والشناعة قول الكفار ﴿أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ كيف يُصرفون عن الهدى إلى الضلال ﴿أَحۡبَارَهُمۡ﴾ علماء اليهود ﴿وَرُهۡبَٰنَهُمۡ﴾ علماء النصارى، اليهودُ جعلوا عُزَيراً ابن الله، والنصارى جعلوا المسيحَ ابن الله، وهذه مقالة شنيعة، نزَّه تعالى نفسه عنها، كما أنها مقالةُ المشركين عبدةِ الأوثان، حيث قالوا: (الملائكةُ بناتُ الله) ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي أهلكهم شر الهلاك كيف يُصرفون عن الحقِّ إلى الباطل!؟

توضيحٌ وبيان: رُوي عن (عديِّ بن حاتم) قال: أتيتُ رسول الله ﷺ، وفي عنقي صليبٌ من ذهب، فقال يا عديُّ: «**اطرحْ عنك هذا الوثن**»!! وسمعته يقرأ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا..﴾ الآية، فقلت: يا رسول الله، لم يكونوا يعبدونهم!! فقال: «**أليس يُحَرِّمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه؟ ويُحِلُّون ما حرَّمه الله فتستحلونه؟**» فقلتُ: بلى، قال: «**فذاك عبادتُهم**» رواه الترمذي.

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

الحزب ٢٠

﴿يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ دين الإسلام، فإن الإسلام بنوره المضيء، وحججه الساطعة، يشبه نور الشمس الوهاج، مثّل لهم بمن ينفخ بفمه الصغير الحقير على الشمس، ليذهب نورها ويطمس ضياءها، وهيهات!! ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ يعلي دين الإسلام على سائر الأديان، ﴿ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ﴾ علماء اليهود والنصارى، والمراد من الآية: التحذير من علماء السوء ﴿يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ يدّخرون الأموال، ولا يبذلون منها ما فرض الله عليهم من الزكاة ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ﴾ البشارة تكون بالخير، واستعمالُها بالشرّ للسخرية والتهكم ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ تُحرق بها وجوههم وأطرافهم وظهورهم، وتخصيصها بالذكر لأن البخيلَ يرى الفقير، فيقطّب جبهته ويُعرض عنه، فإذا طالبه بالعون ولّاه ظهره، فعوقب بالكيّ في هذه الأعضاء ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ هي: (رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم) سميت حُرُماً لأنها معظّمة يحرم فيها القتال.

تمثيل رائع: من روائع التمثيل القرآني، ما صوَّر القرآن الكريم أعداء الإسلام، أمام النور الإلهي، فقد صوَّر الإسلامَ بالشمس الساطعة بنورها الوهَّاج، ومثَّل للعدوِّ بإنسان أحمق، ينفخُ على الشمس بفمه الصغير الحقير، ليطفئ نورها، ويُذهِبَ ضياءها، وهيهات أن يعكّر نورَها أهلُ الأرض جميعاً، فكيف بهذا الأحمق السفيه، الذي ينفخ عليها بفمه ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ..﴾ ويا له من تمثيل رائع بديع!!

الجزء العاشر — سورة التوبة

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

﴿ٱلنَّسِيٓءُ﴾ تأخير حرمة شهر لشهر آخر ﴿زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ لأن فيه تحريم ما أحلَّه الله، وتحليلَ ما حرَّمه، فهو كفر آخر زيادة على كفرهم بالله ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا﴾ يحلُّون الشهر المحرَّم في بعض السنين، ويُحَرِّمون شهراً آخر مكانه ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ﴾ ليوافقوا عدد الأشهر الأربعة.. وسبب هذا أنهم كانوا أصحاب غارات، فإذا جاء الشهر الحرام وهم في قتال، شقَّ عليهم ترك الحرب، فيستقرضون حرمة شهر مكان شهر، وهذا تلاعبٌ في دين الله ﴿زُيِّنَ لَهُمۡ﴾ زيَّن لهم الشيطان هذا العمل القبيح ﴿ٱنفِرُواْ﴾ اخرجوا غُزاة في سبيل الله ﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ﴾ تباطأتم ولم تُسرعوا، وملتم إلى نعيم الدنيا وشهواتها؟ ﴿أَرَضِيتُم﴾؟ هل آثرتم الدنيا الفانية على الآخرة الباقية؟ ﴿فِي ٱلۡغَارِ﴾ غار ثور ﴿لِصَٰحِبِهِۦ﴾ أبي بكر الصدِّيق ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ﴾ كلمة التوحيد ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ﴾ بالملائكة الأبرار ﴿كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كلمة الشرك جعلَها سافلةً حقيرة دنيئة ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ﴾ كلمةُ التوحيد (لا إله إلا الله) هي العالية السامية، الظاهرة على كل الأديان.

سبب النزول: روى الطبري عن أنس أن (أبا بكر) رضي الله عنه قال: (بينا أنا مع رسول الله ﷺ في الغار، وأقدامُ المشركين فوق رؤوسنا، فقلتُ: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرَنا!! فقال: يا أبا بكر، ما ظنك باثنين، اللهُ ثالِثهُما)؟ وأنزل الله ﴿إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ..﴾ رواه البخاري.

الجزء العاشر — سورة التوبة

انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

﴿خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ اخرجوا للجهاد في جميع الظروف والأحوال: في اليسر والعسر، شيباً وشباباً ﴿عَرَضًا قَرِيبًا﴾ لو كان ما دُعوا إليه غُنماً قريباً سهل المنال ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ سفراً قريباً ليس ببعيد ﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾ خرجوا معك من أجل المغنم ﴿الشُّقَّةُ﴾ بعُدَت عليهم المسافة ولذلك اعتذروا عن الخروج ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾ سامحك الله يا محمد، لماذا أذنت لهم؟ وهذا تلطفٌ في العتاب، حيث قدَّم العفو على العتاب ﴿يَتَبَيَّنَ لَكَ﴾ حتى يظهر لك حالُهم وتعلم الصادق من الكاذب ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ شكَّتْ قلوبهم في دين الله ﴿يَتَرَدَّدُونَ﴾ يترددون حيارى لا يدرون ما يصنعون ﴿انبِعَاثَهُمْ﴾ كره خروجهم معكم للجهاد، لأنهم ليسوا أهلاً لهذا الشرف ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ حبسهم بالتقاعس عن الخروج ﴿خَبَالًا﴾ شراً وفساداً ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ أسرعوا بينكم بالنميمة وإفساد ذات البين، نزلت في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، ولم يخرجوا مع رسول الله ﷺ، وجاءوا يعتذرون بالأعذار الكاذبة، يقولون: لو قدرنا على الخروج معكم لما تأخرنا!! والله يعلم أنهم كاذبون في هذا الكلام، لأنهم كانوا مستطيعين ولم يخرجوا، وقد حصل ما أخبر عنه القرآنُ، فكان في ذلك أعظم البرهان، على صدق رسالة محمد ﷺ ﴿اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ مع النساء، والصبيان، والعجزة من أهل الأعذار، وهذا منتهى الذم والتقبيح لهم، على حدِّ قول القائل:

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغْيَتِها   واقعد فإنك أنت الطاعمُ الكاسي

الجزء العاشر — سورة التوبة

لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلۡ أَنفِقُواْ طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمۡ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

﴿ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ طلبوا لك الشرّ ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾ دبّروا لك المكايدَ والحِيلَ، لتفريق أصحابك ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ جاء نصرُ الله، وظهر دينُ الإسلام ﴿ٱئۡذَن لِّي﴾ في القعود ﴿وَلَا تَفۡتِنِّيٓ﴾ ولا توقعني في الفتنة، نزلت في أحد كبار المنافقين «الجدّ بن قيس» دعاه رسولُ الله ﷺ إلى الخروج إلى تبوك فقال: يا رسول الله، ائذن لي في القعود عن الجهاد، ولا تفتنّي بالنساء، فإني أخشى إن رأيتُ نساء الروم أن لا أصبر عنهن!! ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْ﴾ لقد سقطوا في عين الفتنة بتركهم الجهاد، وأيُّ فتنةٍ أعظم من تردّيهم في دركات الجحيم!! ﴿هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ﴾ هل تنتظرون بنا يا معشر المنافقين ﴿إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِ﴾ إحدى العاقبتين الحميدتين: النصر، أو الشهادة؟ ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾ انتظروا ما يحلُّ بكم ﴿طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا﴾ أنفقوا طائعين أو مكرهين، فمهما أنفقتم فلن يتقبّل الله منكم لنفاقكم.

سبب النزول: نزلت هذه الآية ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ..﴾ في أحد كبار المنافقين (الجدّ بن قيس) قال للنبي ﷺ، لمّا دعاه لقتال بني الأصفر - يعني الروم - قال: يا رسول الله، ائذنْ لي ولا تفتنّي، فقد عرف قومي شدة حبّي للنساء، وإني أخشى إن رأيت نساء أهلِ الروم أن لا أصبر عنهن، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وتركه، وقال: **«قد أذنتُ لكَ»** رواه الطبراني، وبذلك انفضح أمر المنافقين.

الجزء العاشر — سورة التوبة

فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦٠﴾ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾

﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ﴾ لا تستحسن ما عليه الكفار من سعة المال، فظاهرُها نعمة وباطنُها نقمة ﴿لِيُعَذِّبَهُم بِهَا﴾ هي شقاءٌ ووبالٌ عليهم، يتعبون في جمعها، ثم يهلكون بها، وليس أدلّ على ذلك، من أن هذه المخترعات الجهنمية، والأسلحة الفتاكة التي اخترعوها حصدت منهم ما يزيد على أربعين مليوناً في الحرب العالمية الثانية، فقد أهلكهم الله بأيديهم وبما جمعوا وملكوا!! ﴿وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ﴾ ويموتوا كافرين ﴿يَفۡرَقُونَ﴾ يخافون منكم أشدَّ الخوف ﴿مَلۡجَـًٔا﴾ حصناً يلجأون إليه ﴿مَغَٰرَٰتٍ﴾ سراديب يختفون فيها منكم ﴿أَوۡ مُدَّخَلٗا﴾ موضعاً يدخلونه ولو كان ضيّقاً ﴿يَجۡمَحُونَ﴾ أسرعوا نحوه إسراعاً كالدابة الجموح، لشدة بغضهم لكم ﴿يَلۡمِزُكَ﴾ يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن فيك ﴿وَٱلۡغَٰرِمِينَ﴾ المدينين ﴿هُوَ أُذُنٞ﴾ يسمع كلَّ ما يُقال له ويصدِّقه، وهو رميٌ له عليه الصلاةُ والسلام بالبَلَه والغفلة، وما أقبحه وأشنعه من كلام في حقّ خير الأنام!!

نصف الحزب ٢٠

سبب النزول: كان جماعةٌ من المنافقين، يؤذون رسول الله ﷺ ويقولون فيه ما لا ينبغي، فقال بعضهم: لا تفعلوا فإنَّا نخشى أن يبلغه الأمر، فينتقم له أصحابه منا!! فقال رئيسهم في النفاق واسمه (الجلّاس): نقول فيه ما شئنا، ثم نأتيه فنقول ما يرضيه فيصدّقنا، فإنما محمد أذنٌ سامعة، يصدّق كل أحد، فنزلت الآية ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞ﴾ رواه ابن أبي حاتم، وإنما قالوه لأنه ﷺ ما كان يواجه أحداً بما يكره، ويتغاضى عنهم حلماً وكرماً.!

الجزء العاشر — سورة التوبة

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

﴿يُحَادِدِ ٱللَّهَ﴾ ألم يعلم هؤلاء المنافقون أنه من يعصي أمر الله، وأمر رسوله، ويعادي دينه ﴿نَارَ جَهَنَّمَ﴾ فقد استحق دخول نار الجحيم ﴿ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾ الذلُّ الكبير والشقاء والهوانُ ﴿تَحْذَرُونَ﴾ تخفونه من الخُبث والنفاق ﴿نَخُوضُ﴾ نتلهّى بالحديث لنقطع الطريق في سفرنا ﴿تَسْتَهْزِءُونَ﴾ أتهزؤون وتسخرون بدين الله وكتابه ورسوله؟ روي أن المنافقين قالوا في ما بينهم: انظروا إلى محمد يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها، هيهاتَ هيهاتَ، يسخرون ويهزؤون، فأطلع الله رسوله على ذلك، فقالوا: والله ما كنا جادّين، إنما كنا نمزح ونلعب، فنزلت ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم﴾ لا تعتذروا بأيمانكم الكاذبة، فقد انسلختم عن الإيمان ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ يبخلون عن الإنفاق ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ تركوا طاعة الله وذكرَه، فتركهم من رحمته وفضله، ولا يُراد به حقيقة النسيان، لأن الله لا ينسى ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾.

سبب النزول: قال الطبري: بينا النبيُّ ﷺ يسير في غزوته إلى تبوك لحرب الروم، كان بين يديه ناس من المنافقين، يقولون: انظروا إلى هذا الرجل - يريدون النبي ﷺ - يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها، هيهاتَ هيهاتَ أن يكون له ذلك!! فأطلع الله نبيّه على مقالتهم، فدعاهم فقال لهم: قلتم: كذا وكذا، وأخبرهم بما قالوا، فقالوا يا نبيَّ الله: إنما كنا نخوض ونلعب!! فنزلت الآية ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾!؟ أخرجه ابنُ المنذر، وابنُ أبي حاتم.

كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓاْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

﴿بِخَلَٰقِهِمْ﴾ تمتَّعوا بنصيبهم من الدنيا ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ﴾ استمتعتم بملاذ الدنيا وشهواتها، كما استمتع أولئك بنصيبهم منها ﴿وَخُضْتُمْ﴾ وقعتم في الباطل والضلال كما خاضوا فيه، فشابهتموهم في الكفر ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ ضاعت وبطلت أعمالهم ﴿نَبَأُ﴾ خبر الأمم السابقين الذين عصوا رسلهم؟ ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ الذين أغرقوا بالطوفان ﴿وَعَادٍ﴾ أهلكوا بالريح العاتية ﴿وَثَمُودَ﴾ أهلكوا بالرجفة ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ قوم لوط الذين انقلبت بهم ديارهم ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الواضحات فكذَّبوهم فأهلكهم الله ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ هم إخوة في الدين، يتعاونون ويتناصرون ﴿سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ هؤلاء يستحقون رحمة الله ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ في قصور وحدائق يطيب فيها العيش، مع الإقامة الدائمة الخالدة، ومعنى ﴿عَدْنٍ﴾ إقامة، وفي الحديث «**خلق الله جنة عدن بيده، ودلَّى فيها ثمارها، وشقَّ أنهارها، وقال لها: تكلمي، فقالت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ فقال: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيكِ بخيل**» رواه الطبراني.

تنبيه: قَابَلَ تعالى بين أوصاف المؤمنين، وأوصاف المنافقين، فالمنافق يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، ولا يقوم إلى الصلاة إلَّا بكسل، ويبخل بالإنفاق، وإذا أُمر بالجهاد يتخلَّف، ويُثبِّط غيره عن الخروج، والمؤمنُ بضدِّ ذلك، يأمر بالمعروف، ويؤدي الصلاة على أكمل الوجوه، ويؤتي الزكاة، ويسارع في طاعة الله، وهي مقابلة لطيفة، كما قابل بين جزائهما بالنار والجنة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ جاهد الكفار بالسيف، والمنافقين باللسان ﴿وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ شدّد على الفريقين بالكلام، ليشعروا بقوة الإسلام ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مسكنهم وموطن إقامتهم نار جهنم ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ بئس المكان جهنم ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ نزلت في ابن سلول رئيس المنافقين. قال عدوُّ الله: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ فنقلها رجل من المسلمين إلى الرسول ﷺ فأرسل إليه فجعل يحلف بالله ما قال ذلك ﴿كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ قالوا: ما بلغك عنهم يا محمد ﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ أظهروا الكفر بعد اعتناقهم للإسلام ﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾ من الغدر برسول الله ﷺ حين رجع من تبوك ﴿مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ نزلت في أحد المنافقين، طلب من رسول الله أن يدعو الله له بسعة الرزق، وعاهد الله أن ينفق ويتصدّق، فدعا له. فلمّا رزقه الله بخل ومنع الزكاة ﴿يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ﴾ يعيبونهم في الإنفاق، فإن جاء أحدهم بالقليل عابوه بالبخل، وإن جاء بالكثير قالوا: إنه مراءٍ.

علامة ربع الحزب ٢٠

سبب النزول: جاء رجل من المنافقين إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، ادعُ اللهَ أن يرزقني مالاً، فقال: ويحكَ قليلٌ تؤدي شكره، خيرٌ من كثير لا تُطيقُه!! فقال: والذي بعثك بالحقّ لئن رزقني الله مالاً، لأتصدقنّ ولأعطينّ كلّ ذي حقّ حقّه، فدعا له فاتخذ غنماً، ونمت كما ينمو الدودُ، وبقيت تنمو وتكثر حتى ضاقت به المدينة، فخرج بها إلى البادية، ثم تخلّف عن صلاة الجمعة والجماعة، ومنع الزكاة، وفيه نزلت ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ..﴾ الآية تفسير ابن كثير ورواه البيهقي.

الجزء العاشر — سورة التوبة

ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾

﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ اطلب لهم المغفرة من الله ﴿أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ لا تطلبها فلن يغفر الله لهم ﴿سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ هذا تصوير لاستحالة المغفرة، والمراد من السبعين: التكثير، أي مهما استغفرت لهم فلن ينفعهم استغفارك ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ فرح المنافقون المتخلفون عن غزوة تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ فرحوا بقعودهم عن الخروج، مخالفةً لأمر الرسول ﴿لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾ لا تخرجوا إلى الجهاد في فصل الصيف الحارّ ﴿أَشَدُّ حَرًّا﴾ قل لهم: إن نار جهنم التي تصيرون إليها، أشدُّ من هذا الحر ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا﴾ أي فسيضحكون قليلاً، وسيبكون كثيراً، حين يلقون جزاءهم ﴿ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ المتخلّفين عن الخروج، من النساء، والصبيان، والعجزة، وهذا تقبيح لهم شنيع ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ لا تصلِّ على أحد من المنافقين، ولا تشهد دفنه عند موته ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ﴾ أصحاب الغنى والسعة من المنافقين.

سبب النزول: روى البخاري (أن (ابن سَلول) لمَّا تُوفّي، جاء ابنُه (عبد الله) إلى الرسول ﷺ - وكان مؤمناً صالحاً - فسأله أن يعطيه قميصه، ليكفِّن به أباه، فأعطاه إيَّاه، ثم سأله أن يصلّي عليه، فقال عمر: يا رسول الله، تصلّي عليه وهو منافق؟ فقال له الرسول: إن الله خيَّرني فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فصلّى عليه) رواه البخاري، وزاد الترمذي (قال عمر: فعجبتُ من جرأتي على رسول الله ﷺ، فوالله ما كان يسيراً حتى نزلت الآيتان ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا..﴾ فما صلّى رسول الله ﷺ بعد ذلك على منافق، ولا قام على قبره).

الجزء العاشر — سورة التوبة

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ ۚ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

﴿الْخَوَالِفِ﴾ رضوا بأن يكونوا مع النساء المتخلفات، ومع المرضى والعجزة والصبيان ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ ختم عليها فلا يعقلون ولا يفهمون ﴿لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ أمّا المؤمنون المجاهدون فلهم جميع ما يشتهون، من أنواع الخيرات والكرامات ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بكل محبوبٍ ومطلوب ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الظفرُ الذي لا سعادة أكبرُ منه ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ المعتذرون الذين تخلّفوا عن الجهاد ﴿الضُّعَفَاءِ﴾ الشيوخ من المسنّين ﴿الْمَرْضَىٰ﴾ العاجزين الذين لا يستطيعون الجهاد ﴿حَرَجٌ﴾ إثم وذنب في ترك الخروج ﴿إِذَا نَصَحُوا﴾ إذا أخلصوا الإيمان والعملَ الصالح، ولم يثبّطوا غيرهم عن الجهاد ﴿أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ نزلت في البكّائين، أرادوا الخروج مع الرسول ﷺ للغزو، ولم يجد الرسول ﷺ ما يحملهم عليه ﴿وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ يبكون بغزارة أشدَّ البكاء، لأنهم حُرموا فضلَ الخروج مع رسول الله ﷺ.

(الجزء ١١ — الحزب ٢١)

سبب النزول: لمّا دعا الرسول ﷺ إلى الغزو، تهيأ المجاهدون، وجاء بعض الناس وكانوا فقراء لا يجدون راحلة، ولا يملكون مركباً، فقالوا: يا رسول، احملنا نغزُو معك، فقال لهم عليه السلام: «والله لا أجد ما أحملكم عليه» فتولّوا وهم يبكون، ففيهم نزلت ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ وقد اشتهروا باسم (البكّائين) رواه ابن مردويه عن ابن عباس.

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾

﴿يَعْتَذِرُونَ﴾ يعتذر إليكم المتخلّفون عن الجهاد ﴿رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من سفركم وجهادكم ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ لن نصدّقكم في ما تقولون ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ﴾ أخبرنا الله عن ما في قلوبكم من المكر والنفاق ﴿انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ رجعتم إليهم من غزوتكم، ظافرين منتصرين ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ لتكفُّوا عن ذمّهم ومعاتبتهم ﴿رِجْسٌ﴾ كالقذر والنجس لخبث باطنهم ﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾ مسكنهم ومستقرُّهم نار الجحيم ﴿الْأَعْرَابُ﴾ أهلُ البدو ﴿أَشَدُّ كُفْرًا﴾ أشدُّ كفراً وأعظم نفاقاً من أهل الحضر، لقسوة قلوبهم ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أوْلى وأحرى بألّا يعلموا ﴿حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ من الأحكام والشرائع ﴿مَغْرَمًا﴾ يعدُّ ما يتصدّق به، خسارةً ومغرماً يُثقل الكاهل ﴿الدَّوَائِرَ﴾ ينتظر بكم دوائر الزمان ومصائبه ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ دعاءٌ عليهم، كأنه يقول: أهلكهم الله وشتَّت شملهم ﴿قُرُبَاتٍ عِندَ اللَّهِ﴾ ابتغاء مرضاة الله ﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ دعاء الرسول واستغفاره لهم.

توضيح: نبّه تعالى أن المنافقين، يُقْدِمون على الحلف كذباً، دونَ وازعٍ من دينٍ أو ضمير، ليرضوا الخلْقَ دون حساب للخالق، حتى ولو أغضبوا الله بكذبهم، وأشدُّ هؤلاء سفهاً وجهالة (منافقو الأعراب) سكان البوادي، الذين ضمُّوا إلى النفاق، السَّفه والجهل وقلّة الفهم، فهم يعيشون كالأنعام، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، لجفائهم وقسوة قلوبهم، ولهذا جاء قولُ الحقّ عنهم: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا..﴾ الآية.

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ الأوائل الذين سبقوا إلى الهجرة والنُّصرة، وهم المهاجرون من مكة إلى المدينة، والذين ناصروهم وآووهم، وهم «الأنصار» الذين قاسموا المهاجرين أموالهم، وأسكنوهم ديارهم ﴿ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ سلكوا طريقهم، في الإخلاص والطاعة ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ نالوا رضوان الله، بخلاف المنافقين الذين غضب الله عليهم ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم ﴾ من أطراف المدينة منافقون، يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ﴾ ومن أهل المدينة منافقون أيضاً، يسكنون معكم ﴿ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ مهروا بالنفاق، وأقاموا واستمرُّوا عليه ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ في الدنيا بالقتل والأسر، وعند الموت بعذاب القبر ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ ادع لهم واستغفر لهم ﴿ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ رحمة وطمأنينة لهم ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ ﴾ يعني مؤخرون ليحكم الله في أمرهم. وهم الثلاثة الذين تخلَّفوا عن (غزوة تبوك) واقرأ قصتهم كاملة في صحيح البخاري.

ثناءُ الله على الصحابة: أثنى تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله جميعاً، المهاجرين منهم والأنصار، لصحبتهم لرسوله ﷺ، وتسابقهم لنصرة الإسلام، وقد سأل بعض التابعين (محمدَ ابنَ كعبٍ القُرَظي) فقال: ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ في ما كان بينهم من الفتن؟ فقال: إن الله تعالى قد غفر لهم جميعاً، وأوجب لجميعهم الجنة في كتابه العزيز، مُحسِنِهم ومُسيئهم، فسأله في أيِّ موضعٍ؟ فقال: سبحانَ الله، ألا تقرأ قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ.. ﴾ الآية.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ
وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
(١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ
يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً
فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١٠)
۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم
بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ
وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا
بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)

ربع الحزب ٢١

﴿مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ قريباً من مسجد قباء، مضارة للمؤمنين، ليصرفوا الناس عن «مسجد قباء» إليه، وقد اشتهر بمسجد الضرار ﴿وَكُفْرًا﴾ نصرةً للكفر الذي يخفونه في نفوسهم ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ليفرِّقوا جماعة المسلمين وتختلف كلمتهم ﴿وَإِرْصَادًا﴾ ترقباً وانتظاراً لقدوم عدوِّ الله «أبي عامر الراهب» الذي قال لرسول الله: «لا أجد قوماً يقاتلونك إلَّا قاتلتُك معهم» وهو الذي أمرهم ببناء مسجد الضرار ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ لا تصلِّ يا محمد فيه أبداً ﴿أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ﴾ بُني على تقوى الله وهو «مسجد قباء» ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ منذ أول يوم ابتدئ ببنائه ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ أحقُّ بالصلاة فيه ﴿شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ تمثيلٌ رائع بديع، أي هل من أقام بناءه على أساسٍ متين، من تقوى الله ورضوانه، خير أم من أقام البناء على طرف وادٍ سحيق، مشرف على السقوط؟ ﴿فَانْهَارَ بِهِ﴾ فسقط به البناءُ في نار الجحيم، لعدم وجود أساس ﴿رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ شكاً ونفاقاً في قلوبهم، حتى تزهق الأرواح وتتقطع القلوب. **سبب النزول:** رُوي أن (أبا عامر الراهب) كان قد تنصَّر في الجاهلية، فلمَّا بُعِثَ رسولُ الله ﷺ أظهرَ له العداءَ، وكان رسولُ الله ﷺ يسميه (أبا عامر الفاسق) فلمَّا انتصر الرسولُ في حُنين، خرج عدوُّ الله إلى الشام، وأرسلَ إلى إخوانه المنافقين: ابنوا لي مسجداً، فإني ذاهبٌ إلى (قيصر) ملكِ الروم، فآتي بجنودٍ من الروم، وأُخرج محمداً وأصحابه، فبَنَوْا له مسجداً قريباً من مسجد قباء، وفيه نزل ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا..﴾ الآيات، رواه الطبري.

الجزء الحادي عشر — سورة التوبة

ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ الغُزاة المجاهدون في سبيل الله ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ﴾ المصلُّون المتعبِّدون لله ﴿لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ المحافظون على أحكام الله، الذين لا ينتهكون المحارم ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بجنات النعيم ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ﴾ الآية نزلت في «أبي طالب» دخل الرسول ﷺ عليه وهو في مرض الموت فقال له: يا عمُّ قلْ «لا إله إلا الله» كلمةً أشهد لك بها عند الله!! وأخذ يكرِّرها عليه، فكان آخر ما قاله: هو على ملَّة عبد المطَّلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله، ثم مات، فقال الرسول ﷺ: **«لأستغفرنَّ له ما لم أُنه عن ذلك»** فنزلت الآية والمعنى: لا ينبغي للنبيِّ والمؤمنين، أن يستغفروا للمشركين، ولو كانوا أقرب الناس إليهم، بعد أن ماتوا على الكفر ﴿لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ كثير التأوه والحزن، من فرط رحمته ورقة قلبه ﴿سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ غزوة تبوك، كانت شاقة وعسيرة لبعد مسافتها ﴿يَزِيغُ﴾ تميلُ للتخلف عن الجهاد، ﴿لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ ليس من عادته تعالى أن يقضي على قوم بالضلال، حتى يرسل لهم الرسل، ويبيِّنوا لهم الحلالَ والحرامَ، فإن خالفوا استحقُّوا العقوبة. كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.

تنبيه: سميت غزوة تبوك (غزوة العسرة) لأنها كانت في شدة الحر، وقلة الزاد، وبُعْدِ المسافة.
روى الطبري عن عمر رضي الله عنه قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك، في قيظٍ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش، حتى إن الرجل لينحر البعير، فيعصر فَرْثه ـ كرشه ـ فيشربه!! فقال أبو بكر: يا رسول الله ادعُ الله لنا، فقد عوَّدك الله في الدعاء الخير! فدعا فسكبت السماء مياهها، فنظرنا فما وجدناها جاوزت العسكر.!) انظر تفسير ابن كثير.

الجزء الحادي عشر — سورة التوبة

وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ﴾ وتاب عن الذين تخلَّفوا عن الغزو «كعب، وهلال، ومُرارة» ﴿بِمَا رَحُبَتۡ﴾ ضاقت عليهم الأرض على سعتها، لمنع النبي ﷺ عن مكالمتهم ومجالستهم ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ بما اعتراها من الغمّ والهمّ ﴿وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ﴾ وأيقنوا أنه لا ملجأ لهم إلى الله، إلا بالرجوع والإنابة إليه ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾ تاب تعالى عليهم بعد خمسين يوماً، ليستقيموا على توبتهم ويستمرُّوا عليها ﴿وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ﴾ ولا يترفَّعوا بأنفسهم بأن يكرهوا لها ما يرضونه للرسول من الشدائد والمكاره ﴿ظَمَأٞ﴾ عطش ﴿وَلَا نَصَبٞ﴾ تعب ﴿وَلَا مَخۡمَصَةٞ﴾ مجاعة في سبيل الله ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم﴾ كتب لهم به أجر عظيم ﴿وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا﴾ ولا يجتازون في غزوهم وادياً من الوديان ﴿لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ﴾ يخرجوا إلى الجهاد جميعاً، ويتركوا المدينة خالية، بل ينبغي أن تبقى جماعة، لتتفقَّه في الدين، وجماعة تخرج للجهاد، فإذا رجعوا علَّمهم إخوانهم ما اقتبسوه من الرسول ﷺ.

نصف الحزب ٢١

سبب النزول: لمَّا شدَّد الله النَّكيرَ على المتخلِّفين عن الجهاد، قال أصحابُ رسول الله: لا يتخلَّف أحدٌ منَّا بعد اليوم، فلمَّا أرسل الرسولُ ﷺ السرايا إلى الكفار، نفَرَ المسلمون جميعاً إلى الغزو، وتركوا الرسولَ ﷺ وحدَه بالمدينة المنوَّرة.

فنزلت هذه الآية ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ . .﴾ الآية، تفسير ابن كثير.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ
وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾
وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ
إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ
﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا
إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوۡنَ
أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ
لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ
سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ
ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ
﴿١٢٧﴾ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ
عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ
رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سُورَةُ يُونُس — ترتيبها ١٠ — آياتها ١٠٩

﴿يَلُونَكُم﴾ قاتلوا القريبين منكم من أعدائكم، لتطهّروا ما حولكم من رجس المشركين، وهذا تخطيطٌ حربيٌّ رائع، لأنه لا يمكن قتال جميع الكفار في زمان واحد ﴿وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ﴾ شدّةً عليهم وشجاعةً أمامهم، حتى تُقلَّم أظفارُ الشرك ﴿مَّرَضٞ﴾ المنافقون الذين في قلوبهم نفاق وشك ﴿رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ﴾ زادتهم الآياتُ نفاقاً فوق نفاقهم، وكفراً فوق كفرهم، سمي الكفر رجساً لأنه أقبح الأمور ﴿يُفۡتَنُونَ﴾ تُفضح سرائرهم كلَّ سنة مرة أو مرتين ﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ﴾ جاءكم رسول عظيم القدر، من جنسكم من العرب، يبلّغكم رسالة الله ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ﴾ صعبٌ وشاق عليه ﴿مَا عَنِتُّمۡ﴾ ما يوقعكم في المكروه والمشقة ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾ على إيمانكم وهدايتكم ﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُ﴾ يكفيني ربي في نصرتي على أعدائي، **قال ابن عباس:** لم يجمع اللَّهُ بين اسمين من أسمائه، إلَّا لمحمد خاتم الأنبياء ﷺ، سماه (الرءوف) (الرحيم). وهي من أسماء الله الحُسْنى.

تنبيه: أرشد تعالى بقوله: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗ﴾ إلى الطريق الأصلح والأنجح في الحرب، وهو قتالُ الذين هم أقربُ إلى ديار المسلمين، بأن يبدأ بالأقرب فالأقرب، حتى يَصِلُوا إلى الأبعد فالأبعد، ولا يقاتلوا البعيد ويتركوا القريب، فقد يلتفُّ عليهم الأعداء وينقضُّوا عليهم، وهذه خطة حربية دقيقة أرشدهم إليها القرآن، والمراد بالغلظة في الآية: الشجاعةُ والبسالةُ، والصبرُ على القتال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

سورة يونس

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ هل كان أمر محمد شيئاً عجيباً حتى ينكروا رسالته؟ ﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾ بشر المؤمنين بأن لهم منزلة رفيعة عند الله، لصدقهم وإيمانهم ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ علا فوق العرش علواً يليقُ بجلاله ﴿يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ يُحيي الخلائق ثم يميتهم، ثم يُحييهم ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ ليجازي المؤمنين بالعدل ﴿شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ويجازي الكفار بشرابٍ من ماءٍ حارٍّ، بلَغَ نهايةَ الحرارة ﴿ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ مضيئةً ساطعة كالسراج الوهّاج ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ وجعل القمر منيراً بالليل، والشمسُ حرارتُها من ذاتها، ولهذا عبَّر عنها بالضياء، والقمر يستمدُّ نوره من الشمس، ولذلك عبَّر عنه بالنور ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ قدَّر سيره في منازل يسير فيها ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ﴾ لتعلموا عدد السنين والشهور والأيام ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ ما خَلَقَ ذلك عبثاً، بل لحكمة عظيمة، وفائدة جليلة ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ يوضِّح للبشر هذه الآيات الكونية ليعرفوا قدرة الله ويؤمنوا بوحدانيته. .

تنبيه: كان المشركون يقولون: العجبُ أنَّ الله لم يجد رسولاً، يرسله إلى الناس إلَّا يتيم (أبي طالب)!! وهذا من فرط حماقتهم، وسوء نظرهم، وجهلهم بحقيقة النبوة والوحي، وانتقاصهم للرسول بأنه يتيم، وفقير ليس بنقيصة، بل هو مفخرة، فإن أنفسَ الدُّر (اليتيمة) فالله سبحانه هو الذي علَّمه، وأدَّبه، وربَّاه، كما قال ﷺ: «**أدَّبني ربي فأحسن تأديبي**»!

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ۞ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لا يعتقدون بلقاء الله أصلاً، لإنكارهم البعث والحساب ﴿وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ رضوا بهذه الحياة الفانية، عن الآخرة الباقية، فآثروا الخسيسَ على النفيس ﴿وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ سكنوا ومالوا إلى زخارفها ولذائذها ﴿مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ مسكنهم ومستقرُّهم نار الجحيم

ثلاثة أرباع الحزب ٢١

﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾ يهديهم إلى طريق الجنة بسبب إيمانهم ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ تجري من تحت قصورهم أنهارُ الجنة بالماء السلسبيل ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا﴾ دعاؤهم في الجنة التسبيحُ والتقديسُ والتحميد، دون كُلفةٍ ولا مشقة، وفي الحديث «**يُلْهمون التسبيح والتحميد كما تُلْهمون النَّفَس**» ﴿ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾ لو يعجِّل الله للناس الشر، كما يعجّل لهم في الخير ﴿لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ لهلكوا وعُجِّل لهم في الموت ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يَعْمون عن الحقّ والرشد ﴿دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ﴾ استغاث بنا ﴿ٱلْقُرُونَ﴾ الأمم المكذبة لرسلها ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ استخلفناكم بعد إهلاكهم، لنرى صنيعكم هل تُصلحون أم تُفسدون؟

توضيحٌ وبيان: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ . .﴾ الآية.

المعنى: لو عجّل الله استجابة دعاء الناس بالشر، كما يعجِّل لهم استجابة الدعاء بالخير، لهلكوا وما أُمهلوا طرفة عين، ولكنَّ الله رحيمٌ بالعباد، **قال مجاهد:** هو دعاء الرجل على نفسه، أو ولده إذا غضب عليه، يقول: اللهم أهلكْه، اللهم دمِّره، فلو استجاب الله دعاءه، فأماته وأهلكه، لبقي الإنسان متحسِّراً طوال عمره على ما دعا به عليه.

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾

﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ ائتنا بكتاب غير هذا القرآن، ليس فيه عيبُ آلهتنا، أو غيِّرْ بعضَ آياته، قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُۥ﴾ ما يصحُّ ولا يستقيم لي أن أغيِّر شيئاً من أحكام الله ﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾ لا أتّبعُ إلّا ما يوحيه إليَّ ربـــي ﴿وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ ولا أعلمكم اللّهُ به على لساني ﴿لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ مكثتُ بين أظهركم أربعين سنة تعرفون صدقي وأمانتي ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟ أفليس لكم عقول تفكّرون بها؟ فمن عاش بينكم هذه المدة الطويلة، ولم تُمسِكوا عليه كذبة واحدة، كيف يكذب على الله؟ ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ يعبدون أوثاناً لا تضرُّ ولا تنفع ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا﴾ ويزعمون أنها تشفع لهم، وهذا محضُ الجهل، كيف تشفع لهم وهي جماد، لا تحسُّ ولا تُبصر!؟ ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ هلّا أتانا محمد بمعجزة من عند ربه، كعصا موسى، وناقة صالح!! ﴿ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ فقل لهم: إن أمر الوحي لله وحدَه، ولا يأتي بالآيات والمعجزات، إلّا ربُّ العزة والجلال، وليس أمرها إليَّ حتى آتيكم بما تحبُّون وتقترحون!! **وفي قوله تعالى:** ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ﴾ فيه إزراءٌ بعقول المشركين، وتقبيح لهم، يقول: لقدْ مكثتُ بين أظهركم عُمُراً طويلاً، أفليس لكم عقول تدركون بها، أن مثل هذا الكتاب المعجز، لا يمكن أن يكون إلّا من عند الله!! إنهم يعلمون أنه ﷺ ما طالع كتاباً، ولا تتلمذ على أستاذ، ثم جاءهم بهذا الكتاب الذي عجز عن معارضته العلماء والفصحاء والنبغاء، أفلا يكفي هذا دليلاً على صدق رسالته؟

وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾

﴿رَحۡمَةٗ﴾ رخاءً بعد شدَّة، وخصباً بعد جدب ﴿مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَا﴾ استهزاء وتكذيب ﴿أَسۡرَعُ مَكۡرًا﴾ اللَّهُ أعجلُ عقوبةً، وعذابه أسرعُ مما تتصورون ﴿ٱلۡفُلۡكِ﴾ السفن في لُجَّة البحر ﴿رِيحٌ عَاصِفٞ﴾ جاءتها ريح شديدة عاصفة ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ﴾ وأحاطت بهم أمواج البحر من كل جانب ﴿أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ أيقنوا بالهلاك ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ دعوا ربهم بصدقٍ وإخلاص، ونسوا آلهتهم المزعومة ﴿مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ إن أنقذتنا من هذه الشدائد، لنعبدنَّك وحدك ونشكرنَّك على نعمائك ﴿يَبۡغُونَ﴾ لمَّا نجّاهم وخلّصهم من الهلاك، رجعوا إلى الكفر والعصيان، فهم يعرفون ربهم في الشدة، وينسونه في الرخاء ﴿زُخۡرُفَهَا﴾ نضارتها وبهجتها ﴿حَصِيدٗا﴾ كالنبات المحصود بالمناجل ﴿كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ﴾ كأنها لم تكن موجودة عامرة بالزرع.. والتعبيرُ بالزخرف والزينة غايةٌ في الإبداع والبيان، كأن الأرض عروسٌ، تجمّلت بأبهى الحلل ﴿دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ الجنة، لأن من يدخلها يسلم من الأحزان، والهموم، والأكدار.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾ أي وبالُ بغيكم عائد على أنفسكم، لا تضرُّون به إلا أنفسكم. روى أنسٌ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ثلاثٌ هنَّ رواجعُ على أهلها: المكرُ، والبغيُ، والنكثُ**»، ثم تلا ﷺ قولَ الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ..﴾ وتلا ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾، وتلا ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ..﴾ رواه أبو نُعيم والديلمي.

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾

الحزب ٢٢

﴿أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ للمؤمنين المحسنين المنزلةُ الحسنى وهي «الجنة» ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ التمتع بالنظر لوجه الله الكريم، كما فسّره النبيُّ ﷺ في رواية مسلم ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾ لا يغشاها ﴿قَتَرٌ﴾ غبارٌ وسواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ هوانٌ وحزن ﴿كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ كفروا بالله وعصوا أمره ﴿عَاصِمٍ﴾ ليس لهم من يُنجيهم ويُخلّصهم من عذاب الله ﴿أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ﴾ كأنما أُلبست وجوههم من فرط الظلمة والسواد ﴿قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ قِطَعاً من ظلام الليل الحالك ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ فرّقنا بينهم وقطّعنا أوصال المودة والمحبة، بين العابدين والمعبودين ﴿تَبْلُو﴾ في ذلك الموقف الرهيب، تُختبرُ كلُّ نفسٍ من النفوس ﴿مَّا أَسْلَفَتْ﴾ ما قدَّمتْ من خيرٍ أو شر ﴿مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ رجعوا إلى ملك الملوك، رب العزة والجلال، المتولّي جزاءَهم بالعدل ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ ضلَّ وغاب عنهم ما كانوا يزعمونه، من شفاعة الآلهة والأوثان.

تمثيل بديع: ١ ـ التعبير بقوله تعالى: ﴿أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ تصوير رائع في غاية الإبداع والجمال، تمثيلٌ لها بالعروسِ، إذا تزيَّنتْ بالحليّ والثياب، فلبست أزهى الملابس، وتجمَّلت بأبهى الحُلَل، كذلك الدنيا تَخدعُ ثم تَصرع، فإذا نزل عليها الغيثُ، تزينت بالأزهار والثمار، ثم جاءها أمرُ الله بالهلاك والدمار.

٢ ـ قولُه تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ جاء تفسيرها في حديث رواه مسلم عن رسول الله ﷺ، فسّر ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ بالجنة، والزيادة بالنظر إلى وجه الله، قال: «**فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فما أُعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم**» رواه مسلم.

قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ
ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ
إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن
يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾
وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ
ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ
فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ
مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾
بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾
وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ
بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ
أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنۡهُم مَّن
يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٢﴾

﴿مَن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾ هل من آلهتكم المزعومة من ينشئ الخلق ثم يُعيده ويحييه؟ ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ فكيف تُصرفون عن الحقّ إلى الباطل!! ﴿لَّا يَهِدِّيٓ﴾ لا يهتدي إلّا أن يهديه غيرُه، ومرادُه أن أوثانهم لا تهتدي بنفسها، فكيف تَهْدي غيرها!! هل يستطيع الأعمى أن يرشد ضالاً إلى الطريق؟ نبّههم على بطلان عبادة الأوثان من وجهين: **الأول**: أنها حجارة صمّاء بكماء، لا تحيي ولا تميت، **الثاني**: أنها لا ترشد ضالاً، ولا تهدي حائراً ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُ﴾ هل يقول الظالمون: اختلق محمد القرآن من قِبَل نفسه، ونَسَبه إلى الله؟ ﴿بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ﴾ ائتونا بسورةٍ من مثل القرآن في الفصاحة والبيان ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾ استعينوا بمن شئتم من الإنس والجن ﴿تَأۡوِيلُهُۥ﴾ لم يتبيَّن لهم عاقبةُ ما فيه من الوعيد ﴿يُؤۡمِنُ بِهِۦ﴾ من قومك من يُصدِّق بأن هذا القرآن من عند الرحمن، ومنهم من يُكذِّب به ﴿تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ جمع أصمّ وهو الأطرش الذي لا يسمع الكلام ﴿ٱلۡعُمۡيَ﴾ الذي لا يرى ما حوله، شبّه الكفار بالعُمْي وبالصُّمّ لتعاميهم عن الحق، وإعراضهم عنه.

نبّه تعالى بالبرهان الناصع، أن القرآن كلام الرحمن، فإن النبيَّ ﷺ رجلٌ أميٌّ بشهادة جميع قومه، جاءهم بهذا الكتاب المبين، وتحدّاهم تحدياً لاذعاً، أن يأتوا بمثل سورة واحدة من سوره، وكرّر هذا التحدي، وهم أساطينُ الفصاحة، وملوكُ البيان، فعجزوا وانقطعوا، ورجعوا مدحورين، أفلا يكفي هذا برهاناً على صدق رسالة محمد ﷺ!؟

وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾

﴿يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ يشاهد دلائل نبوّتك ولا يهتدي بها، لأنه كالأعمى ﴿تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ هل أنت تقدر على هداية من كان أعمى القلب والبصيرة؟ ﴿سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ﴾ كأنهم ما أقاموا في الدنيا إلّا زمناً يسيراً ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً يقول الواحد للآخر: أنتَ أغويتني وأضللتني!! وهو تعارف توبيخ، لا تعارف محبة ومودة ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالحقّ والعدل ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿عَذَابُهُ بَيَاتًا﴾ إن أتاكم عذابُ الله ليلاً وأنتم نائمون ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ ما أعظمَ استعجالهم للعذاب!؟ وأيّ شيء ينفعهم إن وقع عليهم العذاب؟ ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ أبعد أن وقع العذاب صدّقتم به؟ ﴿وَيَسْتَنبِئُونَكَ﴾ على طريق الاستهزاء، فيقولون: أحقٌّ ما تعدنا به من البعث والجزاء؟ ﴿إِي وَرَبِّي﴾ قل لهم: أقسمُ لكم بربي، إنه لحقٌّ لا شكَّ فيه ﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ لستم معجزين ربكم لأنكم في قبضته وسلطانه، أمره الله أن يُقسم لهم بعظمة الله وجلاله، على أنّ الله سيبعثهم بعد الموت.

ربع الحزب ٢٢

قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ ! ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ جاءت تسليةً للنبي ﷺ عمّا يلقاه من المشركين، من تكذيبٍ وإعراضٍ عن دعوته، وكأنها تقول له: كما أنك لا تقدر أن تخلق للأعمى بصراً، يهتدي به إلى طريقه، ولا تستطيع أن تُسمع الأصم الذي فَقَد سمعه، فكذلك لا تقدر أن تحمل هؤلاء على الإيمان، فلا تحزنْ لتكذيبهم لك!! ويكفيك أنك قدّمتَ لهم ما في وُسْعك من نصحٍ وتذكير.

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا
النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ
وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ
مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ
فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى اللَّهِ
تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ
وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ
فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾

﴿لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ لو كان للكافر ملءُ الأرض من الأموال والكنوز لدفعه فديةً له من عذاب الله، ولكن هيهات!! ﴿وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ﴾ أخفوا الأسفَ والغمَّ عن غيرهم، لئلا يشمتوا بهم ﴿بِالْقِسْطِ﴾ قضى الله بين الخلق بالحقّ والعدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لا يُعاقبون إلّا بأعمالهم الإجرامية ﴿جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ﴾ تذكرة من ربكم في هذا القرآن العظيم ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ شفاء لها من الجهل والشك والضلال ﴿بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ ليفرحوا بنعمة القرآن والإسلام ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ خير من حطام الدنيا الزائل ﴿آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ هل أعْلَمكم الله بهذا التحليل والتحريم؟ أم هو مجرد الافتراء والكذب على الله؟ ﴿فِي شَأْنٍ﴾ في أمر هام من أمورك ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تخوضون فيه بالباطل ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ لا يغيب عن رب العالمين شيء في الأرض ولا في السماء ﴿كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ مسجّل ومسطّر في اللوح المحفوظ، فكيف تخفى عليه أعمال العباد!!

قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ قال ابن عباس: (فضلُ الله) القرآنُ (ورحمتُه) الإسلامُ، أي فليفرحوا بنعمة القرآن والإسلام، فهذا خير لهم من جمع حطام الدنيا، فإنَّ نعيم الدنيا زائل، وزهرتها فانية، ولو أن المجرم قدّم كلَّ ما في الأرض من كنوز، وأموال، فديةً له، ليتخلّص من العذاب لم ينفعه ذلك، وفي الحديث الشريف يقول الله يوم القيامة للكافر: «**أرأيتَ لو كان لكَ ملءُ الأرض ذهباً، أكنتَ تفتدي به من هذا العذاب؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول الله له: كنتُ قد سألتك ما هو أهونُ، سألتُك أن لا تشركَ بي، فأبيتَ إلّا الشركَ**» رواه البخاري.

أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ أحباب الله الذين يحبُّهم ويحبُّونه ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما تركوا في الدنيا، ثم وضَّحهم بقوله: ﴿وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ هم المؤمنون المتقون لربهم، فالوليُّ الحقيقيُّ هو: المؤمن المتَّقي للَّهِ ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ لهم البشارة السارَّةُ من الله، تبشِّرُهم الملائكة عند الاحتضار، برضوان الرحمن، وفي الآخرة بدخول الجنان ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ لا إخلاف لوعده تعالى ﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ لا تهتمَّ ولا تكترث بوعيدهم وتهديدهم ﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ فالقوَّةُ والغلبةُ للَّهِ، وحدَه يمنحها من يشاء ﴿يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ما ينسبونه إلى الله من الولد ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ هل عندكم حجة وبرهان؟ ﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ نمتِّعهم قليلاً في الدنيا، ثم مرجعهم إلينا للحساب والجزاء ﴿نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ نحرقهم في نار جهنم، بسبب كفرهم وإجرامهم.

ورد في الحديث الشريف: «**إن لله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياءُ والشهداء يوم القيامة، لقربهم من الله!!**» قال أعرابي: يا رسول الله، انعتهم لنا!! قال: «**هم قوم تحابُّوا في الله، على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى منابرَ من نور، لا يخافون إذا خاف الناسُ، ولا يحزنون إذا حَزِن الناسُ**»، ثم قرأ ﷺ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ رواه أحمد والطبري.

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ وَأَغۡرَقۡنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾

(سد الحزب ٢٢)

﴿كَبُرَ عَلَيۡكُم﴾ عظم وشقّ عليكم ﴿مَّقَامِي﴾ طولُ مُكْثي وإقامتي بينكم مدة طويلة ﴿وَتَذۡكِيرِي﴾ وتخويفي لكم من عذاب الله، وعزمتم على قتلي ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ اعتمدتُ فلا أخاف من تهديدكم ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾ اعزموا أمركم، وادعوا شركاءكم لكيدي ﴿غُمَّةٗ﴾ لا يكن أمركم مستوراً بل مكشوفاً مشهوراً ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ امضوا في ما أردتم ولا تمهلوني، قاله لهم ثقةً بنصر الله له ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ خَلَٰٓئِفَ﴾ جعلنا المؤمنين مع نوح، يخلفون الهالكين بعدهم، وأغرقنا المكذبين بالطوفان ﴿عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾ أنظر كيف كانت نهايةُ المكذّبين لرسلهم؟ ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الواضحات ﴿لِتَلۡفِتَنَا﴾ هل جئتنا يا موسى لتصرفنا عن عبادة الآباء والأجداد؟ ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾ العظمة والملك في أرض مصر؟ اتهموا موسى بالسحر والشعوذة، وأنه يريد من وراء دعوته، أن يتملَّك عليهم بما جاء به من الخوارق والمعجزات، وهي فِريةٌ مكشوفة، وتهمةٌ باطلة، لتنفير الناس من اتّباعه.

تنبيه: قولُ نوح عليه السلام: ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ دليلٌ واضح قاطع، على أن جميع المرسلين دينُهم واحد، فهم جميعاً يدعون إلى الإسلام، دينِ أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ فالدينُ واحد، والشرائع مختلفة، فافهم هذا رعاك الله.!

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

﴿سَٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ ماهر عالم بفنون السحر ﴿أَلْقُوا۟﴾ ألقوا حبالكم وعصيكم ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بقوي الله الحقَّ بحججه وبراهينه ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ ظهور الحقِّ ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾ ما آمن مع موسى إلا نفرٌ قليل من أولاد بني إسرائيل ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ على خوفٍ من فرعون أن يعذِّبهم ويصرفهم عن دينهم ﴿لَعَالٍ﴾ مفسدٍ في الأرض متكبِّرٍ متجبِّرٍ ﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ المجاوزين الحدَّ في الفجور والطغيان ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ لا تُسلِّطهم علينا فيفتنوننا عن ديننا ﴿أَن تَبَوَّءَا﴾ اصنَعَا واجعلا لبني إسرائيل بيوتاً للعبادة ﴿بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ اجعلوها مصلًّى لكم ﴿ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ أهلكْ أموالهم وبدِّدْها ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ امنعهم التوبة والإيمان ﴿ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ فلا يؤمنوا حتى ينالوا أقسى العذاب وأشدَّه!!

تذكير وتبصير: قوله تعالى:

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ الظاهر أن فرعون قد اندحر، وأن موسى قد انتصر، بعد أن ألقى السحرةُ حبالهم وعصيَّهم، فإذا هي أشباهُ الأفاعي والثعابين، فلما ألقى موسى عصاه، ابتلعت جميعَ تلك الحبال، ممَّا جعل السحرةَ يخرُّون ساجدين لله رب العالمين، وأن يرجع فرعون خائباً، يجرُّ أذيال الهزيمة والخيبة، ويتوعَّد السحرة بأن يقطع أيديهم وأرجلهم، وقد نفَّذ ذلك فيهم، ولم يتراجعوا عن إعلان إيمانهم على رؤوس الأشهاد، فكانوا في أول النهار سَحرة، وفي آخر النهار شهداء بررَة كما قال ابن عباس رضي الله عنه.

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ
فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ
ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ
وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ
مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ
خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ
فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ
ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ
مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ
﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٢٢

﴿أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ استجبتُ دعوتكما على آل فرعون ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ اثبتا على عبادة الله وطاعته ﴿سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا تسلكا سبيل الجهلة في الاستعجال، **قال الطبري**: رُوي أنه مكث بعد هذه الدعوة أربعين سنة ثم أهلك الله فرعون ﴿وَجَٰوَزْنَا﴾ قطعنا ببني إسرائيل بحر السويس ﴿بَغْيًا وَعَدْوًا﴾ لحقهم فرعون بجنوده ظلماً وعدواناً ﴿أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ﴾ أحاط به الغرقُ وأيقن بالهلاك ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ آلآن تُؤمن حين أيقنتَ بالهلاك؟ ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ كنتَ من قبلُ فاجراً عاصياً لله؟ ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ نخرجك من البحر جسداً بلا روح ﴿ءَايَةً﴾ لتكون عبرةً للطغاة المتجبرين ﴿بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا وأسكنّا ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ منزلاً صالحاً مرضياً ﴿ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكّين في قدرة الله! والخطابُ ظاهره للرسول، وحقيقتُه للأمة، أي لا تشكُّوا يا معشر المؤمنين في القرآن، فإنه حقٌّ منزل من الرحمن، **قال ابن عباس**: «لم يشكَّ النبيُّ ﷺ ولم يسأل» فالمراد تحذير الأمة من الشك، بدليل **قوله تعالى بعده**: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ ويستحيل أن يكذِّب الرسول بشيء من آيات القرآن، فالمراد إذاً تحذير الأمة من التكذيب، قال القرطبي: الخطابُ في هاتين الآيتين للنبي ﷺ، والمرادُ غيرهُ من الناس ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ سبقت ووجبت عليهم كلمة العذاب لشقاوتهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ لا يصدِّقون بنبوَّتك ولو جاءتهم البراهين والمعجزات، حتى ينزل بهم عذابُ الله الأليم.

فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ
ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ
إِلَىٰ حِينٖ ﴿٩٨﴾ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ
جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا
كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ
عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾
فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ
قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي
رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
﴿١٠٣﴾ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ
تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡۖ وَأُمِرۡتُ
أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗا
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾

﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ ما آمنت قرية عند معاينة العذاب فنفعها إيمانها ﴿إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ﴾ غير قوم يونس ﴿عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ﴾ لمَّا تابوا عن الكفر رفعنا عنهم العذاب المهين المخزي ﴿وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ أخرناهم إلى انتهاء آجالهم ﴿وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ﴾ يجعل عذاب الله وسخطه، على الذين يُهملون عقولهم ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ﴾ ماذا تنفع المعجزات والبراهين الساطعة؟ ﴿وَٱلنُّذُرُ﴾ الإنــذارات ﴿عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ لا يصدِّقون باللّهِ ورسله؟ ﴿فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ﴾ ما ينتظر هؤلاء الضالون ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ﴾ إلا مثل أيام أسلافهم المهْلَكين ﴿ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡ﴾ الذي بيده محياكم ومماتكم ﴿وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ﴾ استقم على الدين الحقِّ، دين الحنيفية السمحة «الإسلام» ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ خطاب للأمة في شخص قائدها وعظيمها، وحاشا للرسول المنزَّه المعصوم أن يشرك بالله؟! ولكنه على عادة الملوك والعظماء، يخاطبون الكبراء والوزراء، ومرادهم الشعب والأمة ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ لا تعبد غير الله، ولا تشرك به شيئاً، لا صنماً، ولا وثناً، ولا بشراً، ولا حجراً، مما لا ينفع ولا يضرُّ، واعبد ربك وحده.

تنبيه: قال ابن عباس: (كان الرسول ﷺ حريصاً على إيمان جميع الناس، فأخبره تعالى أنه لا يؤمن إلَّا من سبقتْ له السعادة في علم الله، ولا يكفر إلا من سبقت عليهم الشقاوة في الذِّكر الأول) يعني في علم الله.. وعبَّر تعالى عن الكفر بالرِّجس ﴿وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ﴾ وهو القَذَرُ والنَّجسُ، لأن الكفر نجاسة قلبية، أعظمُ من النجاسة الحسية.

الجزء الحادي عشر — سورة هود

وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ

ترتيبها ١١ — آياتها ١٢٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

﴿بِضُرٍّ﴾ إن مسَّك ضرٌّ في نفسك أو أهلك ﴿كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ لا يرفع البلاء ولا يكشف الضرَّ إلا الله ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ وإذا أراد الله لك الخير، من نصر، وعزّ، وغنى، فلا يقدر أحدٌ على منعه ﴿جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ جاءكم القرآن العظيم، الهادي إلى الصراط المستقيم ﴿بِوَكِيلٍ﴾ لستُ موكلاً بحفظ أعمالكم ﴿يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ اصبر على المشاقّ حتى يفصل الله بينك وبين أعدائك، والآية تسلية للنبي ﷺ مما يلقاه من أذى المشركين السفهاء.

سورة هود

﴿أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ﴾ نُظمت نظماً محكماً رصيناً ﴿فُصِّلَتْ﴾ وُضحت أحكامها أجمل توضيح ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ من عند إلـهٍ حكيم بمصالح العباد، عالم بأخبارهم ﴿مَّتَـٰعًا حَسَنًا﴾ يمتعكم بحياة سعيدة هنيئة، إلى انتهاء أعماركم ﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ يطوونها على عداوة الرسول ﴿يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ يتغطون بثيابهم ليستخفوا من الله، لئلا يفتضح أمرهم، وهو المطَّلع على خفايا سرائرهم وضمائرهم.

سبب النزول: لقد اشتدّت عداوةُ المشركين للرسول ﷺ والمؤمنين، ولقد وصل بهم الحقدُ أنهم كانوا إذا رأوا الرسول ﷺ ثَنَوْا صدورهم، وردُّوا إليه ظهورهم، وغشَّوْا وجوههم بثيابهم، كراهةً للقائه، ويظنون أن ذلك يخفى على الله عزَّ وجل، ولكنَّ الله لهم بالمرصاد، يرقبهم ليلاً ونهاراً، ويعلم أحوالهم سراً وجهاراً، وفيهم نزلت ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ..﴾ الآية.

الجزء الثاني عشر — سورة هود

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ٦ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ٧ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ٨ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ٩ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ١١ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ١٢﴾

الجزء ١٢ الحزب ٢٣

﴿مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ يعلم المكان الذي تسكن فيه، والموضع الذي تموت فيه وتُدفن ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم فيظهر المحسنُ من المسيء. ﴿أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ مدة من الزمن قليلة ﴿مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ ما يمنع العذابَ من النزول؟ يقولونه سخرية واستهزاءً ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ يوم ينزل بهم العذاب ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ لن يرفعه عنهم أحد ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ نزل وأحاط بهم العذاب الذي كانوا يسخرون منه ﴿لَيَـُٔوسٌ﴾ شديدُ اليأسِ والقنوط ﴿كَفُورٌ﴾ شديد الكفران لنعم الله ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ يضيق صدرك من تبليغهم لئلا يكذبوك ﴿جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ﴾ يصدِّقه كما اقترحنا ﴿وَكِيلٌ﴾ حافظ لأعمال العباد، والغرضُ تحريضُ الرسول على تبليغ الرسالة، وعدم المبالاة بالكفار الفُجّار، وكأن الآية تقول: امضِ يا محمد في دعوتك، ولا تبالِ بسخريتهم وتكذيبهم، فإن اللَّهَ ناصرُك عليهم!!

توضيح وبيان: نبَّهت الآية الكريمة ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ على أن طبيعة الكافر، الجحود لفضلِ الله وإنعامه، لا يُقرُّ بفضلِ الله عليه، فإذا حصلتْ له النعمةُ، ثم زالتْ عنه، وقعَ في اليأس الشديد، وإذا جاءته النعمةُ، طغى وبغى، وأفسد في الأرض، أمَّا المؤمن فيشكر ربه في السراء، ويصبرُ عند الضراء، كما قال سيد البشر ﷺ **«عجباً لأمرِ المؤمنِ، إن أمرَه كلَّه له خيرٌ، وليس ذاكَ لأحد إلّا للمؤمن، إن أصابته سرَّاءُ شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضرَّاءُ صبر فكان خيراً له»** رواه مسلم.

سُورَةُ هُود الجزء الثاني عشر

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾

﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ هل يقول المشركون: إن محمداً جاء بهذا القرآن من نفسه، ونسبه إلى الله؟ ﴿فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ﴾ جيئوا بسورٍ عشر من مثل القرآن، في فصاحته وتشريعه وبيانه ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ مكذوبة على الله ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ استعينوا بمن شئتم من الإنس والجن ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أن هذا القرآن ليس من عند الله ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟﴾ عجزوا عن المعارضة ﴿بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ فاعلموا علم اليقين، أن هذا القرآن من عند الرحمن ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أسلموا بعد ظهور هذه الحجة القاطعة، لفظُه استفهامٌ ومعناه إلزام لثبوت الحجة ﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾ لا يُنقصون شيئاً من أجور أعمالهم ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟﴾ بطل ما صنعوه من الأعمال الصالحة ﴿بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يقين واضح، وبرهان ساطع وهو القرآن ﴿مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ منْ يكفر بالقرآن من أهل الملل والأديان ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ له نارُ جهنم مخلَّداً فيها ﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ﴾ لا تكن أيها العاقلُ في شكٌ من هذا النور الإلٰهي المنزل على محمد ﴿إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ إن هذا القرآن هو الحقُّ الساطع، الذي لا يعتريه شك ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ لا أحدَ أظلم ممن اختلق الكذب على الله، فنسب إليه الشريك والولد ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ الملائكة والأنبياء الذين يشهدون على أعمالهم، والغرضُ فضيحةُ الكفار على رؤوس الأشهاد يوم القيامة ﴿يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يمنعون الناس عن الدخول في الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يريدون أن يكون دينُ الله أعوجَ، موافقاً لأهوائهم ﴿وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ جاحدون للآخرة، منكرون لها.

أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن
دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ
ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ
أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ
فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ
هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ
وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٢٤﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾
أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ
﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا
مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ
ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ
﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ
مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾

﴿مُعۡجِزِينَ﴾ ليسوا مفلِتين من عذاب الله ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ بسبب كفرهم وطغيانهم ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ﴾ لم ينتفعوا بما منحهم اللّٰه من حواسّ، وعاشوا في الدنيا كالبهائم ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم﴾ غاب عنهم شفاعةُ الآلهة ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً إنهم يوم القيامة أخسرُ الناس ﴿وَأَخۡبَتُوٓاْ﴾ اطمأنُّوا لوعد ربهم، وخشعوا له وذلُّوا ﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾ فريق أهلِ الإيمان، وفريق أهلِ الطغيان ﴿كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ﴾ هذا مَثَلُ الكفار ﴿وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ﴾ مَثَلُ المؤمنين الأبرار ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ هل يتساوى الأشقياء مع الأتقياء؟ والفُجّار مع الأبرار؟ لا يتساويان أبداً ﴿ٱلۡمَلَأُ﴾ السادة والرؤساء ﴿أَرَاذِلُنَا﴾ سَفَلَةُ الناس ﴿بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾ اتبعوك من غير تفكُّر ولا رويَّة، طعنوا في نبوة نوح بثلاثة مطاعن: **الأول:** أنه بشر مثلهم، **والثانية:** أن أتباعه الفقراء والضعفاء، **والثالثة:** أنهم جماعة سُذَّج. ﴿فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ خفي أمرها عليكم، والتبسَ، لأنكم تنظرون إلى الإنسان بمنظار (الغِنَى والثراءِ) فهل نُجبركم ونكرهكم على قبول دعوة الله؟ الإيمانُ لا يكون بالقهر، وإنما بالرضى والاقتناع ﴿أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ هل يمكننا إكراهكم على قبولها وأنتم غيرُ راضين بها؟

وضّح لهم نوح عليه السلام، أنَّ كون أتباعه من الفقراء، لا ينبغي أن يكون سبباً مانعاً لهم عن الإيمان!! فالمالُ يُطغى، والسلطانُ يزول، والعبرةُ لوضوح الحجة لا لكثرة الأتباع أو قِلَّتهم!! وكونُ أتباعي من الفقراء والضعفاء، لا يقدح في أمر النبوَّة.

الجزء الثاني عشر — سورة هود

وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ
أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ
قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ
أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ
أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا
لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ
جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ
إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ
نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ
هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ
قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾
وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ
فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾

﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ لا أسألكم على تبليغ الدعوة أجراً ﴿إِنْ أَجْرِىَ﴾ ما أطلب ثوابي إلّا من الله وحده ﴿بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ لست مبعدهم عن مجلسي ﴿خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ خزائن رزقه وعطائه ﴿تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ﴾ تستهزئون بهم وتحتقرونهم لفقرهم ﴿يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ لن يمنحهم الله الإيمان والهداية ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾ خاصمتنا يا نوح فأكثرت خصومتنا ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ ائتنا بالعذاب الذي تتوعدنا به ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتين من عذاب الله بالهرب ﴿يُغْوِيَكُمْ﴾ يضلكم ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ هل يقول كفار قريش: افترى محمد هذا القرآن من عند نفسه؟ ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ إن كنتُ قد افتريت هذا القرآن ﴿فَعَلَىَّ إِجْرَامِى﴾ عليَّ وزرُ ذنبي ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ لا تحزن ﴿ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ اصنع السفينة بحفظنا، وبإرشادٍ وتعليم منّا ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى﴾ لا تشفع لهؤلاء السفهاء الفُجّار، فإني مهلكهم بالغرق بالطوفان.

توضيح وتفصيل: قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ هذا جواب السفهاء لنبيهم نوح، قابلوه بهذه السفاهة والحماقة، فقالوا له: لقد أكثرتَ الكلامَ والخصامَ لنا في أمر رسالتك، فلن نؤمن بك، فأتنا بالعذاب الذي تتوعدنا به!! وكان الأحرى بهم أن يقولوا له: سمعاً وطاعة، لو كانوا عقلاء، وإنما طلبوا العذاب كما فعل سفهاء مكة حين قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾!! فإنهم لسفههم وحماقتهم طلبوا العذاب ﴿إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ بالطوفان الذي سيعمُّ الأرض.

وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

نصف الحزب ٢٣

﴿سَخِرُواْ مِنۡهُ﴾ هزئوا وضحكوا عليه، وقالوا له: بالأمسِ كنتَ نبيًّا واليومَ أصبحتَ نجاراً!! ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ عاقبة سخريتكم واستهزائكم ﴿عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ يذلُّه ويُهينه ﴿عَذَابٞ مُّقِيمٌ﴾ دائم لا ينقطع، وهو عذاب جهنم ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ فار الماءُ من التَّنُّور، وتفجَّرت الأرضُ عيوناً ﴿مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ ذكراً وأنثى، من الإنسان والحيوان ﴿سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾ من حكم الله بهلاكه، كزوجته وابنه كنعان الكافر ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ ما آمن مع نوح إلا عددٌ قليل، **قال ابن عباس**: ثمانون نفساً من الرجال والنساء ﴿مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآ﴾ بِاسم الله مشيُها وجريُها فوق الماء، ووقوفُها واستقرارُها على الشاطئ ﴿سَـَٔاوِيٓ﴾ سألتجئ ﴿ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ انشقِّي وابلعي ماءك ﴿وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ كفِّي عن المطر، صوَّره بصورة ملكٍ مسيطر، يصدر أمره إلى السماء والأرض، فتستجيب كلٌّ منهما لأمره، وينتهي الأمر في لحظات!! ﴿وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ﴾ ذهب في أغوار الأرض ﴿بُعۡدٗا﴾ هلاكاً ودماراً لكل ظالم فاجر ﴿ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ ابني (كنعان) من أهلي، وقد وعدتني بنجاتهم ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ وأنتَ أعدلُ من حكمَ بالحق، فنجِّ لي ولدي من الغرق!! لقد كان وعدُ الله لنوح، أن ينجي أهله المؤمنين، ولم يكن الوعدُ لنجاة كل من ينتسب إليه بنسب أو قرابة، ولذلك جاء الردُّ سريعاً حاسماً ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ..﴾ أي ليس من أهلك الناجين، الذين وعدتك بإنجائهم.

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ
مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا
تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ
ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ
وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ
مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ
مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ
أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ
غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٥١﴾
وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ
عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ
مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ
بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾

﴿لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَ﴾ الذين وعدتُك بنجاتهم من الغرق ﴿عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ عملُه قبيح يُسخط الله ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ﴾ أنصحك وأنبهك ﴿مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ الجاهلين بحكمة الله وتدبيره ﴿بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾ اهبط من السفينة بسلامةٍ وأمان ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ﴾ وخيرات عظيمةٍ عميمة، عليكَ وعلى أتباعك المؤمنين ﴿وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾ وأمم كافرة من البشر، أمتّعهم متاع الحياة الفانية ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم﴾ ثم نذيقهم عذاب جهنم المؤبّد ﴿أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ أخبار الغيوب التي حدثت للأمم ﴿مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ﴾ ما كنتَ تعرف هذه القصص، قبل هذا القرآن ﴿فَطَرَنِيٓ﴾ خلقني وأبدع خلقي ﴿مِّدۡرَارٗا﴾ غزيراً متدفّقاً متتابعاً ﴿بِبَيِّنَةٖ﴾ بحجة واضحة ومعجزة قاطعة تدل على صدقك ﴿عَن قَوۡلِكَ﴾ لسنا بتاركي عبادة الأوثان والأصنام من أجل قولك ﴿وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ ولسنا بمصدّقين لدعوتك ورسالتك!!

توضيح: قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَ﴾ هذه الآية من أعظم البراهين على صدق رسالة محمد ﷺ، فالرسول أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب، ثم جاءهم بأخبار من سبقه من الأنبياء مع أممهم، على وجه الحقّ واليقين، فمن أين يعرف قصصهم وأخبارهم، لولا أن الله تعالى أوحى إليه؟ ولم يكن في زمانه من قومه من يعرف هذه القصص، ولذلك كانت معرفته لها (بطريق الوحي) أعظم برهان على صدق الرسالة لخاتم الأنبياء ﷺ.

الجزء الثاني عشر — سورة هود

إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾

﴿ٱعْتَرَىٰكَ﴾ ما نقول لك إلا أصابك بعض آلهتنا بالجنون، حين نلتَ منها ﴿أُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾ أشهدُ الله على نفسي ﴿وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ﴾ وأُشهدكم أيضاً بأنني متبرئ منكم، ومن أصنامكم التي تعبدونها ﴿فَكِيدُونِى﴾ ابذلوا جهدكم جميعاً في أمري، واحتالوا في هلاكي ﴿لَا تُنظِرُونِ﴾ لا تُمهلوني طرفةَ عَيْن ﴿ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ ما من نسمةٍ إلّا وربُّ العالمين خالقُها ومالكُ أمرها، وهي في قبضته تعالى ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إن ربّي عادلٌ، يجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى﴾ الله قادرٌ على أن يهلككم ويأتي بقوم غيركم خيرٍ منكم ﴿عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ خلّصناهم من عذاب شديد فظيع ﴿جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ مستكبر على الله، معاند للحقّ ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ جعلكم عُمّار الأرض وسُكّانها ﴿مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ﴾ كنا نرجو أن تكون فينا سيداً ورئيساً، فلما قلت هذا القول، سقطتَ من أعيننا ﴿مُرِيبٍ﴾ أمرُك موقع لنا في الريبة والشكّ.

(ثلاثة أرباع الحزب ٢٣)

توضيح: قوله تعالى: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ دلَّ هذا القولُ منهم، على جهلٍ مفرط، وسَفَهٍ وغَبَاء، حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتنتقم!! ولهذا جابههم هود عليه السلام بالقوة والصلابة، وتحدَّاهم مع آلهتهم أن ينالوه بسوء.. وكلامُه هذا أوضح برهانٍ على صدقه، فإنه فردٌ واحد أمام جمع غفير، من عُتاة عاد، الغلاظ الشّداد، المتعطشين لإراقة دمه، وقد حقَّرهم وسفَّههم، وتحدَّاهم مع آلهتهم، ولم يقدر أحد على النيل منه، وذلك لثقته بربه، وأنه يعصمه منهم!!

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي
مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي
غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ
عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِي دَارِكُمْ
ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ
أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا
وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ
﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا
لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟
سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا
رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ
قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ
فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾

﴿بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ إن كنت على حجة واضحة، ويقين وبرهان أوحاه اللهُ إليّ ﴿وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾ وأعطاني النبوّة ﴿فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ فمن يخلّصني من عذاب الله إن عصيتُ أمره؟ ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ خسران وبُعدٍ عن الهدى ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ معجزة تدلُّ على صدق رسالتي، لأنها خرجت من صخرٍ أصمّ ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ قتلوا الناقة ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟﴾ استمتعوا بالعيش ثلاثة أيام ثم تهلكون ﴿وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ محقَّق صادق لا خُلْفَ فيه ﴿وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ﴾ نجيناهم من ذُلّ وهوان اليوم الرهيب ﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾ صيحة العذاب المهلك ﴿جَٰثِمِينَ﴾ موتى لا حركة لهم كالطير الجاثم على الأرض ﴿يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾ كأنهم لم يقيموا في ديارهم ولم يسكنوها ﴿جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ مشوي ﴿نَكِرَهُمْ﴾ أنكرهم ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أحسّ منهم الخوف، لأنهم لم يأكلوا من الطعام.

تبصير وتذكير: رُوي أنه لمَّا وعدهم نبيهم بالعذاب بعد ثلاثة أيام، عزموا على الفتك به ليلاً (قالوا لنُبيتنّه وأهلَه) فأرسل الله عليهم حجارة رضختْهم قبل قومهم، وأصبح القوم في اليوم الأول ووجوههم مصفرّة، وأصبحوا في اليوم الثاني ووجوههم محمرّة، وفي اليوم الثالث أصبحت وجوههم مسودّة، فلما كان اليوم الرابع جاءتهم صيحةُ العذاب من السماء، ورجفةٌ شديدة من الأرض، ففاضت أرواحهم، وأصبحوا جُثثاً هامدة، لا أرواح فيها ولا حراك، وهذا معنى قوله سبحانه: ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ خامدين ميّتين، كالطير إذا جثمتْ على الأرض.

قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ﴿٧٨﴾ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴿٨٠﴾ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰٓ﴾ يا عجبي ويا لهفي ﴿ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ﴾ هل ألد وأنا امرأة كبيرة مسنّة؟ ﴿بَعۡلِي شَيۡخًا﴾ وزوجي إبراهيم شيخ هَرِمٌ فكيف نُرزق الولد؟ ﴿أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾؟ قدرته وحكمته ﴿ٱلرَّوۡعُ﴾ ذهب عنه الخوف والفَزَعُ ﴿وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ جاءته البشارة بالولد ﴿لَحَلِيمٌ﴾ غير عجول ﴿أَوَّٰهٞ﴾ كثير التفجُّع على الناس ﴿مُّنِيبٞ﴾ رجّاع إلى طاعة الله ﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ ساءه مجيئهم وأحزنه، لأنه خاف عليهم ﴿وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا﴾ ضاق صدره من مجيئهم خوفاً عليهم من قومه الأشرار ﴿يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾ شديدٌ شرُّه وبلاؤه ﴿يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ﴾ يسرعون نحوه كأنهم يتسابقون نحو غنيمة ﴿وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓ﴾ لا تفضحوني أمام ضيوفي، أليس فيكم رجل عاقل راشد؟ ﴿بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ بطائفة من الليل ﴿مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُ﴾ موعد عذابهم وهلاكهم وقت الصبح ﴿أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾ أليس وقتُ الصبح قريباً؟

تنبيه: يُروى أنه لمَّا جاءت الملائكةُ لوطاً، جاءوه بصورة غلمانٍ مُرْدٍ، في غاية الحُسْن والجمال، ولم يعلم أنهم ملائكة، فأصابه سوءٌ وضجرٌ، وضاقَ صدرُه بمجيئهم، لأنه خاف عليهم خباثَةَ قومه، لهذا ضاق صدرُه بمجيئهم، وقال: هذا يوم عصيب أي شديد الكرب والبلاء، ومن ثمَّ جاءه قومه الأشرارُ، يسرعون نحو ضيوفه، كأنهم يُدفعون إلى ذلك دفعاً، وقال لهم (لوط): لا تفضحوني وتُهينوني في ضيوفي، وهؤلاء نساء البلد تزوجوا بهن، أليس فيكم رجل رشيد عاقل؟ وهنا صرَّحوا بغرضهم الخبيث دون حياء وبمنتهى الوقاحة ﴿قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾.

فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا
حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ
وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ۞ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ
شُعَيۡبًاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ
وَلَا تَنقُصُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٍ
وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوۡمِ
أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ
ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٨٥﴾
بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم
بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن
نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ
إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن
كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ
أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ
مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

الحزب ٢٤

﴿جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ جاء وقت إهلاكهم ﴿جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ قلبنا بهم ديارهم، حتى صار الأعلى أسفل ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ حجارة من طينٍ طُبخ بالنار ﴿مَّنضُودٍ﴾ متتابعة بعضها إثر بعض تشبه المطر الزاخر ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلّمة بعلامة ﴿أَرَىٰكُم بِخَيۡرٍ﴾ في سَعَة تغنيكم عن التطفيف ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ﴾ لا تسعوا بالفساد في الأرض ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾ ما أبقاه الله لكم من الحلال، خير لكم ممّا تجمعونه من الحرام ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ لست مكلفاً بحفظ أعمالكم لأجازيكم عليها ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ﴾ هل دينك وعبادتك تأمرك بأن نترك عبادة الألهة؟ التي كان يعبدها آباؤنا؟ قصدوا بذلك السخرية والاستهزاء بدعوته ودينه ﴿ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ هل أنت العاقل المتصف بالحلم والرشد؟ ﴿بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي﴾ بصيرة وهداية من الله ﴿رِزۡقًا حَسَنٗاۚ﴾ وهبني النبوة ﴿إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ﴾ ما أريد إلا صلاحكم ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ﴾ ليس التوفيق للإنسان، إلّا بمعونة الله وفضله ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ على الله وحده أعتمد في جميع أموري ﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ أرجع بالتوبة والإخلاص في جميع أموري وأحوالي.!

تبصير وتذكير: لقد حذرت الملائكة (لوطاً) وأتباعه أن يلتفتوا إلى الوراء، لئلا تنفطر أكبادهم على قومهم وبلدتهم، وهم يرونها تنقلب على من فيها، ويصبح عاليها سافلها، وقد تهدمت الدورُ فأصبحت خراباً يَباباً!! وأرسلَ الله عليهم حجارة من السماء، من نارٍ وطين، تشبه المطر الزاخر، واجتمعت عليهم أفظع أنواع العقوبة: الصيحةُ المدمرة، وقلبُ مدنهم، والحجارةُ التي تشبه الطين المتحجر، ويا لها من عقوبات فظيعة، لهؤلاء الأشقياء المجرمين!!

وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ مَا نَفۡقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوۡلَا رَهۡطُكَ لَرَجَمۡنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ﴿٩٧﴾

﴿لا يجرمنكم شقاقي﴾ لا تحملنكم عداوتي ﴿أن يصيبكم﴾ (٨٩) أن يصيبكم العذاب كما أصاب من سبقكم من الأمم، بمعنى لا تكن عداوتكم لي سبباً لانتقام الله منكم ﴿ما نفقه﴾ ما نفهم كثيراً مما تُحدّثنا به ﴿رهطك﴾ جماعتك وعشيرتك ﴿لرجمناك﴾ لقتلناك رمياً بالحجارة ﴿أرهطي أعز﴾ هل جماعتي أعلى عندكم قدراً من الله؟ ﴿وراءكم ظهرياً﴾ جعلتم الله خلف ظهوركم، لا تعظّمونه ولا تطيعونه، كالشيء المطروح وراء الظهر!! ﴿على مكانتكم﴾ اعملوا على طريقتكم، فأنا سائر في طريقي ﴿وارتقبوا﴾ انتظروا عاقبة أمركم ﴿رقيب﴾ منتظر معكم تلك العاقبة الوخيمة ﴿جاثمين﴾ هلكى ﴿يغنوا فيها﴾ كأنهم لم يعيشوا ويقيموا في ديارهم ﴿بعداً لمدين﴾ هلاكاً وسُحقاً لهم ﴿كما بعدت ثمود﴾ كما هلكتْ ثمود، صاح بهم جبريل صيحة، خرجت منها أرواحهم، بعد أن أصابتهم نار من السماء أحرقتهم جميعاً، وهي عذاب يوم الظلة.

تنبيه: لمَّا دعاهم نبيُّهم (شعيب) عليه السلام إلى التوحيد، وترك البخس في الميزان، استهزءوا به وسخروا وقالوا له: هل دينك يدعوك أن نترك عبادة الأوثان، وأن نترك تطفيف الكيل والميزان؟ أتريد منَّا أن نضيِّع الربحَ والثروة؟ هل أنت الرجل العاقل المتصف بالحلم والرشد؟ يستهزئون منه ويسخرون، كأنهم يقولون: أنت مجنون ولستَ بعاقل، **قال الطبري**: يستهزئون بنبيهم، فإنهم أعداء الله إنما قالوا ذلك استهزاءً به، سفَّهوه وجهّلوه بهذا الكلام. ! تفسير الطبري.

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ﴾ يتقدمهم فرعونُ إلى نار الجحيم ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ أدخلهم نار جهنم ﴿الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ بئس المدخلُ الذي يدخلونه ﴿وَأُتْبِعُوا﴾ ألحقوا بالعذاب الذي ذاقوه وهو الغرق، لعنةً في الدنيا ﴿الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ ويوم القيامة بئس العونُ والعطاءُ الذي نالوه، ومعنى الرفد: العطاءُ والإعانة ﴿أَنبَاءِ الْقُرَىٰ﴾ الأخبار الهامة للأمم المهلكة ﴿قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ منها ما هو عامر، ومنها ما هو خراب قد اندثر بأهله ﴿أَغْنَتْ﴾ ما نفعَتْهُم آلهتهم التي عبدوها ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ ما زادوهم غير خسران ودمار ﴿زَفِيرٌ﴾ إخراج النَّفس بشدة ﴿وَشَهِيقٌ﴾ ردُّ النفس بشدة، حتى يسمع لهم صوتٌ كصوت الحمير ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ﴾ على الدوام والاستمرار ﴿غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ عطاءً غير مقطوع عنهم،

ربع الحزب ٢٤

قال الطبري: إن العرب إذا أرادت أن تصف شيئاً بالدوام أبداً، قالوا: هذا دائمٌ دوامَ السمٰوات والأرض، بمعنى أنه دائم أبداً، فخاطبهم الله تعالى بما يتعارفونه بينهم، **قال قتادة:** صوتُ الكافر في النار كصوت الحمار، أوَّله زفيرٌ، وآخره شهيق.

تنبيه: ذكر تعالى أن عذابه للطغاة الفُجَّار موجعٌ شديد، والله يمهل الظالمَ ولكنْ لا يُهمله، كما جاء في الحديث الصحيح «**إنَّ الله لَيُمْلي للظَّالم** - أي يؤخر له العقاب - **حتى إذا أخذه لم يُفْلِته**» ، ثم قرأ ﷺ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ رواه البخاري ومسلم.

لَا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِراً ... فَالظُّلْمُ آخِرُهُ يَدْعُو إِلَى النَّدَمِ

تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمِ

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ۚ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ لا تكن في شك مما يعبد هؤلاء الضالون ﴿كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم﴾ هم مقلّدون للآباء تقليداً أعمى ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ نعطيهم جزاءهم كاملاً غير ناقص ﴿كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ لولا حكمُ الله السابق بتأخير العذاب عنهم ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ لأهلكهم الله بتعجيل العذاب في الدنيا ﴿لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ﴾ أي لم ينالوا جزاء أعمالهم، وسيوفّيهم جزاءها في الآخرة ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ لا تجاوزوا الحدود بارتكاب المحارم ﴿وَلَا تَرْكَنُوا﴾ لا تميلوا إلى الظَّلَمة الفُسّاق، فتمسكم نار جهنم، والركونُ المَيْلُ اليسيرُ ﴿طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾ في أول النهار وآخره ﴿وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ﴾ ساعات وطوائف من الليل ﴿الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿أُتْرِفُوا﴾ نُعِّموا فيه ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ فيهم الخير والصلاح، وإنما يهلكهم بكفرهم ومعاصيهم.

توضيح: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً . .﴾ هذه الآية بيان واضح، على أنه لا إكراه في الدين، فلو شاء الله لجعل جميع الناس مؤمنين مهتدين بالإجبار، ولكنه سبحانه لم يفعل ذلك، ليبقى للإنسان حرية الكسب والاختيار، التي يدور عليها عنصرُ الثواب والعقاب، فلا إكراه لأحد على الإيمان ولا إجبار، ولهذا قال: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾؟ وقد بيّن الله لعباده الطريق، وأرسل لهم الرسل، ولم يترك لأحد حجة، وللإنسان حرية الاختيار، أن يختار طريق الهدى أو طريق الضلال!! ﴿لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ ما جرت عادةُ الله أن يهلك أهل القرى ظلماً، وإنما يهلكهم بظلمهم ومعاصيهم.

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

ترتيبها ١٢ — آياتها ١١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ ﴾ لو أراد الله ﴿ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ جعلهم مؤمنين مهتدين ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ متفرّقين على أديان شتى ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ خلقهم ليؤمنوا ويتفقوا على الإصلاح، فكان عاقبة أمرهم أنهم تنازعوا واختلفوا ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ وجبَتْ وثبتَتْ كلمةُ الله، بملء جهنم من الكفار الفجار ﴿ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ لتثبيتك على أداء الرسالة ﴿ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ اعملوا على طريقتكم فنحن عاملون على طريقتنا ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ الله وحده هو المختصُّ بأمور الغيب، لا تخفى عليه خافيةٌ مما يجري في السموات والأرض، يعلم التقيَّ والشقيَّ، والبرَّ والفاجر ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ مرجع الخلائق جميعهم إلى الله، الحَكَم العدل، فيفصل بينهم بحكمه العادل ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ اعبد ربك وحده وفوّض أمرك إليه، فسينتقم لك من أعدائك ﴿ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ سيجازي كلاً بعمله، فينتقم ممن عصى، ويثيبُ من أطاع.

سورة يوسف

﴿ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ الواضح في بيانه، المعجز في أحكامه ﴿ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ أصدقَ الأخبار والقصص القرآنية ﴿ الْغَافِلِينَ ﴾ عن هذه الأنباء والأخبار، لأنها لم تقرع سمعك، ولم تخطر على بالك ﴿ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ يقول يوسف: رأيت في منامي أحد عشر كوكباً مع الشمس والقمر، خَرَّتْ ساجدة بين يديَّ!! فهم «يعقوب» بنور النبوّة أن ابنه «يوسف» سيكون له شأن عظيم، يفوق به جميع إخوانه، لذلك أوصاه أن يكتم هذه الرؤيا، ولا يخبر بها أحداً من إخوته، لئلا يحسدوه ويتآمروا عليه!!

الجزء الثاني عشر — سورة يوسف

قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

نصف الحزب ٢٤

﴿لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ﴾ لا تُخبر إخوتك بهذه الرؤيا المنامية، فيحتالوا بطرق كثيرة للتخلص منك ﴿يَجۡتَبِيكَ﴾ يختارك للنبوة ﴿تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ تفسير الرؤى المنامية للناس ﴿ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ ذرية أبيك يعقوب ﴿إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ﴾ كما أكمل النعمة على جدك إبراهيم، وجدّك إسحاق بالرسالة والهداية ﴿ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ عِبَرٌ وعظاتٌ للسائلين عن أخبارهم ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ يوسف وأخوه الشقيق بنيامين ﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا﴾ أحبُّ منَّا عند أبينا، حيث استحوذا على محبته ﴿وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ ونحن جماعة أقوياء ذوو عدد ﴿أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ في خطأ واضح بيِّن، في إيثارهما علينا ﴿ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا﴾ ألقوه في الصحراء ﴿يَخۡلُ لَكُمۡ﴾ يصفو لكم حبُّ أبيكم ﴿وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾ قعر البئر وغوره ﴿يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ﴾ يلتقطه المسافرون المارة ﴿أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ﴾ يسلو ويتمتَّع معنا، فيأكل ما لذَّ وطاب، ويستمتع بالتسابق معنا، ونحن نحفظه من كل سوء ﴿لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ﴾ يؤلمني فراقُه لصغره، وأخاف أن يفترسه الذئب، وأنتم مشغولون عنه بالتسابق واللهو!!

اعتذر أبوهم بأمرين: الأول: أن يوسف صغير لا يستطيع الدفاع عن نفسه.

والثاني: خوفه عليه من الذئب أن يفترسه وهم مشغولون عنه.

تنبيه هام: لم يريدوا بقولهم: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ ضلالَ الدين، الذي يقابل الهدى والإيمان، إذ لو أرادوه لكفروا، لأن يعقوب نبيٌّ كريمٌ، فكيف يكون ضالاً؟ وإنما المرادُ بالضلالِ هنا: (الخطأُ) أي إنه في خطأٍ واضح، لإيثاره يوسف وأخاه علينا في المحبة.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

﴿وَأَجْمَعُوٓا﴾ عزموا وصمّموا أن يلقوه في الجبّ ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ﴾ تخبرنّهم بفعلهم هذا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنك يوسف ﴿ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ نتسابق في الجري والركض ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ ولست بمصدّقٍ لكلامنا، ولو كنا صادقين في الواقع ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ دم كاذب حيث ذبحوا شاةً ولطخوا بدمها ثوب يوسف ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ قوم مسافرون مرُّوا بالبئر ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ بعثوا الشخص الذي يستقي الماء لهم ﴿يَٰبُشْرَىٰ﴾ يا بشارتي ويا سعادتي بهذا الغلام ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ أخفوا أمره عن الناس ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ باعوه بثمن قليل حقير، هو عشرون درهماً على قول ابن عباس ﴿ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ﴾ عزيز مصر ﴿أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ أكرمي إقامته معنا في القصر ﴿يَنفَعَنَآ﴾ لعله ينفعنا إذا بلغ سنَّ الرشد ﴿نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ نتبنّاه حيث لم يكن يولد لهما ولد بسبب العقم ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ جعلنا له مكاناً يعيش فيه بأمان في أرض مصر، بعد نجاته من الجبّ. ﴿تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ نوفّقه لتفسير بعض المنامات، لتكون شاهداً على نبوغه وذكائه، وخلاصِهِ من المحنة.

تنبيه: قولُ أولاد يعقوب: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ يدلُّ على الارتياب، وهذا كما قيل في الأمثال: (يكاد المُريبُ يقولُ خذوني) لقد رجعوا إلى أبيهم في ظلمة الليل، ومعهم قميص يوسف، وقد لطخوه بدم شاة ذبحوها، ليوهموا أباهم أن الذئب أكله، ولكنهم نسوا أن يمزّقوا الثوب، فلم يفلحوا في هذا المكر والكيد، ولهذا انكشف أمرهم، قال لهم أبوهم: ما أحْلَمَ هذا الذئبَ، أكلَ ابني ولم يمزّق قميصَه، وأخذ يبكي ويقول: يا بُنيَّ يا يوسف، ماذا فعل بك بنو الإماء؟

الجزء الثاني عشر — سورة يوسف

وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ﴾ طلبت من يوسف أن يضاجعها ودعته إلى نفسها، والمراودةُ: الطلبُ برفقٍ ولين ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ أحكمت إغلاق أبواب القصر ﴿هَيۡتَ لَكَ﴾ هلمَّ وأسرع إلى الفراش لمضاجعتي ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ قال يوسف: أستجير بالله من فعل السوء ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ إن زوجك سيدي ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ أكرم إقامتي فكيف أخونه؟ ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦ﴾ عن عزمٍ وقصدٍ وتصميم ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ مالت نفسه إليها بمقتضى الطبيعة البشرية ولكنَّ خوفه من الله منعه من ذلك، وقيل: في الآية تقديم وتأخير تقديره: لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها، أي لولا عصمة الله له لهمَّ بها، ولكنَّ الله عصمه ﴿بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ لولا عصمةُ الله له لسايرها ﴿وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ﴾ شقت ثوبه من الخلف ﴿وَأَلۡفَيَا﴾ وجدا زوجها أمام باب القصر ﴿مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ﴾ المتعمِّدين للذنب ﴿شَغَفَهَا حُبًّا﴾ مَلَكَ فؤادها واستولى حبُّه على قلبها ﴿ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ نراها في خطأ واضح، وبُعدٍ عن الرشد والصواب، كيف يليق بها أن تعشق عبداً مملوكاً، وهي سيدة القصر؟ **قال أبو حيان**: نسَبَ بعضُهم ليوسف ما لا يجوز نسبتُه لأحد الفُسَّاق، والذي أختاره أن يوسف عليه السلام، لم يقع منه همٌّ البتَّةَ، بل هو منفيٌّ لوجود رؤية البرهان، كما تقول: قارفتَ الذنبَ لولا أن عَصَمك الله!! وتقول العربُ: أنتَ ظالمٌ إن فعلت هذا، وكذلك هنا تقديره: لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها، ولكنه وجد البرهانَ فانتفى الهمُّ!! تفسير البحر المحيط، **أقول**: هذا فهم دقيق، ويشبهه قوله تعالى: ﴿وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا﴾ فلولا أن ثبَّتها الله لصاحت ابني.

ثلاثة أرباع الحزب ٢٤

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ سمعت حديثهن، سمّاه مكراً لأنه كان في الخفاء يشبه المكر ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ هيّأتْ لهنَّ ما يتّكئن عليه من الوسائد المريحة ﴿أَكْبَرْنَهُۥ﴾ لمَّا رأت النسوة يوسف بُهِتْن من جماله وسُحِرْن ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ جرحن أصابعهن بالسكاكين لفرط ذهولهنَّ ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تـنـزّه الله ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ ليس هذا من البشر، إنما هو من الملائكة ﴿لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ عتبتم عليَّ في حبه. فانظرن ماذا فعل بكنَّ؟ ﴿رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ طلبتُ منه معاشرتي. وبذلت معه كل حيلتي ﴿فَٱسْتَعْصَمَ﴾ أبى كلَّ الإباء وامتنع عن ذلك ﴿ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ الذليلين الحقيرين ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أملْ إلى إجابتهنَّ إن لم تصرف عني شرَّهن ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ ظهر لهم ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ عنباً يؤول إلى خمر أسقيه الملك.

﴿خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ﴾ أحمل على رأسي طبقاً فيه خبزٌ، والطير تأكل من ذلك الخبز ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ أخبرنا بتفسير هذه الرؤيا، فإنك تحسن تفسير المنامات.. وقد صادفَ دخولُ شخصين معه السجن، أحدهما: طبَّاخ الملك، والثاني: ساقيه، اتُّهما بالتآمر على قتل الملك بالسُّم. وقد اشتهر يوسف في السجن بالعفةِ، والأمانةِ، وصدقِ الحديث، ومعرفةِ تفسير الرؤى والمنامات. لذلك قصَّ عليه ما رآه كل منهما في منامه.

تنبيه هام: تكرّر ذكرُ (الكيد، والمكر) في هذه السورة مرات عديدة، لينبِّهنا القرآنُ إلى خطر فتنة النساء، فإنهن على ضعفهن أخطرُ الفتن، كما جاء في الحديث الشريف «**ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساء**» رواه البخاري.

وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

﴿مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ﴾ سلكت دين الأنبياء من آل يعقوب ﴿نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ﴾ ما صحَّ ولا استقام لنا أن نجعل لله شركاء، مع اختياره لنا بالنبوة ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾ يا رفيقيَّ في السجن، هل عبادة آلهة متعددة خير، أم عبادة الخالق الحكيم؟ ﴿أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ ليست هذه الأصنام إلَّا مجرد أوهام، سميتموها آلهة وهي لا تضرُّ ولا تنفع ﴿سُلْطَٰنٍ﴾ حجة ولا برهان ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾ ليست العبادة الصحيحة إلَّا لله الواحد الأحد ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ الساقي، فسوف يخرج من السجن ويعود إلى عمله يسقي الملك الخمر ﴿وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ﴾ الذي رأى الطير تأكل من رأسه، وهو الطبَّاخ فسيُقتل، ويُعلَّق على خشبة ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ تمَّ قضاء الله في هذه الرؤيا ﴿ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ﴾ قال يوسف للذي اعتقد نجاته وهو الساقي: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ اذكرني عند سيِّدك الملِكِ، فقل له: إن في السجن رجلاً مظلوماً، في تهمة هو بريءٌ منها ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أنسى الشيطانُ الساقيَ ذكرَ يوسفَ عند الملك ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ فمكث يوسف في السجن سبع سنين، ولمَّا أراد الله أن يُفرِّج كربة يوسف، أرى الملك رؤيا في منامه، أشغلتْ بالَهُ، فجمع الكهنةَ ورجال حاشيته، فسألهم عن تعبيرها، فلم يعرفوا وأعجزهم الله جميعاً عن تفسيرها، لتكون سبباً في خلاصِ يوسفَ وخروجه من السجن. ﴿عِجَافٌ﴾ هزيلة ضعيفة جداً ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ تعرفون تفسير الأحلام المنامية.

قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

﴿أضغاث أحلام﴾ أخلاط رؤيا كاذبة لا حقيقة لها ﴿نجا منهما﴾ نجا من السجن وهو الساقي ﴿وادَّكر بعد أمة﴾ تذكَّر بعد مدة طويلة ما أوصاه به يوسف ﴿أنا أنبئكم بتأويله﴾ أنا أخبركم بتفسير هذه الرؤيا على الوجه الدقيق ﴿فأرسلون﴾ فأرسلوني إلى السجن لآتيكم بتفسيرها ﴿أفتنا في سبع بقرات﴾ أفتنا في تأويل هذه الرؤيا العجيبة الغريبة ﴿دأباً﴾ بجدٍّ وعزيمة مستمرِّين في الزراعة بلا توانٍ ﴿فذروه في سنبله﴾ اتركوه بلا دراسة، لئلا يسوّس ﴿إلا قليلاً﴾ إلّا ما تحتاجون لأكله فادرسوه ﴿سبع شداد﴾ سبع سنوات قحط وجدب ﴿مما تحصنون﴾ تخبئونه للزراعة ﴿يغاث الناس﴾ يُمطرون فتخصب الأراضي ﴿ما خطبكن﴾ ما شأنكنّ الخطير مع يوسف؟ ﴿حصحص الحق﴾ ظهر الحقُّ وانكشف ﴿أنا راودته﴾ أنا التي دعوته إلى مضاجعتي، وأعترف لكم بخطيئتي ﴿لم أخنه بالغيب﴾ يقول يوسف: ذلك ليعلم العزيز أني لم أخنه في غيبته بزوجته، لأن الله لا يوفّق الخائن، والمقصودُ كمالُ نزاهته عليه السلام، من تلك التهمة الشنيعة، التي ألصقتها به امرأة العزيز.! وهذا من كلام يوسف الصدّيق كما قال شيخ المفسرين الطبري.

خلاصة الرؤيا المنامية: رأى ملكُ مصرَ في منامه، رؤيا غريبة وعجيبة، رأى سبعَ بقراتٍ سمينات جميلات، ممتلئات لحماً وشحماً، خرجت من النهر، وأخذت ترتع في أرضٍ خصبة، كثيرة العشب والكلأ، وخرج على إثرهنَّ سبعُ بقراتٍ هزيلات، في غاية الهُزَالِ والضعف، فابتلعتْ البقراتُ العجافُ البقراتِ السِّمانَ، كما رأى سبعَ سنابل خضراء، ابتلعتها سبعُ سنابلَ يابسة، فلم تُبق لها أثراً، فهالَهُ أمرُ هذه الرؤيا، وطلب من يُؤوِّلها له!!

۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾

الجزء ١٣ الحزب ٢٥

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓ﴾ لا أدعي النزاهة والطهارة لنفسي ﴿لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ فالنفسُ البشرية ميّالة إلى الشرّ والشهوات ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ إلّا من عصمه الله!! قاله يوسف على وجه التواضع، وإلّا فهو نبيٌّ معصوم ﴿أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِي﴾ أجعله من خواصي وخلصائي ﴿مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ ذو مكانة رفيعة، ومؤتمنٌ على كلّ شيء ﴿خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِ﴾ اجعلني موكّلاً على أموال الدولة ﴿حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ أحفظها وأدبِّر شؤونها بمعرفة وحكمة ﴿يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا﴾ يتصرّف في المملكة كما يريد ﴿مُنكِرُونَ﴾ عرف إخوتَه وهم لم يعرفوه، لهيبة المُلْك ﴿بِجَهَازِهِمۡ﴾ أعطاهم الطعام وزوّدهم بما يحتاجون ﴿مِّنۡ أَبِيكُمۡ﴾ ائتوني بأخيكم بنيامين ﴿سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ﴾ سنحتال مع والدنا لنأتي لك به ﴿فِي رِحَالِهِمۡ﴾ أوعيتهم التي فيها الطعام ﴿ٱنقَلَبُوٓاْ﴾ رجعوا إلى أهلهم ﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ إن لم نأخذ معنا أخانا بنيامين، فأرسله معنا لنأتي لك بالميرة يعني الطعام..

براءة وشهامة: أبى يوسفُ عليه السلام أن يخرج من السجن، حتى تُبرّأ ساحتُه من تلك التهمة الشنيعة، ليخرج ناصِع الجبين، مصون العفّة، وهذا من كمال شهامته وبراءته، فقال لرسول المَلِك: ارجعْ إلى سيِّدك، واسأله عن قصة النسوة، اللاتي قطّعن أيديهن، هل يعلم خبرهنّ؟ وقد دخلتُ السجن بسبب كيدهن!! وقد أثنى عليه رسول الله ﷺ بقوله: «**لو لبثتُ في السجن ما لبث يوسف، وأتاني الداعي لأجبتُ، وما ابتغيتُ العذر**» رواه البخاري، وإنما قال ﷺ هذا إشادةً بصبر يوسف، ورفعاً لقدره، وتواضعاً منه ﷺ، وإلّا فمقامه ﷺ أسمى، وأعلى، وأرفع!!

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

﴿ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ كيف آمنكم على بنيامين، وقد فعلتم بيوسف ما فعلتم وخنتم العهد؟ ﴿رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ وجدوا ثمن الطعام الذي دفعوه في متاعهم ﴿مَا نَبْغِى﴾ ماذا نطلب أكثر من هذا الإكرام؟ أوفى لنا العزيز الكيل، وردَّ لنا الثمن؟ ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ نأتي لأهلنا بالطعام والميرة ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ ويزيدنا باستصحابنا له حمل بعيرٍ ﴿مَوْثِقًا﴾ لن أرسله معكم حتى تعطوني عهداً مؤكداً تحلفون بالله أن تردُّوه عليَّ ﴿يُحَاطَ بِكُمْ﴾ إلا أن تُغلبوا أو تهلكوا جميعاً ﴿وَكِيلٌ﴾ شهيد ورقيب على العهد ﴿أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ لا تدخلوا جميعاً من باب واحد، وتفرّقوا فادخلوا من جميع أبواب مصر، خاف عليهم من العين ﴿يُغْنِى عَنْهُم﴾ ما كان يدفع عنهم من قضاء الله شيئاً ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ إلّا خشية العين، شفقةً من يعقوب على أبنائه ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ ضمَّ إليه أخاه الشقيق بنيامين ﴿تَبْتَئِسْ﴾ لا تحزن على ما صنعوا بي في ما مضى.! ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ﴾ لا تدخلوا مصرَ من بابٍ واحد، وادخلوها من أبواب متفرِّقة، وطُرق متعدِّدة.

توضيح وبيان: قال ابنُ عباس: خشيَ عليهم من العين، إن دخلوا من باب واحد، فأمرهم أن يتفرّقوا ويدخلوا من أبواب متعدِّدة، وذلك أنهم كانوا ذوي جمالٍ، وهيئةٍ حسنة، ومنظر وبهاء، فخاف عليهم أن يصيبهم الناسُ بعيونهم، وفي الحديث الصحيح «**العينُ حقٌّ، ولو كان شيءٌ يسبِق القَدَر، لسبقَتْه العينُ**» رواه مسلم. وكان ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين فيقول: «**أُعيذكما بكلمات الله التَّامَّة، من كل شيطان وهامَّة، ومن كل عينٍ لامَّة**» يعني تُؤذي بنظراتها، رواه البخاري.

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ﴾ إناء من ذهب أعدّ للكيل ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ جعله في متاع أخيه الشقيق بنيامين ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى منادٍ ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ يا أصحاب الإبل إنكم قوم سارقون ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ ماذا ضاع عليكم؟ وفي قولهم هذا إرشادٌ لهم إلى مراعاة حسن الأدب، ولهذا لم يقولوا: ماذا سرقنا؟ ﴿صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ ضاع منّا مكيال الملك المرصّع بالجواهر ﴿زَعِيمٌ﴾ كفيلٌ وضامن ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ ما عقوبةُ السارق في شريعتكم؟ ﴿رَحْلِهِۦ﴾ عقوبتُه أن من وُجد الصاعُ في متاعه ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ فنفسُه مسترقَّةٌ لمن سَرَق منه ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ﴾ بدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين ﴿كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ دبّرنا له المكيدة والحيلة، ليستبقي أخاه عنده ﴿دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ شريعة ملك مصر، ﴿شَرٌّ مَّكَانًا﴾ شرٌّ منزلةً مما تتهمون به يوسف، قاله في نفسه ولم يجابههم به. وهذا غاية في رعاية التلطف والأدب.

(ربع الحزب ٢٥)

توضيح وبيان: قوله: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ أي لمَّا قضى حاجتهم، وحمّل إبلهم بالطعام، أمر يوسف أن تُجعل السقايةُ في متاع أخيه (بنيامين) وأمر منادياً ينادي بالركب: يا أصحاب الإبل إنكم قوم سارقون، أكرمناكم ثم سرقتمونا!؟ فنزلت هذه الكلمات عليهم كالصاعقة، فهم أمناءُ، شرفاء، أبناء أنبياء، فكيف يسرقون؟ وقفوا عن السير والتفتوا يسألونهم: ماذا فقدتم؟ وفي هذا التعبير بدل ماذا سرقنا؟ تنبيهٌ لهم على حُسْن مراعاة الأدب في الخطاب، ولهذا التزموا الأدب في جوابهم: ﴿قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ وقولهم: ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ بمعنى أن السارق يُسترقُّ بسرقته، فيصبح عبداً مملوكاً، لمدة سنة لمن سرق منه.

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ نعوذ بالله أن نأخذ شخصاً بريئاً مكان شخصٍ سارق ﴿إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ إن فعلنا ذلك نكون من الظالمين ﴿خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ لمَّا يئسوا من إجابة طلبهم، اعتزلوا جانباً عن الناس يتشاورون ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ أكبرهم سناً وهو (روبيل) ألم تعطوا أباكم عهداً ونيقاً على ردّ أخيكم إليه؟ ﴿أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ لن أفارق أرض مصر ﴿يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ حتى يسمح لي أبي بالخروج منها ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ اسأل أهلَ مصر ﴿وَٱلْعِيرَ﴾ واسأل القافلة التي كانت بصحبتنا ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في ما أخبرناك عنه ﴿سَوَّلَتْ﴾ زيّنتْ وحسّنت لكم نفوسكم مكيدة وشراً، اتهمهم بالتآمر عليه ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ﴾ يا لهفي وحزني الشديد على ابني يوسف ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ فقد بصره من الحزن ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلئ من الغيظ ﴿حَرَضًا﴾ مشرفاً على الهلاك ﴿بَثِّى﴾ غمّي وحزني، لا أشكو ذلك إلّا إلى الله، فهو الذي يزيل الشدة والكرب عنّي.

تذكير وتنوير: لقد كانت مصيبة يعقوب في ولده (بنيامين) الآن، ولكنه في هذه الحالة ـ والألمُ يعتصر فؤاده ـ نسمعه يقول: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ أي يا حسرتي وألمي على يوسف، وفقد بصره من شدة الحزن، فهو كئيبٌ حزين، وإنما تأسّف على يوسف، مع أن الحادث كان في فقده لـ (بنيامين) لأن الحزن الجديد، ذكّره بالحزن القديم، فالأسى يبعث الأسى، وقد كان حبُّ يوسف آخذاً بمجامع قلبه، لا يكاد ينساه، ولهذا يقول: يا أسفي على يوسف، ولم يقل: يا أسفي على ولدي بنيامين، وكما قيل: «ما الحبُ إلّا للحبيب الأول»!!

يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ
مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ
﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ
وَجِئۡنَا بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ
إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم
بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ
لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ
عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ
ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا
وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ
ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾
ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا
وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ
ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن
تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

﴿فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ﴾ ابحثوا عن يوسف وتعرّفوا عن خبره وخبر أخيه بحواسكم، والتحسُّس يكون بالخير، والتجسُّس بالشر ﴿رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾ لا تقنطوا من فرج الله ورحمته ﴿بِبِضَٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ﴾ بضاعة رديئة لا يرغب فيها التجار ﴿فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ﴾ أتمم لنا الكيلَ ولا تُنقصه لرداءة بضاعتنا ﴿أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ هل تذكرون شناعة ما أقدمتم عليه حال شبابكم وطيشكم؟ قاله تحريضاً لهم على التوبة ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ﴾ هل أنت حقاً أخونا يوسف؟ ﴿ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ لقد فضّلك الله علينا بالتقوى والعلم والحلم ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ ونحن مذنبون آثمون حين تعمَّدنا الإساءة إليك ﴿لَا تَثۡرِيبَ﴾ لا تأنيب ولا عتب عليكم اليوم ﴿تُفَنِّدُونِ﴾ تنسبوني إلى الخَرَف وذهاب العقل ﴿ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾ خطئك القديم في محبة يوسف، ولو أرادوا الضلال في الدين لكفروا، ولكنهم أرادوا الخطأ والبعد عن الصواب.

تنبيه: قولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ..﴾ لمَّا دخلوا على يوسف، أظهروا له الذلّ والانكسار، فقالوا: يا أيها السيد المعظم لقد أصابنا وأهلنا الجوعُ والفقرُ، واشتدَّ علينا البلاء، وجئنا إليك ببضاعةٍ رديئة، لا تصلح ثمناً للطعام، فأتمم لنا الكيل، ولا تُنقِصْه لرداءة بضاعتنا! وصفوا أنفسهم بالعجز، ورقَّةِ الحال، وقلَّة المال، وذلك مما يرقّ القلب، ويحرّك الشفقةَ، وهنا أدركته الرقةُ والشفقةُ على إخوته، وترقرقت الدموعُ في عينيه، فأخبرهم عن نفسه، أنه أخوهم يوسف، وقال: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ..﴾ وكانت مفاجأةً عجيبة أدهشتْ مسامعهم.

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

﴿جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ﴾ جاءه المبشر بالخبر السار، ﴿أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ طرح القميص على وجه يعقوب ﴿فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ﴾ عادت إليه نعمة البصر، بعد أن أصبح ضريراً ﴿خَٰطِـِٔينَ﴾ كنا مذنبين ومخطئين في حقّ أخينا، والخاطئ: الذي يتعمَّد الذنب، بخلاف المخطئ فإنه الذي يقع في الذنب بدون قصد ﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ﴾ وعدهم أبوهم بالاستغفار، وأخّر ذلك إلى وقت السحر، ليتحرّى وقت الإجابة ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ﴾ ضمّ إليه أبويه وعانقهما ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ أجلسهما على سرير المُلْك بجانبه ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ﴾ سجدوا له سجود (تحية وتعظيم) لا سجود عبادة، وكان ذلك جائزاً في شريعتهم ﴿تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ﴾ هذا تفسير الرؤيا التي رأيتها في منامي وأنا صغير ﴿مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ جاء بكم من البادية من أرض فلسطين ﴿نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ من بعد أن أفسد الشيطان ما بيني وبين إخوتي، بالوسوسة والإغواء ﴿أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ الأخبار المغيَّبة التي لم تكن تعلمها قبل الوحي إليك. ﴿أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ﴾ أجمعوا أمرهم على إلقائه في الجبّ ﴿وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ﴾ يتآمرون عليه لانتزاعه من أبيهم، لتنفيذ خطتهم التي اتفقوا عليها ﴿وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ ليس أكثر الخلق ولو حرصت على إيمانهم، وبالغتَ في إرشادهم، بمصدِّقين لك في ما جئتهم به، مهما بذلتَ من الجهد!

نصف الحزب ٢٥

سبب النزول: رُوي أن اليهود سألوا النبيَّ ﷺ عن قصة يوسف، ووعدوه أن يُسلموا، فلمَّا أخبرهم بها ولم يُسلموا، حزن النبي ﷺ لذلك، فنزلت السورة تسليةً له ﷺ وتعزيةً، على تكذيب قومه واليهودِ له. فتح القدير للشوكاني.

وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ لا تطلب على هذا النصح شيئاً من المال حتى يثقل عليهم ﴿ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ ما أنت إلا رسولٌ مذكر تهديهم إلى الله بالقرآن ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ﴾ كثيرٌ من الآيات الكونية، المنبثَّة في السموات والأرض ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يشاهدونها ليلَ نهار ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يفكّرون فيها ولا يعتبرون ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ لا يؤمنون بالله إلا إذا أشركوا معه آلهتهم، فقد كانوا يقولون في حجهم «لبَّيك لا شريك لك، إلّا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك» يقصدون الأصنام ﴿غَٰشِيَةٌ﴾ عقوبة تغشاهم وتجلّلهم بأهوالها ﴿بَغْتَةً﴾ تأتيهم القيامة فجأة من حيث لا يشعرون ﴿ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ يئسوا من إيمان قومهم ﴿قَدْ كُذِبُوا۟﴾ أيقنوا أن أقوامهم قد كذَّبوهم، وليس بالرسل ظنٌّ سيئ بالله ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ جاءهم النصر عند اشتداد الكرب ﴿بَأْسُنَا﴾ عذابنا وانتقامنا.

بيان وتوضيح: معنى الآية: حتى إذا يئس الرسل من إيمان قومهم، وأيقنوا أن قومهم كذَّبوهم. ولم يعد لهم أملٌ في إيمانهم، جاءهم نصرُ الله.. وليس المعنى أن الرسل يئسوا من نصر الله لهم، وظنوا أن الله أخلفهم وعده، فهذا المعنى خطأٌ فاحشٌ، حاشا لرسل الله الكرام أن يقعوا فيه، والمعنى الصحيح للآية: حتى إذا يئس الرسل من إيمان قومهم، وأيقنوا أن أقوامهم كذّبوهم، ولم يَعُدْ لهم أَمَلٌ في إيمانهم، جاءهم نصرنا فنجّيناهم وأتباعهم المؤمنين. والآية بيان لسُنَّة الله في الخلق، أنَّ النصر حق مؤكَّدٌ للرسل وأتباعهم، ولكنه لا يأتي إلا عند اشتداد الخطب والكرب، فينصر الله المؤمنين، ويهلك الفجرة المجرمين.

الجزء الثالث عشر — سورة الرعد

سُورَةُ الرَّعْدِ — ترتيبها ١٣ — آياتها ٤٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١) ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢) وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤) ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٥)

سورة الرعد

﴿الٓمٓرۚ﴾ الحروف للإشارة إلى إعجاز القرآن ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ المعجز في بيانه، الذي فاق كل كتاب ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ القرآنُ هو الحقُّ الساطعُ القاطع ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ خلقها بدون أعمدة، تشاهدونها بأم أعينكم، لا تستند على شيء ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ علا فوق العرش علواً يليق بجلاله ﴿تُوقِنُونَ﴾ تصدِّقون بدون تشكُّك ولا تردُّد ﴿مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ بسطها فجعلها فسيحة مع كروِّيتها ﴿رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت لئلا تضطرب بكم ﴿زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ نوعين من الإنسان والحيوان والنبات، ليتمَّ بذلك أسبابُ التكاثر ﴿يُغْشِى﴾ يغطِّي ظلمة الليل بضياء النهار ﴿صِنْوَانٌ﴾ نخيلٌ تجمع فرعين أو أكثر، ونخيل ليس لها فروع وهي غير الصنوان ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ يُسقى بماء واحدٍ، والثمارُ مختلفة في الطعم والشكل، وهذا دليل القدرة الباهرة.

ثلاثة أرباع الحزب ٢٥

توضيح: بيَّن تعالى أن الماء الذي تُسقى به الأشجارُ واحد، والتربة واحدة، ولكنَّ الثمار مختلفات الأشكال والطعوم، فكيف اختلفت ألوانُها، وأشكالُها، وطعومُها، مع أن الماء واحد، والتربة واحدة؟ الأرضُ يكون فيها الخوخُ، والتفاح، والعنبُ الأبيضُ، والأسود، والبرتقالُ، والليمون، بعضها حلوٌ وبعضها حامضٌ، أليس بعجيب أن تختلف ألوانها وطعومها، مع أن الماء الذي يسقيها واحد؟ ولهذا ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أي براهين لقوم يستعملون عقولهم ﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ إن تعجبْ من أمرٍ، فليس هناك أعجبُ من قول المشركين: هل سنبعث من جديد؟ ﴿ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ تربط أعناقهم بالسلاسل الحديدية، ويُجرُّون إلى نار جهنم جرًّا، كما قال سبحانه: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ غافر آية (٧١ ـ ٧٢).

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾

﴿الْمَثُلَاتُ﴾ مضت عقوبات الأمم المكذِّبة، جمعُ مَثُلَة وهي العقوبة ﴿آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ معجزة تدلُّ على صدق رسالته ﴿تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ ما تلده قبل التمام ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ إلى تمام تسعة أشهر فتلده تاماً، فالمراد بالغيض: السقطُ الناقصُ، وبالازدياد: الولدُ التام ﴿الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب عن الأنظار وما هو مشاهدٌ بالأبصار ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم﴾ يتساوى عند الله ﴿مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ﴾ من أخفى الكلام ومن أعلنه ﴿مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ﴾ مستترٌ بمعاصيه في ظلمات الليل ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ ومستعلنٌ بفجوره في وَضَح النهار، الكلُّ عند الله سواء ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ للإنسان ملائكة يتعاقبون في حفظه وكتابة أعماله ﴿وَالٍ﴾ ناصر يدفع عنهم عذاب الله ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ خوفاً من الصواعق، وطمعاً في الرحمة والمطر ﴿السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ السحب الكثيفة المحمَّلة بالمياه الغزيرة.

تنبيه: أمرُ السحابِ عجيبٌ، يحمل معه الرحمةَ والعذابَ، يحمل الماءَ وفيه الرحمةُ والإحياءُ، ويحملُ الصواعقَ وفيها العذابُ والإفناءُ، والجمعُ بينَ النقيضين من أسرار القدرة الباهرة، كما قيل:

جَمْعُ النَّقِيضَيْن من أسْرارِ قُدْرتِه ... هَـذَا السَّـحَـابُ بـهِ مَـاءٌ بـه نَـارُ

سبب النزول: بعث رسول الله ﷺ صحابياً إلى رجل من فراعنة قريش، وقال له: (اذهب فادْعُه لي، فذهب إليه وقال له: رسولُ الله يدعوك!! فقال: أخبرني عن إله محمد، أمِنْ ذهبٍ هو؟ أم من فضة؟ أم من نحاس؟ يقول ذلك استهزاءً بالرب وبالرسول، فبينما هو يجادله إذ بعث الله سحابةً، أبرقتْ وأرعدتْ، ونزلت منها صاعقة، ذهبت برأس ذلك الشقي) رواه البزار ﴿الْمِحَالِ﴾ القوة والبطش، ينتقم من الكفرة المجرمين.

لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ۩ ﴿١٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٨﴾

سجدة

﴿دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّ﴾ لله جلَّ وعلا الدعوةُ الحق، وهي دعوةُ التوحيد الخالص ﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ﴾ هذا تمثيل رائع، مثَّل للآلهة التي يعبدونها كمن يبسط كفيه للماء من بعيد، وقد اشتدَّ به العطش، يناديه ليصل الماء إلى فمه، ولا يستجيب له الماءُ، لأنه جمادٌ لا يسمع ولا يحسُّ بعطشه ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ ليس التجاؤهم لأصنامهم ﴿فِي ضَلَٰلٖ﴾ في خسران ﴿طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ المؤمن يسجد طوعاً، والكافر يسجد كرهاً، حال الشدة والاضطرار ﴿بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ بالصباح والمساء ﴿ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ المراد بالأعمى: الكافر، وبالبصير: المؤمنُ ﴿ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ الظلماتُ: الضلالُ، والنورُ: الهدى، فلا يتساوى أهل الإيمان مع أهل الكفر ﴿جُفَآءٗ﴾ أمَّا الزَّبَدُ الغثاءُ فيتلاشى ويضمحلُّ ﴿فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ وأمَّا الماء الصافي فيثبت في الأرض، فالحقُّ هو الثابتُ الدائم، والكفر هو الباطل الزائل، وهذا تمثيل بديع، مثَّل للحق بالماء النافع ينزل من السماء، فتسيل به الأودية، وللباطل بالزَّبد الذي ينتفخ، ثم لا يلبث أن يتلاشى ويزول، والماءُ من تحته هادئٌ ساكن ﴿ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ﴾ أجابوا دعوة التوحيد، فآمنوا بالله ورسله ﴿ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ الجنة وما فيها من النعيم المقيم ﴿لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ الأشقياء الكفار الذين أنكروا وحدانية الله ﴿لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓ﴾ لو كان لهم جميع ما في الدنيا من كنوز وأموال، ومثلَ ذلك معه، لبذلوه فداءً لأنفسهم، ولكنْ هيهات!! ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ مسكنهم نار جهنم ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ بئس هذا المستقرُّ والفراشُ الذي يصيرون إليه.

۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

الحزب ٢٦

﴿أَعْمَىٰٓ﴾ أعمى البصيرة الذي يتخبَّط في الضلال، لا يتساوى العالم مع الجاهل ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ إنما يتَّعظ بهذه الأمثال أصحابُ العقول السليمة ﴿ٱلْمِيثَٰقَ﴾ العهد الذي قطعوه على أنفسهم ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون الجهل بالحلم، والشرَّ والعصيان بالطاعة والإحسان ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ لهم العاقبة المحمودة ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ﴾ ينقضون عهودهم ولا يتمسَّكون بالمواثيق ﴿لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ الطرد من رحمة الله ﴿سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ العاقبة السيئة وهي نار الجحيم ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ يوسعه على من يشاء ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيِّق الرزق على من يشاء بمقتضى الحكمة ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فرحوا بنعيمها فرح أشَر وبطر، وهي حقيرة زائلة ﴿أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ﴾ يقول الكفار: هلَّا أنزل على محمد معجزة، كمعجزة موسى في فرق البحر، ومعجزة عيسى في إحياء الميت!؟ ﴿أَنَابَ﴾ رجع بقلبه إلى الله ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾ تسكن وتستأنس قلوبهم بذكر الله وتسبيحه، ويجدون حلاوةً بذكر ربهم ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ ألا فانتبهوا أيها الناس، فإن ذكر الله سلوى للقلب، وراحةٌ للإنسان من الهموم والأكدار!! وفي الحديث الشريف: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**» رواه البخاري، وسأل رجل رسول الله ﷺ عن شيء يتشبَّثُ به ـ أي يواظب عليه ـ فقال له: «**لا يزال لسانك رطباً بذكر الله**» رواه الترمذي.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾

﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ يا سعادتهم ويا هناءهم!! فلهم عيشٌ طيبٌ في الآخرة ﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ حسنُ مرجع ومنقلب، **قال ابن عباس:** ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ قُرَّة عين وفرح وبهجة لهم ﴿خَلَتْ﴾ مضت قبلها أمم كثيرون ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وقومُك يكفرون بالرحمن ويُنكرون القرآن ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ إليه توبتي ومرجعي ﴿سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ لو أن قرآناً تسير بتلاوته الجبال ﴿أَوْ قُطِّعَتْ﴾ تصدَّعت من هوله الأرض ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ خوطب به الموتى حتى قاموا من قبورهم وتكلَّموا، وجوابه محذوف تقديره: لكان هذا القرآن، الذي يأتي بالخوارق والمعجزات، فأيَّ معجزة يطلبون غير القرآن!! ﴿أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ﴾ أفلم يقنط المؤمنون من إيمان الكفار؟ ﴿قَارِعَةٌ﴾ كارثة وداهية تقرعهم بهولها وشدتها ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ أمهلت ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ كيف كان عقابي لهم؟ ألم يكن هائلاً فظيعاً؟ ﴿قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ﴾ رقيبٌ على كل مخلوق، يعلم ما يصدرُ منه، فهل الله كالأصنام التي لا تُبصر ولا تسمع؟ والغرض من الآية تسفيهُ عقولِ المشركين وأحلامهم، فقد جعلوا الإلهَ السميعَ البصيرَ، كالصَّنم العاجز الحقير ﴿وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ مُنعوا عن طريق الهدى والإيمان ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ لا يقدر أحد أن يهديه ﴿أَشَقُّ﴾ عذابهم في الآخرة أثقل وأشدُّ إيلاماً. ﴿مِن وَاقٍ﴾ ليس لهم من يحفظهم ويحميهم من عذاب الله.

۞ مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ۖ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ
أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا
جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ
لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾
يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾
وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ
يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾

ربع الحزب ٢٦

﴿مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ صفةُ الجنة التي أعدَّها الله للمتقين ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ تجري من تحت قصورها وغرفها أنهار الجنة بالماء السلسبيل ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ ثمارها لا تنقطع ﴿وَظِلُّهَا﴾ كذلك دائم لا يزول ﴿عُقْبَى﴾ هذه عاقبة المتقين الأبرار ﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ وعاقبةُ الظلمة الفجار نار الجحيم ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ أهل الأديان الذين تحزَّبوا على حربك ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ من ينكر بعض القرآن مكابرةً ﴿ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ سايرتهم في ما يشتهون ﴿وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ ليس لك من ينصرك ويقيك من عذابنا ﴿أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ جعلنا لهم النساء والبنين، فلماذا يعترضون عليك في أمر الزواج؟ ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ﴾ ينسخ الله ما يشاء نسخه من الأحكام، ويثبت ما يشاء فلا ينسخه ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اللوح المحفوظ الذي لا يتبدل ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بزيادة ديار المسلمين، ونقص ديار المشركين، وقيل: نقصُ الأرض بموت أشرافها، وعلمائها، وكبرائها! ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ لا يستطيع أحد أن يتعقَّب حكمه بنقضٍ أو تبديل ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ سريع الانتقام ممن عصاه.. نبَّه تعالى أن استيلاء المسلمين على ديار المشركين، وظهورَ الإسلام على الشرك، من أظهر الأدلة على نصر الله لرسوله ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ لله جلَّ وعلا أسبابُ القدرة على إهلاكهم، لا يستطيع أحد أن يدفع عنهم عذاب الله.

سبب النزول: عيَّر اليهودُ رسولَ الله ﷺ وقالوا: ما نرى لهذا الرجل مهمة إلَّا النساء، والتمتع بنكاحهن، ولو كان نبياً ـ كما يزعم ـ لشغله أمرُ النبوَّة عن النساء!! فنزلت ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً . .﴾ الآية، أسباب النزول للواحدي.

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ — ترتيبها ١٤ — آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

سورة إبراهيم

﴿الٓر﴾ هذا الكتاب المعجز منظوم من أمثال هذه الحروف المقطّعة فأتوا بمثله إن استطعتم ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ من ظلمات الجهل والكفر، إلى نور العلم والإيمان ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بأمر الله وحكمه ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ هلاكٌ ودمار للكفرة الفُجّار، ويا ويلهم من عذاب الله ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون ويفضّلون ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ يصرفون الناس عن دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ يريدون أن يكون دين الله معوجّاً يوافق أهواءهم ﴿بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ بلغة قومه لتتمّ الغاية من الرسالة ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بالمعجزات الباهرات ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ بنِعَمه عليهم، وبأيام النصر وإهلاك الأعداء ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ﴾ في نصر الله لأوليائه، وإهلاك أعدائه، لعبراً وعظات لكل عاقل، وفي قوله تعالى: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ تنبيه على أن رسالة موسى عليه السلام خاصة لقومه (بني إسرائيل) بخلاف قوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ مما يدل على عموم رسالته ﷺ لجميع الخلق، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿صَبَّارٍ﴾ صيغة مبالغة يعني كثير الصبر على طاعة الله ﴿شَكُورٍ﴾ كثير الشكر على نعمائه جلّ وعلا.

سبب التسمية: سميت السورة الكريمة سورة (إبراهيم) تخليداً لمآثر ومناقب أبي الأنبياء، وإمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام، الذي شيّد صرح التوحيد، وحطّم الأصنام والأوثان، فكان بحقّ خليلاً للرحمن.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ۚ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

نصف الحزب ٢٦

﴿آلِ فِرْعَوْنَ﴾ من فرعون وزبانيته ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم أسوأ أنواع العذاب ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يستبقون النساء للخدمة فلا يقتلونهن ﴿بَلَاءٌ﴾ محنة شديدة وابتلاء لكم ﴿تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أعلم إعلاماً واضحاً لا خفاء فيه ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ نعمتي ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ فضلي وإحساني ﴿لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ مستغن عن شكر العباد، مستحق للحمد في ذاته وصفاته ﴿نَبَأُ﴾ أخبار من سبقكم من الأمم المكذبة ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ جاءتهم الرسل بالحجج الواضحات، والمعجزات الباهرات ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ﴾ سخروا منهم واستهزءوا، حتى وضعوا أيديهم على أفواههم، من كثرة الضحك والسخرية ﴿مُرِيبٍ﴾ موجب للشك ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما ومبدعهما على غير مثالٍ سابق.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ لمّا جاءتهم الرسلُ بالمعجزات الساطعات، عجبوا منهم، وضحكوا واستهزءوا، حتى وضعوا أيديهم على أفواههم من كثرة الضحك والسخرية، وأعلنوا كفرهم بهم صراحة فقالوا: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾ كفرنا بدينكم ورسالتكم ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ قالت لهم الرسل: يا عجباً! أفي وجود الله ووحدانيته شك؟ وهو الخالق لهذا الكون البديع، والمنشئ للسموات والأرض؟ ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ قال الكافرون رداً عليهم: ما أنتم إلَّا بشر مثلنا، تريدون بدعواكم أن تصرفونا عن عبادة الأوثان ﴿فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ بحجة واضحة على صدق دعواكم.

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ
يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم
بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ
﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ
وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ
﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ
أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ
ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟
وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ
مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ
وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن
وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ
أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ
مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ﴾ ما نحن إلا بشرٌ مثلكم نأكل ونشرب ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ﴾ يتفضَّل على من يشاء بالنبوة ﴿بِسُلْطَٰنٍ﴾ وما ينبغي لنا أن نأتيكم بما اقترحتموه من المعجزات ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بمشيئته تعالى وإذنه ﴿هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ بصَّرنا طريق السعادة والنجاة ﴿خَافَ مَقَامِى﴾ موقفه بين يديَّ للحساب والجزاء ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ خاف وعيدي وعذابي ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟﴾ استنصر الرسل أي طلبوا النصر على أعدائهم ﴿وَخَابَ﴾ خسر وهلك كلُّ متجبِّر متكبر على الله ﴿عَنِيدٍ﴾ معاند للحق مجانب له ﴿مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ مختلط من قيح ودم ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ يبتلعه كُرْهاً ولا يكاد يستسيغه، لقبحه وكراهته ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ وأمام هذا الكافر، عذاب أشدُّ وأغلظ ﴿يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ شديد هبوب الريح، فأعمال الكفار تمحقُ كما تذهب الريحُ الشديدة بالتراب.

تشبيهٌ بديع: شبَّه تعالى أعمال الكفار الخيريَّة، التي عملوها في الدنيا يبتغون بها الأجر، شبَّهَهَا في ضياعها وذهابها، بريح شديدة عاصفة، أتت على رمادٍ ـ تراب ـ ناعم فطيَّرته، فلم تترك له أثراً، كذلك أعمال الكفار تذهب وتتلاشى، لأنهم أشركوا فيها غير الله، كما قال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ وقوله سبحانه: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ لا يقدر الكفار على تحصيل ثواب ما عملوه لإحباطه بالكفر ﴿ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ الخسران الكبير الذي لا يوازيه خسران!!

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُوا۟ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾

﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ﴾ خرجوا من القبور لموقف الحشر الأكبر، الرؤساء والضعفاء ﴿فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟﴾ الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ للسادة والقادة الأكابر المجرمين ﴿كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ أتباعاً لكم نأتمر بأمركم ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ﴾ هل تدفعون عنا شيئاً من عذاب الله؟ ﴿لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ للإيمان لهديناكم له، ولكننا شقينا وضللنا ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ﴾ يستوي علينا ﴿أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ الحزنُ أو الصبرُ ﴿مِن مَّحِيصٍ﴾ ليس لنا منجى ولا مهرب من العذاب ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ خطب الشيطان في أتباعه وقال لهم ﴿لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ لمَّا انتهى الحساب ودخل أهلُ النَّارِ النَّارَ ﴿سُلْطَٰنٍ﴾ لم يكن لي عليكم تسلُّطٌ بالقهر ﴿فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ دعوتكم بالوسوسة إلى الكفر والضلال فأطعتموني ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ﴾ لست بمغيثكم من العذاب ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ﴾ ولا أنتم تستطيعون إغاثتي منه، وهذه الخطبة من إبليس في أتباعه إنما تكون بعد الدخول في نار جهنم ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ كلمة التوحيد **لا إله إلا الله** ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ شجرة النخيل.

خطبةُ إبليس: هذه هي الخطبةُ البتراءُ، التي سيخطب فيها (إبليس) في **أتباعه المشركين** الضالين، فقد رُوي أن أهل النار حينما يدخلون جهنم، تنهال اللعناتُ منهم على إبليس، فيقف خطيباً فيهم، ويرتجل هذه (الخطبة الجهنمية) التي يقول فيها الحقيقة، ولا يكذب فيها ولا يراوغ، يقول: يا أتباعي ويا أحبابي، إن الله وعدكم وعداً صادقاً، **أن من آمن به أدخله الله الجنة**، ووعدتكم فخدعتكم، وكذبتُ عليكم، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم، . . إلى آخر ما أخبر عنه القرآنُ كما تقدَّم.

تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَاۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ كلمة الشرك ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ شجرة الحنظل الخبيثة ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾ استؤصلت من جذورها ﴿قَرَارٍ﴾ ليس لها استقرار ولا ثبات، وهذا تمثيل، مثَّل للمؤمن وعمله الصالح بشجرة النخيل، وللكافر وعمله الخبيث بالحنظل وهو مرٌّ علقم ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ﴾ يثبِّته على الإيمان عند سؤال الملكَيْن له في القبر، كما فسَّره ﷺ بقوله: «**المؤمن إذا سُئل في القبر شهد أن لا إله إلا الله...**» رواه البخاري ﴿بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ هم مشركو مكة بعث الله لهم محمداً خاتم الأنبياء فكذبوه ﴿دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ أنزلوهم دار الهلاك وهي جهنم ﴿وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ بئست جهنم مسكناً ومستقراً لهم ﴿أَندَادًا﴾ جعلوا لله شركاء من الأصنام والأوثان ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ﴾ استمتعوا بنعيم الدنيا ﴿مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ مرجعكم ومستقركم نار جهنم ﴿وَلَا خِلَٰلٌ﴾ لا فدية فيه ولا صداقة، جمعُ خُلَّة وهي الصُحبة والصداقة ﴿دَآئِبَيْنِ﴾ يجريان بانتظام.

ثلاثة أرباع الحزب ٢٦

تنبيه: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا..﴾ هم كفار مكة، أسكنهم الله حَرَمه الآمن، وجعل عيشهم في سَعَة، وبعث إليهم خاتم الأنبياء والمرسلين محمداً ﷺ، فآذوه وكذّبوه، وعذّبوا أصحابه، فابتلاهم الله بالجدب والقحط سبع سنين، حتى أكلوا الجلودَ والوَبَر، بدعوة رسول الله ﷺ، حين قال: «**اللهمَّ اجعلها عليهم سنينَ كسِنِيِّ يوسف**» أي أرسل عليهم القحط والجدب، والآيةُ وإن نزلت في كفار مكة، إلَّا أنها تعمُّ جميع الكفار والفجار، لأن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب.!

الجزء الثالث عشر — سورة إبراهيم

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾

﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ لا تطيقوا عدَّها لعدم انتهائها ﴿وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ﴾ باعدْني وباعدْ أبنائي عن عبادة الأوثان ﴿أَضْلَلْنَ كَثِيرًا﴾ كانت سبباً في ضلال كثيرٍ من خلقك ﴿فَمَن تَبِعَنِى﴾ أطاعني ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ من أهل ديني ﴿وَمَنْ عَصَانِى﴾ خالف أمري، فإنك غفار الذنوب.. قرأ ﷺ هذه الآية فبكى وقال: «**اللهم أمتي أمتي، فبعث الله جبريل إليه وقال له: إن الله يُقرئك السلام ويقول لك: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك**» رواه مسلم ﴿أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ قلوب الناس ﴿تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ تُسرع وتحنُّ إليهم، شوقاً ومحبة **قال ابن عباس**: لو قال (أفئدة الناس) لازدحمت عليه الخلائق فارس والروم ﴿نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ﴾ تعلم سرَّنا وجهرنا ﴿عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾ على شيخوختي وكبر سني، وُلد له ﴿إِسْمَـٰعِيلَ﴾ وعمره (٩٩) سنة، ووُلد له ﴿إِسْحَـٰقَ﴾ وهو ابن (١١٢) سنة، وكانت امرأته عقيماً لا تلد، ولذلك ذكر هذه النعمة عليه، ثناءً على الله ﴿مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ اجعلني ممن واظب على الصلاة، واجعل من ذريتي من يحافظ عليها ﴿وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ استجب دعائي في ما دعوتك به ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ ختم إبراهيم دعاءَهُ الخاشعَ الضارعَ، بالاستغفار له ولوالديه، ولجميع المؤمنين والمؤمنات، يوم يقوم الناسُ لرب العالمين واستغفر لوالديه قبل أن يتبيَّن له أن أباه عدوٌّ لله، وهذه الدعوات التي دعا بها إبراهيم، كانت قبل أن يشرع ببناء البيت العتيق، وقد شملت هذه الدعوات المباركة، جميعَ المؤمنين والمؤمنات، في شتَّى العصور والأزمان، إلى أن يرث اللهُ الأرض ومن عليها.!

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين نحو الداعي مع الذلة والاستكانة ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ رؤوسهم مرفوعة إلى السماء، لا ينظر أحدٌ إلى أحد ﴿لَا يَرْتَدُّ﴾ لا ترجع إليهم أبصارهم، من هول ما يرون ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ وقلوبهم خالية من العقل لشدة الهول ﴿مِّن زَوَالٍ﴾ ألم تحلفوا في الدنيا، أنكم باقون فيها، لا تحاسبون ولا تُعذبون!! ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ سكنتم في ديار الظالمين فلم تعتبروا ولم تتعظوا!! ﴿مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ وترى المجرمين يوم القيامة مربوطين بالسلاسل والأغلال ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾ ثيابهم من قطران وهو الذي تُطلى به جلودُ الإبل عند الجرب، وهو حار نتنُ الرائحة ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ تعلوها وتغطّيها نار جهنم ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ يجازي المحسنَ بإحسانه، والمسيء بإساءته ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ حسابه تعالى سريع، يحاسب البشر في وقت واحد، لا يشغله شأنٌ عن شأن ﴿هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ﴾ هذا القرآن بلاغٌ لجميع الخلق ليتَّعظوا به ﴿الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول السليمة، الذين يستفيدون من آيات الذكر الحكيم، ويعملون بإرشاداته.

تنبيه: ذكر تعالى جزاء المجرمين في الآخرة، وأخبر أنهم يكونون مقيَّدين بالسلاسل والأغلال، ثيابهم التي يلبسونها من الزّفت الأسود، المنتن الريح، الذي يحرق الجلود بحرّه وشدّته، وتغطّي وجوههم نار جهنم، مع الخزي والكآبة، جزاء الكفر والاستكبار، نسأله تعالى أن يجيرنا من هول ذلك اليوم العصيب.

سُورَةُ الحِجْرِ — ترتيبها ١٥ — آياتها ٩٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

سورة الحجر

الجزء ١٤ — الحزب ٢٧

﴿الٓر﴾ الحروف المقطّعة للإشارة إلى إعجاز القرآن ﴿وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ واضح لا خلل فيه ولا اضطراب ﴿لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ سيتمنى الكفار لو كانوا مسلمين، وذلك حين يدخل العصاة النار، فيقول لهم الكفارُ: ماذا نفعكم إسلامكم؟ أنتم معنا في العذاب!! فيأمر الله بإخراج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ﴿ذَرْهُمْ﴾ اتركهم يأكلوا كالبهائم، ويستمتعوا بدنياهم الفانية ﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ أجل محدّد لهلاكهم ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا﴾ هلّا جئتنا بالملائكة لتشهد لك بالرسالة ﴿مُّنظَرِينَ﴾ مؤخّرين ﴿شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ طوائف الأمم السابقة ﴿نَسْلُكُهُۥ﴾ نُدْخِل الضلال في قلوب المجرمين ﴿سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ عادة الله بإهلاك المكذبين ﴿يَعْرُجُونَ﴾ يصعدون ﴿سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ سُدَّت أبصارنا وخدِعت، **ومعنى الآية**: لو أعطيناهم مطلوبهم، وصعدنا بهم إلى السماء، حتى رأوا الملائكة، لقالوا: لقد سَحَرنا محمد، وخُدِعتْ أبصارنا وسُدَّت، وما هذا الصعود إلّا سحر مبين!!

توضيحٌ وبيان: رُوي أن الكفار إذا دخلوا نار جهنم، يدخل معهم العُصاة من المؤمنين، فيقول لهم الكفار: ماذا نفعكم إسلامكم؟ كلنا في العذاب مشتركون، فيغضب الربُّ جلّ وعلا، ويأمر بإخراج كلّ من كان في قلبه ذرة من إيمان، فيخرجون وقد امتُحشوا، فيُلْقون في نهر الحياة، فيخرجون بأجمل هيئة وأحسن صورة، ويُؤمر بهم إلى الجنة، فحينئذٍ يتمنى الكفارُ لو كانوا مسلمين، كما قال سبحانه: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ رواه الطبراني، وذكره ابن كثير.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾
وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ
فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا
رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا
مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا
خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ
لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ
بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾
وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ
ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن
صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن
رُّوحِي فَقَعُوا لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾

﴿بُرُوجًا﴾ منازل للكواكب السيَّارة ﴿رَّجِيمٍ﴾ مرجوم بالحجارة، مطرودٌ من رحمة الله ﴿ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ خطف شيئاً من أخبار السماء ﴿مَعَٰيِشَ﴾ ما تعيشون به من المطاعم، والمآكل، والمشارب ﴿لَوَٰقِحَ﴾ تُلقح الرياحُ السحابَ فينزل منه المطر، وتُلقح الشجرَ فيخرج منه الثمر ﴿ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ﴾ المتقدّمين الذين ماتوا من الأمم السابقة و﴿ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ من هو حيٌ من البشر إلى يوم القيامة ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ يجمعهم للحساب والجزاء ﴿صَلْصَٰلٍ﴾ يسمع له صوتٌ إذا نُقر عليه ﴿حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ من طين أسود يابسٍ متغيِّر ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ أبدعتُ خلقه وصوَّرته ﴿مِن رُّوحِي﴾ إضافة الروح إلى الله إضافة تشريف وتكريم، مثل (ناقة الله) و(بيت الله) ﴿فَقَعُوا لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم، وهذا من تكريم الله لآدمَ وذريته، حيث أمر الملائكةَ بالسجود له، فخرُّوا له ساجدين، وامتنع إبليس اللعين عن السجود له تعظُّماً واستكباراً.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ الاستثناء منقطع، لأن إبليس لم يكن من الملائكة، إنما كان من الجنّ، لقوله سبحانه في الكهف: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ لكنه كان في صف الملائكة، وفي زمرتهم حين أمروا بالسجود لآدم، وتوجَّه له أمر خاصٌ من رب العزة والجلال ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ فهناك أمر عام للملائكة، وأمر خاصٌ لإبليس، فالملائكة استجابت وسجدت، وعصى إبليس أمر الله، فأبى وتكبَّر، ولهذا قال الحسن البصري: (ما كان إبليسُ من الملائكة طرفةَ عين) فتدبر هذا رعاك الله. !

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسۡتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾

﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ﴾ الاستثناء منقطع أي لكن إبليس لم يسجد لآدم، وهو من الجن لا من الملائكة، لأن الملائكة لا يعصون أمر الله، وقد صرحت سورة الكهف بذلك: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ ﴿مَا لَكَ﴾ أيُّ شيء منعك من السجود لآدم؟ ﴿لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ﴾ لا ينبغي ولا يليق لمثلي أن يسجد له، لأنه مخلوق من طين، وأنا من نار، فكيف يسجد الأعلى للأدنى؟ ﴿رَجِيمٞ﴾ مطرود من رحمتي ﴿ٱللَّعۡنَةَ﴾ الإبعاد عن رحمة الله ﴿فَأَنظِرۡنِيٓ﴾ أمهلني ولا تُمتني ﴿مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ﴾ من المؤجَّلين، إلى نهاية الدنيا ﴿يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ﴾ يوم موت جميع الخلق ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ﴾ أزيّن وأحسّن للبشر المعاصي والآثام ﴿صِرَٰطٌ عَلَيَّ﴾ طريقٌ مرجعه إليَّ، حقٌّ عليَّ أن أراعيه ﴿سُلۡطَٰنٌ﴾ قوة وتسلُّط ﴿جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ﴾ فريقٌ متعيِّن ﴿نَصَبٞ﴾ تعب وإعياء. ﴿وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ لا يخرجون من الجنة لأنَّها دار الخلود، وفي الحديث الشريف: «**ينادي منادٍ يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**» رواه البخاري ومسلم.

ربع الحزب ٢٧

سبب النزول: ورد في سبب النزول، أن النبي ﷺ مرَّ بنفرٍ من أصحابه وهم يضحكون، فقال: أتضحكون والنارُ بين أيديكم؟ ثم انصرف حتى إذا كان عند المقام (مقام إسماعيل) رجع ﷺ إليهم، فقال لهم: إني لمَّا تركتكم وانصرفت عنكم، جاءني جبريل عليه السلام، فقال لي: يا محمد إن الله تعالى يقول: لِمَ تقنِّطُ عبادي؟ ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ رواه الطبري في جامع البيان.

إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟
لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن
مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ
فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ
رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ
﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ
ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ
يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ
بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ
وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ
دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾

﴿وَجِلُونَ﴾ فَزِعون خائفون، وإنما خاف منهم، لأنهم لم يأكلوا من الطعام ﴿مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ﴾ أبشرتموني بالغلام على حالة الشيخوخة والهرم؟ ﴿ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ اليائسين من رحمة الله ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ ما شأنكم وأمركم الخطير الذي قدمتم من أجله؟ ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ﴾ إلّا أهل لوط وأتباعه المؤمنين فسننجيهم من ذلك العذاب ﴿ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الهالكين ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ سِرْ بأولادك الناجين في طائفة من الليل ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ كن وراءهم لتطمئنَّ عليهم ﴿ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ أنبأناه ذلك الأمر الخطير ﴿دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ سنستأصلهم ونفنيهم عن آخرهم ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ وقت الصباح ﴿فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ لا تفضحوني أمامهم بتعرضكم لهم بالفاحشة ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ لا تذلُّوني وتُهينوني أمامهم، والآيات تكشف لنا عن هذا الانحطاط القذر، الذي تردّى إليه أولئك السفهاء المجرمون، حيث أسرعوا جماعات، يريدون الفجور بأولئك الضيوف، دون حياء ولا خجل، يقصدون اللواطة التي يترفَّع عنها الحيوان، ويا لها من قباحةٍ وشناعة!! ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ألسنا نهيناك أن تكلِّمنا في أحدٍ من الناس، إذا قصدناه للشهوة؟ لقد جاء الضيوف إلى (لوط) عليه السلام، بصورة رجالٍ حسان الوجوه، غلمانٍ مُرْد، ولم يعلم أنهم ملائكة حتى أخبروه عن أمرهم، وأخبروه أن قومه سيُهلكون عن آخرهم، وخشيت الملائكة أن يرقَّ قلبُ لوط على قومه، فيطلب تأجيل العذاب، لذلك أخبروه أنه أمرٌ محقَّق، صدر من الرحمن، لا يُردُّ ولا يؤخَّر، وهذا معنى ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ..﴾ الآية.

قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُشۡرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٖ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُواْ يَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّيۡحَةُ مُصۡبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

﴿لَعَمۡرُكَ﴾ هذا قَسَمٌ من الله بحياة خاتم المرسلين، **قال ابن عباس:** «ما خَلَق اللَّهُ ولا ذَرأ ولا بَرَأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعتُ الله أقْسَمَ بحياة أحدٍ غير محمد يقول: وحياتك يا محمد» رواه الطبري ﴿سَكۡرَتِهِمۡ﴾ ضلالهم وجهلهم ﴿يَعۡمَهُونَ﴾ يتخبَّطون حيارى ﴿ٱلصَّيۡحَةُ﴾ صيحة العذاب المدمِّرة صاح بهم جبريل فهلكوا ﴿مُشۡرِقِينَ﴾ وقت شروق الشمس ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ من طينٍ متحجِّر مطبوخ بالنار ﴿لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾ المتأملين بعين البصيرة، أصحاب الفراسة ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ الشجر الكثير الملتف وهم قوم شعيب ﴿لَبِإِمَامٖ مُّبِينٖ﴾ بطريق واضح تمرون عليهم في أسفاركم أفلا تعتبرون؟ ﴿مِّنَ ٱلۡمَثَانِي﴾ هي الفاتحة سبع آيات، تُثنَّى أي تكرَّرُ قراءة آياتها في كل ركعة، وفي الحديث: «**الحمد لله رب العالمين هي السبعُ المثاني، والقرآنُ العظيمُ الذي أوتيته**» رواه البخاري.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ﴾ هم قوم نبيِّ الله (صالح) عليه السلام، والحِجْر بلادٌ بين المدينة والشام، يمرُّ عليها التُّجَّار في أسفارهم، وهي مشهورة بمدائن صالح، وقد أهلكهم الله بصيحة من السماء من فوقهم، ورجفةٍ - زلزلة - شديدة من تحت أقدامهم، فأصبحوا جُثَثاً هامدة، وقد حذَّر المصطفى ﷺ أصحابه من الدخول إلى ديارهم، إلا أن يكونوا باكين فقال: «**لا تدخلوا على هؤلاء القوم، إلّا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين، فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم مثلُ ما أصابهم**» رواه البخاري.

ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ — ترتيبها ١٦ — آياتها ١٢٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾

﴿عِضِينَ﴾ جعلوا القرآن أجزاء متفرقة، فآمنوا ببعضٍ وكفروا ببعض، وقالوا عنه: سحر، شعر، كهانة، وهذه تسلية لرسول الله ﷺ عن تكذيبهم له، روى البخاري عن ابن عباس أنه قال: (هم أهلُ الكتاب، جزَّءوه أجزاءً، فآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه) ﴿فَٱصْدَعْ﴾ اجهر بتبليغ رسالة ربك ولا تبالِ بهم ﴿كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾ رؤساء الكفر والضلالة وهم خمسة، كانوا إذا مرَّ بهم الرسول غمزوه واستهزءوا منه وقالوا: هذا الذي سيملك ملك كسرى وقيصر!! وقد أهلكهم الله جميعاً ودمَّرهم، ونصر نبيَّه ﷺ.

نصف الحزب ٢٧

* * *

سورة النحل

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ على رسله ﴿بِٱلرُّوحِ﴾ بالوحي الإلهي، سمَّىٰ الوحي روحاً، لأنه حياة للقلوب، تحيا به القلوب كما تحيا بالأرواح الأبدانُ ﴿خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ كثير الخصومة لربه، يكابر ويعاند وينكر البعث ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ ما تستدفئون به من الأصواف والأشعار والأوبار ﴿تُرِيحُونَ﴾ تُرجِعون الأنعام من المرعى للراحة ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ تطلقونها في الصباح للمرعى.. وضَّح تعالى أنه خلق الأنعام للناس (الإبل، والبقر، والغنم) لهم ما يستدفئون به من البرد، من الأكسية، والأصواف، والأوبار، التي يصنعون منها البُسُط والعباءات، ويأكلون لحومها، ويشربون ألبانها، ولهم فيها متعةٌ وبهجة، حين ترجع عشياً من المرعى، وحين تذهب صباحاً لترعى، وكلُّ هذا من فضل الله على البشر ليشكروه على نعمه الجليلة!!

الجزء الرابع عشر — سورة النحل

وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗۖ لَّكُم مِّنۡهُ شَرَابٞ وَمِنۡهُ شَجَرٞ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾

﴿وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ﴾ أمتعتكم الثقيلة ﴿بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ﴾ لا تصلون إلّا بجهدٍ ومشقة ﴿قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ على الله بيانُ الطريق المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ﴾ ومن هذه الطُّرق والأديان، ما يُبعد الإنسان عن ربه، لأنها طريق مائلة عن الحق، كالمجوسية واليهودية، والبوذية ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ترعون منه أنعامكم ومواشيكم ﴿يُنۢبِتُ لَكُم﴾ يُخرج لكم بذلك الماء أنواع الزروع والأشجار ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ﴾ ومن كل الفواكه والثمار، يخرج لكم أطايب المأكولات ﴿وَسَخَّرَ﴾ ذلّل لكم الليل والنهار، يتعاقبان لمصالحكم ومنافعكم ﴿وَمَا ذَرَأَ﴾ وما خلق لكم ربكم في الأرض، من أنواع النباتات والمعادن، والثمار المختلفة الأشكال والألوان ﴿لَحۡمٗا طَرِيّٗا﴾ السمك بأنواعه ﴿حِلۡيَةٗ﴾ كاللؤلؤ والمرجان ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ تشقُّ عُباب البحر، تحمل الأثقال والرجال، ذاهبةً عائدة، والماء بطبيعته سائل مائع، فكيف حمل هذه البواخر الكبيرة، التي هي كالجبال مع ما فيها من أثقال، ولم ترسب إلى قراره؟ فلولا تسخيرُه تعالى، لطغى البحرُ فأهلكَ الحرثَ والنسل، وقضى على الأخضر واليابس، ولولا تذليلُه لما أمكن الركوب فوق سطح البحر، فلهذا ختم الآية بقوله: ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ كما قال في سورة الزخرف: ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ وَتَقُولُواْ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴾ أي مطيقين.

وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا
لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ
﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن
تَعُدُّوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ
أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ
فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ
﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ
لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ
قَالُوٓا أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا
سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ
مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

﴿رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً شوامخ ثوابت ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ لئلا تضطرب بكم الأرض وتتحرك ﴿وَسُبُلًا﴾ جعل فيها طرقاً تسلكونها في أسفاركم ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ لا تضبطوا عددها ولا تطيقوا حصرها ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ الأصنام التي تعبدونها جمادات لا حياة فيها، فكيف تعبدونها وهي لا تُحسُّ ولا تسمع؟ أنتم أفضل منها لأن فيكم حياة ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ جاحدة لوحدانية الله ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً إن الله تعالى لا يخفى عليه شيء مما يخفونه أو يعلنونه ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قال السفهاء عن القرآن: إنه خرافات وأباطيل الأمم السابقين ﴿لِيَحْمِلُوٓا أَوْزَارَهُمْ﴾ آثامهم وذنوبهم مع ذنوب الذين اتبعوهم ﴿سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ بئس ما يحمله هؤلاء الأشقياء ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مكر المجرمون بأنبيائهم ورسلهم، من قبل كفار مكة، وأرادوا إطفاءَ نور الله، فأهلكهم الله ودمَّرهم، وجاءهم عذابُ الله، من حيث لا يخطر على بال ﴿بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ تمثيلٌ لتدمير ما أبرموه، بصورة بنيانٍ انهدم على رؤوس أهله، ، شبَّه تعالى كيدهم، بجماعةٍ بنوا بناءً قويَّ الدعائم والأركان، فدمَّر الله بنيانهم من أساسه، ووقع عليهم السقف، فبادوا وهلكوا تحته، وإنه لتمثيلٌ بادي الروعة لتصوير ما دبَّروه من كيدٍ ومكرٍ، ولهذا قال: ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ جاءهم الهلاك والدمار من حيث لا يدرون ولا يعرفون. !

الجزء الرابع عشر — سورة النحل

ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾

﴿يُخْزِيهِمْ﴾ يذلُّهم ويهينهم بالعذاب ﴿تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ أين آلهتكم الذين كنتم تخاصمون وتعادون الأنبياء من أجلهم؟ أحضروهم ليشفعوا لكم ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ استسلموا وانقادوا عند رؤيتهم ملائكة العذاب، بعد أن كانوا في المكابرة والعناد ﴿مِن سُوٓءٍۭ﴾ يقولون: يا ربَّنا ما أشركنا ولا عصينا!! يظنون أن الكذب ينفعهم ﴿مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ادخلوا نار جهنم فبئست جهنم مقراً ومسكناً للمتكبرين ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ جنات إقامة للمؤمنين الأبرار ﴿مَا يَشَآءُونَ﴾ لهم فيها من كل ما يشتهون دون انقطاع ﴿طَيِّبِينَ﴾ كانت نفوسهم طيبة، ولذلك أكرمهم الله بدخول جنة النعيم، لأنهم تطهَّروا من دنس الشرك

ثلاثة أرباع الحزب ٢٧

والمعاصي، ولْيَسْرحْ خيالك فيما يشاءون ويشتهون!! ممَّا يتصوَّره الإنسان وممَّا لا يتصوَّره!! فلا يشتهون شيئاً إلَّا أعطاهم الله إيَّاه، ولا يخطر على بالهم شيء، إلَّا حقَّق الله لهم ذلك، فضلاً منه وكرماً، وقد جاء في الحديث، أن أعرابياً سألَ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل في الجنة خيلٌ؟ فقال له ﷺ: «**إنْ أدخلك الله الجنَّةَ، أُتيتَ بفرسٍ من ياقوتةٍ حمراءَ، له جناحان، فحُملتَ عليه، ثم طارَ بك في الجنة حيثُ شئتَ**» رواه الترمذي. ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ **ما ينتظر الأشقياء** إلا أن تنزل عليهم الملائكة لقبض أرواحهم ﴿يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ **عذابه العاجل، بإهلاكهم وإفنائهم،** عن بكْرَة أبيهم، بعذاب الاستئصال.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخۡتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

﴿أَشۡرَكُواْ﴾ كفَّارُ قريش ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لو شاء الله ما عبدنا الأصنام، لا نحن ولا آباؤنا السابقون ﴿وَلَا حَرَّمۡنَا﴾ ولا حرمنا البحائر والسوائب ونحوهما، وغرضُهم أن إشراكهم، واقعٌ بمشيئة الله، وأن الله راضٍ بذلك ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ كذلك فعل من قبلهم من المجرمين، وهو مردود عليهم، لأنهم فعلوا ذلك بمحض اختيارهم ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ أخلصوا العبادة لله وحده ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ اتركوا كلَّ معبود من وثن، وشيطان، وكاهن ﴿جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ مبالغين في تغليظ اليمين بآكد الألفاظ ﴿مَن يَمُوتُ﴾ أقسموا أن الله لا يقدر على إحياء الأموات ﴿بَلَىٰ﴾ ليبعثنَّهم ﴿وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾ وَعَد الله بذلك وعداً قاطعاً ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ﴾ لنسكننهم داراً حسنة خيراً مما فقده المهاجرون ﴿صَبَرُواْ﴾ على فراق الأهل والوطن. ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ اعتمدوا على الله وحده، يبتغون أجره ومثوبته.

قولُه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ..﴾ غرضُهم أن إشراكهم واقعٌ برضى الله عزَّ وجل، فلا مسؤوليةَ عليهم، ولو شاء الله لَمَنَعهم!! وهذا باطلٌ يدركه كلُّ ذي عقلٍ ودين، فإنهم فعلوا ما فعلوه، بمحض إرادتهم واختيارهم، وزبدةُ القول: أن الاحتجاج بالقضاء والقدر حجةٌ باطلة، فإن أحدهم لو ظَلَمهُ أحدٌ، أو أراد قتلَه، أو سلبَ مالهِ، لا يقفُ مكتوفَ اليدين، بل يقاومه ويقاتله، ولو احتجَّ عليه المعتدي وقال له: أنا أفعل ذلك تنفيذاً لقضاء الله وقدره، لسخر منه واستهزأ، فظهر أنها قولةٌ باطلة، لا تستند على منطق سليم.

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۚ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾

﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ اسألوا العلماء من أهل الكتاب، يخبرونكم بذلك ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ الكتب الآلهية ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ القرآن العظيم ﴿مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ هل أمِنَ الكفار الذين مكروا برسول الله ﷺ واحتالوا على قتله في دار الندوة ﴿يَخْسِفَ ٱللَّهُ﴾ يخسف بهم الأرض كما خسفها بقارون ﴿فِى تَقَلُّبِهِمْ﴾ أو يهلكهم في أسفارهم وهم مشغولون بالتجارة ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ أو يهلكهم على تنقُّص، شيئاً فشيئاً حتى يهلك الجميع ﴿يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ﴾ تميل ظلالها من جانب إلى جانب، منقادة لحكم الله ﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾ ذليلون خاضعون ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ خافوني ولا تخافوا غيري ﴿وَاصِبًا﴾ وله سبحانه الطاعة والانقياد ثابتاً دائماً ﴿تَجْـَٔرُونَ﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ﴿كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ﴾ صرف عنكم الأذى والبلاء، ونجّاكم من المحنة ﴿بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ رجع فريق منكم إلى الكفر والإشراك بالله، فهم عند الشدة يلجأون إلى الله، وعند تفريج الكربة يجحدون ويكفرون نِعَمَ الله.

(الحزب ٢٨ — سَجْدَة)

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ﴾ : نبّهت الآية على أن كلَّ ما في الكون من (إنسانٍ، وحيوان، وأفلاك، وجبال، وبحار، وأنهار) كلُّها خاضعة لعظمة الله وجلاله، وهي منقادة لأمره، وكلُّها في مقام خشوعٍ وخضوعٍ، لا يستكبرون عن طاعة الله وإرادته، بما فيهم الملائكة الأطهار، لا يخرج منها شيء عن إرادته ومشيئته، عدا الإنسان الكافر، المتمرِّد على طاعة الله!! والمراد بالسجود هنا: الانقيادُ والخضوع، قال الشوكاني: أي للهِ وحده يخضع وينقاد، جميعُ ما في السموات والأرض، وكلُّ دابة تدب على وجه الأرض، ودخل في ذلك جميع المخلوقات والأشياء.

الجزء الرابع عشر — سورة النحل

لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾

﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ تمتعوا بدار الفناء فسوف تعلمون عاقبة أمركم، أمرٌ للوعيد والتهديد ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ يجعلون للأصنام نصيباً من الزرع والأنعام ﴿تَفْتَرُونَ﴾ تكذبون على الله ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ ينسبون إليه تعالى البنات فيقولون: الملائكةُ بناتُ الله، وهم يكرهون البنات ﴿وَإِذَا بُشِّرَ﴾ أُخبر بولادة بنتٍ ﴿مُسْوَدًّا﴾ اسودَّ وجهه من سوء البشارة ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مملوءٌ غيظاً وغمًّا ﴿يَتَوَارَى﴾ يختفي من قومه خوفاً من العار، كأن الأنثى نقمة وبليَّة ﴿عَلَى هُونٍ﴾ أيمسك الأنثى على ذُلٍّ وهوان؟ ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ أم يدفنها في التراب وهي حيّة؟ ﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾ للكفار الفجار صفةُ السوء القبيحة من الجهل والكفر ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ صفةُ الجلال والكمال ﴿الْحُسْنَى﴾ الجنة ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً ﴿لَهُمُ النَّارَ﴾ نار جهنم على كفرهم ﴿وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾ معجَّلٌ بهم لنار الجحيم.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ هذه إحدى سفاهات المشركين، وهي أنهم قالوا: إنَّ الله تزوّج من الجنّ، فولدتْ له الملائكة، فقالوا: الملائكةُ بناتُ الله، والعجيبُ أنهم يحبُّون الذكورَ، ويكرهون الإناث، فكيف يجعلون لله ما يكرهونه؟ أليس هذا منتهى السفه والجهل؟ وكيف عرفوا أن الملائكة بنات؟ ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾؟ ولقد وصل ببعض العرب السّفهُ إلى أن يدفن البنتَ حيّةً في التراب، ليتخلّص من شؤمها وعارها، فكيف ينسبون البنات إلى الله؟ تعالى اللهُ عمّا يقول الظالمون علوًّا كبيراً.

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾

﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أحيا بالمطر الأرض بعد جَدْبها ويُبْسها ﴿لَعِبْرَةً﴾ عظة وتذكرة لمن يسمع ويعقل ﴿فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ من بين القذر الذي في بطون الأنعام، والدم الذي يجري في عروقها ﴿لَّبَنًا خَالِصًا﴾ حليباً صافياً، لا يغصُّ شاربُه، فكيف لم يختلط هذا اللبنُ بما جاوره من الأرواث والدماء؟ ﴿سَكَرًا﴾ الخمر الذي يُسكر الإنسان ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والدِّبس والزبيب ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ﴾ ألهم النحل إلى مصالحها، وعرَّفها كيف تمتصُّ رحيق الأزهار وتُخرج العسل الذي فيه الشفاء ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ مما يبنيه الناسُ لها من الخلايا والأكوار ﴿ذُلُلًا﴾ اسلكي الطرق مذلَّلةً مسهَّلة، لا تضِلِّين ولا تخطئين الطريق في الذهاب والإياب ﴿وَحَفَدَةً﴾ هم الأولاد: من البنين والبنات، سُمُّوا حَفَدة لأنهم يسارعون في الخدمة والطاعة لأجدادهم ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ أبعدَ هذه النعم الجليلة، يؤمنون بالأوثان ويكفرون بالرحمن؟ وهو استفهام إنكاري للتوبيخ والتسفيه.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ هذا وحيُ فطرةٍ وإلهام، يعني أنه سبحانه أرشدها بالفطرة، إلى طريقة صُنع العسَل، ومنْ نَظَر إلى غرائب أحوال النحل، ورأى طُرُق صنع العسل، تأخذه الدهشة لهذه العجائب الغريبة، إذ كيف نظَّمتْ هذه البيوت؟ وكيف رتَّبتْ العمل فيها؟ هذه طائفة لبناء الخلايا، وأخرى للتهوية، وثالثة لامتصاص رحيقِ الأزهار، وهناك حرسٌ، وجندٌ للحماية والدفاع، وجندٌ مكلَّفون لغذاء المَلَكة (ملكة النحل) وكأننا في (ثُكْنة عسكرية) كل جنديّ فيها له عملٌ مخصوص، فسبحان من فطرها وهي حشراتٌ، على هذا العمل الجليل!!

الجزء الرابع عشر سورة النحل

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾

الحزب ٢٨

﴿مَا لَا يَمْلِكُ﴾ يعبدون الأوثان وهي عاجزة عن رزق أحد، لأنها لا تنفع ولا تضر ﴿ٱلْأَمْثَالَ﴾ لا تشبهوا الله بخلقه، فهو سبحانه لا مثيل له ولا نظير ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾ مثلٌ أول ضربه الله للإله الحق المعبود، وللصنم العاجز، وخلاصته هل يتساوى العبد المملوك، مع السيد الحرّ المالك، الذي يتصرف في ملكه كما يشاء؟ فكيف تسوُّون بين الخالق والأصنام؟ ﴿مَثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ وهذا مثلٌ آخر أوضحُ وأظهر، شبَّه تعالى الصنم الذي يعبدونه، برجلٍ أخرس، لا يعقل ولا ينطق، أينما أرسلته لا يأتيك بخير، ولا يقضي لك حاجة، هل يتساوى مع الرجل العاقل الفصيح البليغ؟ فكما لا يتساويان كذلك لا يتساوى الربُّ العظيم الجليل، مع الصنم العاجز الحقير!! ﴿كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ عالة وثقيل على سيده ﴿كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ كخطفة بالبصر تشبه طرفة العين، وهو وصفٌ لها بسرعة المجيء.

تنبيه: ضرب الله تعالى مثلين بديعين، للتفريق بين الإله الحق، والإله المختلق:

المثل الأول: شبَّه فيه عَبَدة الأوثان من المشركين، بمن سوَّى بين العبد المملوك العاجز، وبين السيِّد المالك القادر، فالله هو السيدُ المالكُ لكل شيء، ينفقُ على عباده كيف شاء، والأوثانُ عاجزةٌ ضعيفةٌ لا تقدر على شيء، فكيف يسوُّونها مع الله؟ وكيف يعبدونها من دون الله؟

المثل الثاني: شبَّه الأصنام التي يعبدونها، برجل أخرس أبكم، لا يتكلم ولا ينطق بخير، ولا يقدر على فعل شيء بالكلية، أينما أرسلته لا يأتيك بخير، لأنه أخرسُ بليدُ الذهن، هل يتساوى مع الرجل الفصيح البليغ، المتكلِّم بأفصح لسان، وأبدع بيان؟ وهو تمثيلٌ في منتهى الجمال والإبداع!!

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٨٢ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٨٤ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٨٥ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٨٦ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٨٧﴾

﴿سَكَنٗا﴾ بيوتاً تسكنونها في أوطانكم ﴿تَسۡتَخِفُّونَهَا﴾ يخفُّ عليكم حملُها ﴿ظَعۡنِكُمۡ﴾ يوم سفركم وهي الخيامُ ﴿وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ﴾ في أوطانكم، فهي خفيفة الحمل في السفر والحضر ﴿وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا﴾ صوف الغنم ﴿وَأَوۡبَارِهَا﴾ وبر الجمل ﴿وَأَشۡعَارِهَآ﴾ شعر الماعز، منها ما تلبسونه، ومنها ما تستعملونه لفرش المنازل كالبسط والسجاد ﴿إِلَىٰ حِينٖ﴾ تستمتعون به إلى وقت انتهاء آجالكم ﴿ظِلَٰلٗا﴾ تقيكم حرَّ الشمس ﴿أَكۡنَٰنٗا﴾ مغارات وكهوفاً تسكنون فيها ﴿سَرَٰبِيلَ﴾ قمصاناً وثياباً من الصوف والقطن، تدفع عنكم ضرر الحر ﴿تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡ﴾ ودروعاً تلبسونها في الحرب تشبه الثياب، تتقون بها شرَّ الأعداء.

تنبيه: ذكَّرهم تعالى بنعمة الظِّلال، لأن بلاد العرب شديدة الحرّ، وحاجتُهم إلى الظلِّ لا تقلُّ عن حاجتهم إلى المشرب والمطعم، وبوجه خاص للعرب الرُّحَل ﴿يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم إرضاء ربهم جلَّ وعلا ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ ولا يُمهلون طرفة عين، بل يأخذهم العذاب سريعاً، ويُدحرجون في جهنم جميعاً ﴿فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ﴾ يقولون: كذبتم ما نحن أمرناكم بعبادتنا!! ﴿ٱلسَّلَمَ﴾ استسلموا وانقادوا لحكم الجبَّار، وقد كانوا في الدنيا في عناد واستكبار. ﴿وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ بطل ما كانوا يؤمِّلونه من شفاعة الشفعاء.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾

﴿وَصَدُّواْ﴾ منعوا الناسَ عن الدخول في الإسلام ﴿زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابًا﴾ زدناهم عذاباً لأجل الإضلال، فوق العذاب الذي استحقوه بالكفر ﴿شَهِيدًا عَلَيۡهِم﴾ هو نبيُّهم الذي يشهد عليهم بما اقترفوه من إجرام ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾ بياناً واضحاً شافياً لكل ما يحتاجون إليه من أمور الدين ﴿بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ يأمر بمكارم الأخلاق، بالعدل بين الناس، والإحسان إلى جميع الخلق ﴿ٱلۡفَحۡشَآءِ﴾ وينهى عن كل قبيح من قولٍ وعمل، والفحشاءُ: الذنوبُ المفرطةُ في القبح، كالزنى، والربا، وتعرِّي النساء ﴿وَٱلۡبَغۡيِ﴾ التطاول والتجبُّر على الناس ﴿أَنكَٰثٗا﴾ أنقاضاً، شبَّه نقض العهد بامرأةٍ حمقاء تغزل طول يومها، ثم تنقض ما غزلته آخر النهار، ولا فائدة تجنيها إلَّا التعب والعناء ﴿دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ خديعةً ومكراً ﴿أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ﴾ أكثر وأعزُّ وأوفر، **قال مجاهد:** كانوا في الجاهلية يحالفون حلفاءهم، ثم يجدون جماعة أكثرَ منهم وأعزَّ، فينقضون حِلْف هؤلاء، ويحالفون أولئك، فحذَّرهم الله من هذه الخيانة والخداع.

وقال ابن كثير: هذا مَثَلٌ ضربه الله، لمن كان على الاستقامة فحاد عنها، وزلَّ عن طريق الهُدَى بسبب الأيمان الحانثة، لأن الكافر إذا رأى المؤمن قد عاهده، ثم غَدَر به، لا يبقى له وثوقٌ بالدين، فيصدُّ بسببه عن الدخول في الإسلام ﴿يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ﴾ يختبركم بما أمركم به من الوفاء بالعهد ﴿لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ على دين واحد، لا تختلفون ولا تتنازعون، ولكنْ اقتضت حكمته أن يتركهم لاختيارهم، ناسٌ للسعادة، وناسٌ للشقاوة ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾.

وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ
عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ
هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ
وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ
مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ
أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ
أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ
فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ
عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا
سُلۡطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوۡنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ
﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ
بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ
﴿١٠١﴾ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ لِيُثَبِّتَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٠٢﴾

﴿دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ لا تتخذوا أيمانكم خديعة ومكراً تخدعون بها الناس ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ﴾ فتنحرفوا عن محجة الإسلام الواضحة، وهذا مَثَلٌ لمن كان على الاستقامة فحاد عنها ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾ تنالوا العذاب بسبب نقضكم للعهد، وإساءتكم لدين الله، فإن الكافر إذا رأى المسلم قد عاهده ثم غدر به، لم يبق له ثقة في الدين فلا يدخل فيه ﴿يَنفَدُ﴾ ما تجمعونه من مال، فإنه فانٍ زائل ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖ﴾ وما قدمتموه لآخرتكم باقٍ دائم، لا انقطاع له ولا نفاد ﴿حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾ نحييه الحياة الكريمة في الدنيا، بالرزق الحلال والتوفيق لصالح الأعمال ﴿سُلۡطَٰنٌ﴾ ليس للشيطان تسلُّطٌ وولاية عليه ﴿إِنَّمَا سُلۡطَٰنُهُۥ﴾ إنما تسلُّطه على الذين يتخذونه ولياً مطاعاً ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفۡتَرِۭ﴾ تكذب على الله ﴿رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾ جبريل عليه السلام، الذي ينزل بالوحي على الرسل الكرام، **قال ابن عباس**: كانت إذا نزلت آيةٌ فيها شدة، ثم نُسخت بما هو أيسرُ، قال كفار مكة: إن محمداً يسخر من قومه، يأمرهم اليوم بأمر، ثم ينهاهم عنه غداً، واللَّهِ ما يقول ذلك إلّا من تلقاء نفسه، فنزلت الآية. ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةٗ مَّكَانَ ءَايَةٖ..﴾ ردًا على أولئك السفهاء ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ليثبِّت المؤمنين على الإيمان، فيزدادوا إيماناً ويقيناً ﴿وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾ هدايةً لمن صدَّق بآيات الله، وأسلم وجهه لله، إنَّ مَثَلَ آياتِ القرآن، كمثل الدواء والعلاج، يُعطَى للمريضِ منه جرعاتٌ، حتى يتماثل للشفاء، ثم يُستبدل بما يُصلحه من أنواع الأغذية والأدوية، كذلك الأحكام الشرعية، تتبدَّل حسب المصالح البشرية.

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾

﴿يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ قال المشركون: تعلَّم محمد هذا القرآن من غلام نصراني «جبر الرومي» ﴿يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ لغة الذي ينسبون إليه أعجمية، وهذا القرآن العظيم، عربي فصيح، ذو فصاحة وبيان، فكيف يمكن لأعجمي أن يعلِّم محمداً كتاباً معجزاً ذا فصاحة وبيان، وهو لا يعرف كلام العرب؟ ﴿يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ﴾ لا يكذب على الله، إلا الكافر الذي لا يؤمن بالله، والكذب جريمة فاحشة، لا يمكن أن تصدر من رسول ﴿مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ إلا من تلفظ بكلمة الكفر مكرهاً، وقلبه مملوءٌ إيماناً ويقيناً ﴿شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ﴾ طابت نفسه بالكفر، وانشرح صدره له ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ حلَّ عليه غضبُ الله وسخطه ﴿ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ آثروا واختاروا الدنيا على الآخرة ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً هؤلاء هم الخاسرون. (نزلت في «عمار بن ياسر» عذَّبه المشركون حتى أعطاهم ما أرادوا مكرهاً، بلسانه دون قلبه، وجاء إلى الرسول ﷺ وهو يبكي، فقال له ﷺ: كيف تجد قلبك؟ قال: يا رسول الله أجده مطمئناً بالإيمان!! قال: فإن عادوا فعُدْ) رواه الطبري.

سبب النزول: رُوي أن النبيَّ ﷺ، كان يجلس عند المروة إلى غلام نصراني، يُقال له: (جَبْرٌ) وكان جبر أعجميَّ اللسان، لا يعرف اللغة العربية، وكان المشركون يرون الرسول يدخل عليه، فقالوا: والله ما يتعلَّم محمد هذا القرآن، إلَّا من عند (جبر الرومي) فأنزل الله قوله: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ..﴾ الآية، أسباب النزول للواحدي.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ۖ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾

ثلاثة ربع الحزب ٢٨

﴿تُجَادِلُ﴾ تُخاصم وتُحاجُّ عن نفسها سعياً في خلاصها من العذاب ﴿وَتُوَفَّىٰ﴾ تُعطى جزاء عملها ﴿آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ كان أهلها في أمن واستقرار، وسعادة ورفاهية ﴿رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ تأتيها الخيرات والأرزاق واسعة هنيئة ﴿فَكَفَرَتْ﴾ جحدت نعم الله عليها وكذبت رسله ﴿لِبَاسَ الْجُوعِ﴾ سلبهم الله نعمة الأمن والاطمئنان، وأذاقهم آلام الخوف والحرمان!! مَثَلٌ ضربه الله لأهل مكة، كانوا في أمنٍ واستقرار، وقد أنعم الله عليهم بأعظم نعمة «بعثة سيد المرسلين» فكفروا به فعذَّبهم الله بالقحط والجوع سبع سنين، حتى أكلوا الجِيَف والميتة ﴿جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ محمد ﷺ خاتم المرسلين ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ ذُكر اسم غير الله عند ذبحه ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ ألجأته الحاجة والضرورة ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ غير طالب أكل المحرَّم ﴿وَلَا عَادٍ﴾ ولا متجاوزٍ ما يسدُّ الرَّمق ﴿هَادُوا﴾ اليهود، حرَّمنا عليهم ما قصصناه عليك من أنواع الطيبات عقوبةً لهم، لجحودهم وعنادهم.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ..﴾ نبهت الآية إلى أن تحريم بعض الطيبات على اليهود، ما كان من أصل شريعتهم، وإنما كان عقوبةً لهم، لانتهاكهم محارم الله، وتماديهم في الفجور والعصيان، كما قال سبحانه: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ..﴾ والتحريمُ كما يكون لدفع المضرة، يكون أيضاً للعقوبة، ولهذا قال: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ظلموا أنفسهم، حين عرَّضوها لعذاب الله، ببغيهم وعصيانهم.

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ ارتكبوا المنكرات والقبائح بسفهٍ وطيش ﴿ثُمَّ تَابُوا۟﴾ رجعوا إلى ربهم بصدقٍ وندم، فالله يغفر لهم تلك الذنوب والسيئات ﴿كَانَ أُمَّةً﴾ كان في شخصه كالأمة والجماعة الكثيرة، حيث كان جامعاً للكمالات الإنسانية، التي تفرّقتْ في الخلق، ولذلك اختاره الله ليكون له خليلاً ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ كان عبداً مطيعاً لربه ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن كل دين باطل إلى الإسلام ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ كان مؤمناً موحِّداً، والآية ردٌّ على اليهود والنصارى في زعمهم أن إبراهيم كان على دينهم، وقد برأه الله منها ﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾ اصطفاه واختاره للرسالة ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ شريعته السمحة التي جاء بها خاتم المرسلين «بعثتُ بالحنيفية السمحة» ﴿جُعِلَ ٱلسَّبْتُ﴾ لم يكن تحريم العمل والصيد على اليهود من أصل الشريعة، وإنما جُعل عقوبة لهم، لعصيانهم أمر الله ﴿فِى ضَيْقٍ﴾ ضيق صدر بما يقوله السفهاء الجهلة ﴿مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ يدبرونه لك من الكيد والمكر، فالله ناصرك عليهم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ اللّهُ جلَّ وعلا مع المؤمنين المتقين، بالعون والنصر، ومع المحسنين بالحفظ والرعاية.

سبب النزول: لمّا قُتل (حمزة) عمُّ الرسول ﷺ في غزوة أُحد، مثّل به المشركون تمثيلاً شنيعاً، فبقروا بطنه، وقلعوا عينه، واستخرجوا كبده فلاكوها، فلمّا رآه النبي ﷺ بهذه الصورة المفزعة قال: والله لأمثلنّ بسبعين منهم مكانك، فأنزل الله عزّ وجل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ..﴾ الآية، رواه البزار.

سُورَةُ الإِسْرَاءِ — مرتبتها ١٧ — آياتها ١١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

سورة الإسراء

الجزء ١٥ الحزب ٢٩

﴿سُبْحَٰنَ﴾ تنزيهاً لله وتعجباً من قدرته الباهرة ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ﴾ انتقل بعبده ورسوله محمد ﷺ في طائفة من الليل، وتنكيرُ ﴿لَيْلًا﴾ للتنبيه على قلة المدة أي في بعض الليل ﴿بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ بأنواع البركات بالثمار والأنهار، وكونه مقرّ الأنبياء الأبرار ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ لنري محمداً آياتنا العظيمة العجيبة، عند عروجنا به إلى السماء، وقد كان الإسراء به بالروح والجسد، يقظةً لا مناماً ﴿وَقَضَيْنَآ﴾ أعلمناهم وأخبرناهم في التوراة ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ سيحدث منكم إفسادٌ في الأرض مرتين ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ تفرطون بالبغي والعدوان، وتطغون في الأرض طغياناً كبيراً ﴿فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ طافوا وسط بيوتكم يطلبونكم للقتل ﴿رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ﴾ رددنا لكم الدولة والغلبة عليهم ﴿أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أكثر عدداً ورجالاً من عدوكم ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟﴾ ليهلكوا ويدمروا دياركم وأوطانكم ﴿مَا عَلَوْا۟﴾ ما غلبوا عليه من الديار، لقد سلَّط الله على اليهود بختنصر ملك بابل، في أول الإفساد، ثم سلَّط عليهم المجوس فقتلوا منهم مقتلة كبيرة، ولا يزال وعد الله سارياً عليهم إلى قيام الساعة، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ..﴾ تنبيه: معجزة الإسراء كانت احتفاءً بسيد الأنبياء، ليريه من آياته الكبرى، وكانت يقظة لا مناماً، ولو كانت قصة منامية، لما ذكرها الله في كتابه العزيز، لأن كل إنسان يرى في منامه عجائب وغرائب، فتنبَّهْ لهذا واللهُ يرعاك!!

الجزء الخامس عشر — سورة الإسراء

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ لعل الله يرحمكم إذا تبتم ورجعتم عن إجرامكم ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ إن عدتم إلى الإفساد، عدنا إلى العقوبة والانتقام منكم ﴿حَصِيرًا﴾ محبساً وسجناً للكافرين، وقد عادوا إلى الإفساد، فسلَّط الله عليهم المسلمين، فأخرجهم الرسول ﷺ من المدينة المنوَّرة، ومن خيبر، وجاء العصر الحديث فسلَّط الله عليهم «هتلر» وكلَّما لجُوا في الإفساد، جاءهم العقاب الإلهي، حتى تكون المعركة الفاصلة، التي أخبر عنها سيد البشر «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون..**» رواه مسلم ﴿وَيَدْعُ الْإِنسَانُ﴾ يدعو بالشر على نفسه وأولاده كدعائه بالخير، ولو استجيب له بالشر لهلك من دعا عليهم ﴿آيَتَيْنِ﴾ علامتين عظيمتين على وحدانيتنا وقدرتنا الباهرة ﴿فَمَحَوْنَا﴾ طمسنا نورها فجعلناها مظلمة، للراحة والسكن ﴿أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ﴾ جعلنا عمله ملازماً له، لا ينفكُّ عنه ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ في الآية شيء محذوف، لأن الله لا يأمر بالفحشاء، أي أمرناهم بطاعتنا واتباع رسلنا، فخالفوا الأمر وعصوا، وفسقوا وفجروا، فأهلكناهم ودمرناهم.

إبداعٌ في التصوير: قوله تعالى: ﴿أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ استعارةٌ لطيفةٌ بديعة، استعير الطائرُ لعمل الإنسان، كأنه طار إليه من عالم الغيب، وقولُه: ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ تصويرٌ لشدة اللزوم، أي ألزمناه عمله بحيث لا يفارقه أبداً، بل يلزمه لزوم القلادة في العنق، فإنْ كان عملُه خيراً، كان كالحلية يَزِينُه، وإن كان شراً، كان كالغُلِّ يَشِينُه.

مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

﴿ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يريد بعمله الدنيا فقط وليس له همٌّ غيرها ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ﴾ أعطيناه ما قسمناه له منها، كما نشاء نحن لا كما يشاء هو ﴿مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ ثم جعلنا جهنم مسكنه، يدخلها مهاناً حقيراً مطروداً من رحمة الله، لأنه نسي آخرته ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ أراد بعمله الدار الآخرة ﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ عمل ما يليق لها من أعمال البر والطاعة ﴿سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ مقبولاً عند الله غير مردود ﴿مَحْظُورًا﴾ ما كان عطاء الله ممنوعاً عن أحد ﴿مَّخْذُولًا﴾ لا ناصر لك ولا معين ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ حكم وأمر وألزم ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ أن تحسنوا إلى الوالدين إحساناً، لا سيما إذا بلغا سنَّ الشيخوخة ﴿أُفٍّ﴾ كلمة تضجر وتبرم ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ لا تزجرهما عمَّا لا يعجبك ﴿قَوْلًا كَرِيمًا﴾ قولاً ليناً حسناً طيباً ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ تواضعْ لهما بتذلل وانكسار ﴿لِلْأَوَّٰبِينَ﴾ التائبين من الذنوب ﴿غَفُورًا﴾ يقبل التوبَ، ويمحو الذنب ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ الغريب المنقطع في سفره ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ لا تنفق المالَ في غير وجوه المنفعة، **قال مجاهد**: لو أنفق إنسانٌ ماله كلَّه في الخير، لم يكن مبذِّراً، ولو أنفق يسيراً منه في المعصية كان مبذِّراً ﴿إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ أشباه الشياطين وأمثالهم ﴿كَفُورًا﴾ مبالغاً في جحود نعمة الله..

ربع الحزب ٢٩

تنبيه: نهى القرآن عن التبذير، والتبذير كما يقول ـ ابن مسعود ومجاهد ـ الإنفاقُ في غير حق، وفي غير وجوه المنفعة التي تعود على الإنسان، وقال الشافعي رحمه الله: التبذيرُ إنفاقُ المالِ في غير حقِّه، ولا تبذيرَ في عمل الخير.

سورة الإسراء

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ إن أعرضت عن ذوي القربى والمساكين لأنك لم تجد ما تعطيهم لضيق اليد ﴿قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ قل لهم قولاً ليناً، تطيب به نفوسهم، وعدهم وعداً جميلاً ﴿مَغْلُولَةً﴾ لا تكن بخيلاً منوعاً للإحسان كمن ربطت يده في عنقه ﴿كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ ولا تكن مسرفاً مبذراً ﴿مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ فتصبح مذموماً عند الله وعند الناس، لا شيء معك تنفق منه، كمن انقطع في سفره لهلاك راحلته ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ لا تقتلوا أولادكم خشية الفقر ﴿خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ قتلهم ذنب كبير وجُرم خطير ﴿فَٰحِشَةً﴾ الزنى فعلة قبيحة متناهية في القبح ﴿سُلْطَٰنًا﴾ جعلنا لوارثه سلطة على القاتل بطلب القصاص ﴿فَلَا يُسْرِف﴾ لا يتجاوز الحدَّ المشروع، بالانتقام من غير القاتل ﴿بِٱلْقِسْطَاسِ﴾ زنوا بالميزان العادل السويّ، بلا خديعة ولا احتيال ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أحسن مآلاً وعاقبة ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ لا تتبَعْ ما لا تعلمه، بل تثبَّتْ من كل خبر ﴿مَرَحًا﴾ لا تمش مختالاً متكبراً مِشْيَةَ المعجبِ بنفسه ﴿لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ مهما عَظُمتَ وطالتْ قامتك، فلن تخرق الأرض بوطئك عليها ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ ولا تستطيع أن تتطاول على الجبال، فتصل إلى ذُراها وقِمَمها!!

تنبيه: كأنَّ الآية تقول: إنك أيها الإنسانُ هزيل ضئيل، لا يليق بك الشموخ والكبرياء، كيف تتكبر وتختال، وأنت أضعفُ من الأرض والجبال؟ وفي التصوير إبداعٌ، وتهكُّمٌ لاذع، وما أحسن ما قيل:

وَلَا تَمْشِ فِي الأَرْضِ إِلَّا تَوَاضُعَا ... فَكَمْ تحتَها قَوْمٌ هُمُو مِنْكَ أَرْفَعُ

ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ رَبُّكُم بِٱلۡبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًاۚ إِنَّكُمۡ لَتَقُولُونَ قَوۡلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِذَا ذَكَرۡتَ رَبَّكَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ وَحۡدَهُۥ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴿٤٦﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَسۡتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ وَإِذۡ هُمۡ نَجۡوَىٰٓ إِذۡ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا ﴿٤٧﴾ ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾

﴿ٱلۡحِكۡمَةِ﴾ ما أوحاه الله إليك يا محمد هو من المواعظ والحِكَم البليغة ﴿مَّدۡحُورًا﴾ مطروداً مبعداً من رحمة الله ﴿أَفَأَصۡفَىٰكُمۡ﴾ هل خصَّكم ربكم فاختار لكم الذكور، واختار لنفسه الإناث؟ وهذا ردٌّ لِسَفَه المشركين، الذين قالوا: الملائكة بنات الله ﴿قَوۡلًا عَظِيمًا﴾ منكراً بالغ القباحة والشَّناعة ﴿صَرَّفۡنَا﴾ بيَّنَّا وكرَّرنا القول في القرآن العظيم ليتذكَّروا ويتعظوا ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ ما يزيدهم النصح والتذكير إلَّا بُعداً عن الحقّ وإعراضاً عنه ﴿لَّٱبۡتَغَوۡاْ﴾ لو كان هناك آلهة أخرى لطلبوا طريقاً لمنازعة الله في ملكه، كما يفعل ملوك الدنيا، حيث يقاتل بعضهم بعضاً لانتزاع الملك ﴿يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ ما من شيء إلَّا يسبِّح الله، ويشهد له بالوحدانية ﴿لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ﴾ لا تفهمون تسبيحهم، لأنه بلسانٍ غير لسانكم ﴿حِجَابٗا مَّسۡتُورٗا﴾ ساتراً خفياً يحجب عنهم فهم كلام الرحمن ﴿أَكِنَّةً﴾ أغطية لئلا يفهموا القرآن ﴿وَقۡرٗا﴾ وفي آذانهم صمماً يمنعهم من استماعه ﴿نَجۡوَىٰٓ﴾ يتحدَّثون في أمرك سراً ويتآمرون عليك ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ يقول الكفار الفجار: ما تتبعون إلَّا رجلاً مسحوراً، سُحِر فاختلط عليه عقلُه، فصار كالمجنون يَهْرِف بما لا يَعْرِف ﴿كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾؟! انظر يا محمد وتعجَّبْ، كيف مثَّلوا لك بالشاعر، والساحر، والمجنون؟ ﴿فَضَلُّواْ﴾ وقد ضلُّوا بهذا الزور والبهتان ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾ لا يجدون طريقاً إلى الهدى والإيمان!! ﴿كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا﴾ قال المنكرون للبعث: هل إذا أصبحنا عظاماً بالية، وذراتٍ متفتّتة، مختلطة بتراب الأرض ﴿خَلۡقٗا جَدِيدٗا﴾ هل سنُخلق خلقاً جديداً، بعد أن نفنى ونبلى؟

﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ۝٥١ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۝٥٢ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝٥٣ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝٥٤ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝٥٥ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ۝٥٦ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝٥٧ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ۝٥٨﴾

الحزب ٢٩

﴿حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ لو كنتم حجارة أو حديداً لقدر الله على بعثكم بعد موتكم، فكيف وأنتم تراب؟ ﴿مِّمَّا يَكْبُرُ﴾ أو خلقاً مما يعظُم في نفوسكم وجود الحياة فيه، فسيبعثكم الله ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ يحركون رؤوسهم سخريةً واستهزاء ﴿مَتَىٰ هُوَ﴾ متى يكون البعث والإعادة؟ ﴿ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ يختاروا من الكلام ألطفه وأحسنه وألينه ﴿يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ الشيطان يفسد ويهيّج الشرَّ بين الناس، ويُشعل نار الفتنة بالكلمة الخشنة ﴿وَكِيلًا﴾ لست يا محمد موكّلاً على أعمال الكفار، حتى تقهرهم على الإيمان ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ رفعنا بعضهم على بعض، فمنهم من خصصناه بالتكليم كموسى، ومنهم من خصصناه بالخُلَّة كإبراهيم، ومنهم من خصصناه بالحب والتقريب كمحمد خاتم الأنبياء ﴿كَشْفَ ٱلضُّرِّ﴾ والآلهة التي تعبدونها لا تقدر على دفع الضرر عنكم ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ ولا نقله وتحويله إلى غيركم ﴿ٱلْوَسِيلَةَ﴾ يطلبون القرب والطاعة لله، ويتوسلون إليه بصالح الأعمال ﴿مَحْذُورًا﴾ عذابُ الله شديد، ينبغي أن يحذره الإنسانُ العاقل.

قال ابن عباس: كان أهلُ الشركِ وأهلُ الكتاب يقولون: نحن نعبدُ (الملائكةَ، والمسيحَ، وعُزيراً)، فقال الله لهم: هؤلاء الذين تعبدونهم، هم يتوسَّلون إلى الله بصالح الأعمال، ويرجون رحمته ومغفرته ورضوانه، فكيف يليق بكم أن تعبدوا مخلوقين مثلكم؟ هم بحاجة إلى رحمة الله ورضوانه!؟ ﴿مَسْطُورًا﴾ أمراً مكتوباً ومسطّراً في اللوح المحفوظ، لا يُنسى ولا يضيع.

وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾

﴿ بِٱلْءَايَٰتِ ﴾ ما منعنا من إرسال الخوارق والمعجزات ﴿ كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ إلا أن الأمم السابقة طلبتها ثم كذبت بها، فأهلكناهم ﴿ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ وأعطينا قوم صالح الناقة علامةً ساطعة واضحة، فكفروا بها ﴿ نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ ﴾ كالزلازل، والفيضانات، والأعاصير، والصواعق، إلا تخويفاً للعباد ﴿ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾ أحاط علمه بجميع الخلق، وهم في قبضته ﴿ ٱلرُّءْيَا ﴾ وما جعلنا رؤيتك للجنة والنار وعجائب ملكوت السموات والأرض ليلة المعراج ﴿ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ ابتلاءً وامتحاناً للخلائق ﴿ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ ﴾ شجرة الزقوم، **قال ابن عباس:** «هي رؤيا عين رآها النبي ﷺ ليلة أُسري به، رأى الجنة والنار، ورأى شجرة الزقوم تنبت في قعر جهنم، ولمّا سمع بذلك «أبو جهل» اللعين قال ساخراً: إن محمداً يتوعدنا بطعام الزقوم، أتدرون ما الزقوم؟ إنه التمرُ والزبدُ، وجعل يأكل ويقول: تزقَّموا ﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ﴾ لأستأصلنَّ ذريته بالإغواء والإضلال ﴿ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ صِحْ عليهم بجنودك وأعوانك بكل راكبٍ وماش، وهو تمثيلٌ لجمع قوى الشرّ على بني آدم ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾ اجعلْ لنفسك شركةً معهم في أموالهم وأولادهم، الأموال بكسبها من الحرام، والأولاد بتزيين الاختلاط بين الرجال والنساء، ليكثر اللقطاء وأولاد الزنى ﴿ وَعِدْهُمْ ﴾ بالوعود المغرية الخادعة، فلن تغوي إلا أتباعك المجرمين قال مجاهد: ﴿ بِصَوْتِكَ ﴾ صوتُه: الغناءُ والمزاميرُ، واللهوُ والطرب ﴿ يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ ﴾ يسيِّر لكم السفن الضخمة في البحر.

الجزء الخامس عشر — سورة الإسراء

وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾

﴿ٱلضُّرُّ﴾ إذا أصابتكم الشدة وخشيتم الغرق في البحر ﴿ضَلَّ مَن تَدْعُونَ﴾ غاب عن أذهانكم من كنتم تعبدونه من الأصنام، ولم تجدوا من يغيثكم إلا ربُّ العزة والجلال ﴿أَعْرَضْتُمْ﴾ فلما نجاكم من الغرق نسيتم الله، وعدتم إلى عبادة الأوثان والأصنام ﴿أَفَأَمِنتُمْ﴾ هل أمنتم عقاب الله بخسف الأرض بكم، فيخفيكم في باطنها؟ كما فعل بقارون ﴿حَاصِبًا﴾ أو يمطركم بحجارة من السماء فتقتلكم كما فعل بقوم لوط؟ ﴿قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ﴾ أو يعيدكم إلى البحر مرة أخرى ويرسل عليكم ريحاً شديدة مدمرة ﴿فَيُغْرِقَكُم﴾ يغرقكم بسبب كفركم ﴿تَبِيعًا﴾ لا تجدوا من يأخذ لكم بالثأر منا؟ ﴿بِإِمَٰمِهِمْ﴾ بكتاب أعمالهم لينال كل إنسان جزاء عمله ﴿فَتِيلًا﴾ شيئاً حقيراً ولو بمقدار الخيط في شِقّ النواة ﴿أَعْمَىٰ﴾ أعمى القلب والبصيرة ﴿فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ أشدُّ عمًى وأشد ضلالاً ﴿تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ﴾ تميل إليهم ميلاً يسيراً ﴿لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾ لضاعفنا لك عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ﴿عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ لا تجد من يحميك وينصرك منا!! **قال ابن عباس**: كان الرسول ﷺ معصوماً من الله، ولكنْ هذا تعليمٌ للأمة، لئلا يركنَ أحدٌ منهم إلى المشركين، في شيءٍ من أحكام الدين وشرائعه، فالخطابُ للرسول والمراد به أمته.

تنبيه: المراد بالإمام في الآية الكريمة ﴿نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ كتاب أعمالهم الذي سطَّرته الملائكة، كما ذُكر أيضاً في سورة يسٓ ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾.

وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ يخرجونك من أرض مكة بمكرهم وكيدهم ﴿لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾ ولو أخرجوك ما لبثوا بعدك إلّا زمناً يسيراً، لأن الله يهلكهم ﴿سُنَّةَ﴾ هذه عادتنا في إهلاك كل أمة أخرجت رسولها ﴿تَحْوِيلًا﴾ وعادتنا لا تتبدل ولا تتغير ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ وقت زوال الشمس عند الظهيرة ﴿غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ ظلمة الليل ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ وحافظ على صلاة الفجر ﴿كَانَ مَشْهُودًا﴾ صلاة الفجر تشهدها ملائكة الرحمن، والآية تشير إلى الصلوات الخمس، فدلوك الشمس: يدخل فيها (الظهر والعصر)، وغسقُ الليل: يدخل فيه (المغربُ والعشاء) وقرآن الفجر يراد به (صلاة الصبح) ﴿فَتَهَجَّدْ﴾ التهجدُ: الصلاة ليلاً ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ تطوعاً زائداً خاصاً بك ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ مقام الشفاعة العظمى لسيد المرسلين ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ زال واضمحلَّ ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ أعرض تكبراً وعناداً ﴿يَـُٔوسًا﴾ قانطاً من رحمة الله ﴿شَاكِلَتِهِۦ﴾ على طريقه ومنهجه، في الهدى أو الضلال ﴿عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ لا تجد من يتوكل استرداد القرآن إلى صدرك، بعد أن كان محفوظاً فيه من جهتنا وبتيسيرنا.

سبب النزول: رُوي عن ابن مسعود أنه قال: (بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ، فمرَّ بنفرٍ من اليهود، فقال بعضُهم لبعضٍ: سلوه عن الروح؟ فقال رجل منهم: يا أبا القاسم أخبرنا عن الروح؟ فأمسك النبيُّ ﷺ فلم يردَّ عليه شيئاً، فعلمتُ أنه يُوحى إليه، فقمتُ مقامي، فأنزل الله عز وجل ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى . .﴾ الآية). أخرجه البخاري ومسلم.

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل
لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ
صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ
إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ
ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ
فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا
زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾
أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ
لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ
كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ
ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ
فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ
شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾

﴿ظَهِيرًا﴾ معيناً ونصيراً أي لو اجتمع أرباب الفصاحة والبيان من الإنس والجن، وأرادوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن ما استطاعوا، ولو تعاونوا وتساعدوا، لأن القرآن فوق مقدور البشر ﴿صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ﴾ ردَّدنا وبيَّنا للناس الحجج والبراهين، بشتى وسائل التذكير والتبصير ﴿كُفُورًا﴾ ومع جميع الأدلة والبراهين أبى أكثر الخلق، إلا الجحود والتكذيب ﴿يَنۢبُوعًا﴾ عيناً لا ينضب ماؤها ﴿كِسَفًا﴾ تسقط السماء علينا قِطَعاً قطعاً ﴿قَبِيلًا﴾ تحضر لنا ربك مع الملائكة مقابلةً وعياناً، ونراهم بأعيننا ليشهدوا لك بالرسالة ﴿زُخْرُفٍ﴾ يكون لك قصر من ذهب ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ تصعد إلى السماء ونراك بأعيننا ﴿كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ ولن نصدِّقك حتى تأتينا بكتاب منشور من عند الله، أنك عبده ورسوله ﴿بَشَرًا رَّسُولًا﴾ قل لهم يا محمد: سبحان ربي!! هل أنا إله حتى تطلبوا مني هذه المقترحات؟ ما أنا إلا رسولٌ من البشر أرسلني الله إليكم، فلمَ كلُّ هذه المطالب التعجيزية؟ لو زعمتُ الألوهية، لكان لكم أن تطلبوا مني ذلك ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾ ما منع الكفارَ من الإيمان بالقرآن، وبرسالةِ محمد عليه الصلاة والسلام ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ بعد ظهور الحقِّ بالمعجزات الواضحة ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾؟ إلَّا إنكارَهم أن يكون الرسولُ من البشر؟ ﴿فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ﴾ لو كان أهلُ الارض ملائكةً، يعيشون مطمئنين، لبَعثَ الله لهم الرسولَ من الملائكة، ولكنَّ أهلَ الأرض بشرٌ، لذلك كان الرسول من البشر، ومن العجيب أن المشركين، استبعدوا كون الرسول من البشر، ولم يستبعدوا أن تكون آلهتهم من الحجر!!

وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

الحزب ٣٠

﴿وَنَحْشُرُهُمْ﴾ نسوقهم على وجوههم إلى نار جهنم ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا﴾ فاقدي الحواس، لا يرون ولا يسمعون ولا ينطقون ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مسكنهم ومستقرهم في نار الجحيم ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ كلما خمدت نارها، زدناهم ناراً مستعرة، سأل رجلٌ النبيَّ ﷺ فقال: يا نبيَّ الله، «كيف يُحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «**أليس اللهُ الذي أمشاهُ على رِجْلَين في الدنيا، قادراً على أن يُمشيه على وجهه يوم القيامة؟**» رواه البخاري ﴿وَرُفَٰتًا﴾ ذرات متفتتة مختلطة بتراب الأرض ﴿خَلْقًا جَدِيدًا﴾ هل سنُخلق ونُبعث مرة ثانية؟ ﴿يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ دليل ساطع على البعث، فإن الذي خلق الكون بسمواته وأرضه، قادر على إعادة جسد الإنسان، بعد فنائه وتمزق أشلائه!! ﴿قَتُورًا﴾ بخيلاً، مبالغاً في البخل ﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أعطينا موسى تسع معجزات خارقة، وهي (اليد، والعصا، والطوفان، والجراد، والضفادع، والقُمّل والدَّم، وانفلاق البحر، والأخذ بالقحط والجَدْب) ومع ذلك فقد كذَّب بها فرعون وقومُه، فأغرقناهم وأهلكناهم ﴿بَصَآئِرَ﴾ هذه المعجزات علامات واضحة تبصِّرك صدقي. ﴿مَسْحُورًا﴾ سُحرتَ يا موسى فتخبَّط عقلك ﴿مَثْبُورًا﴾ هالكاً خاسراً ﴿يَسْتَفِزَّهُم﴾ أراد فرعون أن يُخيف بني إسرائيل بوعيده وتهديده، ليخرجهم من أرض مصر ﴿لَفِيفًا﴾ جميعاً قد اختلط بعضكم ببعض، للحساب والجزاء، فيكم المؤمنُ والكافر، والبَرُّ والفاجر، ثم نميِّز السعداء والأشقياء.!

الجزء الخامس عشر — سورة الإسراء

وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الْكَهْفِ

ترتيبها ١٨ — آياتها ١١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ﴾ وأنزلنا إليك القرآن العظيم، مقروناً بالحقِّ، في أحكامه، وقصصه، وأخباره ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ﴾ نزّلناه مفرّقاً آيات آيات، وسوراً سوراً ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ لتقرأه على ترسّل وتمهّل، ليكون حفظه أسهل، والعمل بأحكامه أيسر ﴿وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ شيئاً بعد شيء، على مقتضى المصالح والحِكم

سجدة

﴿آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ الخطابُ للمشركين، والمراد إيمانكم بالقرآن لا يزيده كمالاً، وتكذيبكم له لا يورثه نقصاً ﴿أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ﴾ نادوا ربكم باسم «الله» أو باسم «الرحمن» فبأي اسم دعوتموه فهو حسن!! كان الكفار يقولون: انظروا إلى محمد ينهانا أن ندعو إلٰهين، وهو يدعو إلٰهين: الرحمن، والرحيم!! ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ لا تجهر بقراءة القرآن في صلاتك ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ ولا تُسِرَّ بها بحيث لا يسمعك أصحابك ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ طريقاً وسطاً بين الجهر والمخافتة، نزلت ورسول الله مختفٍ بمكة، فكان إذا صلى رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبُّوا القرآن ومن أنزله، ومن جاء به، فقال الله تبارك وتعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أخرجه البخاري ومسلم.

سكتة لطيفة على ألف عوجا

سورة الكهف

﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ لا اعوجاج فيه ولا زيغ ﴿قَيِّمًا﴾ مستقيماً لا عوج فيه ولا تناقض ﴿بَأْسًا شَدِيدًا﴾ يُحذِّر الكافرين من عذاب أليم ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بجنات النعيم ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ الجنة دار السعادة والنعيم ﴿مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ مقيمين في ذلك النعيم على وجه الدوام.. وفي الحديث الشريف: «**من حفظ عشر آياتٍ من أول سورة الكهف، عُصِم من الدجال**» أخرجه مسلم.

مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً﴾ أي ما أفظع تلك الكلمة الشنيعة في قبحها وبشاعتها!! ﴿إِلَّا كَذِبًا﴾ ما يقولون إلا كذباً وزوراً ﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ قاتلٌ نفسك ومهلكها ﴿أَسَفًا﴾ حسرة وأسفاً عليهم لعدم إيمانهم بالقرآن ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾ لنختبر الخلق أيهم أطوع لله، وأسرع لمرضاته ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ سنجعل زينة الدنيا رُكاماً كالأرض الجرداء، لا نبات فيها ولا زرع، بعد أن كانت خضراء تسر النفس ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ هل تظن أن قصة أصحاب الكهف هي أعجب آيات الله؟ ﴿وَٱلرَّقِيمِ﴾ اللوح الذي سُجّل فيه أسماؤهم ﴿أَوَى ٱلْفِتْيَةُ﴾ التجأ الشباب إلى الغار هرباً بدينهم ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ ألقينا عليهم النوم ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ أيقظناهم من بعد نومهم الطويل ﴿أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾ أيُّ الفريقين أدقُّ للمدة التي ناموها ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قوّينا قلوبهم أمام الملك الجبار ليثبتوا على الحق ﴿شَطَطًا﴾ قولاً مفرطاً في الضلال والكذب.

وصفهم تعالى بثلاث صفات: (الفُتوّة، والإيمان، والوقوف أمام الطغيان) ﴿بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ هلّا جاءوا على صحة ألوهية الأوثان بحجة ظاهرة؟وإذْ لم يأتوا فهم إذاً كذبةٌ على الله ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ لا أحد أظلم ممن كذب على الله، فجعل له شركاءَ وأنداداً!! والآية توبيخ وتبكيتٌ لمن اعتقد بألوهية غير الله تعالى، والغرضُ أن هؤلاء المشركين، عبدوا الأصنامَ والأوثانَ، من دون حجةٍ ولا برهان، فهم سفهاء فَجَرة. !

الجزء الخامس عشر — سورة الكهف

وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

﴿ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ ﴾ الخطابُ للفتية أي فارقتم قومكم الضالين وما يعبدونه من الأوثان ﴿ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ ﴾ التجئوا إلى الكهف ﴿ يَنشُرْ ﴾ يبسط ربكم عليكم رحمته ﴿ مِّرْفَقًا ﴾ ويسهِّل لكم أبواب الرزق من طعام وشراب ﴿ تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ﴾ تميل الشمس جهة اليمين عند طلوعها وتتنحَّى عنهم ﴿ تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ وإذا كانت الشمس جهة الغرب تقطعهم وتبتعد عنهم جهة الشمال ﴿ فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ في متَّسع من الكهف، والغرضُ أن الشمس لا تصيبهم لا في طلوعها ولا في غروبها، كرامة من الله لهم ﴿ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ من دلائل قدرته الباهرة ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا ﴾ تظنهم مستيقظين لتفتُّح عيونهم وهم نيام ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ﴾ نجعلهم يتقلَّبون من جانب إلى جانب، ولو أنهم لا يُقَلَّبون لأكلتهم الأرض ﴿ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ وكلبهم باسط يديه بفناء الكهف كأنه يحرسهم، والوصيدُ: عتبةُ فناءِ الدار ﴿ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾ أيقظناهم من نومهم بعد تلك الرقدة الطويلة ﴿ بِوَرِقِكُمْ ﴾ أرسلوا واحداً منكم إلى المدينة بالنقود الفضيّة ليشتري لنا الطعام ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ وليكن في دخوله وعودته حَذِراً، حتى لا يشعر بأمرنا أحد ﴿ يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ ﴾ إن يظفروا بكم ﴿ يَرْجُمُوكُمْ ﴾ يرموكم بالحجارة حتى يقتلوكم ﴿ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ ﴾ يردُّوكم إلى دينهم الباطل بالإكراه ﴿ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾ إن عدتم إلى دينهم، فلن تفوزوا بخيرٍ أبداً.. وهكذا يتناجى الفتيةُ بينهم، خائفين حذرين، أن يظهر عليهم الملِكُ الجبّارُ، وزبانيتُه الفجّار، فيقتلونهم أو يردُّونهم إلى عبادة الأوثان والأحجار!

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

﴿أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أطلعنا الناس عليهم ليستدلوا على صحة البعث ﴿لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ ويوقنوا أن القيامة لا شك فيها ﴿إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ﴾ حين اختلفوا في ما يصنعونه بأهل الكهف ﴿بُنْيَٰنًا﴾ ابنوا بناءً على كهفهم ليكون ذلك علامة على مكانهم ﴿غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ قالت الأكثرية الغالبة: لنتخذنّ على باب كهفهم مسجداً نصلّي ونعبد الله فيه ﴿رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ﴾ قذفاً بالظن من غير يقين ﴿أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ الله أعلم بمقدار عددهم هل هم خمسة أم سبعة؟ أم أقل أم أكثر؟ ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ فلا تجادل أهل الكتاب في أمرهم وعددهم، إلا جدال متيقّن عالم بحقيقة الخبر ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ﴾ لا تسألْ أحداً عن قصتهم، ففي ما أوحاه الله إليك ما يُغنيك عن سؤال من لا علم له ﴿رَشَدًا﴾ ما يرشدني إلى طريق الخير والسعادة ﴿وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ﴾ مكثوا نياماً في الكهف مدة ثلاثمائة سنة شمسية، وزيادة التسع جاءت من الفارق بين السنة الشمسية والسنة القمرية ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ علم الغيب خاصٌّ به سبحانه دون غيره من الخلق ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ صيغتا تعجُّبٍ بأسلوب المبالغة أي ما أبصره بكل موجود!! وما أسمعه بكل مسموع!! علمُه سبحانه خارج عمّا عليه إدراك البشر ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ لا يقدر أحد أن يبدّل كلام العزيز العليم. ﴿مُلْتَحَدًا﴾ ملجأً لك غير الله.

سبب النزول: رُوي أن النبي ﷺ، لمّا سُئل عن قصة (أصحاب الكهف) قال: غداً أجيبكم! فتأخّر الوحيُ عنه خمسةَ عشرَ يوماً، فنزلت ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ..﴾ أخرجه الطبراني وابنُ أبي حاتم، وانظر تفسير ابن كثير.

وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ احبس نفسك مع الفقراء والضعفاء، ففيهم الخيرُ والمسارعة لقبول الدعوة ﴿وَلَا تَعْدُ﴾ لا تصرف بصرك إلى غيرهم من أهل الغنى والشرف ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ﴾ لا تطع كلام الأشراف الذين سألوك طرد المؤمنين، فقلوبهم غافلة عن ذكر الله ﴿فُرُطًا﴾ ضياعاً ودماراً ﴿وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ ظاهره تخيير وحقيقته إنذار وتهديد ﴿أَعْتَدْنَا﴾ هيأنا ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ سورها كإحاطة السوار بالمعصم ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ شديد الحرارة كالنحاس المذاب ﴿مُرْتَفَقًا﴾ ساءت النار مسكناً للفجار ﴿سُندُسٍ﴾ رقيق الحرير ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ الديباج ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ السرر الذهبية المكللة بالدر والياقوت ﴿وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ﴾ أحطنا الحديقتين بشجر النخيل ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ أخرجت ثمرها، في غاية الجودة والحسن ﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ لم تنقص من ثمراتها شيئاً ﴿يُحَاوِرُهُۥ﴾ يخاصمه ويجادله، ويفخر عليه بالغنى والمال.

ربع الحزب ٣٠

سبب النزول: رُوي أن أشراف قريش، اجتمعوا عند رسول الله ﷺ وقالوا له: إن أردتَ يا محمد أن نؤمن بك ونسمعَ كلامك، فاطردْ هؤلاء الفقراء من مجلسك، فإنَّا أشرافُ قريشٍ وسادتُها، إن أسلمنا أسلم الناسُ، ونحن نأنفُ أن نجلس مع هؤلاءِ الفقراء الصَّعاليك!! فهمَّ رسولُ الله ﷺ أن يجيبهم إلى ما طلبوا، حرصاً منه على إسلامهم، فنزلت ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم..﴾ الآية، فخرج ﷺ يلتمسُ الفقراءَ، فلما رآهم جلسَ معهم، وقال: «**الحمدُ لله الذي جعلَ في أمتي من أمرني ربي أن أصبر نفسي معهم**» رواه مسلم.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٣٨﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا ﴿٤٤﴾ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا ﴿٤٥﴾

﴿ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ بالعُجب والكفر ﴿تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ﴾ ما أعتقد أن تنعدم هذه الحديقة وما فيها من خيرات وثمار ﴿ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾ وما أعتقد مجيء القيامة ﴿رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي﴾ ولئن كان هناك آخرة ـ على الفرض والتقدير ـ فسوف يعطيني الله خيراً منها وأفضل ﴿مُنقَلَبٗا﴾ مرجعاً وعاقبة ﴿يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ يجادله ويراجعه ﴿أَكَفَرۡتَ﴾ أجحدت ربك الذي أوجدك من العدم؟ ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ لكنْ أنا مؤمن بربي الذي خلقني ﴿حُسۡبَانٗا﴾ يرسل على حديقتك صاعقة تخرّبها وتدمّرها ﴿صَعِيدٗا زَلَقًا﴾ فتصبح أرضاً جرداء ملساء، لا نبات فيها ولا ثمر ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾ هلكت حديقته وهلك ما فيها من الشجر والثمر ﴿فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ﴾ يضرب إحدى يديه على الأخرى، أسفاً وحزناً، وندماً على ماله الضائع.. هذا مثلٌ ضربه الله لأخوين ورثا مالاً كثيراً عن أبيهما، أحدهما مؤمن والآخر كافر، اشترى الكافر بماله بستانَيْن فيهما من جميع أنواع الفواكه والثمار، وأنفق المؤمن ماله في مرضاة الله، وكانت النتيجة أن أهلك الله مال الكافر، وبارك في مال المؤمن ﴿هَشِيمٗا﴾ يابساً متفتّتاً بعد نضارته ﴿تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ﴾ تطيّره الريح ذات اليمين، وذات الشمال ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا﴾ وكان الله قادراً على الإحياء والإفناء، لا يعجزه شيءٌ في الأرض ولا في السماء.. **قوله تعالى:** ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ..﴾ **قال المفسّرون:** هما أخوان من بني إسرائيل، أحدهما مؤمن، والآخر كافر، ورثا ثمانية آلاف دينار عن أبيهما، فاشترى الكافر بنصيبه ضِيَاعاً وعقاراً، وصرف المؤمنُ نصيبَه في وجوهِ الخير والإحسان، فآلَ حالُهما إلى ما حكاهُ الله تعالى، تفسير الشوكاني.

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ﴾ الأموال والأولاد زينة الحياة الفانية ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ وأعمال الخير والإحسان تبقى ذخراً لصاحبها ﴿نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ ننسفها من أماكنها فنجعلها هباءً منبثاً ﴿بَارِزَةً﴾ ظاهرة لا يسترها شيء من شجر ولا بُنيان ﴿لَمْ نُغَادِرْ﴾ جمعنا الخلائق لموقف الحساب، فلم نترك أحداً منهم ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ وُضعت صحائف أعمال البشر في أيدي أصحابها ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين مما فيها من الجرائم والذنوب ﴿يَا وَيْلَتَنَا﴾ يا حسرتنا وهلاكنا ﴿لَا يُغَادِرُ﴾ لا يترك ﴿أَحْصَاهَا﴾ ضبطها وسجّلها ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجود تحية وتكريم ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ هذا برهان قاطع على أن إبليس من الجن وليس من الملائكة ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ﴾ نسله وأولاده، وهذا دليل آخر على أن إبليس لم يكن من الملائكة، لأن الملائكة لا ذرية لهم ولا زوجات ﴿عَضُدًا﴾ أعواناً لي في الخلق ﴿مَوْبِقًا﴾ مهلكاً وهي النار ﴿مُوَاقِعُوهَا﴾ داخلوها ﴿مَصْرِفًا﴾ مهرباً منها لأنها أحاطت بهم من كل جانب.

تمثيلٌ بديع: ضربَ الله مثلاً للحياة الدنيا، في زوالها وفنائها، وسرعة انقضائها، بماءٍ غزيرٍ نزل من السماء، فخرج به الزرعُ زاهياً وافياً، واختلط بعضُه ببعض، من كثرته ووفرته، حتى أصبح يُفرِحُ القلبَ، ويُبهج النظر، وسرعان ما جاءته ريحٌ عاصفةٌ مدمّرة، فذَبُلَ وتحطَّم وتكسَّر، وهكذا شأن الدنيا نعيمٌ يأتي ثم يزول، ولا يدوم إلّا الحيُّ القيوم.!

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

﴿صَرَّفْنَا﴾ كررنا في هذا القرآن المواعظ بأساليب مختلفة، ونوّعنا الأمثال ﴿جَدَلًا﴾ وطبيعة الإنسان الجدال والمخاصمة بالباطل، لا ينزجر لموعظة ﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ إهلاكهم بعذاب الاستئصال إذا لم يؤمنوا ﴿قُبُلًا﴾ يأتيهم العذاب عياناً ومقابلة ﴿لِيُدْحِضُوا﴾ ليبطلوا ويزيلوا بالجدال الحقَّ الساطع ﴿هُزُوًا﴾ سخريةً واستهزاءً ﴿أَكِنَّةً﴾ أغطية كثيرة ﴿وَقْرًا﴾ صمماً يمنعهم من سماع كلام الله، مثّل تعالى إعراضهم عن الإيمان، بشخصٍ تغطّى قلبه بحجب كثيفة، تمنع وصول الإيمان والنور إليه، وكان أصمَّ لا يسمع ولا يبصر، فكيف يصل نور القرآن إليه؟ كما قال سبحانه عنهم: ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ ﴿لَّهُم مَّوْعِدٌ﴾ لعذابهم هو يوم القيامة ﴿مَوْئِلًا﴾ لن يجدوا لهم منه ملجأ ولا مَنْجَى ﴿لِمَهْلِكِهِم﴾ لهلاكهم ﴿مَّوْعِدًا﴾ وقتاً معيَّناً لا يتعدَّاه ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ لا أزال جادًّا في مسيري وسفري ﴿مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ حتى أصل إلى ملتقى البحرين ـ ملتقى بحر فارس والروم ـ مهما لاقيتُ من التعب والمشقة ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أو أسير أزماناً طويلة ﴿فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ اتخذ الحوتُ المشويُّ له مسلكاً وطريقاً في البحر.

سببُ هذه الرحلة: رُوي أن (موسى) عليه السلام، قام خطيباً في (بني إسرائيل) فسُئِلَ أيُّ الناس أعلمُ؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه، حين لم يردَّ العلم إلى الله، فأوحى الله إليه، بلى إن لي عبداً بمجمع البحرين، هو أعلم منك!! فقال: وكيف لي به يا رب؟ قال: (تأخذ حوتاً. . .) إلخ، رواه البخاري، وانظر كامل القصة فيه.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾

﴿قَالَ لِفَتَىٰهُ﴾ يوشع بن نون ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ طعام الغداء ﴿نَصَبًا﴾ تعباً وعناء ﴿إِذْ أَوَيْنَآ﴾ أخبرني حين التجأنا إلى الصخرة، عن الأمر العجيب؟ ﴿نَسِيتُ ٱلْحُوتَ﴾ نسيتُ أن أخبرك بأمر الحوت ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ﴾ لقد خرج من الزنبيل الذي كان فيه ودخل البحر!! يتعجّبُ الفتى من أمر الحوت لأنه كان مشويًا!! ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾ هذا الذي نطلبه ﴿ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ رجعا من الطريق الذي مشيا فيه يتتبَّعان أثرهما الأول ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا﴾ هو الخضر وجداه عند الصخرة ﴿مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ علمناه علماً خاصاً من جهتنا «علم الغيب» الذي استأثر الله به ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ هل تأذن لي بمرافقتك لأقتبس من علمك؟ ﴿مَعِىَ صَبْرًا﴾ قال له الخضر: لا تستطيع يا موسى أن تصبر على ما ترى مني ﴿خُبْرًا﴾ وكيف تصبر على أمور هي في نظرك منكرة، وأنت لا تعرف حقيقتها؟ ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾ أخرقْتَ السفينة لتغرق الركاب ﴿إِمْرًا﴾ أمراً منكراً ﴿شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ منكراً فظيعاً جداً، تقتل غلاماً بدون ذنب فعله؟ **وفي رواية البخاري: «آخذ غلاماً ظريفاً فأضجعه ثم ذبحه بالسكين»**.. **شَرَط الخضرُ** على موسى ـ قبل بدءِ الرحلة ـ أن لا يسأله عن شيء من تصرفاته، حتى يكشف الخضر له سرَّها، ويُطلعه على الحكمة، فقَبِلَ موسى شرطَه، رعايةً منه لأدبِ التلميذ مع الأستاذ، وتبدأ (المفاجأة الأولى) بقلع الخضر للوح من ألواح السفينة، وهي في لُجَّة البحر فينكر موسى عليه، وتأتي (المفاجأة الثانية) وهي أخطر وأعظم من الأولى، وهي ذبح الغلام بدون ذنب، ثم (المفاجأة الثالثة) وهي بناء الجدار، وكلها غرائب مدهشة، لا يمكن لموسى السكوت عليها، ثم يكون بينهما الفراقُ، وفي الحديث: **«رحم اللهُ أخي موسى، لو صبرَ لقصَّ الله علينا من خبره»** يعني الشيء الكثير، رواه الترمذي.

۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

الجزء ١٦ الحزب ٣١

﴿أَقُل لَّكَ﴾ لم يصبر موسى على ما رأى، فسارع منكراً عليه فعلته، ووصف الخضر بأنه أتى بمنكر فظيع شنيع، لا يمكن السكوت عليه، وقَره في الأول، ثم واجهه في الثانية بقوله ﴿لَّكَ﴾ ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ إن اعترضتُ عليك فلا تصحبني معك ﴿عُذْرًا﴾ فأنت معذور عندي حيث خالفتك ثلاث مرات ﴿اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا﴾ طلبا منهما الطعام كضيافة ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾ امتنعوا عن ضيافتهما ﴿يَنقَضَّ﴾ حائطاً يوشك أن يسقط ﴿أَجْرًا﴾ لو أخذتَ منهم أجراً نستعين به ﴿فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ هذا وقتُ الفراق بيننا ثم أخبره عن الأمور التي أنكرها عليه ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ﴾ فقد كان أمام أهلها ملكٌ ظالم جبار، يغتصب كل سفينة صالحة لا عيب فيها ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ﴾ فكان كافراً وأبواه مؤمنان، فخشينا أن يحملهما حبُّه على اتباعه ولو عاش هذا الولدُ، لتسبَّب في كفر والديه، وفي الحديث الشريف: «**إن الغلام الذي قتله الخضرُ، طُبع كافراً، ولو عاشَ لأرهق أبويه طُغْياناً وكُفْراً**» رواه مسلم. ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ﴾ الذي بنيته فقد كان تحته كنز من ذهب، لغلامين يتيمين، فأراد الله أن يحفظ لهما الكنز، حتى يكبرا ويستخرجاه ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ وما فعلت ذلك إلّا بوحي من الله وإلهام، فهل أحسنتُ أم أسأتُ؟ وهكذا يختم القرآن القصة بقول الخضر: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ أي ما فعلتُ هذه الأشياء، من خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار، عن رأيي واجتهادي، وإنما بإلهام الله لي، وهي قصة غريبة عجيبة، فيها من المفاجآت ما يُدْهش العقل، ورحم الله موسى عليه السلام، لو صبر لسمعنا العَجب العجاب.

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا (٩٧)

﴿ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ هو مَلِكٌ مؤمنٌ صالح، رزقه الله العلم والحكمة ﴿مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يسَّرنا له أسباب الجاه والسلطان والقدرة للوصول إلى كل ما يريده ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ سلك طريقاً جهة المغرب ﴿عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ وجد الشمس تغرب في ماء وطينٍ أسود ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ كفاراً لا يؤمنون بالله ﴿تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ خيَّره الله بين أن يعذبهم بالقتل، أو يدعوهم إلى الله بالحسنى ﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾ عذاباً منكراً فظيعاً إذا أصرَّ على الكفر ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وأما من آمن فسنكرمه، ويدخله الله جنة النعيم ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ سلك طريقاً يوصله جهة المشرق ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ﴾ وجد الشمس تشرق على أقوام ليس لهم من اللباس ما يسترهم من الشمس، ففعل بهم مثل ما فعل بأهل المغرب، من آمن تركه، ومن كفر قتله ﴿بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ جبلان شاهقان سُدَّ ما بينهما ﴿يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ قبيلتان من بني آدم كانوا من أكلة لحوم البشر ﴿خَرْجًا﴾ مبلغاً من المال تستعين به على بناء السدّ؟ ﴿رَدْمًا﴾ سداً منيعاً ﴿زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ قطع الحديد ﴿ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ جانبي الجبلين ﴿قِطْرًا﴾ أصبُّ عليه النحاس المذاب ﴿يَظْهَرُوهُ﴾ يعلوا عليه ﴿لَهُۥ نَقْبًا﴾ اختراقه ونقبه، وبهذا السد أغلق على **(يأجوج ومأجوج)** الطريق لئلا يفسدوا في الأرض، وأبعدَ شرَّهم عن الناس.

تنبيه: خروجُ (يأجوج ومأجوج) من علامات الساعة الكبرى، فإنهم يخرجون بعد انهدام السدّ، فلا يتركون زرعاً إلّا أكلوه، ولا ماءً إلّا شربوه، وفي الحديث: «**ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حَدَب ينسلون، فيمرُّ أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها..**» الحديث رواه مسلم.

قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ قال ذو القرنين: هذا السدُّ نعمةٌ ورحمة من الله على عباده ﴿دَكَّاءَ﴾ فإذا جاء وعد الله بخروج يأجوج ومأجوج جعله مدكوكاً مسوى بالأرض ﴿وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ كائناً لا محالة لأنه من علامات الساعة الكبرى، كما جاء في الأحاديث الصحيحة ﴿يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ يختلط ويضطرب بعضهم ببعض، كاضطراب أمواج البحر ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ النفخة الثانية نفخة الإحياء ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ فجمعناهم للحساب والجزاء ﴿فِي غِطَاءٍ﴾ كانت أعينهم مغطاة بأغشية كأنها عميٌ، لا يَرون دلائل قدرة الله ووحدانيته ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ لا يطيقون سماع كلام الله لظلمة قلوبهم ﴿أَعْتَدْنَا﴾ هيأنا ﴿نُزُلًا﴾ جعلنا جهنم ضيافة لهم، والنُّزُل: أول ما يُقدَّم للضيف، وتسمية جهنم نُزُلاً للسخرية والتهكم ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ بطل عملهم وضاع ﴿وَزْنًا﴾ ليس لهم عند الله قيمة ولا قدر ﴿الْفِرْدَوْسِ﴾ أعلى الجنة ﴿حِوَلًا﴾ تحوُّلاً وانتقالاً ﴿مِدَادًا﴾ هو الحبر الذي يكتب به ﴿وَلَا يُشْرِكْ﴾ لا يرائي بعمله يبتغي ثناء الناس، فاللَّهُ لا يقبل إلا ما كان خالصاً له سبحانه وتعالى، وفي الحديث القدسي: «**إن الله تعالى يقول: أنا أغنى الشركاءِ عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري، تركتُه وشركَه**» رواه مسلم.

سبب النزول: روي أن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ، فسألوه عن ذي القرنين، امتحاناً له، فقالوا: يا محمد، أخبرنا عن قصة ذي القرنين؟ فأنزل الله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ **قال ابن كثير:** والصحيح أن (ذا القَرْنين) لم يكن نبياً، وإنما هو ملكٌ عادل، دعا إلى الله، وكان سائراً بين الناس بالعدل. اهـ.

سُورَةُ مَرْيَمَ — مكيتها ١٩ — آياتها ٩٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾

سورة مريم

﴿كٓهيعٓصٓ﴾ الحروف المقطّعة للإشارة على إعجاز القرآن، فليأتوا بمثله إن استطاعوا ﴿نِدَآءً خَفِيًّا﴾ دعاء بصوت خفي لا يكاد يُسمع ﴿وَهَنَ ٱلْعَظْمُ﴾ ضعف عظمي وذهبت قوتي ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ شاب رأسي من الشيخوخة، وهذه من أبدع أنواع الاستعارة وألطفها ﴿بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ لم تخيِّب دعائي في وقت من الأوقات فاستجب الآن دعائي ﴿خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ﴾ خشيت من أقاربي من بعدي أن يُضيِّعوا الدين ﴿مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ ابناً صالحاً يلي الأمر من بعدي ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ يرثني ويرثُ أجداده من ذرية يعقوب، في التقى، والعلم، والصلاح، والمراد بالإرث وراثة العلم والدين، لا وراثة المال، فإن الأنبياء لا يورِّثون المال، كما في الحديث الصحيح «**نحن معاشرَ الانبياء لا نُورَثُ، ما تركناه صَدَقة**» رواه البخاري. ﴿رَضِيًّا﴾ مرضياً في أخلاقه وأفعاله ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ﴾ نبشِّرك عن طريق الملائكة بولد ذكر اسمه يحيى ﴿سَمِيًّا﴾ ليس له شبيه في الفضل والكمال ﴿عَاقِرًا﴾ امرأتي عقيم لا تلد؟ ﴿عِتِيًّا﴾ بلغتُ النهاية في الشيخوخة والكبر ﴿ءَايَةً﴾ علامة تدل على حمل امرأتي ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ﴾ علامتك أن لا تستطيع الكلام إلا بالإشارة ثلاثة أيام، وأنت صحيحٌ سويٌّ ليس بك مرض ولا علة..

قال أهل التفسير: كان زكريا قد بلغ من العمر مائةَ سنة، وامرأته بلغت تسعاً وتسعين سنة، وكانت عقيماً لا تلد، فاجتمع عليها العُقم، والشيخوخة، ومعنى العِتِيّ: النهاية في الكِبَر والهرم.

يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

نصف الحزب ٣١

﴿بِقُوَّةٍ﴾ خذ التوراة بجد واجتهاد ﴿ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ أعطيناه الفهم ورجاحة العقل منذ الصغر ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ رحمة وشفقة منا على والديه ﴿جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ لم يكن متكبراً عاصياً لأمر ربه ﴿ٱنتَبَذَتْ﴾ حين تنحَّتْ واعتزلت أهلها ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ شرقيَّ بيت المقدس لتتفرَّغ لعبادة الله ﴿رُوحَنَا﴾ جبريل عليه السلام ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ جاءها بصورة إنسانٍ تامِّ الخلقة، جميل الصورة ﴿أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ﴾ أحتمي بالله وأستجير به منك ﴿تَقِيًّا﴾ إن كنت ممن يخاف الله فلا تمسسني بسوء ﴿رَسُولُ رَبِّكِ﴾ قال لها جبريل: أنا مرسل إليكِ من الله ﴿لِأَهَبَ لَكِ﴾ ليمنحكِ ربك بواسطتي غلاماً طاهراً من الذنوب قالت: كيف يأتيني ولد؟ ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ﴾ ولم يقربني أحد ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ ولم أكن زانية ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بعيداً عن أهلها ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ﴾ ألجأها واضطرها ألم الطَّلق ﴿جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ إلى ساق نخلةٍ يابسة لتعتمد عليها حين الولادة ﴿نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ يا ليتني متُّ قبل هذا اليوم، وكنت شيئاً تافهاً لا يُعرف ولا يُذكر. ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ﴾ فناداها المَلَكُ (جبريل) من تحتِ النَّخلةِ قائلاً لها: لا تحزني لهذا الأمر ﴿تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ جعل ربك لك من تحتك نهراً صغيراً، يجري بالماء العذب السلسبيل ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ حرِّكي جذع النخلة اليابسة ﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾ يتساقط عليك الرطب الطريُّ الشهيُّ.. أظهر الله لها بعض الخوارق لتسليتها، وتسكين ألمها، ولتعلم أن هذه كرامة من الله لها، فقد كان الوقت شتاء، والنخلة يابسة.

فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ طيبي نفساً بهذا المولود ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ﴾ إن رأيت أحداً من البشر ﴿صَوْمًا﴾ نذرتُ السكوتَ والصَّمْتَ لله تعالى ﴿إِنسِيًّا﴾ فلن أكلّم أحداً من الناس ﴿فَرِيًّا﴾ لقد جئت شيئاً عظيماً منكراً ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ يا من تشبهين هارون في الصلاح والعبادة ﴿ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ ما كان أبوك رجلاً فاجراً ﴿بَغِيًّا﴾ زانية، فكيف صدر هذا منك؟ وأنت من أسرةٍ شريفة طاهرة؟ ﴿فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا﴾ كيف نكلّم طفلاً صغيراً لا يزال في السرير يرضع لبن أمه؟ ﴿عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ نطق عيسى فقال: أنا عبدٌ لله خلقني بقدرته من غير أب ﴿ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قضى ربي أن يؤتيني الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ وأن يجعلني من الأنبياء المكرَّمين، وهذه أول كلمة نطق بها السيد المسيح ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ ولا نجدها في الأناجيل مع أنها معجزة، حيث تكلَّم وهو رضيع، لأنها تهدم عقيدة النصارى في (ألوهية المسيح)، فلذلك حذفوها من جميع الأناجيل، مع أنها من سواطع البراهين والمعجزات ﴿يَمْتَرُونَ﴾ يشكُّون ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ اختلفت الفِرَقُ من أهل الكتاب في شأن عيسى، النصارى جعلوه ابن الله، واليهود جعلوه ابن زنى، والجميع على ضلال. ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هلاك ودمار للكفار الفجار ﴿مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ من شهود أهوال يوم الحساب، ذلك اليوم الرهيب.

توضيح: قوله تعالى ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ أي يا من تشبهين نبيَّ الله هارون في الصلاح والتُّقَى، وليست أختاً له في النسب، روي عن المغيرة أنه قال: لمَّا قدمتُ نجرانَ سألوني فقالوا: إنكم تقرءون ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ ـ يعني ألف سنة تقريباً ـ فسألتُ رسولَ الله ﷺ عن ذلك؟ فقال: «**إنهم كانوا يسمُّون بأنبيائهم، والصالحين قبلهم**» رواه مسلم.

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾

﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ الندامة الشديدة، بعد أن يُذبح الموت وينادي المنادي: «**يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**» كما رواه البخاري ﴿صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ أطعني أرشدك إلى طريق النجاة من الضلال ﴿لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ لا تطع أمره ﴿عَصِيًّا﴾ كثير العصيان للرحمن، فمن أطاعه أغواه ﴿لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ تكون قريناً له في جهنم ﴿أَرَاغِبٌ﴾ أتارك يا إبراهيم عبادة آلهتي ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ لئن لم تكفَّ عن عيب آلهتي لأرجمنك بالحجارة ﴿وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ اهجرني دهراً طويلاً.. بهذه السفاهة والجهالة كان ردُّ «آزر» على ولده «إبراهيم» قَابَل به القولَ المؤدَّب المهذَّب ﴿يَا أَبَتِ﴾ الذي يدلُّ على شدة الحبّ لأبيه ﴿حَفِيًّا﴾ قال له إبراهيم: سأسأل الله أن يهديك، إن ربيّ كان كثير البرّ واللطف بي ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾ أتركُكم وأهاجر بديني عنكم وأعبد ربي وحده، راجياً ألّا يجعلني ربي شقياً، وفيه تعريض بشقاوتهم حيث عبدوا الأوثان، وتركوا عبادة الرحمن.

سبب النزول: عن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، وأهلُ النَّارِ النَّارَ، يُجاء بالموت كأنه كبشٌ أملحُ** ـ أي ضخم فيه بياضٌ وسواد ـ **فيوقف بين الجنة والنار، فينادي منادٍ: يا أهل الجنة: هل تعرفون هذا؟ فيمدُّون أعناقهم وينظرون، فيقولون: نعم هذا الموتُ، ثم يُقال: يا أهلَ النَّارِ هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموتُ، فَيُؤمر بذبحه فيذبح، ثم يُقال: يا أهلَ الجنةِ خلودٌ فلا موت، ويا أهلَ النَّارِ خلودٌ فلا موت**»، ثم قرأ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ..﴾ الآية، رواه البخاري ومسلم.

وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴿٦١﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣١ — سجدة

﴿كَانَ مُخْلَصًا﴾ اخترناه واصطفيناه لكلامنا كما قال ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ أدنيناه للمناجاة ﴿أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا﴾ ووهبنا له من نعمتنا أخاه هارون فجعلناه نبياً، حين سأل ربه قائلاً ﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى هَٰرُونَ أَخِى﴾ ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ اذكر يا محمد في القرآن العظيم خبر جدك ﴿إِسْمَٰعِيلَ﴾ الذبيح ﴿صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ كان صادقاً في وعده، صبَر على الذبح ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ﴿إِدْرِيسَ﴾ هو جدُّ نوح عليه السلام ﴿صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ ملازماً للصدق في جميع أحواله ﴿مَكَانًا عَلِيًّا﴾ أعلينا قدره بشرف النبوة ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ هو يعقوب جعلنا من ذريته أنبياء، (موسى، وهارون، وزكريا، ويحيى، وعيسى) ﴿هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ ممن هديناهم للإيمان، واصطفيناهم لرسالتنا ووحينا ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ إذا سمعوا كلام الله، بكوا من خشية الله، وسجدوا خضوعاً لله ﴿فَخَلَفَ﴾ جاء من بعدهم ذرية وأبناء سوء ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تركوا الصلوات وسلكوا طريق الشهوات ﴿غَيًّا﴾ يلقون خساراً ودماراً ﴿مَأْتِيًّا﴾ آتياً لا يُخلف، لأن الله لا يخلف الميعاد ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ ليس في الجنة كلامٌ ساقطٌ سافلٌ، ولا يسمعون فيها ألفاظاً قبيحةً نابيةً، إنما يسمعون فيها التحية والسلام، تسلّم عليهم الملائكة، ويأتيهم السلام من رب العزة والجلال ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ لهم رزقهم في الصباح والمساء، مما تشتهيه الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ لا ينساك ربك يا محمد، ولا ينسى أحداً من خلقه.

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ﴿٧٣﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَحۡسَنُ أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا ﴿٧٤﴾ قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾

﴿وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ اصبر على عبادة الله واثبت عليها ﴿سَمِيّٗا﴾ هل تعلم من يشابهه ويماثله في العظمة والجلال؟ وهل له من يماثله في الخلق والعلم؟ ﴿أُخۡرَجُ حَيًّا﴾ يقول الكافر المنكر للبعث: هل سأخرج من القبر حياً؟ يتعجب ويستبعد إعادته بعد موته ﴿يَذۡكُرُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ هل يتذكّر هذا المنكر للبعث أول خلقه، ليعلم أن الذي خلقه من العدم قادر على أن يعيده بعد الفناء!! ﴿جِثِيّٗا﴾ جالسين على ركبهم لشدة الهول ﴿عِتِيّٗا﴾ من هم أعصى لله وأشدُّ تمرداً ﴿صِلِيّٗا﴾ من هم أحقّ بالإحراق في نار الجحيم ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ ما منكم من أحد إلا سيمرُّ على الصراط، المنصوب على نار جهنم ﴿حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا﴾ قضاءً مبرماً لا يمكن أن يتخلّف ﴿وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا﴾ أحسن عيشاً وأكرم مجلساً ومنتدى؟ ﴿أَثَٰثٗا وَرِءۡيٗا﴾ وكثير من الأمم الكافرة أهلكناهم، كانوا أكثر من أهل مكة مالاً، وأبهج صورة ومنظراً حسناً ﴿فِي ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ مستمراً في طغيانه وفجوره ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّا﴾ فليمهله الله ويتركه يعيش كالبهائم، لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً ﴿شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ سيعلم الكفار من شرٌّ منزلة عند الله، المؤمنون أم الكافرون؟ ﴿وَأَضۡعَفُ جُندٗا﴾ أقل أنصاراً وأعواناً ﴿مَّرَدًّا﴾ مرجعاً وعاقبة. **معنى الورود**: الدخولُ، وفي الحديث الشريفِ «**لا يبقى برٌّ ولا فاجر إلّا دَخَلها - يعني النار - فتكونُ على المؤمن، برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار برداً من ضجيجهم، ثم يُنجّي الله الذين اتقوا ويذرُ الظالمين فيها جِثيًّا**» رواه أحمد، وقيل: الورودُ: المرورُ، لحديث «**لا يدخل النارَ أحدٌ شهد بدراً والحديبية**»، قالت حفصة: أليس الله يقول ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا﴾؟ قال: «**ألم تسمعيه يقول: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾**» رواه مسلم.

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا
﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ
سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ
مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً
لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ
تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾
يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ
إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ
ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ
جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ
وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا
﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ
وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾

﴿كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أخبرني عن هذا الشقي الفاجر، الذي كفر بآيات الله!! ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ وزعم أن الله سيعطيه في الآخرة المال والبنين!! ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ هل علم أمر الغيب الذي تفرَّد به علَّام الغيوب؟ ﴿عَهْدًا﴾ أم أعطاه الله عهداً بذلك؟ نزلت في «العاص ابن وائل» (كان لخبَّاب دينٌ عليه، فجاء يطلب دينه فقال له: لا أقضيك حقَّك حتى تكفر بمحمد، فقال له خباب: واللّهِ لا أكفر حتى يميتك الله ثم يبعثك!! - يريد السخرية منه - فقال له العاص: إذاً فانتظرني إلى ذلك اليوم الذي أبعث فيه فسوف يعطيني الله المال والبنين، وأوفيك دينك)، رواه البخاري ﴿مَدًّا﴾ سنزيده عذاباً فوق عذابه، جزاء فجوره وطغيانه ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ بلا مالٍ ولا نصير ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ سلَّطنا الشياطين على الكفار تُهيِّجهم نحو الشرّ والمعاصي تهييجاً ﴿وَفْدًا﴾ معزَّزين مكرَّمين، كما يفد الضيوفُ على الملوك تحيط بهم بعثة الشرف ﴿وِرْدًا﴾ ونسوق المجرمين إلى جهنم كما تساقُ البهائم مشاة عطاشاً ﴿شَيْـًٔا إِدًّا﴾ منكراً فظيعاً شنيعاً ﴿ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ تندكُّ الجبال وتتطاير من هول ذلك القول ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ليس أحد في السموات والأرض، إلَّا وهو عبدٌ مملوكٌ لله ﴿أَحْصَىٰهُمْ﴾ ضبط عددهم ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ أحاط علماً بهم، شبَّه إحاطة علمه بهم، بالراعي الذي لا يغيب عنه عددُ أغنامه ﴿فَرْدًا﴾ وكلُّ واحد من الخلق، سيأتي يوم القيامة وحيداً فريداً، بلا معين ولا نصير.

الجزء السادس عشر — سورة طه

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ﴿٩٧﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴿٩٨﴾

سُورَةُ طه

ترتيبها ٢٠ — آياتها ١٣٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾

﴿وُدّٗا﴾ حباً في قلوب عباده، يُحبُّهم ويُحبِّبُهم إلى الناس، وفي الحديث: «إذا أحبَّ اللّهُ عبداً دعا جبريل فقال: إني أحبُّ فلاناً فأحبَّه، فيحبُّه جبريل، ثم ينادي في السماء: إن الله يحب فلاناً فأحبوه!! فيحبه أهلُ السماء، ثم يوضع له القبولُ في الأرض» رواه البخاري ﴿قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾ شديدي الخصومة والجدال ﴿رِكۡزَۢا﴾ تسمع لهم صوتاً خفياً، فقد بادوا وهلكوا، فكما أهلكنا السابقين نهلك قومك المكذبين.!

الحزب ٣٢

سورة طه

﴿طه﴾ من أسماء الرسول ﷺ، وعن ابن عباس أنها بمعنى: يا رجل، وقيل معناها: يا حبيبي كما ذكره الشوكاني ﴿لِتَشۡقَىٰٓ﴾ ما أنزلنا عليك القرآن لتتعب، بحزنك على قومك المكذبين ﴿لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾ ما أنزلناه إلا تذكيراً لمن يخاف الله، ويخشى عقابه ﴿تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ﴾ وما تحت التراب من مكنونات ومعادن ﴿ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ يعلم الأسرار، وما هو أخفى من ذلك، كالخاطرة والهاجس﴿ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾ أبصرتُ ناراً ﴿بِقَبَسٍ﴾ بشعلة من النار تستدفئون بها ﴿هُدٗى﴾ أجد هادياً يدلني على الطريق ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ انزعْ نعليك من رجلك، فأنت بالبقعة المقدسة في جبل الطور.

سبب النزول: رُوي أن رسول الله ﷺ لمَّا نزل عليه القرآنُ، صلَّى هو وأصحابُه، وأطالَ القراءةَ والقيامَ، فقال المشركون: ما أنزلَ الله هذا القرآن على محمد، إلَّا ليشقى به، فأنزل الله قوله: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ تفسير ابن الجوزي.

وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ﴾ اصطفيتك للنبوة والرسالة ﴿لِمَا يُوحَىٰ﴾ استمع لما أوحيه إليك ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ لتذكرني فيها ﴿السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾ وقتُ الحساب قادم لا محالة ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أكاد أخفيها عن نفسي، وهذا على سبيل المبالغة يقول الإنسان: هذا الأمر كتمتُه عن نفسي أي لم أطلع عليه أحداً ﴿يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا﴾ فلا يصرفنك عن الإيمان بالقيامة من لا يؤمن بها ﴿فَتَرْدَىٰ﴾ فتهلك ﴿وَأَهُشُّ بِهَا﴾ أضرب بها الشجر ليتساقط منه الورق فترعاه غنمي ﴿مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ مصالح ومنافع أخرى ﴿حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ ألقاها فانقلبت ثعباناً عظيماً يبتلع ما حوله، فلذلك فزع وهرب ﴿سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ سنردُها عصا كما كانت ﴿جَنَاحِكَ﴾ أدخل يدك تحت إبطك ثم أخرجها ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ تصبح نيِّرة مضيئة لها شعاع يغلب شعاع الشمس، من غير مرض ولا برص ﴿آيَةً أُخْرَىٰ﴾ معجزة ثانية بعد معجزة العصا ﴿أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ أعطيتك ما سألتَ وما طلبتَ ﴿مَنَنَّا عَلَيْكَ﴾ أنعمنا عليك بمنة أخرى وهي أننا ألهمنا أمك ما كان سبباً في نجاتك، والوحيُ هنا يراد به الإلهامُ ﴿إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ جاوز الحدَّ في الكفر والطغيان، حتى ادَّعى الربوبية ﴿اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ اشرح صدري بالإيمان ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ سهِّلْ عليَّ القيامَ بما كلَّفتني به من دعوة الطاغية فرعون!!

تنبيه: إنما أظهر الله تعالى معجزة العصا وقت المناجاة، تأنيساً له بهذه المعجزة الهائلة، حتى لا يفزع إذا ألقاها عند فرعون، وليبيِّن له قدرته الفائقة، في قلب الجماد إلى ثعبان، لأن الذي خلق الإنسانَ من تراب، هو الذي قلب العصا إلى حية تسعى.

إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

﴿فِى ٱلتَّابُوتِ﴾ ضعي هذا الطفل الرضيع في الصندوق ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ اطرحيه في نهر النيل ﴿وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾ يأخذه فرعون عدوي وعدوُّه، وهذه من الآيات الكبرى، أن يتربى موسى الكليم في بيت فرعون اللئيم، رغماً عن أنفه، ويرعاه وكأنه ولده!! ﴿عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ ولتُربَّى بحفظي ورعايتي ﴿مَن يَكْفُلُهُۥ﴾ هل أدلكم على من يرعاه ويرضعه؟ ﴿تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ لكي تُسرَّ بعودتك، ولا تحزن على فراقك ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ خلّصناك من المحن والشدائد تخليصاً، حين قتلت القبطي وحين وقعتَ في يد فرعون ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ اصطفيتك لرسالتي ﴿وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى﴾ لا تضعفا وتفترا عن ذكري عند مواجهة فرعون ﴿يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ نخاف أن يبادر ويعجّل في عقوبتنا ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ ما أمرُ من هلك من القرون الماضية؟ لِمَ لمْ يبعثوا ويحاسبوا؟ إن كان ما تقوله حقاً؟

تنبيه: قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى﴾ يعني زرعتُ محبتك في القلوب، بحيث لا يكاد يصبرُ عنك من رآك، حتى أحبَّك فرعونُ، فعشتَ في قصره منعَّماً مكرَّماً!! وأيُّ كرامة أعظم من هذه الكرامة؟ أن يجعل الله له من أعدائه، من يحرسه ويرعاه!! قال ابن عباس: (أحبَّه الله، وحبَّبه إلى خلقه، حتى إلى عدوِّه فرعون) والتعبيرُ بقوله سبحانه: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ بالغُ الروعة في الإبداع، حيثُ مثَّل له بمن بُني له قصرٌ تحت سمعه وبصره، فجاء في غاية الحسن والجمال، ففي الآية استعارةٌ تمثيليةٌ بديعة.

قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾
ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟
وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا
خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ
أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا
مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ
فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا
سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى
﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم
مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ
وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟
ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم
مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا۟
كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

﴿فِي كِتَٰبٍ﴾ قال موسى: علمُ أحوالها وأعمالها عند ربي مسطَّرٌ في اللوح المحفوظ ﴿وَلَا يَنسَى﴾ لا يخطئ ربي ولا يغيب عن علمه شيء منها ﴿مَهْدًا﴾ جعل لكم الأرض كالفراش تنامون وتسكنون عليها ﴿سُبُلًا﴾ جعل لكم فيها طرقاً تسلكونها ﴿أَزْوَٰجًا﴾ أخرج لكم بالمطر أنواعاً من النباتات والفواكه المختلفة الطعم والشكل والرائحة ﴿ٱلنُّهَىٰ﴾ العقول السليمة ﴿فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ﴾ أرينا فرعون المعجزات الساطعة الواضحة الدالة على نبوة موسى، فكذب بها وأبى الإيمان لعتوه واستكباره ﴿بِسِحْرِكَ﴾ قال فرعون: أجئتنا لتخرجنا من أرض مصر؟ سمّى اللعينُ المعجزات (سحراً) لتضليل قومه، حتى لا يؤمنوا بدعوة موسى ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ﴾ فلنعارضنك بسحرٍ مثل السحر الذي جئتنا به، ليظهر للناس أنك ساحر ولست برسول ﴿مَكَانًا سُوًى﴾ حدِّدْ مكاناً وعَيِّنْ زماناً بحيث لا نُخْلِفُ ذلك الوعد لا من جهتنا ولا من جهتك، ويكون معروفاً ومشهوراً ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ فيستأصلكم ويبيدكم بعذاب هائل ﴿خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ خسر وهلك من كذب على الله ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ أخفوا ما في نفوسهم، من هول ما سمعوا من موعظة موسى، وأخذوا يتحدثون بينهم سراً ﴿بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ﴾ غرضهم إفسادُ ما أنتم عليه من الدين، الذي هو أفضل الأديان، والمُثْلَى تأنيث الأمثل بمعنى الأفضل ﴿ٱسْتَعْلَىٰ﴾ فاز اليوم مَنْ عَلَا وغلبَ خصمه!! وأرادوا بالفلاح: الهدايا الثمينة التي وعدهم بها فرعون، ولم يريدوا به الفلاح بالهداية إلى الإيمان، والتوفيق لنيل رضى الرحمن.

ربع الحزب ٣٢

قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ قال السحرة: إمّا أن تبدأ أنت بالإلقاء، أو نبدأ نحن؟ خيَّروه ثقةً منهم بالغلبة عليه ﴿بَلْ أَلْقُوا۟﴾ أمرهم بالإلقاء أولاً، لتكون معجزته أمام الخلق أظهر، فلما ألقوا الحبال والعصي صارت كأنها حيات، تتحرك وتسعى على بطونها ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أحسَّ الخوف في نفسه ﴿لَا تَخَفْ﴾ لا تخف يا موسى فإنك أنت الغالب المنتصر ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟﴾ ألق عصاك تبتلع كلَّ ما دبَّروه من السحر ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾ خرُّوا ساجدين لله لما رأوا من الآية الباهرة، وعرفوا أن هذا ليس من قبيل السحر، حيث لم يبق لعصيِّهم وحبالهم وجود، فأعلنوا إيمانهم، وقد هدَّدهم فرعون فثبتوا على الإيمان، ونفَّذ عدوُّ الله فيهم ما هدَّدهم به وصلبهم، قال **ابن عباس**: كانوا في أول النهار سَحَرة وفي آخر النهار شهداء بَرَرة ﴿لَن نُّؤْثِرَكَ﴾ لن نفضِّلك ﴿وَٱلَّذِى فَطَرَنَا﴾ خلقنا ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ اصنع ما أنت صانع ﴿تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ حكمُكَ نافذٌ في هذه الحياة الدنيا، وهي زائلةٌ فانية. ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ لا يموت فينقضي عذابُه، ولا يحيا الحياة الطيِّبة الهنيئة ﴿ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾ المنازلُ الرفيعةُ في الجنة ﴿جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ أجرُ من تَطَهَّرَ من دَنَسِ الكفر والمعاصي، وآمنَ بالله.

تذكير: قال الحسن البصري: (سبحان الله، قوم كفارٌ لم يعبدوا الله إلّا بسجدةٍ واحدة، ثبت في قلوبهم الإيمانُ في طَرْفة عين، ووالله إنَّ أحدهم ليصحبُ القرآن ستين سنة، ثم إن أحدهم ليبيعُ دينه بثمنٍ بخسٍ حقير!!) تفسير ابن كثير.

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ (٧٧) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ (٧٩) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ (٨٠) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ (٨١) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ (٨٢) ۞ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧)

﴿أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ سر ليلاً ببني إسرائيل ﴿يَبَسًا﴾ اضرب البحر بعصاك، يصبح طريقاً يابساً ﴿لَا تَخَافُ دَرَكًا﴾ لا تخف أن يدركك فرعون بجنوده، ولا تخش الغرق في البحر ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ﴾ فعلاهم وأصابهم ما أصابهم من أهوال البحر، والتعبير يفيد شدة الهول الذي أصابهم ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يا أبناء النبيّ الصالح يعقوب ﴿جَانِبَ الطُّورِ﴾ وعدناكم لإنزال التوراة عليكم جانب طور سيناء ﴿الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ ورزقناكم وأنتم في أرض التيه بالمنّ وهو شيء حلو لذيذ يشبه العسل، والسلوى وهو أجود أنواع الطيور لحماً.. ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ﴾ ما الذي حملك على العجلة يا موسى؟ ﴿أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي﴾ هم بالقرب مني ولاحقون بي ﴿لِتَرْضَىٰ﴾ وتعجلتُ إلى الطور لترضى عني ﴿فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾ وقعوا في محنة وفتنة شديدة ﴿غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ رجع موسى غضبان شديد الحزن والألم على ما صنع قومه من عبادة العجل ﴿بِمَلْكِنَا﴾ باختيارنا وإرادتنا ﴿أَوْزَارًا﴾ أثقالاً وأحمالاً من حليّ آل فرعون، وخشينا أن يعاقبنا الله عليها، وهو عذرٌ أقبحُ من ذنب.

توضيح: فتنة السامري: كان السامريُّ ساحراً منافقاً، صنع لهم العجلَ من حُليّ من الذهب، في صورة ثَوْر له خوار، وما كاد بنو إسرائيل يرون عجلاً من ذهب يخور، حتى نسوا ربهم الذي أنقذهم من طغيان فرعون وجبروته، وعكفوا على عبادة العجل، وقال لهم السامريُّ: هذا إلٰهكم وإلٰهُ موسى، وإن موسى أضاع ربه، فذهب يطلبه في جبل الطور!! أمَا علِمَ هؤلاء الحمقى الجهلاءُ، أن العجل شَبَحٌ بلا روح، لا يسمع ولا يبصر، ولا يغني عن عابده شيئاً!؟ فكيف يكون إلٰهاً؟

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى وَلَا بِرَأْسِىٓ ۖ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِى ﴿٩٤﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾ صاغ لهم السامري من تلك الحُلِيّ المذابة، عجلاً جسداً بلا روح ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ له صوت يشبه صوت البقر وقال لهم عدوُّ الله: هذا إلهكم الذي تعبدونه وإله موسى ﴿فَنَسِىَ﴾ فنسي موسى إلهه هنا، وذهب يبحث عنه في الطور، ولمّا رأوا العجل من ذهب طار عقلهم، وقالوا: ﴿لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ﴾ لا نزال مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع إلينا موسى، عبدوا العجل، ونسوا ربهم الذي أنقذهم من أرض الذل ﴿خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ﴾ ما شأنك وما الذي حملك على ما صنعت؟ ﴿قَالَ بَصُرْتُ﴾ رأيتُ ما لم يروه، وهو أن جبريل لما جاء على فرس، وقع في نفسي أن أقبض من أثره قبضة، ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ طرحتها على العجل فصار له خُوارٌ ﴿سَوَّلَتْ﴾ زيَّنت وحسَّنتْ لي نفسي ﴿لَا مِسَاسَ﴾ قال له موسى: عقوبتك على هذه الجريمة أن لا تمسَّ أحداً ولا يمسَّكَ أحد، فكان لا يمسُّه أحدٌ إلا أصابته الحمَّى (الماسّ) و(الممسوس) ﴿مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ﴾ وهو عذاب الآخرة الذي هو أشد من عذاب الدنيا، لن يتخلَّف عنك ولن تنجو منه.

تنبيه: قال المفسرون: لمّا جاء جبريلُ لإهلاك فرعون، كان يركب على فرس، وكان كلّما وضع الفرسُ رجليه على الطريق اليابسة، يخرج من تحته النباتُ في الحال، ولم يفطن لهذا إلّا السامريُّ المنافقُ، فأخذ حفنةً من أثر فرسِهِ، فألقاها على العجل، فأصبح له خوار كخوار البقرة، فذلك قوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا..﴾ تفسير ابن كثير، والجمهور على أن المراد بأثر الرسول (جبريل) عليه السلام.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا
ذِكۡرٗا ﴿٩٩﴾ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا
﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ﴿١٠١﴾ يَوۡمَ يُنفَخُ
فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ
بَيۡنَهُمۡ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا عَشۡرٗا ﴿١٠٣﴾ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذۡ يَقُولُ
أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا يَوۡمٗا ﴿١٠٤﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡجِبَالِ
فَقُلۡ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسۡفٗا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعٗا صَفۡصَفٗا ﴿١٠٦﴾
لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجٗا وَلَآ أَمۡتٗا ﴿١٠٧﴾ يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ
لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ فَلَا تَسۡمَعُ إِلَّا هَمۡسٗا
﴿١٠٨﴾ يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ
قَوۡلٗا ﴿١٠٩﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ
عِلۡمٗا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ
حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا
يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا
وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴿١١٣﴾

﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ﴾ كما قصصنا عليك خبر موسى كذلك نقصُّ عليك أخبار الأمم السابقة ﴿ذِكۡرٗا﴾ أنزلنا عليك قرآناً يُتلى، يتذكر به من تذكَّر ﴿وِزۡرًا﴾ من أعرض عنه فلم يؤمن به فإنه يحمل إثماً عظيماً، وينال عقوبة شديدة ﴿زُرۡقٗا﴾ نحشر المجرمين إلى أرض المحشر سود الوجوه، زرق العيون ﴿يَتَخَٰفَتُونَ بَيۡنَهُمۡ﴾ يتحدثون بينهم سراً ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ﴾ ما مكثتم في الدنيا إلا عشر ليال ﴿أَمۡثَلُهُمۡ طَرِيقَةً﴾ يقول أكملهم رأياً وأعدلهم قولاً: ما لبثتم إلا يوماً واحداً، يستقصرون مدة إقامتهم، حين شاهدوا الشدائد والأهوال ﴿نَسۡفٗا﴾ يطيِّر الجبال تطييراً ويفتِّتها حتى تصبح كالهباء المنثور ﴿قَاعٗا صَفۡصَفٗا﴾ فيتركها أرضاً ملساء مستوية، لا بناء فيها ولا نبات ﴿عِوَجٗا﴾ لا ترى فيها انخفاضاً ﴿وَلَآ أَمۡتٗا﴾ ولا ارتفاعاً ﴿وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ﴾ خضعت لهيبته جلَّ وعلا ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ﴾ ذلت وخضعت وجوه الخلائق للواحد القهار ﴿خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾ وقد خسر وشقي من أشرك بالله ﴿وَلَا هَضۡمٗا﴾ نقصاً من حسناته ﴿وَصَرَّفۡنَا﴾ كرَّرنا فيه الإنذار والوعيد ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ كي يتقوا الكفر والمعاصي ﴿أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا﴾ أو يُحدِثُ لهم القرآنُ موعِظةً في القلوب، فيؤمنوا بربهم، وينيبوا إليه، وفي الحديث الشريف: **«ما آمن بالقرآن من استحلَّ محارمه»** جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ.

ثلاثة أرباع الحزب ٣٢

فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ﴾ لا تستعجل بالقراءة إذا قرأ عليك جبريل ﴿يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ من قبل أن يفرغ جبريل من قراءته، قال ابن عباس: كان ﷺ يبادر جبريل فيقرأ قبل أن يفرغ جبريل من الوحي، حرصاً على حفظ القرآن ومخافة النسيان، فنهاه الله عن ذلك، وتكفَّل له بحفظه في صدره ﴿عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ أمرناه ووصيناه أن لا يأكل من الشجرة ﴿عَزْمًا﴾ فنسي أمرنا ولم نجد له صبراً ﴿عَدُوٌّ لَّكَ﴾ إن إبليس شديد العداوة لك ولحواء ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ لا يكن سبباً لإخراجكما من الجنة فتشقى أنت وزوجتك ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ إن لك أن لا ينالك في الجنة جوعٌ ولا عُرْي ﴿لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا﴾ لا يصيبك العطش ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ ولا حرُّ الشمس.

تنبيه: هذه الآية دليل قاطع، على أن الجنة التي أُهبط منها آدم هي «جنة الخلد» وليست بستاناً في الأرض ـ كما قاله البعضُ ـ لأن الدنيا فيها الجوعُ والعطشُ، والعريُ والحرُّ ﴿ضَنكًا﴾ معيشة شاقة ﴿أَعْمَىٰ﴾ نبعثه أعمى البصر، كما تعامى في الدنيا عن آيات الله ﴿لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾ لمَ عاقبتني بعمى البصر، وقد كنت في الدنيا بصيراً؟

قال ابن عباس: ضمن الله عزَّ وجلَّ لمن قرأ القرآن، وعمل بما فيه، أن لا يضلَّ في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، وتلا الآية الكريمة ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا..﴾ تفسير ابن كثير.

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامٗا وَأَجَلٞ مُّسَمّٗى ﴿١٢٩﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

﴿فَنَسِيتَهَا﴾ لقد جاءتك آياتُ الذكر الحكيم واضحة جليّة فتركت العمل بها ﴿تُنسَىٰ﴾ تُترك في العذاب جزاءً وفاقاً، كمن يُلقى في السجن، ثم يُترك فيه ويُهمل أمره ﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ﴾ أفلم يتبيّن لكفار مكة ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا﴾ إهلاكنا للأمم السابقة المكذبة لرسلها ﴿يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡ﴾ يعاينون آثار هلاكهم في أسفارهم، أفلا يتعظون ويعتبرون؟ ﴿لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾ لذوي العقول السليمة ﴿وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ﴾ لولا وعدُ الله سبحانه بتأخير عذاب هذه الأمة إلى الآخرة ﴿لَكَانَ لِزَامٗا﴾ لكان العذاب واقعاً عليهم ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ اصبر على استهزائهم وسخريتهم ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ صلِّ لربك ﴿قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ﴾ صلاة الفجر ﴿وَقَبۡلَ غُرُوبِهَا﴾ صلاة الظهر والعصر ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ﴾ أوقات الليل، يراد بها المغرب والعشاء ﴿لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾ لتنال في الآخرة ما تحبُّ وتشتهي ﴿بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ﴾ من قبل بعثة محمد ﴿رَسُولٗا﴾ هلّا بعثت إلينا رسولاً يهدينا إلى طريق الإيمان!! ﴿نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ﴾ نُهان بالعذاب، ونفتضح على رؤوس الأشهاد!! وفي الآية ما يشير إلى أن الله لا يعذّب أحداً، إلّا بعد إقامة الحجة، بإرسال الرسل الكرام ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ ﴿كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ﴾ كلٌّ منّا ومنكم منتظرٌ عاقبة أمره، فانتظروا ما يحلُّ بكم من عقاب الله ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ﴾ فستعلمون عن قريب، من هم أصحاب الطريق المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، هل نحن أم أنتم؟ ﴿وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ ومن منّا ومنكم اهتدى إلى طريق الحق والرشاد؟ ومن بقيَ على طريق الكفر والضلال؟ والآيةُ مسوقةٌ للوعيد والتهديد.

سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

ترتيبها ٢١ — آياتها ١١٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ۖ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

سورة الأنبياء

﴿ٱقْتَرَبَ﴾ دنا وقرب وقت حساب الناس ﴿مُّعْرِضُونَ﴾ غافلون عن ذلك اليوم الرهيب ﴿مُّحْدَثٍ﴾ متجدد في النزول لهم والتذكير ﴿ٱسْتَمَعُوهُ﴾ استمعوا إليه بالاستهزاء، وهم يعبثون ويلعبون ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ ساهية قلوبهم عن كلام الله ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾ أخفى الظالمون الفجار الحديث بينهم سرًا ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ هل محمد الذي يدعي الرسالة إلا بشر مثلنا؟ ﴿أَفَتَأْتُونَ﴾ أفتقبلون السحر وأنتم تعلمون أنه سحر؟ ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ﴾ قالوا عن القرآن: إنه أخلاط منامات رآها في نومه ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ ما جاء به من قبيل الشعر، يخيّل للسامع أنه كلام رائع ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ﴾ فليأتنا بمعجزة خارقة ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ما آمنت الأمم قبلهم الذين اقترحوا الآيات، أفيؤمن هؤلاء وهم أعتى وأضل؟ ﴿أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ اسألوا أهل العلم بالتوراة والإنجيل ﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ المجاوزين الحدَّ في الكفر والضلال ﴿كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ في القرآن شرفكم وعزكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أفلا تدركون هذه النعمة العظيمة فتؤمنون!؟ وتعلمون أن هذا الكتاب المعجز، لا يمكن أن يأتي به رجلٌ أميٌّ كمحمد؟!

الجزء ١٧ — الحزب ٣٣

حكى تعالى عنهم هذه الأقوال الكثيرة، ليظهر اضطرابُ أمرهم، وبطلانُ أقوالهم، فهم متحيّرون لا يستقرُّون على شيء، تارة يقولون عن القرآن: إنه سحر، وأخرى يقولون: إنه شعر، ومرة يقولون: أضغاثُ أحلام، يعني أخلاط منامات رآها في نومه، وفيه توبيخٌ لهم على عدم التدبر في هذا الأمر الخطير!!

وَكَمۡ قَصَمۡنَا مِن قَرۡيَةٖ كَانَتۡ ظَالِمَةٗ وَأَنشَأۡنَا بَعۡدَهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ (١١) فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ (١٢) لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ (١٣) قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ (١٤) فَمَا زَالَت تِّلۡكَ دَعۡوَىٰهُمۡ حَتَّىٰ جَعَلۡنَٰهُمۡ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ (١٥) وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ (١٦) لَوۡ أَرَدۡنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهۡوٗا لَّٱتَّخَذۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ (١٧) بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ (٢٠) أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ (٢١) لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ (٢٣) أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ (٢٤)

﴿قصمنا﴾ أهلكنا بعذاب الاستئصال ﴿أحسوا بأسنا﴾ رأوا عذابنا بحواسهم وتيقنوا نزوله ﴿يركضون﴾ إذا هم يهربون مسرعين ﴿لا تركضوا﴾ لا تهربوا ﴿أترفتم فيه﴾ ارجعوا إلى مساكنكم والنعم التي أبطرتكم ﴿لعلكم تسئلون﴾ لعلكم تسألون عما جرى عليكم ﴿حصيدا خامدين﴾ تركناهم كالزرع المحصود بالمناجل ﴿لهوا﴾ ما يُتلهى به من زوجة أو ولد ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ لاتخذناه من عندنا من الملائكة أو من الحور العين ﴿نقذف بالحق﴾ نرمي بالحق على الباطل ﴿فيدمغه﴾ فيمحقه ويبطله ﴿زاهق﴾ هالك تالف وهذه استعارة لطيفة، حيث شبَّه الحق بقذيفة نارية أُلقيت على رأس الباطل، فشدَخته وحطَّمته ﴿ولكم الويل﴾ لكم العذاب والدمار على ما نسبتم إلى ربكم من الزوجة والولد ﴿ولا يستحسرون﴾ لا يفترون عن ذكر الله ﴿ينشرون﴾ هل عبدوا آلهة قادرين على إحياء الموتى؟ لا، بل عبدوا آلهة بلهاء صمَّاء، هي الأصنام التي صنعوها بأيديهم، وهذا تهكُّمٌ بهم وتسفيهٌ لعقولهم.! ﴿لفسدتا﴾ لو كان في الوجود إلهٌ غير الله، لفسد نظامُ الكون، لما يحدث بين الآلهة من التنازع والاختلاف!! ألا ترى أنه لا يصحُّ أن يوجد مَلِكان في دولةٍ واحدة؟ ولا رئيسان في دائرةٍ واحدة!؟ ﴿فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ تنزَّه الله ربُّ العرش العظيم، عمَّا يصفه به السفهاء الجاهلون ﴿هاتوا برهانكم﴾ ائتوني بالحجة والبرهان على صحة عبادة الأوثان؟ وهو مبالغة في التوبيخ والإنكار ﴿هذا ذكر من معي﴾ هذا القرآن العظيم، وحيُ الله المنزلُ، يدحض دعوى الشرك.!

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ
إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ
بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم
بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ
وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ
﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ
جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا
مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ
رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ
يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ
ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ
وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ
ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ
ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾

﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾ قال المشركون: اتخذ الله من الملائكة بناتٍ له ﴿عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ تنزَّه اللّهُ عن هذا القول الشنيع، بل هم عبيد لله، أصحاب الشرف والمكانة الرفيعة عند الله ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ لا يقولون شيئاً حتى يأذن لهم به، شأنهم شأن العبيد المؤدَّبين ﴿مُشۡفِقُونَ﴾ خائفون حذرون من عظمة الله ورهبته ﴿كَانَتَا رَتۡقٗا﴾ أوَ لم يعلم الكفار أن السموات والأرض كانتا شيئاً واحداً ملتصقاً، ففصل الله بينهما بقدرته، فرفع السماء وأقرَّ الأرض؟ **وقال ابن عباس**: «كانت السماء رتقاً لا تُمطر، وكانت الأرضُ رتقاً لا تُنبتُ، ففتق السماء بالمطر، والأرض بالنبات» ﴿كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ﴾ جعلنا الماء أصل الحياة، فلا يعيش بدونه إنسان ولا حيوان ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ لئلا تتحرك وتضطرب بكم ﴿سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗا﴾ جعلنا السماء كالسقف للأرض، محفوظةً عن السقوط والزوال ﴿مُعۡرِضُونَ﴾ والكفار معرضون عن الآيات الدالة على وحدانية الله وقدرته ﴿خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ جعل الليلَ مظلماً للسَّكن والراحة، والنهار مضيئاً للسّعي والمعاش ﴿فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ كلٌّ من الأرض، والشمس، والقمر، يجري ويسير، في هذا الكون الفسيح، بنظام محكم دقيق ﴿ٱلۡخُلۡدَ﴾ ما كُتب لأحدٍ من قبلك الخلودُ في الدنيا، فهل إذا مِتَّ سيخلَّدون بعدكَ في الحياة؟ نزلت ردًّا على المشركين حين قالوا: ﴿شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ يعني ننتظر موته!!

ربع الحزب ٣٣

وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

﴿إِلَّا هُزُوًا﴾ إلا سخرية واستهزاء ﴿ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ﴾ يسبّ آلهتكم ويذكرها بالسوء؟ ﴿كَٰفِرُونَ﴾ وهم بالرحمن الذي خلقهم كافرون، يعيبون من جحد ألوهية الأوثان، وهم جاحدون ألوهية الرحمن!! ﴿مِنۡ عَجَلٖ﴾ خلق الإنسان عجولاً ﴿سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي﴾ سأريكم انتقامي وعذابي فلا تستعجلوه ﴿هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ متى يأتي العذاب الذي يتوعدنا به محمد؟ قالوه على جهة الاستهزاء والسخرية ﴿لَا يَكُفُّونَ﴾ لا يستطيعون دفع العذاب لأنه محيط بهم من جميع الجهات ﴿بَغۡتَةٗ﴾ بل تأتيهم القيامة فجأة ﴿فَتَبۡهَتُهُمۡ﴾ فتحيّرهم وتُدهشهم ﴿رَدَّهَا﴾ لا يقدرون على صرفها عنهم ﴿وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾ يُمهلون لتوبةٍ أو اعتذار ﴿فَحَاقَ﴾ فنزل وحلّ بالمستهزئين العذاب ﴿مَن يَكۡلَؤُكُم﴾ من يحفظكم ويحرسكم في أوقاتكم ﴿مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ من بأسِ الرحمن وعذابه؟ ﴿يُصۡحَبُونَ﴾ يُجارون ويُمنعون. ﴿نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ﴾ أرض الكفر ﴿نَنقُصُهَا﴾ نفتحها للمسلمين بلداً بعد بلدٍ، فتنقص ديار الكفار، وتزداد بلاد المسلمين، **وقال ابن عباس**: نقصُ الأرض بموت علمائها، وصلحائها، وفقهائها، وذهابِ خيار أهلها ﴿أَفَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ هل هم المنصورون الغالبون على محمد؟ أم هم المخذولون؟

سبب النزول: مرّ النبيُّ ﷺ على جماعة من المشركين، فيهم «أبو جهل» وهم يتحدّثون، فلما رآه أبو جهل ضحك، وقال لأبي سفيان: هذا نبيُّ بني هاشم!! فرجع رسول الله ﷺ إلى أبي جهل، وقال له: ما أراك منتهياً حتى يصيبك ما أصابَ عمَّك (الوليدَ بنَ المغيرة)؟ فنزلت ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا..﴾ الآية، أخرجه ابن أبي حاتم (تفسير الشوكاني).

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

﴿أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ﴾ أخوفكم وأحذركم بالقرآن الذي أوحاه الله إليّ ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ﴾ من كان أصمّ لا يسمع هذا الإنذار، فلا يتعظ ولا ينزجر ﴿نَفْحَةٌ﴾ ولئن مسّهم أقل شيء من العذاب ولو كان يسيراً كنسمة الريح، وهبّة الهواء ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ يا هلاكنا ودمارنا ﴿كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ لقد كنا ظالمين لأنفسنا بتكذيبنا رسل الله!! يعترفون بجريمتهم عند أول هبّة عذاب، فكيف إذا صاروا في قلب الجحيم؟

نصف الحزب ٣٣

﴿الْقِسْطَ﴾ العدل ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ وزن حبةٍ من أصغر الحبوب ﴿حَاسِبِينَ﴾ كفى بربك أن يكون محصياً لأعمال العباد، ومجازياً لهم عليها ﴿مُشْفِقُونَ﴾ حذرون خائفون ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ كيف تنكرونه وهو منزل من عند الرحمن؟ ﴿رُشْدَهُ﴾ هداه وصلاحه ﴿مِن قَبْلُ﴾ من صغره ﴿عَالِمِينَ﴾ أنه أهل للفضل والنبوة ﴿التَّمَاثِيلُ﴾ الأصنام المنصوبة والمصنوعة بأيديكم ﴿عَاكِفُونَ﴾ مقيمون على عبادتها ﴿فَطَرَهُنَّ﴾ خلقهنّ وأبدعهن ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ لأمكرنّ بها، وأضمر في نفسه نيّة تحطيمها ﴿مُدْبِرِينَ﴾ بعد ذهابكم إلى عيدكم، والظاهر أنه قال ذلك بعد أن انصرفوا عنه، ولم يبق منهم إلّا واحد، هو الذي سمعه يتوعّد الآلهة بالتحطيم.

تنبيه: قولُ إبراهيم: ﴿مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ سمّى الأحجار والأخشاب باسمها (التماثيل) ولم يقل: ما هذه الآلهة؟ تحقيراً لها، مع علمه اليقينيّ بعبادتهم لها، واعتقادهم بألوهيتها، وهذا دليل رشده، ودقة فهمه!! والتعبيرُ بقوله: ﴿عَاكِفُونَ﴾ يشير إلى انكبابهم الدائم المستمر عليها، كأنهم لا يفارقونها، فهو بذلك يهزأ منهم، ويستخفُّ بعقولهم.

فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ
﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾
قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ
عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ
هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ
هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ
أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ
رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا
يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ
فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾
وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ
وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾

﴿جُذَٰذًا﴾ كسَّر الأصنام فجعلها قطعاً مكسَّرة، مبعثرة هنا وهناك ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ إلا الصنم الكبير تركه وعلَّق الفأسَ بعنقه ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ لعلهم يرجعون إليه فيسألونه من كسر الأصنام؟ فتقوم الحجة عليهم ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا﴾ فلما رجعوا من عيدهم ورأوا آلهتهم مهشَّمة محطَّمة قالوا: من حطَّم هذه الآلهة؟ ﴿إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ شديد الظلم والإجرام حين تجرَّأ على تحطيمها ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ يتوعَّد الآلهة ﴿عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ﴾ أحضروه للمحاكمة بمرأى من الناس حتى يروه، ليكون عقابُه عبرةً لمن يعتبر ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا﴾ هل أنت يا إبراهيم الذي حطَّم هذه الآلهة؟ ﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ حطَّمها الصنم الكبير، لأنه غضب أن تُعبد معه الأصنام الصغار فكسرها، وإذا كنتم لا تصدِّقونني ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ اسألوا هذه الأصنام من كسرها؟ ﴿نُكِسُوا۟﴾ رجعوا إلى الباطل والعناد ﴿يَنطِقُونَ﴾ علمتَ أن الأصنام لا تكلم ولا تجيب، فكيف تطلب منا أن نسألها؟ وهنا قامت الحجة عليهم، وعزموا على حرق إبراهيم بالنار، فجعلها الله برداً وسلاماً عليه ﴿كَيْدًا﴾ أرادوا إهلاكه بمكرٍ خبيثٍ فدمَّرناهم.

تمثيل بديع قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ بالغُ الروعة في التصوير والتمثيل، فقد شبَّههم بإنسانٍ انقلب رأساً على عقب، صارت قدماه إلى الأعلى، ورأسُه إلى الأسفل، فكيف يكون سليم النظر والتفكير، لقد أقاموا الحجة على أنفسهم، دون عقلٍ ولا إدراك، فأية حجةٍ أكبرُ لإبراهيم عليهم، أن يقولوا: إن هذه الأصنام لا تنطق، ولا تسمع، ولا تعقل، فكيف تأمرنا بسؤالها؟

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ أعطينا لوطاً النبوة والعلم، وكان لوط قد هاجر مع إبراهيم وبعثه الله إلى «سدوم» فكذبوه، فأهلكهم الله ودمّرهم ﴿ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ اشتهروا باللواطة، وقطع السبيل على المسافرين ﴿فَٰسِقِينَ﴾ كانوا أشراراً فجاراً خارجين عن طاعة الله ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ﴾ حين دعا على قومه بالهلاك حين كذبوه ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾ أجبنا دعاءه ﴿ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ نجيناه وأهله المؤمنين من الغرق بالطوفان الذي عمّ الأرض، وكان غماً وكرباً شديداً ﴿فِى ٱلْحَرْثِ﴾ هذه قصة داود وسليمان حين كانا يحكمان في شأن الزرع ﴿نَفَشَتْ فِيهِ﴾ رعته غنم القوم ليلاً فأفسدت الزرع ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ ألهمنا سليمان الحكم في القضيّة ﴿يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ﴾ جعلنا الجبال والطيور تسبّح مع داود إذا سبّح، لطيب صوته بتلاوة الزبور ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ علمناه صنع الدروع ﴿مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ لتقيكم في القتال شرَّ الأعداء ﴿ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ وسخرنا لسليمان الريح شديدة الهبوب، أسرع من طائرة «البوينج» بتسخير الله تعالى له ذلك.

توضيح: قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ خلاصةُ القصة (أن الغنم دخلت ليلاً بستاناً فيه شجرُ العنب، فأكلته فلم تُبق فيه ورقاً ولا عنباً، وتحاكم الخصمان عند (داود) عليه السلام فقضى بالغنم لصاحب البستان، فخرجا من عنده، ومرّا على (سليمان) عليه السلام فدخل على أبيه فقال: يا نبيّ الله، لو حكمتَ بغير هذا كان أرفق!! تدفع الغنم إلى صاحب الزرع، ينتفع بلبنها ونسلها وصوفها، وتدفع الأرضَ إلى صاحب الغنم، ليزرعها ويتعهدها، حتى يعود إليها الزرع والثمر كما كان، ثم يترادّان، فقال داود: القضاءُ ما قضيتَ، وحكَمَ بذلك، فذلك قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ تفسير الشوكاني.

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٣

﴿يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ وسخرنا لسليمان بعض الشياطين، يغوصون في البحار، لاستخراج ما يطلبه من اللآلئ والجواهر ﴿عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ كبناء المدن، والقصور الشاهقة، والأشياء التي يعجز عنها البشر ﴿حَٰفِظِينَ﴾ نمنعهم أن يخرجوا عن طاعته ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ نالني البلاء والشدة ﴿مِن ضُرٍّ﴾ دفعنا عنه ما أصابه من ضُرٍّ وبلاء، ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ﴾ عوّضه من أهله أولاداً مثل من فقدهم، وكان قد مات أولاده فأعطاه مثلهم في الدنيا ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ رحمةً منا به ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ وتذكرة لمن أطاع الله وعبده ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ هو نبيُّ الله «يونس» عليه السلام، نُسب إلى النون وهو الحوت الذي ابتلعه ﴿ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ حين ذهب مغاضباً لقومه، ومن قال مغاضباً لربه فقد أخطأ خطأً فاحشاً، ومغاضبته لقومه كانت غضباً لله ﴿نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ فظنَّ أن لن نضيّق عليه، **قال ابن عباس**: هذا من القَدْر بمعنى التضييق لا من القدرة كقوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ أي ضُيّق عليه، وليس معناها أنه وقع في ظنه أن الله تعالى لا يقدر على معاقبته، فهذا الظنُّ بالله كفرٌ، لا يقع من نبي من الأنبياء.

تذكير: قصة يونس: ذُكرت قصته بالوصف دون الاسم ﴿وَذَا ٱلنُّونِ﴾ لأنه ابتلعه الحوتُ، وبقي في بطنه دون أن يموت، وسبب ابتلاعه أن يونس غضب على قومه، لأنه دعاهم إلى الله، فاسْتَعْصَوا عليه، فضاق بهم صدراً، فغادرهم دون استئذانٍ من الله تعالى، وركب البحر، وهاجت بهم الأمواج فسقط، فابتلعه الحوتُ، وجعل الله بطنه سجناً ليونس، ثم نجّاه باستغاثته ودعائه.

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ عفّت عن الفاحشة والزنى، وهذا ثناء من الله عليها بالعفة والحصانة والطهارة، لا كما زعم اليهود لعنهم الله أنها زانية ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ أمرنا جبريل فنفخ في فتحة صدرها فحملت بعيسى، وأضاف الروح إليه على جهة التشريف والتكريم ﴿آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ جعلنا مريم وابنها علامة ساطعة على قدرتنا ﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ دينكم وملتكم دينٌ واحد ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ اختلفوا في الدين فأصبحوا فيه شيعاً وأحزاباً ما بين يهودي، ونصراني، ومجوسي ﴿كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ من يعمل الأعمال الصالحة فلا يضيع شيء من جزائه ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ ممتنع على أهل قرية ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أن يرجعوا إلى الدنيا بعد الهلاك ﴿فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ فُتِحَ السَدُّ الذي بناه ذو القرنين على يأجوج ومأجوج ﴿حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ وهم من كل مرتفع وناحية يسرعون للإفساد في الأرض ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ حطبها الذي توقد به ﴿وَارِدُونَ﴾ داخلوها مع الأصنام ﴿زَفِيرٌ﴾ صوتٌ يشبه أنين المحزون المكلوم، تتقطّع له القلوب، وخروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة الكبرى، كما تواترت بذلك الأخبار، والأحاديثُ الصحيحة.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ شبَّه تعالى اختلاف البشر، وتفرُّقَهم في أمر الدين إلى جماعات، وشِيَع وأحزاب، بجماعة عمدوا إلى ثوب جديد فضفاض، اقتطع كل واحدٍ منهم قطعة، فأصبح الثوبُ قِطَعاً ممزّقة، لم يَعد يستفاد منه، ولا هم استفادوا ممّا في أيديهم من القِطَع، وهذا من بديع الاستعارة، وما أبدعه من تمثيل!!

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الحَجّ

ترتيبها ٢٢ — آياتها ٧٨

﴿حَسِيسَهَا﴾ أما المؤمنون الأبرار، فإنهم لا يسمعون حسّ النار ﴿ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ أهوال يوم القيامة وما فيه من الشدائد والبلايا ﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ تستقبلهم على أبواب الجنة بالتهنئة قائلين لهم ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ﴾ يوم الكرامة الذي وعدكم به ربكم ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ نُطوى السماء كما تُطوى الصحيفة على ما كُتب فيها ﴿كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾ سطرنا في الزبور المنزل على داود عليه السلام ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ من بعد ما سطرنا في اللوح المحفوظ ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ حكمنا بأن الأرض تكون لعبادي المؤمنين الصالحين، يعمرونها بطاعة الله وبالصلاح والخير، ولم يخلقها الله للكفار الفجار ﴿لَبَلَٰغًا﴾ كفاية يتذكر بها العاقل ﴿ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ أخبرتكم وأعلمتكم بالحقّ، لم أخصّ بعضكم وأترك البعض ﴿ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ افصل بيني وبين هؤلاء المكذبين بحكمك العادل ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ ربُّ العزة والجلال، هو الرحمنُ الذي نستعين به على هؤلاء الكفار، في ما يصفون به ربهم، ورسولهم من الأكاذيب!!

توضيحٌ وبيان: لمّا نزلت هذه الآية ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ . .﴾ جاء أحد المشركين إلى رسول الله ﷺ فقال له يا محمد: (أتزعم أن كلَّ من عُبِدَ من دونِ الله، في جهنم مع عابديه؟ فنحنُ نعبد الملائكةَ، واليهودُ تعبد عُزيراً، والنصارى تعبدُ المسيح عيسى، فنحن نرضى أن نكون معهم في الجحيم!! فقال له ﷺ: ويحك ما أجهلك بلغة قومك؟) أخرجه الطبراني، وصحّحه الحاكم، يريد أنّ (ما) لما لا يعقل، ولم يقل تعالى: ومن تعبدون!!

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾

سورة الحج

الحزب ٣٤

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ احذروا عقابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ﴿زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ﴾ الزلزلة العنيفة التي تحدث بين يدي الساعة ﴿شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ أمرٌ عظيم لا يكاد يُتصوَّر لشدته وفظاعته، فلا يبقى بيت ولا قصر إلا تحطم وتهدم ﴿تَذْهَلُ﴾ تنسى كل أم مرضعة طفلها الرضيع وتغفل عنه ﴿وَتَضَعُ﴾ تُسقط كل امرأة حامل حملها ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾ يترنَّحون ترنح السكران ﴿وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ وليسوا سكارى من الشراب، إنما هو الهولُ الذي يُفقد الرشد والصواب ﴿يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ﴾ يخاصم وينازع في وحدانية الله وقدرته ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ من غير دليل ولا برهان ﴿شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ﴾ يطيع كل عاتٍ متمرِّد على الله ﴿فِى رَيْبٍ﴾ إن شككتم في قدرتنا على إحيائكم بعد الموت ﴿مِّن تُرَابٍ﴾ أصلكم آدم من تراب الأرض، والتراب أبعدُ شيء عن الحياة ﴿مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ﴾ قدر ما يمضغ، مستبينة الخلق ﴿وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ غير مستبينة الخلق، ليس فيها الرأس، واليدان، والرجلان ﴿لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ﴾ كمال قوتكم وعقلكم ﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ يصل إلى الشيخوخة والهرم.

﴿مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ ليعود إلى ما كان عليه حال الطفولة، من ضعف القوة، وسوء الفهم، والشيخوخة، وقلّة السمع والبصر ﴿هَامِدَةً﴾ ترى الأرضَ ميْتةً يابسةً، لا ثمرَ فيها ولا زرع ﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ إذا أنزلنا عليها المطرَ، دبّتْ فيها الحياةُ، فانتفختْ وازدادتْ، وأخرجت من كل صنف عجيب، كذلك يخرج الله الموتى من قبورهم.

الجزء السابع عشر — سورة الحج

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾

﴿هَامِدَةً﴾ يابسة ميتة لا نبات فيها، كالنار إذا طُفئت ﴿ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ﴾ تحركت بالنبات ﴿زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ أخرجت من كل صنفٍ يسرُّ النفس، وهذه حجة أخرى على البعث، فكما يخرج اللّهُ النبات كذلك يحيي الموتى، ولهذا قال: ﴿يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ يحييهم بعد موتهم ﴿ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ﴾ لاوياً عنقه تكبراً وعناداً ﴿خِزۡيٞ﴾ ذلٌّ وهوان ﴿عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ ونذيقه في الآخرة عذاب النار المحرقة ﴿عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ يعبد الله على شكٍ وقلق واضطراب في الدين، وهذا تمثيل للمذبذب في الدين، مثّل له بمن وقف على شفا هاوية يوشك أن يهوي فيها ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ ارتدَّ فرجع إلى الكفر ﴿لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ﴾ بئس هذا الناصر ﴿وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ﴾ وبئس الصاحب المعاشر ﴿لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾ من كان يظن أن الله لن ينصر رسوله محمداً ﷺ ﴿فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ﴾ بحبل إلى سقف البيت ﴿ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ﴾ ثم يختنق به حتى يموت ﴿كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ هل يشتفي مما يجده في صدره من الغيظ؟ والآية تشير إلى الموتة الشنيعة (الشنق) أجارنا الله وإياكم من موتة السوء، وهذا للتهكم ممن يغتاظ من دعوة سيد المرسلين ﷺ، ويحارب دين الإسلام.

تنبيه: كثيراً ما يربط تعالى، بين إخراج النبات من الأرض الميتة، وبين إخراج الموتى من القبور، كقوله سبحانه: ﴿فَأَنشَرۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ روى أحمد في المسند عن أبي رَزِين قال: (قلتُ: يا رسول الله، كيف يحيي الله الموتى؟ وما علامةُ ذلكَ في خلقه؟ فقال: أما مررتَ بوادي أهلكَ مُمحلاً ـ مُجْدباً ـ ثم مررتَ به يهتزُّ خَضِراً؟ قلتُ: بلى، قال: فكذلكَ يُحيي الله الموتى، وذلك آيته في خلقه) رواه أحمد.

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾

ربع الحزب ٣٤ سجدة

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ صدقوا الله ورسوله وهم المسلمون ﴿هَادُوا۟﴾ اليهود ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ قوم يعبدون النجوم ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ أتباع المسيح ﴿وَٱلْمَجُوسَ﴾ عبدة النار ﴿وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ عبدة الأوثان والأصنام ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ أهلَ هذه الملل، الله يقضي بينهم يوم القيامة، فيدخل المؤمنين الجنة، والكفار نار الجحيم، والآية تشير إلى ضلال غير المؤمنين، فاللّهُ لا يقبل بعد ختم الرسالة ديناً سوى الإسلام ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ ﴿يَسْجُدُ لَهُۥ﴾ يخضع وينقاد له كلُّ من في الكون بما فيها الأجرام العظمى، وخصّ الشمس والقمر والنجوم بالذكر، لأنها قد عُبدت من دون الله ﴿خَصْمَانِ﴾ فريقان مختلفان مختصمان، فريق المؤمنين، وفريق الكافرين ﴿ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ فُصِّلَتْ لهم ملابس من نار، وشبهت النار بالثياب، لأنها محيطةٌ بهم كما تحيط الثياب بالأبدان ﴿ٱلْحَمِيمُ﴾ يُصبُّ على رؤوسهم الماء الحار المغلي ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ﴾ يذيب أمعاءهم ويشوي جلودهم ﴿مَّقَٰمِعُ﴾ ولهم مطارق وسياط من الحديد يضربون بها ﴿عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ عذاب جهنم.

تنبيه هام: ذكر تعالى أصحابَ الأديان المختلفة، وعدَّ منهم ستَّ فرق (المسلمون، واليهود، والنصارى، والصابئون، والمجوس، والمشركون) خمسُ فِرَقٍ منهم (للشيطان) وواحدةٌ (للرحمن) فالمسلمونَ أصحابُ الدين الحقّ، والفِرَقُ الباقيةُ أهلُ الضلالة، لأن بعد بعثة خاتم النبيين، لم يعدْ يُقبلُ إلا الإسلامُ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ
﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ
ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ
وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾
وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي
شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ
كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ
مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ
عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ
ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ
نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن
يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ وَأُحِلَّتۡ
لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱجۡتَنِبُواْ
ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾

﴿ ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ ﴾ أرشدهم إلى أفضل القول ﴿ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده ديناً ﴿ وَيَصُدُّونَ ﴾ يمنعون الناس عن حج بيت الله الحرام، والآيةُ إشارة إلى منع المؤمنين يوم الحديبية ﴿ ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِ ﴾ يستوي فيه المقيم بمكة، والبادي القادم من البادية ومن سائر البلاد ﴿ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ ﴾ من يرد ببلد الله الحرام سوءاً ﴿ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ نعذِّبه عذاباً أليماً، **قال مجاهد:** تُضاعف فيه السيئاتُ كما تضاعف فيه الحسنات ﴿ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ ﴾ أرشدناه وألهمناه إلى مكان البيت ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ ﴾ نادهم ليحجوا بيت الله الحرام ﴿ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا ﴾ مشياً على أرجلهم إن لم يجدوا مركباً ﴿ ضَامِرٖ ﴾ وراكبين على كل بعير هزيل، قد أنهكه بُعْدُ السفر ﴿ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴾ يأتي إليك الحجاج من كل طريق بعيد ﴿ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ ﴾ دينية ودنيوية ﴿ فَكُلُواْ مِنۡهَا ﴾ فكلوا من هذه الذبائح ﴿ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴾ الذي اشتدَّ بؤسُه وفقره ﴿ تَفَثَهُمۡ ﴾ يزيلوا وسخهم الذي أصابهم طيلة الإحرام ﴿ وَلۡيَطَّوَّفُواْ ﴾ طواف الإفاضة، وهذا الطوافُ ركنٌ من أركان الحج ﴿ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴾ الكعبة المشرَّفة سُمي البيتَ العتيقَ أي القديم، لأنه أولُ مسجدٍ بُني في الأرض ﴿ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أحكام شريعته من الحلال والحرام ﴿ وَأُحِلَّتۡ لَكُمُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ ﴾ الذبائح من (الإبل، والبقر، والغنم، والماعز) أن تأكلوها بعد الذبح ﴿ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ من المحرَّمات كالميتة، والمنخنقة، والموقوذة، وما ذُبح لغير الله، وسائر المحرَّمات المذكورة في سورة المائدة ﴿ فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ ﴾ عبادة الأوثان التي هي نجسٌ وقَذَر.

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞۖ فَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرۡنَٰهَا لَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾

﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ﴾ اجتنبوا القذر والنجس وهو عبادة الأوثان والأصنام ﴿قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ واجتنبوا الكذب والباطل وشهادة الزور ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾ مائلين عن الباطل إلى الدين الحق «الإسلام» ﴿خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ هذا تمثيل للمشرك في باطله وضلاله، مثّل له بمن هوى على الأرض من شاهق جبل مرتفع، فمزّقته الطير كلَّ ممزّق، أو عصفت به الريح الشديدة فهوت به في الصحراء البعيدة المهلكة ﴿شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ أعلام دينه كالبيت العتيق، والصفا، والمروة، والهدي والذبائح ﴿تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ تعظيم الشعائر من أفعال المتقين لربهم ﴿مَنسَكٗا﴾ مكان عبادة وطاعة ﴿ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾ المتواضعين الخاشعين لعظمة الله ﴿وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ خافت قلوبهم، وارتعشت هيبة منه وإجلالاً ﴿وَٱلۡبُدۡنَ﴾ الإبل والبقر سميت بُدناً لضخامة أجسامها ﴿مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ من معالم دينه تذبحونها على اسم الله ﴿وَجَبَتۡ جُنُوبُهَا﴾ سقطت على الأرض بعد الذبح ﴿ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّ﴾ كلوا من هذه الذبائح، وأطعموا المتعفف، والمعترَّ السائل الذي يطلب الطعام ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ﴾ لن يصل إلى الله شيء منها، إنما يصله تقواكم وطاعتكم لله تعالى بامتثالكم لأوامره.

نصف الحزب ٣٤

تنبيه: إذا كانت الإبلُ والبقرُ، وهي حيواناتٌ مأكولةُ اللحم، تصبح معظَّمة ومشرَّفة من شعائر (دين الله) لأنها أُهديتْ لبيت الله الحرام، فكيف بمحمد ﷺ خاتم الأنبياء، الذي فضّله الله وشرّفه على سائر الأنبياء والمرسلين، ألا يكون احترامه وإجلالُه، وتعظيمُ سُنَّته والتمسك بها، من أعظم شعائر الله!؟

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

﴿يُقَٰتَلُونَ﴾ أذن للمؤمنين أن يقاتلوا أعداءهم، وهذه أول آية نزلت في الجهاد، بعد أن نُهوا عنه في أكثر من سبعين آية ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ بسبب أنهم ظُلموا ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ أخرجوا من أوطانهم ظلماً وعدواناً ﴿يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ لم يكن لهم ذنب إلّا قولُهم ربنا الله، وآمنوا بالرحمن وكفروا بالأوثان ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ﴾ لتهدَّمتْ معابدُ الرهبان ﴿وَبِيَعٌ﴾ كنائس النصارى ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ كنائسُ اليهود ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ للمسلمين ﴿يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ﴾ عائدٌ على المساجد وخصَّها بهذا الوصف تعظيماً لها وتشريفاً، لأنها أماكنُ العبادة الحقَّة ﴿مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ سينصر الله من نصر دينه ورسولَه ﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾ خصَّ موسى بجملة مستقلة، لبيان أنه مع وضوح معجزاته، كذَّبه المشركون فما ظنك بغيره؟ ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أمهلتهم ﴿نَكِيرِ﴾ كيف كان إنكاري عليهم؟ ألم يكن أليماً شديداً؟ ﴿خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ سقطت حيطانها على سقوفها ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ لهلاك أهلها ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ مرفوع البنيان خالٍ من السكان، أليس في ذلك عبرة للمعتبرين!!

تنبيه: قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ..﴾ الآية أي لولا ما شرعه الله من الجهاد، وقتالِ أهلِ الشرك والبغي، لاستولى أهلُ الكفر على أماكن العبادة، لجميع أهل الأديان، فهدَّمت المساجدُ، والكنائسُ، وصوامعُ الرهبان، وتعرَّض المؤمنون في عقائدهم ومعابدهم لأنواع الفتنة، ولذلك جاء التشريع الإلّهيّ بمجاهدة أعداء الله، لدفع شرِّهم وفسادهم.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ﴾ يستعجلك المشركون بالعذاب سخريةً واستهزاءً ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ﴾ اليوم الإلَهي، أي يوم واحد في حساب الله ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ كألف سنة في حساب البشر، فلو تأخر عنهم العذاب خمسين سنة، فإنه كساعةٍ واحدة عند الله ﴿وَكَأَيِّن﴾ كثير ﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ أمهلتها ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ بالعذاب بعد طول الإمهال ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ يظنون أنهم يعجزوننا ﴿تَمَنَّىٰ﴾ حدَّث ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ في حديثه فيبطل الله ما يلقيه الشيطانُ، ويُحكم آياته، هذا ما رواه البخاري عن ابن عباس، **والمعنى**: ما أرسلنا رسولاً ولا نبياً فحدَّث الناسَ بشيء فيه هداية لهم، إلَّا ألقى الشيطان الوساوس والأوهام في طريق دعوته، وأما قصة الغرانيق فهذه باطلة متناً وسنداً، ولا تجوز روايتها ولا الاعتماد عليها لأنها من وضع الزنادقة ﴿فَتُخْبِتَ﴾ تخشع وتسكن له قلوبهم ﴿شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ عداوة شديدة لله ولرسوله ﴿مِرْيَةٍ﴾ في شك وريب من القرآن ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ عذاب يوم القيامة.

تنبيه: العقيمُ: المرأة التي لا تلد، ويوم القيامة سُمي عقيماً، لأنه لا يوم بعده، لأن الزمان قد مضى فلم تعد بعده أيام. **قوله تعالى**: ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ قال البخاري: إذا حدّث ألقى الشيطانُ في حديثه، ويُقال: في قراءته، والمعنى الصحيح للآية: ما أرسلنا قبلك نبياً ولا رسولاً، إلَّا إذا قرأ وتلا ألقى الشيطان في حديثه شبهاتٍ، فيزيل الله ويُبطل ما ألقاه الشيطانُ من الشبهات، التي علقت ببعض النفوس، ثم يُثبت الله الحقَّ المبين، في نفوس المؤمنين.

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٤

﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ الملكُ يوم القيامة لله جلَّ وعلا وحده، لا منازع له فيه ولا مدافع ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ يفصل بين عباده بالعدل، فيدخل المؤمنين جنات النعيم، والكافرين عذاب الجحيم ﴿هَاجَرُوا۟﴾ تركوا الأوطان والديار طلباً لمرضاة الله ﴿ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟﴾ قُتلوا في الجهاد أو ماتوا على فرشهم ﴿مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ﴾ مكاناً يحبونه وهو الجنة ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ﴾ جازى الظالم بمثل ما ظلمه ﴿ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ﴾ ثم عاوده الظالم بالمظلمة ثانية ﴿لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ لينصرنَّ الله ذلك المظلوم ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ﴾ يدخل الليل في النهار، يزيد في النهار وينقص من الليل، وبالعكس ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ هو الإله الحقُّ الذي يصنع الأعاجيب ﴿مَا يَدْعُونَ﴾ وأن الأصنام التي يعبدها المشركون ويجعلونها آلهة ﴿هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ الزائل الذي لا بقاء له ﴿مُخْضَرَّةً﴾ زاهية ناضرة بالخضرة والمنظر البهيج بنزول المطر عليها، فكما أحياها الله بالمطر، يحيي بقدرته البشر.

تنبيه: إيلاجُ الليل في النهار، والنهار في الليل، من آياتِ الله الباهرة، كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ ولو أن إنساناً وُلد في كهف مظلم، ثم خرج إلى الدنيا بعد بضع سنين، فرأى الشمس تشرق في النهار، ثم تغرب في الليل، لفزع ودُهش واضطرب، ولكنَّ الناسَ ألِفوا ذلك، فلم يعد يُثير فيهم الدهشة، ولو أن الشمس أشرقت من المغرب، كما سيحدث في آخر الزمان، لانقطعت أنفاسُ الناس خوفاً وفزعاً.!

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يسّر لكم وسهّل جميع ما تحتاجون إليه، من طعام وشراب، وأنعام ومعادن ﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي﴾ وسخّر لكم السفن العظيمة المثقلة بالأحمال والرجال، تسير فوق سطح البحر بقدرته ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ﴾ يمسكها كيلا تقع على الأرض فيهلك من فيها ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ إلا إذا شاء ذلك ﴿لَكَفُورٌ﴾ إن المشرك مبالغ في الجحود لنعم الله ﴿مَنسَكًا﴾ شريعةً خاصة ومنهاجاً هم عاملون به ﴿فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ فلا يجادلك أحد من المشركين في ما شرعتُ لك، فقد كانت الشرائع في كل عصر وزمان ﴿سُلْطَٰنًا﴾ يعبدون أصناماً لا تسمع ولا تنفع، مما ليس لهم به حجة ولا برهان ﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ ترى في وجوه الكفار الإنكار، والعبوس، والكراهية لسماع الآيات ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ يكادون يبطشون بالذين يتلون آيات الذكر الحكيم ﴿بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ﴾ هل أخبركم بما هو أسوأ وأشنع من بطشكم بالمؤمنين؟ ﴿ٱلنَّارُ﴾ نار جهنم التي تنتظركم، وعدها الله للمكذبين بآياته، المستهزئين بها ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ بئست جهنم المرجع الذي يرجعون إليه.

توضيح وبيان: قوله تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا..﴾ الآية معناها: أن لكل أمة من الأمم السابقة، شريعة ومنهاج خاصٌّ بهم، يتعبَّدون ربهم عليه، وشريعة محمد ﷺ هي (الحنيفية السمحة) شريعة إبراهيم أبي الأنبياء، وهذه الآية كقوله سبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ فالشرائع تختلف من أمة لأمة، ولكنَّ الدين عند الله واحدٌ، هو الإسلام.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

ترتيبها ٢٣ — سُورَةُ المُؤْمِنُونَ — آياتها ١١٨

﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ ضرب الله لكم مثلاً لما تعبدونه من الأصنام والأوثان، فتدبروه واعقلوه ﴿تَدْعُونَ﴾ إن هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله ﴿لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾ لا تقدر على خلق ذبابة، فضلاً عن خلق إنسان ﴿وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ﴾ ولو اتَّحدوا وتعاونوا على ذلك ﴿يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ﴾ وإذا أخذ الذبابُ منهم شيئاً من الأشياء ﴿لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ لا يقدرون على تخليصه منه ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ ضعف العابد الذي يعبد الوثن، والمعبود الذي يعبدونه وهو الصنم!! وفيه معنى التعجب أي ما أضعف الطالبَ والمطلوب!؟ وخصَّ الذباب بالذكر، لأنه أضعف حشرةٍ وأحقرها، لا تقدر الأصنام على خلق مثله، ودفع أذيته، فكيف يجوز أن تكون الأوثان آلهة معبودين؟ ﴿حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ ما عظموا الله حقَّ تعظيمه، إذ جعلوا الأصنام - على حقارتها - شركاء للقويِّ العزيز ﴿يَصْطَفِى﴾ يختار رسلاً من الملائكة، ورسلاً من البشر ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ جاهدوا لإعلاء كلمة الله حقَّ الجهاد ﴿ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾ اختاركم من بين الأمم لنصرة دينه ﴿حَرَجٍ﴾ ضيق ﴿هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ الله ناصركم ومتولي أموركم، فثقوا به وتوكلوا عليه، فنعمَ الوليُّ ونعمَ الناصر!!

سجدة

فائدة: إنما خصَّ الذباب بالذكر ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ لأربعة أمور: (لمهانته، وضعفه، واستقذاره، وكثرته) فإذا كان الذباب أضعف حشرة وأحقرها، لا تستطيع الآلهة المعبودة، على خلق مثله، ودفع أذيّته، فكيف يجوز أن تكون الأوثان آلهة معبودين؟ وهذا من أقوى الحجج في ردِّ الباطل، حيث ضربه تعالى مثلاً، لما يعبدونه من دون الله، بأحقر وأضعف الحشرات.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾

سورة المؤمنون

الجزء ١٨ الحزب ٣٥

﴿أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ فاز المؤمنون وتحقّق ظفرهم ونجاحهم ﴿خَٰشِعُونَ﴾ خائفون متذللون لعظمة الله ﴿عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾ عن المعاصي وسائر القبائح والمنكرات ﴿لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ﴾ يصونونها عن الحرام «الزنى والتكشف» ﴿أَزۡوَٰجِهِمۡ﴾ زوجاتهم ﴿أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ الإماء المملوكات «السراري» ﴿غَيۡرُ مَلُومِينَ﴾ غير مؤاخذين ﴿ٱلۡعَادُونَ﴾ من طلب غير الزوجة والأمَة فهو المعتدي المجاوز الحدَّ في العصيان ﴿يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ﴾ أعلى مراتب الجنان، قال ﷺ: «**أُنزل عليَّ عشر آيات من أقامهنَّ - عمل بهنَّ - دخل الجنة ثم قرأ** ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾» الآيات رواه الترمذي ﴿سُلَٰلَةٖ﴾ من خُلاصة استُلَّت من الطين ﴿نُطۡفَةٗ﴾ منياً ﴿قَرَارٖ مَّكِينٖ﴾ رحم الأم ﴿عَلَقَةٗ﴾ مثل الدودة الرفيعة تعلق في جدار الرحم ﴿مُضۡغَةٗ﴾ قطعة لحم بقدر ما يُمضغ في الفم ﴿عِظَٰمٗا﴾ صيَّرنا قطعة اللحم عظاماً صلبة لتكون عموداً للبدن، ثم نفخنا فيه الروح فصار إنساناً سوياً ﴿سَبۡعَ طَرَآئِقَ﴾ سبع سموات بعضُها فوق بعض، وهي بناء محكم رفيع.

توضيح: رُوي عن عمر بن الخطاب أنه قال: كان إذا نَزل على رسول الله ﷺ الوحيُ، يُسمع عند وجهه كدَويِّ النحل، فلبثنا ذاتَ يوم ساعةً، فاستقبلَ القبلةَ ورفعَ يديه وقال: «**اللهمّ زِدْنا ولا تنقصْنا، وأكرمنا ولا تُهنَّا، وأعطنا ولا تَحْرمنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وأَرْضِنا وارضَ عنا**» ثم قال: «**لقد أُنزل عليَّ عشرُ آيات، من أقامهنَّ دخل الجنةَ**»، ثم قرأ ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ الآيات. رواه أحمد والترمذي.

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِ جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ۙ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

﴿مَاءً بِقَدَرٍ﴾ بمقدار محدَّد يكون به صلاح الزروع والثمار، لا كثيراً فيفسد، ولا قليلاً فلا يكفي ﴿فَأَسْكَنَّاهُ﴾ في الآبار وفي مخازن الجبال، تتفجر منه الأنهار ﴿ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ ونحن قادرون على تغويره في الأرض حتى تهلكوا عطشاً. وهو وعيد وتهديد ﴿مِن طُورِ سَيْنَاءَ﴾ حول جبل الطور وما جاوره من بلاد فلسطين ﴿تَنبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ يخرج منها الزيتُ ﴿وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ وإدام يُؤتدم به وهو الزيتون، وفي الحديث «**كلوا الزيت وادَّهنوا به فإنه من شجرة مباركة**» رواه أحمد ﴿لَعِبْرَةً﴾ لعظة بليغة، تشربون الحليب من بين فرثٍ ودم، دون أن يتلوّث بالأقذار والدماء ﴿الْمَلَأُ﴾ أشراف القوم وسادتهم ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ يريد أن ينال الرئاسة والشرف عليكم ﴿جِنَّةٌ﴾ رجل مجنون ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ﴾ انتظروا حتى يموت ﴿اصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ اصنع السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ بإلهامنا وتعليمنا ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا﴾ أدخل فيها من كل صنف من الحيوان زوجين «ذكراً وأنثى» لئلا ينقطع النسل، ونوح أول من اخترع السفينة، وما كان يُعرف قبله ركوب البحر ﴿جَاءَ أَمْرُنَا﴾ جاء موعدُ إغراقهم وإهلاكهم ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ وفار الماء من التنُّور، الذي يخبز فيه الخبز، وقد جعل الله ذلك علامةً لنوح على إهلاك قومه ﴿وَأَهْلَكَ﴾ واحمل فيها أهلك وأتباعك المؤمنين ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ سبقَ من الله تعالى القولُ بإهلاكه ممن لم يؤمن ﴿تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ لا تسألني الشفاعة في القوم الظالمين، فإنهم مهلكون لا محالة، نهاه تعالى أن يشفع لأحدٍ من الظلمة الفجرة، لأنه سبق القول بهلاكهم.

الجزء الثامن عشر — سورة المؤمنون

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَٰدِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾

﴿ٱسْتَوَيْتَ﴾ علوت على السفينة ﴿مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ أنزلني إنزالاً مباركاً تحفظني فيه من كل سوء ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ الحافظين لعبادك وأوليائك ﴿لَمُبْتَلِينَ﴾ مختبرين العباد بإرسال الرسل ﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ خلقنا بعد قوم نوح قوماً آخرين هم عادٌ ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أفلا تخافون عذاب الله؟ ﴿وَأَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ نعّمناهم في الدنيا ووسعنا عليهم فبطروا وتكبروا ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ بَعُدَ بَعُدَ ما يعدكم به من الحياة بعد الموت ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ يموت جيلٌ ويحيا جيل ﴿بِمَبْعُوثِينَ﴾ ولا بعث ولا نشور ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ صيحة العذاب المدمرة، صاح بهم جبريل صيحة واحدة، وجاءتهم الريح التي أهلكهم الله بها، فماتوا جميعاً ﴿غُثَآءً﴾ هلكى كغثاء السيل التافه الحقير ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سُحقاً لهم وهلاكاً

ربع الحزب ٣٥

﴿قُرُونًا ءَاخَرِينَ﴾ أمماً أخرى كقوم صالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وفي الآية إيجازٌ بالحذف تقديره: أرسلنا إليهم الرسل، فكذّبوهم فأهلكناهم ودمّرناهم، دلَّ عليه قوله: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ أي ما تتقدم أمة على الوقت الذي عُيّن لهلاكها، ولا تتأخر عنه.

تنبيه: لم يذكر القرآن اسم الرسول، ولا اسم القوم في هذه القصة، حيث قال: ﴿أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ لأن ذلك معروف من تاريخ الأمم، وقصص الأنبياء، فإن الذين جاءوا من بعد قوم نوح، هم قوم (عاد) ونبيُّهم هو (هود) عليه السلام، لقوله سبحانه في الأعراف: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ فدلَّ ذلك عنهم بيقين.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا
كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ
أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ
هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا
وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ
﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا
ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ
﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ
فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا
نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ
﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم
بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

﴿مَا تَسْبِقُ﴾ لا تتقدم الأمة المهلكة عن الوقت المحدّد لهلاكها ولا تتأخر عنه ﴿رُسُلَنَا تَتْرَا﴾ أرسلنا الرسل متتالين، يتبع بعضهم بعضاً ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أحاديث عجيبة، يتحدث الناس عن أخبار هلاكهم ﴿فَبُعْدًا﴾ هلاكاً ودماراً ﴿وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ حجة واضحة ﴿قَوْمًا عَالِينَ﴾ متكبّرين متمرّدين، بالبغي والظلم ﴿وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ معجزة عظيمة تدلُّ على عظيم قدرتنا ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ مكان مرتفع ﴿وَمَعِينٍ﴾ ماءٍ جارٍ ظاهر تراه العيون ﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد هو الإسلام ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ خافوني واحذروا عقابي ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ تفرقت الأمم في أمر دينهم ﴿زُبُرًا﴾ فرقاً عديدة: يهودي، نصراني، مجوسي، بعدما أمروا بالاجتماع ﴿فَرِحُونَ﴾ كل جماعة وفرقة مسرورة بما هي عليه من الدين الأعوج ﴿فِى غَمْرَتِهِمْ﴾ اتركهم في جهالتهم وضلالتهم إلى حين موتهم ﴿أَيَحْسَبُونَ﴾ هل يظنون أن سعة الرزق، وكثرة الأموال والأولاد، لخيرهم وإكرامهم؟ لا، بل هو استدراج لهم ﴿خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾ جلال الله وعظمته ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ خائفون يخشون عقابه وعذابه.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ لفظ البشر يطلق على المفرد، والجمع، فمن إطلاقه على الفرد قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ومن إطلاقه على الجمع قوله تعالى: ﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ والمراد بالبشرين ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ﴾ أي رجلين هما «موسى» و«هارون» عليهما السلام.

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠)
أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) وَلَا نُكَلِّفُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٢)
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا
عَامِلُونَ (٦٣) حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ
(٦٤) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ (٦٥) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي
تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ
بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ
آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٨) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ
(٦٩) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ
كَارِهُونَ (٧٠) وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن
ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ (٧١) أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ
وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٢) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٣)
وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (٧٤)

﴿يُؤْتُونَ مَا آتَوا﴾ يعطون العطاء من إحسان وصدقات ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خائفة ألّا يتقبل الله منهم أعمالهم، قرأت أم المؤمنين عائشة هذه الآية فقالت: يا رسول الله، أهو الذي يزني، ويسرق، ويشرب الخمر، وهو يخاف الله عزّ وجلّ؟ فقال لها ﷺ: «**لا، يا بنت الصدّيق!! ولكنه الذي يصلّي، ويصوم، ويتصدّق، وهو مع ذلك يخاف الله ألّا يتقبّل منه**» رواه أحمد والترمذي ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾ لا نكلف أحداً إلا بما في طاقته ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ في غفلة وعماية عن دين الله ﴿إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ﴾ يصرخون مستغيثين لرفع العذاب ﴿لَا تُنصَرُونَ﴾ لا تُمنعون من عذابنا فلا ينفعكم صراخ ولا استغاثة ﴿تَنكِصُونَ﴾ ترجعون معرضين عن سماع الآيات ﴿سَامِرًا تَهْجُرُونَ﴾ تسهرون الليل للسّمر حول بيت الله الحرام للطعن في القرآن والاستهزاء به، **قال ابن عباس:** كان المشركون يتحلّقون حلقاً حول البيت يتحدثون ويطعنون بالقرآن ﴿بِهِ جِنَّةٌ﴾ به جنون ﴿خَرْجًا﴾ هل تسألهم أجراً على تبليغ الدعوة؟ ﴿فَخَرَاجُ رَبِّكَ﴾ أجره وثوابه خير من كل شيء ﴿لَنَاكِبُونَ﴾ لعادلون عن الحق منحرفون عنه.

توضيح: قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ في الآية استعارة بديعة، شبّه ما هم فيه من الجهالة والضلالة، بالماء الذي يغمرهم من فَرْقهم إلى قدمهم، كأنهم غارقون في الضلالة، وأصلُ الغمرة: الماء الذي يغمر القامة، والمراد بالآية هنا: انهماكهم في الباطل والضلال، بطريق الاستعارة اللطيفة.

۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

نصف الحزب ٣٥

﴿لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ﴾ لو رفعنا عنهم البلاء لتمادوا في ضلالهم وكفرهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يعمون عن الرشد، والعمهُ يكون في القلب، كما أن العمى يكون في البصر ﴿فَمَا ٱسْتَكَانُواْ﴾ ما خضعوا للهِ ولا تواضعوا له ﴿وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ ولا يدعون ربهم لكشف البلاء، لجبروتهم وكبريائهم ﴿مُبْلِسُونَ﴾ آيسون من كل خير ﴿ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم وبثّكم في الأرض بطريق التناسل ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تُجمعون للحساب والجزاء ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ خرافات وأباطيل الأمم السابقة ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ من بيده المُلْك الواسع التام؟ ومن بيده خزائنُ السموات والأرض؟ ﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ وهو يحمي من استجار به والتجأ إليه، ولا يقدر أحد أن يغيث منه أحداً؟ ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ سيقولون: الله وحده له الملك والتدبيرُ، والتصرف في خلقه ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ كيف تُخدعون وتُصرفون عن الحق إلى الباطل؟ وكيف يُخيَّل لكم الحقُّ باطلاً والصحيح فاسداً؟

سبب النزول: لمَّا أسر (ثُمامةُ) في أيدي المسلمين ـ وكان رئيساً في قومه ـ خلَّى رسولُ الله ﷺ سبيله، فأسلم ورجع إلى نجد، ومنع الميرةَ عن أهل مكة، وقال: والله لا يأتيكم من اليمامة حبَّةُ حنطة، حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ، وأخذَ اللهُ قريشاً بالقحط والجدب، حتى أكلوا الميتة والكلاب والحشرات، فجاء أبو سفيان مستنجداً برسول الله ﷺ وقال: أنشدك الله والرَّحم، هلك قومك، فادعُ الله أن يكشف عنهم الضر، فنزلت الآية ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّواْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ وذلك لشدة عتوّهم وضلالهم!!

بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

﴿لَكَٰذِبُونَ﴾ في ما ينسبونه إلى الله من الشركاء والأبناء ﴿مِن وَلَدٍ﴾ لا من الملائكة ولا من البشر ﴿مِنْ إِلَٰهٍ﴾ وليس معه من يشاركه في الألوهية ﴿بِمَا خَلَقَ﴾ لو كان معه إلّه لانفرد كل إلّه بخلقه ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ﴾ غلب القويُّ الضعيفَ وقَهره وسلب منه ملكه كما يفعل ملوك الدنيا ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ تنزّه الله عما يصفه به الظالمون ﴿أَعُوذُ بِكَ﴾ أعتصم بك ﴿مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ من وساوس الشياطين في الإفساد والإغراء ﴿أَن يَحْضُرُونِ﴾ وألتجئ إليك يا رب أن يصحبوني في نفسي وأهلي ﴿بَرْزَخٌ﴾ وأمامهم حاجز يمنعهم من الرجوع إلى الدنيا هو «القبر» ﴿فَلَآ أَنسَابَ﴾ لا نسب ولا قرابة تنفعهم ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ تحرقها بشدة لهيبها ﴿كَٰلِحُونَ﴾ سود الوجوه، مشوَّهو المنظر، وفي الحديث: **«تشويه النارُ فتتقلَّص شفته العُليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفتُه السفلى حتى تضرب سرَّته»** رواه الترمذي، والكلوحُ: تغيُّرُ شكل الوجه إلى المنظر القبيح، وخصَّ الوجوهَ بالذِّكر، لأنها أشرف الأعضاء.

تنبيه: دلّ قولُه تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ على عالَم البرزخ، والعوالمُ ثلاثة: (عالَم الدنيا، وعالَمُ البرزخ، وعالَمُ الآخرة) وعالَمُ البرزخ وسطٌ بين الدنيا والآخرة، قال مجاهد: البرزخُ: الحاجز ما بين الدنيا والآخرة إلى يوم البعث، وهو (القبرُ) والقبرُ أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أهون، وإن لم ينج منه، فما بعده أشدُّ وأصعب، كما ورد به الحديث الشريف، وفي القبر سؤالٌ وجواب، ونعيمٌ أو عذاب، نسأله تعالى أن ينجينا من عذاب القبر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

سورة النور

ثلاثة أرباع الحزب ٣٥

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا﴾ هذه سورة عظيمة الشأن، أنزلناها عليكم يا معشر المؤمنين ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ فرضنا ما فيها من الأحكام ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ من زنى من النساء أو الرجال ﴿فَاجْلِدُوا﴾ اجلدوه مائة جلدة، عقوبة له على جريمته الشنيعة ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾ رحمة وشفقة بتخفيف العقوبة ﴿طَائِفَةٌ﴾ جماعة من المؤمنين، ليكون ذلك أبلغ في زجرهما ﴿الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ لا يليق بالزاني أن يتزوج بالمرأة العفيفة الشريفة، إنما ينكح فاجرة أو أخسّ منها، كالمشركة الوثنية، كما قيل: «**والجنسُ بالفه الجنسُ**» ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفيفات الشريفات ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ رجال عدول يشهدون عليهن بالفاحشة ﴿فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ اضربوا كل واحد ثمانين ضربة بالسوط ﴿يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ بالزنى ﴿شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ﴾ ليس عندهم شهود سوى أنفسهم، يلاعن فيقول أربع مرات: أشهد بالله إني لصادق في ما رميتها به من الزنى، وفي المرة الخامسة: لعنةُ الله عليه إن كان كاذباً، ثم تُلاعنُ هي أربع مرات تشهد أنه كاذب ثم يُفرَّق بينهما فرقة مؤبدة، ولا يُقام عليها الحدُّ وهذا معنى قوله: ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ أي يدفع عنها الحدَّ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ﴾ جوابُ «لولا» محذوفٌ لتهويل الأمر وتفظيعه، تقديره: لولا فضل الله العظيم عليكم، لهلكتم وافتضحتم بين الناس.

توضيح: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ لفظٌ يعمُّ الرجالَ والنساء، أي يرمون المؤمنَ العفيف، والمؤمنةَ العفيفة، فمن لم يكن محصناً عفيفاً، فلا حرمة له ولا كرامة، وليس على قاذفه حدٌّ، إذا كان يعلن الفجور، طالما هو ملوّثٌ بالقذارة والنجاسة، ولا يخجل من مقارفة جريمة الزنى.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾

﴿ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ مضت عقوبات الأمم المكذِّبة، جمعُ مَثُلَة وهي العقوبة ﴿ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ معجزة تدلُّ على صدق رسالته ﴿تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ﴾ ما تلده قبل التمام ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ إلى تمام تسعة أشهر فتلده تاماً، فالمراد بالغيض: السقطُ الناقصُ، وبالازدياد: الولدُ التام ﴿ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما غاب عن الأنظار وما هو مشاهدٌ بالأبصار ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم﴾ يتساوى عند الله ﴿مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ﴾ من أخفى الكلام ومن أعلنه ﴿مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾ مستترٌ بمعاصيه في ظلمات الليل ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ ومستعلنٌ بفجوره في وَضَح النهار، الكلُّ عند الله سواء ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ للإنسان ملائكة يتعاقبون في حفظه وكتابة أعماله ﴿وَالٍ﴾ ناصر يدفع عنهم عذاب الله ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ خوفاً من الصواعق، وطمعاً في الرحمة والمطر ﴿ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ السحب الكثيفة المحمَّلة بالمياه الغزيرة.

تنبيه: أمرُ السحابِ عجيبٌ، يحمل معه الرحمةَ والعذابَ، يحمل الماءَ وفيه الرحمةُ والإحياءُ، ويحملُ الصواعقَ وفيها العذابُ والإفناءُ، والجمعُ بينَ النقيضين من أسرار القدرة الباهرة، كما قيل:

جَمْعُ النَّقِيضَيْن من أسْرارِ قُدْرتِه هَـذَا السَّـحَـابُ بـهِ مَـاءٌ بـه نَـارُ

سبب النزول: بعث رسول الله ﷺ صحابياً إلى رجل من فراعنة قريش، وقال له: (اذهب فادْعُه لي، فذهب إليه وقال له: رسولُ الله يدعوك!! فقال: أخبرني عن إله محمد، أمنْ ذهبٍ هو؟ أم من فضة؟ أم من نحاس؟ يقول ذلك استهزاءً بالرب وبالرسول، فبينما هو يجادله إذ بعث الله سحابةً، أبرقتْ وأرعدتْ، ونزلت منها صاعقةٌ، ذهبت برأس ذلك الشقي) رواه البزار ﴿ٱلْمِحَالِ﴾ القوة والبطش، ينتقم من الكفرة المجرمين.

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

﴿جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ الإفكُ: أسوأ الكذبِ وأقبحه، والمراد به هنا: رميُ السيدة عائشة الطاهرة بالفاحشة، وهذه أضخم جريمة يرتكبها المنافقون في حقِّ أهل «بيت النبوة» ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ جماعة شرِّيرة من المنافقين ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم﴾ لا تظنوا يا آل بيت أبي بكر أنه شرٌّ لكم ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لما فيه من الشرف العظيم، بنزول الوحي من السماء ببراءتها وطهارتها ﴿تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ أشاع معظم هذه الجريمة، وهو (ابن سلول) ﴿لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ سيعذبه الله أشد أنواع العذاب، لأنه آذى النبي ﷺ في أهله ﴿إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ كذب واضح وبهتان مبين!! ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ تتناقلونه بينكم ويرويه بعضكم عن بعض، ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا﴾ وتظنونه ذنباً صغيراً وهو من أعظم الجرائم عند الله ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ هلَّا إذ سمعتم هذه الفرية أنكرتموها من أول مرة وقلتم: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تعجب من شناعة الإفك أي سبحانك يا رب ﴿هَٰذَا بُهْتَٰنٌ﴾ أي كذب واضح مكشوف، عظيم الذنب والجرم ﴿تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ تنتشر المنكرات والرذائل، والأعمال القبيحة بين المؤمنين، وأشنعُها التكشُّف، والتعرِّي، والزنى الذي يدمِّر المجتمعات، وتشمل هذه الآيةُ (إشاعةُ الفاحشة) كلَّ من ساهم بنشر المجلَّات الخليعة، والصور العارية، والقنوات الفضائية التي تعرض أجساد النساء العاريات، لإغراء الشباب بمشاهدة هذه القنوات، ترويجاً للرذيلة في ديار المسلمين، نسأل الله لهم الهداية والصلاح.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

الحزب ٣٦

﴿خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ لا تسلكوا طُرق الشيطان ومذاهبه وآثاره ﴿يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ بكل ما عَظم قبحه من الذنوب ﴿وَالْمُنكَرِ﴾ بكل عملِ خبيث ﴿مَا زَكَىٰ﴾ ما تطهّر أحد منكم من دنس الآثام أبد الدهر ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ﴾ لا يحلف أهل الفضل في الدين ﴿وَالسَّعَةِ﴾ في الرزق ﴿أُولِي الْقُرْبَىٰ﴾ الأقارب والفقراء ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ ليعفوا عما صَدَر منهم من ذنب، وليعودوا إلى إحسانهم لهم. نزلت في «أبي بكر» رضي الله عنه «كان له قريب يسمى «مسطح» وكان ينفق عليه لقرابته وفقره، فلمَّا تكلم في الإفك، حلف أن لا ينفق عليه، ولا ينفعه بنافعةٍ أبداً»، فأنزل الله الآية، فقال أبو بكر: «واللّهِ يا ربّ إني لأحبُّ أن تغفر لي، فأعاد إلى مسطح النفقة وقال: واللّهِ لا أنزعها منه أبداً» رواه الترمذي ﴿يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفيفات السليمات الصدور ﴿لُعِنُوا﴾ طُردوا من رحمة الله ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ والطيبات من النساء للطيبين من الرجال، وهذه شهادة من الله بطهارة وطيب أم المؤمنين (عائشة) لأن رسول الله أطيب الرجال فهي إذاً أطيب النساء، وكفى بشهادة الله شهادة!! ﴿تَسْتَأْنِسُوا﴾ تستأذنوا ﴿وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ وتحيُّوا أهلها بتحية الإسلام «السلام عليكم» فإنها التحية المباركة من عند الله.

تنبيه: لم يُذكر في القرآن لفظُ اللعن، إلّا في حقِّ زوجات النبي ﷺ ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لتفخيم الأمر وتعظيمه، **قال ابن عباس**: هذا اللعنُ في حقِّ من قذَفَ زوجاتِ النبيِّ ﷺ إذ ليس له توبةٌ، ومن قذف مؤمنةً جعل الله له توبة، تفسير ابن كثير.

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

﴿ارْجِعُوا﴾ إن طلب منكم الرجوع فارجعوا ولا تُلحُّوا ﴿أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ أفضل لكم وأطيب ﴿مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ منفعة ﴿يَغُضُّوا مِنْ﴾ يكفُّوا نظرهم عن المحرمات ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ يصونوا فروجهم عن الزنى ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ بدون قصد ولا نية سيئة، كما لو هبت الريح فكشفت عن شيء من زينتها أو جسدها ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ يسترن بالخمار غطاء الرأس ﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ الأعناق والصدور، والجيوب جمع جَيْب وهو مكان فتحة الصدر من الثوب أي يسترن أعناقهن وصدورهن بالخمار، وفي لفظ الضرب مبالغةٌ في الصيانة والتستر ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ لا يظهرن شيئاً من زينتهنَّ ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ أزواجهن ﴿أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ ابن زوجها من غيرها ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ المسلمات ﴿مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ الإماء المملوكات دون العبيد من الرجال ﴿أَوِ التَّابِعِينَ﴾ الخُدَّام البله الذين لا رغبة لهم في النساء، وليس لهم شهوة كالحمقى والمغفَّلين ﴿أَوِ الطِّفْلِ﴾ الأطفال الصغار دون سن البلوغ ﴿لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ لا تميل نفوسهم إلى العلاقات الجنسية لصغر سنهم، لأنهم لم يبلغوا سنَّ الشهوة ﴿مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ لا تضرب برجلها الأرض، لئلا يسمع الرجال صوت الخلخال، فتتحرك شهوتهم نحو النساء، وإذا كان سماع صوت خلخالها حراماً، فإن سماع صوتها بالغناء الماجن، الذي يحرّك الشهوات حرامٌ من باب أولى، فَلْيَتَّقِ اللهَ المبيحون للغناء بأصوات النساء الفاتنات، فالأمر جدٌّ خطير، واستحلالُ ما حرَّم اللهُ يُتلف دينَ الإنسان!!

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ﴾ زوّجوا كلَّ من لا زوج له من الرجال والنساء، ﴿عِبَادِكُمْ﴾ العبيد المماليك ﴿وَإِمَآئِكُمْ﴾ الجواري المملوكات أي زوّجوا عبيدكم وجواريكم لتعفُّوهم عن الزنى ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ﴾ فإن الله يغنيهم من فضله، وفي الحديث: «**ثلاثة حق على الله عونهم: الناكحُ يريد العفاف، والمكاتَب يريد الأداء، والغازي في سبيل الله**» رواه أحمد ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ﴾ يطلب العفة عن الزنى ﴿لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ مالاً يتزوجون به ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ حتى يوسّع الله عليهم ويرزقهم من فضله ﴿فَتَيَٰتِكُمْ﴾ الإماء المملوكات ﴿عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ الزنى ﴿تَحَصُّنًا﴾ تعففاً عنه ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ اللّهُ جلَّ وعلا نوَّر السموات والأرض بالكواكب المضيئة، فبنوره يهتدي المهتدون **قال الطبري**: يعني هادي أهل السموات والأرض ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ مثلُ نور الله في قلب عبده المؤمن ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾ الكوَّة في الحائط غير النافذة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ هو السراجُ ﴿كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾ كأن الزجاجة لصفائها وحسنها تشبه الكوكب المتلألئ اللامع، وخلاصة هذا المثل: أن قلب المؤمن يسطع بالإيمان، كما يسطع المصباح بنوره الوضاء، فمثلُ نور المؤمن كالمصباح المضيء، ولا يُراد به نور الله، فالله لا مثيل له ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ فهو تمثيل لنور المؤمن في صدر الإنسان، فتنبَّهْ لهذا رعاك الله.

ربع الحزب ٣٦

قال الطبري: هذا مثلٌ ضربه الله للقرآن، في قلب أهل الإيمان، مثلُ نور الله لعباده، مثل كوَّة في الحائط فيها سراج، وهذا السراج مثَلٌ لما في قلب المؤمن، من القرآن والآيات البينات.

رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾

﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ﴾ لا تشغلهم تجارة الدنيا عن طاعة الله ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ عصيباً ﴿تَتَقَلَّبُ﴾ تضطرب قلوب الناس وأبصارهم من شدة هوله ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ عطاء بلا حدٍّ ولا عدٍّ، ثم ضرب مثلاً لأعمال الكفار فقال: ﴿أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ﴾ السرابُ ما يتراءى للإنسان وسط النهار عند اشتداد الحرّ يشبه الماء ﴿بِقِيعَةٍ﴾ أرضٍ مستوية ممتدة مثل الصحراء ﴿ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ يظنه العطشان ماءً جارياً من بعيد وليس بماء ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ لم ير ماءً ولا شراباً، وإنما رأى سراباً فعظمت حسرته ﴿بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ مثلٌ آخر لعمل الكافر، مثله كمثل ظلماتٍ حالكة متكاثفة في بحرٍ عميق لا يُدرك قعره ﴿يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ﴾ يعلوه موج متلاطمٌ بعضه فوق بعض ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ ظلمة البحر، وظلمة الموج، وظلمة السحاب ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا﴾ لأن هذه الظلمات حجبت عنه رؤية كل شيء، حتى أقرب شيء إليه. حكي أن أحد رُبّان السفن سمع هذه الآية، فسأل: هل ركب محمد البحر؟ قالوا: لا، قال: أشهد أنه رسول الله حقاً، لأن هذا الوصف لا يعرفه إلا من عاش عمره في البحار، ثم أسلم ﴿يُزْجِى﴾ يسوق السحاب ﴿ٱلْوَدْقَ﴾ المطر ﴿سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ لمعانُ وضياء البرق ﴿يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ﴾ يخطف أبصار الناظرين من شدة لمعانه ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ المرادُ بالسماء جهةُ العلوّ أي ينزّلُ اللهُ من السحاب من جهة السماء، بَرَداً عظيماً يشبهُ الجبالَ كثرةً وضخامة، والآية صريحةٌ أنَّ المطر ينزل من السحاب، لا من السماء الحقيقية، لقوله سبحانه ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي ترى المطرَ يخرج من بين ثنايا السحاب.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ هذا تمثيل رائع، للظلمات التي يتخبط بها الكافر، قال قتادة: الكافر يتقلّب في خمسٍ من الظُّلَم: فكلامُه ظلمةٌ، وعملُه ظلمة، ومدخلُه ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيرُه إلى ظلمات الجحيم.

يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ﴾ يعاقب بينهما بالطول والقصر، والحرّ والبرد، والظلمة والنور ﴿لَعِبْرَةً﴾ عظة بليغة ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ أصحاب البصائر المستنيرة ﴿دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ﴾ أي خلق كل ما يدبُّ على وجه الأرض من عنصر الماء ﴿مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ كالزواحف والحيّات ﴿عَلَىٰ رِجْلَيْنِ﴾ كالطير والإنسان ﴿يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ كالأنعام وسائر الدواب، وقدّم الذي يمشي على بطنه، لأنه أعجبُ وأظهرُ في القدرة ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ يقول المنافقون: آمنا بالله وبرسوله ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ﴾ يعرض عن قبول حكمك يا محمد ﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وليسوا صادقين في دعوى الإيمان ﴿مُذْعِنِينَ﴾ إن كان الحقّ بجانبهم، جاءوا إليك خاضعين طائعين ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هل كان إعراضهم بسبب مرض النفاق؟ ﴿أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟﴾ أم

نصف الحزب ٣٦

شكُّوا في أمر نبوتك؟ ﴿يَحِيفَ ٱللَّهُ﴾ أم يخافون أن يظلمهم رسولُ الله ﷺ في الحكم؟ وذكرُ اسم (الله) لتعظيم شأن حكم الرسول ﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ الأيمان المغلَّظة ﴿لَيَخْرُجُنَّ﴾ إن أمرتهم بالخروج للجهاد ليخرجنَّ معك ﴿طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ لا تقسموا فطاعتكم معروفة باللسان لا بالقلب.

سبب النزول: هذه الآية نزلت في المنافقين، ومعنى الآية الكريمة: حلفَ المنافقونَ أغلظَ الأيمانِ وآكَدها، لئن أمرتَهم بالخروج إلى الجهاد ليخرجنَّ معك!! قل لهم: لا تحلفوا فأيمانُكم كاذبة، وطاعتكُم لله ورسوله معروفة، قولٌ باللسان دون القلب، وبالكلام دون العمل، والله عالمٌ بأحوالكم ونفاقكم، لا تخفى عليه خافية، ففيهم نزلت ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ..﴾ الآية.

الجزء الثامن عشر — سورة النور

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ طاعة صادقة منبثقة عن إيمان ويقين ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ فإن تتولوا أي تعرضوا عن طاعته ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ على الرسول ما أمر به من تبليغ الرسالة ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾وعليكم ما كلفتم به من السمع والطاعة ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ إن أطعتم أمره اهتديتم لطريق السعادة ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يجعلهم فيها خلفاء يتصرفون فيها تصرُّف الملوك في ممالكهم ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ﴾ وليجعلنّ دينهم الإسلام عزيزاً مكيناً، ويعليه على جميع الأديان ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم﴾ يغيّر حالهم من الخوف والفزع، إلى الأمن والاستقرار، رُوي عن أُبيّ بن كعب قال: (لمَّا قدم رسول الله المدينة رمتهم العربُ عن قوسٍ واحدة - يعني اتحدوا على حربهم - فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح، ولا يُصبحون إلا فيه، فقالوا: أترون أنا نعيش حتى نبيتَ آمنين مطمئنّين، لا نخاف إلا الله!!) فنزلت الآية، رواه البيهقي ﴿مُعْجِزِينَ﴾ هل يحسب الكفار أنهم يعجزون الله في هذه الدنيا؟ وهل يظنون أنهم ناجون من عذاب الله؟ ﴿وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ مسكنهم نار جهنم ﴿الْحُلُمَ﴾ سن البلوغ ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ﴾ ثلاث أوقات عرضة للتكشف وظهور العورات ﴿جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ ليس عليكم حرج، أن تدخلوا بدون استئذان بعد هذه الأوقات.

سبب النزول: رُوي أن الرسول ﷺ بعث غلاماً إلى (عمر بن الخطاب) وقت الظهيرة، فجاء فوجده نائماً، فدقَّ عليه الباب ودخل، فاستيقظ عمر وقد انكشف منه شيء، فقال: وددتُ أن الله نهى أبناءنا وخدمنا، عن الدخول في هذه الساعات إلَّا بإذن!! فنزلت ﴿لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ..﴾ الآية.

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

﴿ٱلْحُلُمَ﴾ بلغ الأطفال مبلغ الرجال ﴿فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟﴾ فعلموهم أدب الدخول، بالاستئذان كما يستأذن الرجال البالغون ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ النساء العجائز ﴿لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ ليس لهن رغبة في الزواج لكبر سنهنَّ ﴿جُنَاحٌ﴾ إثم ولا حرج ﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ ألَّا يرتدين الجلباب الذي ترتديه الفتاةُ، وأن يظهرن بالثياب المعتادة ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ﴾ غير مظهرات للزينة ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ وأن يستترن بارتداء الجلباب كما تلبسه الشابات خير لهنَّ وأكرم ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ ليس على أهل الأعذار «الأعمى، والأعرج، والمريض» إثم في عدم الغزو لضعفهم وعجزهم ﴿تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ﴾ وليس عليكم إثم أن تأكلوا من بيوت أهليكم وأقاربكم كبيوت الإخوة، والأخوات، والأعمام، والعمات، ولا يشترط في هذا الاستئذان ﴿مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ﴾ البيوت الموكلون عليها وتحت تصرفكم ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ بيوت أصدقائكم وأصحابكم ﴿أَشْتَاتًا﴾ أن تأكلوا متفرقين، أو تأكلوا مجتمعين ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ ليسلّم بعضكم على بعض بتحية الإسلام المباركة (السلام عليكم ورحمة الله) وهي التحية التي شرعها الله لعباده المؤمنين، وهي تحية أهلِ الجنة في الجنة.!

سبب النزول: قالت عائشة: كان المسلمون يذهبون مع رسول الله ﷺ إلى الجهاد والغزو، ويدفعون مفاتيحهم إلى أصدقائهم، ويقولون لهم: قد أحللنا لكم الأكل منها، فكانوا يتحرَّجون من الأكل، ويقولون: نحن أمناءُ عليها، فنزلت الآية تبيح لهم الأكل من بيت الأقرباء والأصدقاء.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الفُرْقَانِ (٢٥) (٧٧)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

﴿أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ أمرٍ مهم يجب اجتماعهم له، كأمر الحرب والجهاد ﴿لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ لم يتركوا مجلسه حتى يستأذنوا الرسول، نزلت في غزوة الخندق، كان المؤمنون يستأذنون الرسول لضرورة، وكان المنافقون يذهبون بغير استئذان ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ﴾ لا تنادوا الرسول ﷺ باسمه العلم فتقولوا: يا محمد ﴿كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ كما ينادي بعضكم بعضاً فيقول: يا خالد، يا أحمد، بل قولوا: يا نبيّ الله، ويا رسول الله، تعظيماً لمقامه وتفخيماً لشأنه،

ثلاثة أرباع الحزب ٣٦

قال قتادة: أمرهم أن يشرِّفوه ويفخّموه ﴿يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ﴾ قد علم الله من ينسلُّ منكم من مجلس الرسول خفية وتستراً ﴿لِوَاذًا﴾ يستتر بعضهم ببعض لئلا يراه الرسول ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ فليخف الذين يخالفون أمر الرسول ﷺ ﴿أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ أن تنزل بهم محنة عظيمة في الدنيا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ينالهم عذاب شديد في الآخرة، والتسلُّلُ: الخروجُ في خفية، واللِّواذُ: تستُّرُ بعضهم ببعض للهرب، كمن يحتمي بغيره لئلا يُرى، وهذا عمل المنافقين.

سورة الفرقان

﴿نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ القرآن العظيم المعجز، الفارق بين الحق والباطل، والهدى والضلال ﴿عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ محمد ﷺ ﴿لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ لجميع الخلق من الإنس والجن ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ خلقه بإتقان وإحكام، بحكمته وتدبيره، فكلُّ خلق الله بديع، ومهيأٌ لما يصلح له.

وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ
افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا
﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا
مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ
لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰ
إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ انظُرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ
كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

﴿مَوْتًا وَلَا حَيَاةً﴾ لا تملك الآلهة أن تميت أحداً ولا أن تحييه ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ ولا بعثهم من القبور ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ ما هذا القرآن إلا كذب اخترعه محمد من عند نفسه ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ﴾ وساعده على هذا الاختلاق قوم من اليهود ﴿ظُلْمًا وَزُورًا﴾ جاءوا بالظلم والبهتان، إذ جعلوا أفصح لسان وأبدع بيان، يتلقَّنه محمد من أناسٍ لا يعرفون اللغة العربية ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ خرافات وأحاديث الأولين ﴿اكْتَتَبَهَا﴾ استكتبها غيره ولم يقولوا: كتبها لأنهم يعرفون أنه ﷺ أميٌّ لئلا يُنسبوا إلى الكذب ﴿تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ تُلقى وتُقرأ عليه ليحفظها ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ في الصباح والمساء ﴿مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ﴾ ما شأنُ هذا الرسول يأكل كما نأكل وفي قولهم ﴿الرَّسُولِ﴾ تهكم واستهزاء، لأنهم لا يؤمنون برسالته ﴿إِلَيْهِ مَلَكٌ﴾ هلّا رافقه مَلَك ليشهد له بصدق الرسالة!! ﴿كَنزٌ﴾ يهبط عليه كنزٌ من السماء، ليستغني به عن طلب المعاش!! ﴿لَهُ جَنَّةٌ﴾ يكون له بستان مثمر يأكل من ثماره!! ﴿رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ غلب السحر على عقله ﴿ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ الأقاويل العجيبة، الجارية مجرى الأمثال ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ طريقاً للوصول إلى الحق ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ هيأنا ﴿سَعِيرًا﴾ ناراً حامية مستعرة.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي قال السفهاء في حق القرآن: إنه خرافاتُ الأمم السابقين، أمر محمد أن تُكتب له، فهي تُقرأ عليه ليحفظها صباحاً ومساءً!! لقد أعجز القرآن بفصاحته العرب، فلمَّا تحدّاهم قبعوا في جحورهم، وأخذوا يخوضون فيه بالكذب والبهتان، وحتى لا يكون كذبهم مكشوفاً، قالوا: ﴿اكْتَتَبَهَا﴾ أي طلب من يكتبها له، لأنه ﷺ أميٌّ لا يعرف قراءةً ولا كتابة.

إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

﴿تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ إذا رأتهم جهنم سمعوا صوت لهيبها وغليانها، كالغضبان الذي غلا صدره من الغيظ، وسمعوا لها زفيراً أي أنيناً كأنين المحزون ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ مقرونة أيديهم إلى أعناقهم بالأغلال، في مكان ضيّق من جهنم ﴿ثُبُورًا﴾ دعوا على أنفسهم بالهلاك فقالوا: يا شقاءنا وهلاكنا ﴿ثُبُورًا وَٰحِدًا﴾ لا تدعوا بالهلاك مرة واحدة، بل ادعوا مراراً وتكراراً ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ أتلك السعير خير أم جنة الخلد؟ وهو أسلوب تقريع وسُخرية، فإنه لا يُقال العذاب خيرٌ أم النعيم؟ إلا على طريق السخرية ﴿وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾ موعوداً كريماً يجدُرُ بالعاقل أن يسأل عنه ويطلبه!! ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ جمعهم للحساب ويجمع كل من عُبد من دون الله كعيسى، وعزير، والملائكة، ويسألهم تعالى ﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى﴾؟ هل أنتم دعوتموهم إلى عبادتكم؟ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ ننزهك عن أن يكون معك آله ﴿مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ تمتعوا بالحياة الفانية ونعيمها ﴿نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ حتى غفلوا عن ذكرك، ونسوا دلائل قدرتك ووحدانيتك ﴿قَوْمًۢا بُورًا﴾ هلكى ﴿صَرْفًا﴾ دفعاً للعذاب عن أنفسكم ﴿فِتْنَةً﴾ ابتلاء وامتحاناً ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ هل تصبرون على هذا الابتلاء والامتحان؟ والمراد بالفتنة أن الله سبحانه ابتلى الغنيَّ بالفقير، والسقيم بالصحيح، والشريف بالوضيع.

قال الحسن البصري: يقول الأعمى: لو شاء الله لجعلني بصيراً مثل فلان!! ويقول الفقير: لو شاء الله لجعلني غنياً مثل فلان!! ويقول المريض: لو شاء الله لجعلني صحيحاً مثل فلان.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَـٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾

الجزء ١٩ — الحزب ٣٧

﴿لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ لإنكارهم البعث ﴿أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ هلّا نزلت علينا الملائكة ليخبرونا أن محمداً صادق!! ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ أو نرى الله بأعيننا فيخبرنا بأن محمداً رسول!! قالوه على سبيل الكبر والتعنت، ولهذا قال: ﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ تكبّروا حين تفوّهوا بمثل هذه الأقوال الشنيعة ﴿وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ تجاوزوا الحدّ في الكفر والطغيان ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ لا تكون لهم البشارةُ السارة ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ وتقول الملائكة لهم: حرام محرّم عليكم دخول الجنة اليوم ﴿هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ جعلنا أعمالهم التي ظنوها صالحة، مثل الغبار المنثور في الجوّ ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ خير مسكناً، وأحسن راحةً وقت الظهيرة، لأنهم يكونون في الفردوس والنعيم المقيم ﴿تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ﴾ تتفتح السموات لنزول الملائكة ﴿يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ﴾ يتحسَّر ويندم الظالم لما فرَّط في جنب الله.

سبب النزول: نزلت في «عُقبة بن أبي معيط» صنع طعاماً ودعا إليه رسولَ الله ﷺ فأبى الرسول أن يأكل من طعامه حتى يشهد له بالرسالة، فشهد له بذلك، وكان صديقه (أُبيّ بن خلف) غائباً فلما بلغه الخبر قال له: وجهي من وجهك حرام حتى تكفر بمحمد، فكفر إرضاءً لصديقه ففيه نزلت الآية ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ وقوله: ﴿أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾ صرفني عن الهدى والإيمان بعد أن آمنت ﴿خَذُولًا﴾ الشيطان يُغوي الإنسان ثم يتبرأ منه ﴿مَهْجُورًا﴾ لا يؤمنون به ولا يستمعون له ﴿جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ هلّا نزل القرآن دفعة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل؟

الجزء التاسع عشر — سورة الفرقان

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ أَتَوْاْ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُواْ يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ أنزلناه مفرَّقاً ليثبت حفظه في قلبك، وتقوى على العمل به ﴿ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ أحسن بياناً وتفصيلاً ﴿ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾ يُسحبون إلى النار على وجوههم، ويُجرُّون إليها كما تُجرُّ البهائم، سُئل رسول الله ﷺ: كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ قال: «**إن الذي أمشاه في الدنيا على قدميه قادر على أن يمشيه على وجهه**» رواه البخاري ﴿ فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴾ أهلكناهم إهلاكاً فظيعاً، ولفظ التدمير يدلُّ على فظاعة العقاب وشدَّته ﴿ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ ﴾ قوم قتلوا نبيهم فخُسِفت بهم الأرضُ ﴿ وَقُرُونًا ﴾ خلائق كثيرين أهلكناهم ﴿ ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ﴾ ذكَّرناه بأخبار الطغاة المتجبرين ليعتبروا ﴿ تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴾ دمرناه تدميراً مُريعاً ﴿ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾ قرى قوم لوط، الذين قُلبت بهم ديارُهم، وأُمطروا بحجارة من نار، نزلت عليهم مثل المطر ﴿ يَرَوْنَهَا ﴾ ألم يكونوا يشاهدونها مقلوبة في أسفارهم إلى الشام ﴿ يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ لا يعتقدون بالبعث بعد الموت، لذلك لم يتَّعظوا ﴿ هُزُوًا ﴾ يجعلونك مكان سخريةٍ واستهزاء ﴿ بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾ أهذا هو الرسول الذي أرسله الله إلينا؟ هذا الفقير اليتيم؟ أمَا وجد الله رسولاً غير يتيم أبي طالب؟ هلّا نزل على رجل من عظماء مكة؟ ﴿ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا ﴾ كاد محمد بسحره، أن يصرفنا عن عبادة الأصنام ﴿ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ من هو أبعدُ عن طريق الهدى والصواب؟ هل هم أم محمد خاتم الأنبياء؟ ﴿ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ جعل هواه إلَهاً له، **قال ابن عباس**: كان الرجل يعبد حجراً، فإذا رأى حجراً أحسن منه، رماه وأخذ الثاني فَنَحته وعَبَده.! فذلك قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ ما هم إلا كالدواب والبهائم ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أقلُّ شأناً من الدواب، لأن البهائم تهتدي لمصالحها، وهؤلاء لا يعرفون لماذا خُلقوا؟ ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ بسطه وضح النهار، ليتخلَّص الإنسان من حرارة الشمس المتوهجة؟ ﴿سَاكِنًا﴾ دائماً ثابتاً في مكان لا يتحوَّل عنه ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ أزلناه على التدريج قليلاً قليلاً ﴿لِبَاسًا﴾ جعل الليل للراحة والسكن ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة لأبدانكم قاطعاً لأعمالكم ﴿النَّهَارَ نُشُورًا﴾ للكسب والعيش، والنومُ واليقظةُ نموذجان للموت والبعث ﴿بُشْرًا﴾ يرسل الرياح مبشِّرة بنزول المطر ﴿بَلْدَةً مَيْتًا﴾ لنحيي بالمطر أرضاً مجدبة يابسة ﴿أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ وليشرب من هذا الماء الحلو البهائمُ، والبشر ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ المراد بالبحرين: مياه البحار، ومياه الأنهار، هذا ماؤه حلوٌ عذب، وهذا شديد الملوحة ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ اليابسة من الأرض ﴿وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ محرَّماً أن يطغى أحدهما على الآخر فيفسده، هذا الوصف للبحرين لا ينطبق إلا على البحار والأنهار، لأنه لا يوجد بحر ماؤه حلو مطلقاً ﴿نَسَبًا﴾ ذكوراً لهم أحفاد من النسب ﴿وَصِهْرًا﴾ وإناثاً تكون بهن المصاهرة ﴿عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ معيناً للشيطان على الشرك بالله.. وضَّح تعالى أنه خلق هذا الإنسانَ، السميعَ البصيرَ، من النطفة المهينة، فجعله في أكمل صورة، وأبدع خلق، وقَسَم الخلق قسمين: ذكوراً يُنسب إليهم الأولاد، وإناثاً يُصاهر بهن، فبالنسب يتعارفون ويتواصلون، وبالمصاهرة تلتقي الجماعات والأسر.

ربع الحزب ٣٧

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٥٦﴾ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ
مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلۡ
عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ
عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا
فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ
خَبِيرٗا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ
أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ
فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ وَهُوَ
ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ
شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ
هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ
رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا
﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ
لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾

﴿مِنۡ أَجۡرٍ﴾ لا أسألكم على هدايتي لكم أجراً، إنما أطلب أجري من الله ﴿سَبِيلٗا﴾ من أراد لنفسه الهداية فليسلك طريق الإيمان ﴿عَلَى ٱلۡحَيِّ﴾ اعتمد في جميع أمورك على ربك ﴿ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ الباقي الدائم الذي لا يفنى ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦ﴾ نزّهه تعالى عن جميع النقائص ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ استواءً يليق بجلاله وكماله ﴿خَبِيرٗا﴾ اسأل ربَّ العزة والجلال عن صفاته القدسية، فالمراد بالخبير «رب العالمين» لأنه لا يعلم عظمته وجلاله إلا هو سبحانه ﴿بُرُوجٗا﴾ منازل للكواكب السيارة تدور فيها ﴿سِرَٰجٗا﴾ شمساً ساطعة وهّاجة ﴿وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا﴾ ينير بالليل كما تنير الشمس بالنهار ﴿خِلۡفَةٗ﴾ يتعاقبان على الدوام، يأتي النهارُ بضيائه، ثم يأتي الليل بظلامه، وكلٌّ واحد منهما يخلف الآخر ﴿هَوۡنٗا﴾ يمشون بسكينةٍ وتواضع من غير تبختر واستكبار ﴿سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا﴾ يحيون الليل بالصلاة ساجدين وقائمين ﴿عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ عذابُ جهنم دائم لازم، لا ينقطع ولا يرتفع ﴿سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ بئست جهنم مقراً ومسكناً للفجار ﴿لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾ ليسوا مبذّرين ولا بخلاء ﴿قَوَامٗا﴾ وسطاً واعتدالاً، وخير الأمور الوسط ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ أي اسجدوا لربكم الرحمن، وصلُّوا له واعبدوه، قالوا سخريةً واستهزاءً: من هو هذا الرحمن الذي تأمرنا بالسجود له؟ أَبَوْا السجود للرحمن، ووضعوا رؤوسهم التي تحمل عقولهم، للأصنام والأوثان، فما أسفههم وأحمقهم؟ وما أبعدهم عن منطق العقل والفطرة!!

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

ترتيبها ٢٦ — آياتها ٢٢٧

﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ يصونون أنفسهم عن القتل، إلا إذا كان بحقٍّ «كالقصاص، والزنى بعد الإحصان، والردة عن الإسلام» ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ لا يرتكبون جريمة الزنى، التي هي من أفحش الجرائم وأقبحها ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ يجد عقوبةً شديدة في الآخرة ﴿وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ يخلَّد في نار جهنم مهاناً حقيراً ذليلاً ﴿سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ يتوب عليه ويمحو ذنبه، فينقله من الفجور إلى التقوى، ومن المعصية إلى الطاعة، وقيل: إن السيئات تنقلب إلى حسنات بالتوبة الصادقة لحديث: «**اعرضوا عليه صغار ذنوبه، فيعترف بها فيقال له: إن لك بكل سيئةٍ حسنة**» رواه مسلم ﴿مَتَابًا﴾ توبة نصوحاً صادقة، لا غشَّ فيها ولا نفاق ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ كل شيء قبيح ينبغي أن يُلغى ويطرح ﴿كِرَامًا﴾ منزِّهين أنفسهم عن أماكن الفُحش والفجور ﴿صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ إذا سمعوا آيات الذكر الحكيم، لم يكونوا كالصمِّ والعمي، لا يفهمون ولا يتدبرون ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ تقرُّ بهم أعيننا يكونون لنا بهجةً ومسرَّة ﴿يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ الدرجات العالية، والمنازل الرفيعة في جنان الخلد والنعيم ﴿وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ مع التكريم والتسليم ﴿مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي﴾ ما يكترث ولا يبالي بكم رب العزة والجلال، لولا عبادتكم وتضرُّعكم له ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ سوف يكون عقابكم لازماً لا محالة، لكفركم وتكذيبكم لآيات الله.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾

سورة الشعراء

نصف الحزب ٣٧

﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ مهلك نفسك وقاتلها لعدم إيمان هؤلاء الفجار؟ ﴿نُنَزِّلْ عَلَيْهِم﴾ لو شئنا لأكرهناهم على الإيمان فأنزلنا عليهم حادثة خارقة، كإنزال جندٍ من السماء، أو رفع جبلٍ عليهم كما فعلنا باليهود ﴿خَٰضِعِينَ﴾ فآمنوا قهراً وقسراً واستسلموا، ولكنَّ ذلك ينافي حكمتنا ﴿مُحْدَثٍ﴾ جديد في النزول، وكلامُ الله قديم ليس بمخلوق ﴿زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ نوعٍ وصنف بهيج، حسن المنظر كثير النفع ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى﴾ من تكذيبهم لي ﴿وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ ليس لساني بالفصيح كأخي هارون ﴿فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ﴾ يبلِّغ دعوتك معي ﴿وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ﴾ قتلي للقبطي فأخشى أن يقتلوني به ﴿قَالَ كَلَّا﴾ لن يقتلوك فلا تخف منهم ﴿فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ اذهب أنت وهارون بالمعجزات الباهرة التي أيدتك بها ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ ألستَ تربَّيتَ في قصري ومنزلي، وأنت طفل صغير؟ ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ﴾ أقدمت على جريمتك الشنيعة بقتل رجلٍ من رعيتنا؟ ﴿وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الجاحدين لنعمتنا، ولم يرد الكافرين بالله لأن فرعون لا يعرف الله ولا يؤمن به.

تذكير: دخل موسى على فرعون، وهو يعلم مقدار طغيانه وبطشه، وبلّغه الرسالة، فقال له فرعون: ألستَ أنت الذي تربَّيْتَ في قصرنا، وأحسنَّا إليك غاية الإحسان؟ ومكثتَ بين ظهرانينا سنين عديدة؟ ثم قابلتَ ذلك الإحسان بتلك القبيحة، أن قتلتَ منَّا رجلاً!! ثم جئتنا الآن تدَّعي أنك رسول الله!!

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ
فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا
عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ
﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾
قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ
لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ
أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ
فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا
تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ
﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ
لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

﴿مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ المخطئين، لأني لم أتعمّد قتله، ولم يقصد الضلال في الدين ﴿حُكْمًا﴾ منحني النبوة ﴿تَمُنُّهَا عَلَىَّ﴾ هل هذه نعمة تمتنُّ بها عليّ؟ ﴿عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ جعلتهم عبيداً وخدماً لك ولقومك؟ ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال فرعون ساخراً مستهزئاً: من هذا الرب الذي تزعم أنه أرسلك؟ ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الخالق لكل الأشياء، والمتصرف في الكون ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾؟ أسأله عن حقيقة الله ويجيبني عن صفاته؟ ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ خالقكم وخالق آبائكم السابقين!! ﴿لَمَجْنُونٌ﴾ أسأله عن شيء فيجيبني عن غيره ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ يُطلع الشمس من المشرق، ويجعلها تغرب من المغرب ﴿تَعْقِلُونَ﴾ إن كان لكم عقول تفكرون بها عرفتم من هو الله؟ ﴿ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ لئن اتخذت إلٰهاً غيري لألقينك في غياهب السجن ﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ألقى العصا فإذا هي حية هائلة عظيمة ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ وأخرج يده فإذا هي نور ساطع كأنها الشمس ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخّر أمرهما ﴿حَٰشِرِينَ﴾ وأرسل من يجمع لك السحرة من كل مكان في أطراف مملكتك ﴿لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ اجتمع السحرة لليوم المحدَّد الذي عيَّنه لهم موسى، وهو (يوم العيد) عندهم المسمّى «يوم النَّيروز». . رجع فرعونُ إلى مغالطته وشَغَبه، ونسبَ موسى إلى الجنون، فقال: إن هذا الذي يزعم أنه رسول، إنسانٌ مجنون، أسأله عن شيء فيجيبني عن غيره!! ولكنَّ موسى أكّد دعواه بحجة من أبلغ الحجج، فقال: إن ربكم يجعل الشمس تطلع من المشرق، فإن كنت إلٰهاً فغيِّرْ نظام الكون!. وهنا أُسقط في يد فرعون.

لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٧

﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ هل تكرمنا إن غلبنا لك موسى؟ ﴿لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ نعم أكرمكم وأجعلكم من خواصّ جلسائي ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ﴾ قالوا: نقسم بعزة ربنا فرعون وبعظمته وجلاله سنغلب موسى اليوم ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ فألقى موسى العصا فإذا هي حية ضخمة، تبتلع ما صدر منهم من الإفك أي الكذب ﴿سَٰجِدِينَ﴾ خرُّوا سجداً لله رب العالمين، لأن الحقّ بهرهم ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ آمنتم بموسى وصدّقتموه ﴿ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ من قبل أن تستأذنوني!! ﴿إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ﴾ إن موسى رئيسكم الكبير الذي علّمكم السحر!! أراد اللعينُ التلبيس على قومه، لئلا يعتقدوا أن السحرة آمنوا عن بصيرة ويقين، ثم توعّدهم بالقتل والصلب ﴿لَا ضَيْرَ﴾ لا يضرُّنا ما تفعل بنا، ولا نبالي به، فافعل ما أنت صانع، فسنرجع إلى ربنا بعد موتنا، **قال ابن عباس**: لمّا صلبهم رأوا منازلهم في الجنة، وكانوا أول النهار سحرة، وآخر النهار شهداء بررة ﴿لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ﴾ قال فرعون: إن موسى ومن معه طائفة قليلة حقيرة، نقضي عليهم بأسرع ما يكون ﴿لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾ ونحن مغتاظون منهم، وهذا من سفهه وحماقته، كيف يكون رباً، والقِلَّةُ تغيظه وتقهره؟ أين عظمته وكبرياؤه؟ أين جنوده وسلطانه!؟ ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ نحن متيقّظون منتبهون، لا نغفل عمن يسعى لتخريب مملكتنا!! ﴿مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ أخرجنا فرعون وقومه الظالمين، من حدائق وبساتين ممتدة على حافتيْ نهر النيل، فيها الأنهار الجارية ﴿وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ وأخرجناهم من الكنوز الثمينة، والقصور البهية، وملّكناها لبني إسرائيل.

فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾

﴿تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ فلما رأت كل جماعة الأخرى ﴿إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ﴾ سيدركنا جنود فرعون ويقتلوننا ﴿قَالَ كَلَّآ﴾ أي ارتدعوا عن هذه الظنون والأوهام ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ فالله معنا بالحفظ والنصرة، وسيهدينا لطريق النجاة ﴿فَٱنفَلَقَ﴾ أوحينا إلى موسى أن يضرب البحر فضربه، فانفلق إلى اثنتي عشرة فلقة بعدد الأسباط ﴿كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ كل طريق كالجبل الراسخ الشامخ ﴿وَأَزۡلَفۡنَا﴾ قرّبنا فرعون وجماعته من البحر ثم أغرقناهم فيه ﴿فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ﴾ عظة وعبرة بليغة ﴿مَا تَعۡبُدُونَ﴾؟ سألهم مع علمه التام أنهم يعبدون الأصنام، ليبيِّن لهم سفاهة عقولهم ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ نظل مقيمين على عبادتها لا نتركها ﴿إِذۡ تَدۡعُونَ﴾ هل يسمعون دعاءكم إذا التجأتم إليهم؟ ﴿أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ﴾ وهل تجلب لكم شيئاً من النفع؟ أو تدفع عنكم شيئاً من الضر؟ ﴿وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا﴾ وجدناهم يعبدونها فعبدناها فنحن نقلّد آباءنا في هذا.. اعترفوا بأنها لا تضر ولا تنفع، ولا تتكلم ولا تسمع، ولكنه التقليد الأعمى للآباء ﴿عَدُوّٞ لِّيٓ﴾ إن هذه الأصنام أعداء لي، وأنا لا أعبد إلا الذي خلقني ورزقني، وإذا أصابني المرض شفاني، وأمّا هذه الأصنام فأحقر من أن تستحق العبادة!!

تنبيه: أسند المرض إلى نفسه ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ﴾ ولم يقل: وإذا أمرضني، رعايةً للأدب مع الله، وإلّا فالخيرُ والشرُّ، والمرضُ والشفاءُ منه سبحانه، لا نافعَ ولا ضارَّ إلّا الله ﴿وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾ هو سبحانه الذي يحيي العبادَ، ثم يميتهم عند انتهاء آجالهم ﴿خَطِيٓـَٔتِي﴾ يغفر لي ذنبي ﴿يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ يوم حساب الخلائق ومجازاتهم على أعمالهم.

وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾

﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ اجعل لي ذكراً حسناً، وثناء جميلاً فيمن يأتي من بعدي إلى يوم القيامة ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ لا تفضحني ولا تذلّني بعقاب يوم البعث والنشور ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ قُرِّبت وأُدنيت من أهلها ليدخلوها ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾ وأظهرت نار جهنم للطغاة المجرمين ليُقْذَفوا فيها ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ ألقوا على رؤوسهم في جهنم مدحرجين، هم وأصنامهم التي عبدوها ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ وجماعة إبليس كلهم من رؤساء الكفر والضلال ﴿كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا لنؤمن ونعمل الصالحات ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ كذّب قوم نوح نبيّهم نوحاً وإنما قال ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ بالجمع، لأن من كذّب رسولاً فقد كذّب سائر الرسل، لأنهم جاءوا بدعوة التوحيد ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ ألا تخافون عقاب الله وعذابه؟ ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾؟ أنؤمن برسالتك وأتباعُك السَّفلةُ الأراذلُ، دون العظماء والكبراء؟ وهذا من حماقتهم وسفاهة عقولهم، حيث حصروا الفضيلة بالأغنياء الذين جمعوا حطام الدنيا، وجهلوا أن الفضل إنما يكون بالحكمة والعقل، والتمسك بالأخلاق الحميدة، والآداب السامية!!

الحزب ٣٨

وقولُ إبراهيم في دعائه: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ دليلٌ على استحباب الذكرِ الجميلِ، إذ هو للإنسان الحياةُ الثانية، قال الشاعر: «قَدْ مَاتَ قَوْمٌ وهُمْ في النَّاس أَحْيَاءُ»

قال ابن عباس: «الذكرُ الحسن لإبراهيم، هو اجتماع الأمم عليه، فكلُّ أمة تتمسك به وتُعظّمه». وقد أجابه الله في جميع دعواته، سوى الدعاء بالغفران لأبيه.

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ
﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن
مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ
عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ
آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾
وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾
وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ليس عليَّ أن أبحث عن خفايا نفوسهم، هل آمنوا بي واتبعوني إخلاصاً لله؟ أم طمعاً في المال؟ ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ ليس حسابهم وجزاؤهم إلا على رب العالمين، المطّلع على السرائر والضمائر ﴿بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ طلبوا منه أن يطردهم عن مجلسه فأجابهم بقوله: لست بطاردهم ولا مبعدهم عني لفقرهم ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ ما أنا إلا نذيرٌ لكم أخوفكم عذاب الله وانتقامه ﴿الْمَرْجُومِينَ﴾ إن لم تكفّ يا نوح عن تقبيح ما نحن عليه من عبادة الأوثان، لنرجمنك بالحجارة حتى تموت ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ احكم بيني وبينهم بحكمك وقضائك العادل ﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ نجيناه وأتباعه في السفينة المملوءة بالرجال والدواب والمتاع ﴿أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ﴾ أغرقنا الكفرة المكذبين فلم نبقِ منهم أحداً ﴿رِيعٍ آيَةً﴾ الرِّيعُ: المكان العالي المرتفع أي أتبنون بكل مرتفع من الأرض بناءً عالياً شامخاً؟ ﴿تَعْبَثُونَ﴾ لمجرد اللهو والعبث ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ قصوراً محكمة مشيدة كأنكم مخلّدون في الدنيا ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ وإذا غضبتم على أحد، بطشتم به بلا شفقة ولا رحمة، كما يفعل الظلمة الجبابرة ﴿أَوَعَظْتَ﴾ لا نبالي بما تقول، ويستوي عندنا نصحُك وعدمُه، فما نحن لك بمؤمنين، سواء خوّفتنا بالعذاب أم لم تخوّفنا به؟ وصفهم نبيُّهم بثلاثة أشياء:

١ ـ اتخاذ الأبنية العالية، وهو يدلُّ على الترف والرفاهية. ٢ ـ واتخاذ المصانع ـ القصور ـ وهو يدلُّ على حبِّ البقاء والخلود. ٣ ـ والجبّارية وهو يدلُّ على الطغيان والعلو، وحبُّ الدنيا رأسُ كل خطيئة.

إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ
فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ
رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ
لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾
فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ
﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ
إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا۟
نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

﴿خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ما هذا الذي جئتنا به إلا كذبٌ وهي عادة الأولين، سمعناها مراراً وتكراراً أننا سنموت ثم نحيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ وليس هناك حساب ولا عذاب ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ فكذبوا نبيهم هوداً فأهلكناهم بالريح الصرصر العاتية ﴿لَءَايَةً﴾ عظة وعبرة ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ كذبوا نبيهم صالحاً عليه السلام ﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ﴾ أيترككم ربكم آمنين، مخلَّدين في الرفاهية والنعيم ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ في حدائق وبساتين زاهرة، وعيون من الماء دافقة ﴿وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ بين شجر النخيل، ذي الرطب السريع الهضم ﴿فَٰرِهِينَ﴾ متجبِّرين ﴿مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ من المسحورين، المغلوب على عقولهم ﴿فَأْتِ بِـَٔايَةٍ﴾ ائتنا بمعجزة تدل على صدقك ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ﴾ هذه الناقة معجزتي لكم، تخرج من صخر أصم ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ﴾ تشرب ماءكم يوماً وتشربون يوماً آخر الماء ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ لا تصيبوها بشيء ممَّا يسوءها، بقتلٍ، أو بعقر، فينتقم الله منكم ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ فقتلوها رمياً بالسهام فأصبحوا نادمين على قتلها خوفاً من العذاب، فأهلكهم الله ودمَّرهم بصيحة أخمدت أنفاسهم، وزُلزلت الأرضُ تحتهم زلزالاً عنيفاً، فأصبحوا في ديارهم خامدين، لا حِسَّ لهم ولا حركة ﴿فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ لعظةً وعبرةً لمن عَقَل وتدبَّر ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وما آمن أكثرُ الناس، مع رؤيتهم للآيات الباهرة ﴿لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وإن ربك لهو الغالبُ المنتقم من أعدائه، الرحيمُ بأحبابه وأوليائه.

الجزء التاسع عشر — سورة الشعراء

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِى وَأَهْلِى مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾

﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ﴾ أتنكحون الذكور في أدبارهم؟ ﴿مِّنْ أَزْوَٰجِكُم﴾ تتركون النساء اللواتي أباحهنّ الله لكم؟ **قال مجاهد**: تركتم فروج النساء إلى أدبار الرجال؟ ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ مجاوزون الحدّ في الإجرام، كأنه يقول: خرجتم من حدود الإنسانية إلى مرتبة البهيمية ﴿ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ إذا لم تترك تقبيح ما نحن عليه، فسوف نخرجك من بلدنا!! ﴿ٱلْقَالِينَ﴾ قال لهم لوط: إني لعملكم القبيح الشنيع، من المبغضين له أشدَّ البغض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ أنزلنا عليهم حجارة من السماء كالمطر الزاخر ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ بئس هذا المطر الذي أهلكناهم به، والذي أنذرهم به نبيُّهم ﴿أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ﴾ أصحاب الأشجار الكثيفة الملتف بعضها على بعض، وهم قوم «شعيب» ﴿أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ﴾ أعطوا الكيل وافياً ﴿مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ﴾ من المنقصين للحقوق بالتطفيف ﴿بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ بالميزان السويّ العادل ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟﴾ لا تنقصوا حقوق أحدٍ من الناس في البيع أو الشراء ﴿وَلَا تَعْثَوْا۟﴾ ولا تفسدوا في الأرض بأنواع الفساد، من قطع الطريق، والسلب والنهب.

(ربع الحزب ٣٨)

تنبيه: لم تظهر اللواطةُ في قوم من الأقوام قبل (قوم لوط) ولهذا قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؟ فإنهم أول من ابتكر هذه الجريمة الشنيعة، وقد عادت هذه الرذيلة إلى الظهور، حيث أباحت بعضُ القوانين الغربية، نكاح الذَّكر للذَّكر في الجاهلية الحديثة، ويا لها من انتكاسةٍ خُلُقية شنيعة!؟

وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾

﴿وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ الخليقة أي خافوا ربكم الذي خلقكم، وخلق الخليقة والأمم الماضين ﴿مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ المسحورين الذين أثر على عقلهم السحر فتخبّطوا في كلامهم ﴿كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ أنزل علينا العذاب قطعاً من السماء ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ أخذهم العذاب الرهيب الذي ظلّلهم كالسحاب، **قال المفسرون:** بعث الله عليهم حراً شديداً أخذ بأنفاسهم، فخرجوا إلى الصحراء هرباً من الحر، فبعث الله عليهم سحابة أظلتهم من الشمس فوجدوا لها برداً، فتنادوا نحوها فالتهبت عليهم ناراً فأحرقتهم ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي فظيع في الشدة والهول ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ نزل بالقرآن روح القُدس «جبريل» عليه السلام وإنما قال: ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ لأن النبي أميٌّ لا يعرف القراءة ولا الكتابة فلم يحفظه من الكتب ﴿زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ خبر القرآن موجود في كتب الرسل السابقين ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً﴾ ألم يكن للكفار علامة واضحة على صدق القرآن ﴿أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ كعبد الله بن سلام، والنجاشي ﴿بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ لو نزلنا القرآن على بعض الأعاجم ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم﴾ قراءةً صحيحةً فصيحة ﴿مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ لا يصدقون بالقرآن ولو رأوا تلك الآية الخارقة ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ أدخلناه في قلوبهم حتى تذوّقوا بلاغته، ومع ذلك لم يؤمنوا ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿مُنظَرُونَ﴾ ممهلون لنؤمن به. ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾؟ كيف يستعجلون العذاب وهم عند نزوله يطلبون التأخير والإمهال؟ والاستفهامُ للإنكار والتوبيخ، فقد كانوا يقولون: ﴿ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾!؟

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

سُورَةُ النَّمْلِ

ترتيبها ٢٧ — آياتها ٩٣

﴿مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ ماذا نفعهم ما مضى من طول أعمارهم؟ هل يخفف عنهم الحزن؟ أو يدفع عنهم العذاب؟ ﴿مُنذِرُونَ﴾ ما أهلكنا أمة من الأمم، إلا بعد أن أرسلنا إليهم الرسل ﴿ذِكْرَىٰ﴾ ليكون إهلاكهم عظةً وعبرة لغيرهم ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ﴾ ما تنزلت الشياطين بهذا القرآن، إنما نزل به الروح الأمين ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ لا يصح ولا يستقيم أن تتنزّل به الشياطين، لأنهم ممنوعون من استراق السمع بعد بعثة خاتم النبيين ﴿الْأَقْرَبِينَ﴾ ابدأ بأقاربك فخوّفهم من عذاب الله ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ تواضع وألنْ الكلام لأتباعك المؤمنين ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ يراك في جميع أحوالك، حين تصلّي مع أصحابك، راكعاً وساجداً، وحين تصلّي وحدك ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ والشعراء يتّبعهم الضالون، الزائغون عن الحق، لا أهل البصيرة والرشاد ﴿وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ يسلكون في الهجاء والمديح كل طريق، فيمدحون بالباطل ويهجون آخرين، وديدنهم الكذب فكيف يكون محمد شاعراً كما اتهمتموه؟ ﴿أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ سيعلم كل ظالم وفاجر أيَّ مصير مشؤوم سيصير إليه!!

استثنى تعالى من الذين ذمَّهم (الشعراء المؤمنين) الذين لا يخوضون بالباطل، وفي هذه الآيات ردٌّ على من زعم أن محمداً شاعر، لأن الشعراء ديدنهم الكذب، يمدحون بالباطل أقواماً، ويذمُّون آخرين، وهذا مخالف لحال النبوة، لأنهم لا يقولون إلا الحقَّ، ولا يتبعهم إلَّا الراشدون، حتى قيل عن الشعر: إن أعذَبه أكذَبه. !

* * *

الجزء التاسع عشر سورة النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

سورة النمل

مكية — آياتها ٩٣ — ترتيبها ٢٧

﴿طسٓ﴾ الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ هذا القرآن هاد للمؤمنين، ومبشر لهم بجنات النعيم ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ هم كالعمي يتخبطون حيارى، لا يميزون بين النافع والضارّ، والحسن والقبيح ﴿ءَانَسْتُ نَارًا﴾ أبصرتُ ناراً، وكان قد ضلّ الطريق ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ خبر الطريق ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ شعلة مقتبسة من نار ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون بها ﴿بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ بورك من حول النار من الملائكة، وبوركت أنت يا موسى ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ كأنها ثعبان سريع الجري ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولّى منهزماً من الخوف، ولم يرجع إليها، لما دهاه من الفزع ﴿لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ ناداه ربه أقبلْ ولا تخف فأنت رسولي، ورسلي لا يخافون عندي!! ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾ لكنْ من أذنب من البشر، ثم تاب من ذنبه، فالله يغفر له زلته ﴿يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ في فتحة صدرك ثم أخرجها، تخرج بيضاء مضيئة كأنها قطعة قمر، دون مرضٍ ولا برص ﴿فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ﴾ ضمن تسع خوارق ومعجزات أيدتك بها ﴿فَٰسِقِينَ﴾ خارجين عن طاعتنا ﴿ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ لمّا رأوا تلك المعجزات الباهرة، واضحةً بيّنةً جليّة، كأنها لجلائها تُبْصِر الأشياء ﴿قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أنكروها وزعموا أنها سحر واضح، سحرهم بها موسى عليه السلام، وهذا من شدة فجورهم وطغيانهم.

وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

﴿وَجَحَدُوا﴾ كذبوا بتلك الخوارق والمعجزات ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾ أيقنوا بقلوبهم أنها من عند الله ﴿ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ ترفعاً واستكباراً عن قبول الحق ﴿عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ مآل الطاغين ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ ورثه العلم والنبوة ﴿مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ أصوات جميع الحيوانات ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ﴾ جُمع لسليمان جيوشه وعساكره، في مسيرة كبيرة، فيها الجنُّ والإنسُ والطيرُ، يتقدمهم سليمان في أُبهة الملك ﴿يُوزَعُونَ﴾ يوقف أوائلهم ليلحق بهم أواخرهم ﴿وَادِ النَّمْلِ﴾ وادٍ كثير النمل ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ سمع نملةً تقول للنمل: أسرعوا بالدخول إلى مساكنكم ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ لا يسحقونكم بأقدامهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ لا يشعرون بكم لأنهم لا يرونكم.. يا لها من نملةٍ ذكيّة، نبّهتْ، ثم حذّرتْ، ثم اعتذرت بقولها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ لأنها علمت أن نبيَّ الله وجنوده، لا يقدمون على أذى أحد عمداً!! ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا﴾ تبسَّم سروراً بما سمع ﴿أَوْزِعْنِي﴾ ألهمني أن أشكر نعمتك الجليلة التي أنعمت بها عليَّ وعلى والديَّ ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ بحث عن جماعة الطيور ﴿لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ أين الهدهد، ما لي لا أراه؟ ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ لأعذبنه أو ليأتيني بحجة واضحة تبيِّن عذره ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ غاب الهدهد قليلاً ثم جاء إلى سليمان وأخبره بالأمر العُجاب ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ اطّلعتُ على أمرٍ خطير، لا تعرفه أنت ولا جنودك ﴿مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ وجئتك من مدينة (سبأ) باليمن بأمر هام، وحَدَث جدُّ خطير. وسببُ سؤال سليمان عن الهدهد، أن الجيش عطش، وكان الهدهد هو الذي يدله على الماء.

الجزء التاسع عشر — سورة النمل

إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٨ — سجدة

﴿ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ﴾ يقول الهدهد: إن من عجائب ما رأيت أن امرأة تملك أهل اليمن ﴿وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ﴾ لها سرير عظيم من ذهب، قوائمه من جوهر ولؤلؤ ﴿يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ﴾ جميعهم مجوسٌ يعبدون الشمس ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ﴾ أيسجدون للشمس ولا يسجدون للإله الخالق العظيم؟ ﴿ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ﴾ الذي يعلم كل خفيّ، وكل مخبوء في السموات والأرض يستنكر الهدهد أن يعبدوا الشمس، ولا يعبدون الواحد الأحد ﴿سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ﴾ اهتزت مشاعر سليمان لهذا النبأ الخطير، فقال له: سننظر في قولك، هل أنت صادق فيه أم كاذب؟ ثم كتب كتاباً وختمه بخاتمه ودفعه إلى الهدهد قائلاً له: ﴿ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا﴾ اذهب بهذا الكتاب فأوصله إليهم ﴿تَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾ تنحّ عنهم ﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ﴾ انظر ما هو جوابهم على الكتاب فأتني بالخبر!! جمعت الملكة وزراءها وكبراءها وقالت لهم: أشيروا عليّ فلقد جاءني كتاب من سليمان، ثم قرأته لهم: ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ لا تتكبروا عليّ، وادخلوا في ديني!! هنا دخلهم الغرور والكبرياء، فقالوا: نحن أقوياء أشداء، أصحاب قوة وشدة في الحرب، فإن شئت قاتلناه، والأمر مفوّض إليك فأمرينا بما شئت ﴿أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗ﴾ إذا دخلوا بلداً عنوة وقهراً، خرّبوها وأذلوا أهلها، والأفضل أن أرسل له هدية لننظر في أمره، هل هو ملك أم رسول؟ فإن قبل الهديّة فهو مَلِكٌ يريد الدنيا فقاتلوه، وإن لم يقبلْها فهو نبيٌّ صادقٌ فاتّبعوه، فكانت المرأة أعقلَ منهم وأبصر.

الجزء التاسع عشر — سورة النمل

فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا نَنظُرۡ أَتَهۡتَدِيٓ أَمۡ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ﴾ لمَّا جاء رسل بلقيس إلى سليمان بالهدية العظيمة قال منكراً عليهم: أترشونني بالمال والهدايا لأترككم على شرككم ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ﴾ ما وهبني الله من النبوة، والملك، والجند، خيرٌ مما أعطاكم!! ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ بهديتهم ﴿لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ نأتيهم بجنود لا قدرة لهم على محاربتهم ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ نخرجهم من وطنهم أذلاء حقيرين، **قال ابن عباس**: لمَّا رجعوا إليها وأخبروها الخبر، قالت: قد عرفتُ أنه ليس بملِكٍ، وما لنا به طاقةٌ، وبعثتْ إلى سليمان إني قادمة إليك بملوك قومي ﴿يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا﴾ من يأتيني بسريرها المرصَّع بالجواهر قبل أن تصل إليَّ؟ ﴿مِن مَّقَامِكَۖ﴾ قال ماردٌ من مردة الجن: أنا آتيك به، قبل أن تقوم من مجلس الحكم والقضاء ﴿لَقَوِيٌّ أَمِينٞ﴾ وأنا قادر على ذلك، وأمين على ما فيه من الذهب والجوهر ﴿عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ قال العالم الرباني: أنا آتيك به بلمح البصر، قبل أن تغمض عينك ثم تفتحها!! فدعا الله فحضر العرش، **قال ابن عباس**: كان يعلم اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى ﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرۡشَهَا﴾ غيِّروا هيأته ﴿ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ﴾ القصر ﴿حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ﴾ ظنته ماءً غزيراً فكشفت عن ساقها لتقطعه ﴿مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ﴾ قصر أملس مصنوع من الزجاج وليس لجة ﴿ظَلَمۡتُ نَفۡسِي﴾ بالإشراك بالله، وعبادة الشمس ﴿وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ﴾ ودخلت في الإسلام دينِ سليمان، فأنا مؤمنة بالله رب العالمين.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا
هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ
بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ
عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ
رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا
تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا
مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا
وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ
الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

﴿فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ جماعتان: مؤمنون، وكافرون، يتنازعون في أمر الدين ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ لماذا تطلبون العذاب قبل الرحمة؟ ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ هلا تستغفرون ربكم وتتوبون إليه من الشرك، لعل الله يرحمكم ويتوب عليكم؟ ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ تشاءمنا بك يا صالح وبالمؤمنين من أتباعك ﴿طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ شؤمكم بسبب كفركم لا بسببنا ﴿تُفْتَنُونَ﴾ جماعة حمقى يفتنكم الشيطان بوساوسه وإغوائه ﴿تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ تسعة أشخاص من رؤساء الضلالة ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ قال بعضهم: احلفوا بالله ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ لنقتلنَّه وأهله بغتةً في الليل ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ ثم نقول لأهل صالح وعشيرته: والله ما حضرنا قتله ولا من قتله؟ ولا عرفنا هلاك أهله ومن قتلهم ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فيما نقول!! هكذا دبَّروا وتآمروا، ولكنَّ الله تعالى كان لهم بالمرصاد ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾ دبروا مكيدة لقتل صالح ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ جازيناهم بفعلهم فأهلكناهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمكر الله بهم ﴿خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ تلك هي ديارهم خالية من أهلها ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ اللواطة أفحش الجرائم ﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ ترون أنها عمل قذر قبيح، تعافه طبائع البهائم والحيوانات، وهو غايةٌ في القبح والقذارة ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ إنكم لفرط سفهكم وجهلكم، تشتهون الرجال وتتركون النساء ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ أنتم قوم سفهاء فَجرة، ولا يراد بالجهل هنا (عدمُ المعرفة) إنما يُراد به الشناعة والقبح، فهو توبيخ آخر لهم، أنهم يفضِّلون الشيء الشنيع القبيح (الأدبار) على ما أباح الله لهم من النساء.!

الجزء العشرون سورة النمل

۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

الجزء ٢٠ الحزب ٣٩

﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ يتنزهون عن أدبار الرجال، عابوا عليهم القذارة التي كانوا يمارسونها بطريق السخرية والاستهزاء ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ أنجينا لوطاً وأهله من العذاب ﴿قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ قضينا بهلاكها مع الهالكين ﴿عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ﴾ حجارة من السماء كالمطر الزاخر ﴿مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ بئس هذا العذاب الذي أمطروا به ﴿ٱصْطَفَىٰٓۗ﴾ الذين اختارهم الله لرسالته ﴿ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هل الخالق المبدع الحكيم خير، أم آلهتهم المزيّفة التي عبدوها من دون الرحمن؟ ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ بساتين ذات حسن ورونق، وخُضرة ونُضرة ﴿يَعْدِلُونَ﴾ يشركون بالله فيسوُّون بين الخالق الرازق، والوثن العاجز الأبكم ﴿قَرَارًا﴾ مستقراً لكم، تعيشون على ظهرها وتبنون القصور والدور ﴿خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ أجرى بينها الأنهار العذبة ﴿رَوَٰسِيَ﴾ جبالاً ثوابت لئلا تضطرب بكم أثناء دورانها ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ﴾ جعل بين الأنهار والبحار حاجزاً أي فاصلاً هو اليابسة من الأرض، لئلا يطغى ماءُ البحار على الأنهار.

المراد بالبحرين: الأنهارُ، والبحارُ وهو من باب التغليب ﴿بُشْرًۢا﴾ مبشرة ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓۗ﴾ المطر الذي تحيا به الأرض. ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ هل إلَهٌ غيرُ الله يقدر على ذلك؟

قولهم: ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ عجباً لهؤلاء الأشقياء، لقد صارت الفضيلةُ رذيلةً عندهم، وصارت القذارة والنجاسة وساماً يفخر به القوم!! يطلبون طرد المؤمنين، لأنهم يتنزَّهون عن إتيان الذكور في الأدبار، وهو عذر أقبح من ذنب، بل هو نهاية الفجور والمجون.

أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

﴿يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ من يبدأ خلق الإنسان ثم يعيده بعد فنائه؟ ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ هل هناك إله آخر غير الله يفعل ذلك؟ ﴿ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ﴾ هل تدارك وتلاحق علمُ المشركين بالآخرة، حتى يسألوا عن وقت القيامة؟ وهو تهكم بهم لفرط جهلهم بها ﴿عَمُونَ﴾ بل هم في عمى عنها، لأنهم كالبهائم، لا يتبصّرون ولا يتدبَّرون ﴿لَمُخْرَجُونَ﴾ هل إذا متنا سنحيا ونُخرج من قبورنا؟ ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ما هذا إلا خرافات وأكاذيب السابقين، ينكرون البعث وينسون أنهم خُلقوا من العدم ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ لا تتفجَّع على هؤلاء السفهاء إن لم يؤمنوا ﴿فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ ولا يَضِقْ صدرُك من مكرهم وكيدهم، فسننتقم لك منهم وننصرك عليهم ﴿رَدِفَ لَكُم﴾ يقولون سخرية واستهزاء: متى يجيئنا هذا العذاب؟ فقل لهم: لعله قد دنا وقَرُب وقتُه؟ ﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ يعلم ما تخفيه صدورهم من العداء لخاتم الأنبياء ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ وما يظهرونه من الاستهزاء والتكذيب ﴿غَائِبَةٍ﴾ ما من شيء مخفي في هذا الكون إلا يعلمه الله، لا يخفى عليه شيء منه ﴿فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ مسطَّرٌ في كتاب واضح هو اللوحُ المحفوظُ ﴿يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يخبر عن بني إسرائيل، ما حرَّفوه في كتبهم السماوية (التوراة) و (الإنجيل) ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أكثر ما اختلفوا فيه من أمر الدين لا كلِّه.. لقد حرَّف اليهود التوراة، وتلاعبوا فيها فجاء القرآن يخبر الرسول عمَّا حرَّفوه، وحرَّف النصارى الإنجيل، فزعموا أن الله هو المسيحُ، تجسَّد في صورة بشرٍ، واعتقدوا أنه صُلِب، فردَّ الله ضلالهم، وبيَّن القولَ الحقَّ فيه.

وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٧٨) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (٧٩) إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٨١) ۞ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٢) وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٣) حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٤) وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ (٨٥) أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٦) وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (٨٧) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٨)

﴿لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ موتى القلوب وهم الكفار، ﴿الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾ ولا تسمع من كان أصمَّ دعاءك ﴿وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ لا سيما إذا كان الأصم مدبراً عنك ﴿يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ لا تُسمع إلا من كان مؤمناً ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ فهم منقادون مستسلمون لأمر الرحمن.. شبَّه تعالى الكفار بالموتى، في أنهم لا يسمعون وإن كانوا أحياء، ثم شبههم بالصمِّ وبالعمي وإن كانوا سليمي الحواس، فهم كالموتى، وكالصمِّ، وكالعمي، يسمعون آيات القرآن، ولا يفهمون كلام الرحمن ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ﴾ دنا واقترب وقتُ قيام الساعة ﴿دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ أخرجنا للكفار دابة كبيرة هي «الجسَّاسة» ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ تكلم الناس بكلام صريح فصيح تقول: الناسُ ما كانوا يصدِّقون بآيات الرحمن، وهذه من علامات الساعة الكبرى وفي الحديث: «**إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً**» رواه مسلم ﴿فَوْجًا﴾ جماعة ﴿يُوزَعُونَ﴾ يحبسون ليتكاملوا جميعاً ﴿دَاخِرِينَ﴾ أذلاء صاغرين ﴿جَامِدَةً﴾ لا تتحرك ﴿مَرَّ السَّحَابِ﴾ تسير كما يسير السحاب في الفضاء، أي تظنها ثابتة في مكانها وواقفة، وهي تسير سيراً سريعاً كسير السحاب، وهذه إحدى معجزات القرآن الكونية، حيث أخبر عن حقائق علمية، لم يعرفها الناس إلَّا منذ زمنٍ قريب، أمَّا خروج الدابة من الأرض، فيكون في آخر الزمان عند فساد الناس، فتشهد للمؤمن بالإيمان، وللكافر بالكفر.

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ القَصَصِ

ترتيبها ٢٨ — آياتها ٨٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

﴿فَكُبَّتْ﴾ ألقوا في النار على وجوههم منكوسين، يُرْمَوْن فيها كما يُرمى الحطبُ في التنور ﴿رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ﴾ مكة المكرمة شرَّفها الله ﴿ٱلَّذِى حَرَّمَهَا﴾ الذي جعل مكة حرماً آمناً ﴿مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ المستسلمين المنقادين لطاعة الله ﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ سيريكم آياته الباهرة في الأنفس والآفاق ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ فتعرفونها على حقيقتها حين لا تنفعكم المعرفة ﴿بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وعيدٌ وتهديد.

سورة القصص

﴿نَبَإِ﴾ نقرأ عليك بواسطة جبريل من أخبار موسى وفرعون، ما فيه عظة وعبرة للمعتبرين ﴿عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تكبَّر وتجبَّر وجاوز الحدَّ في الظلم والطغيان ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ طوائف وفرقاً ﴿يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ﴾ يستذل جماعة منهم «بني إسرائيل» ﴿وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ يقتل الذكور، ويترك الإناث على قيد الحياة لخدمته، وخدمة أتباعه الأقباط ﴿ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ الراسخين في الكفر والفساد ﴿أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ نريد أن نجعل لهؤلاء الضعفاء المستذلين العزة والسيادة ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ قادة وسادة في الخير ﴿ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ وارثين لملك فرعون وأنصاره بعد إهلاكهم، يرثون ملكهم، ويسكنون دورهم.

سبب ذبح الأبناء الذكور من بني إسرائيل، أن فرعون رأى في نومه رؤيا أفزعته، رأى ناراً خرجت من بيت المقدس، وجاءت أرض مصر فأحرقت القِبط، وفُسِّرت له بأن مولوداً من بني إسرائيل سيولد، ويكون ذهاب ملكه على يديه، فأمر بذبح الذكور، تفسير ابن كثير.

وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

﴿يَحْذَرُونَ﴾ ما كانوا يخشونه من ذهاب ملكهم على يد مولود من بني إسرائيل ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ وحي إلهام لا وحي نبوة، أي ألهمناها وقذفنا في قلبها ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ أرضعي ولدك موسى، فإذا خفت عليه من فرعون وزبانيته ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ ألقيه في نهر النيل ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ لا تخافي عليه الهلاك، ولا تحزني لفراقه ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ سنردُّه إليك ونجعله رسولاً إلى العباد ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ اللامُ لام العاقبة أي ليكون عاقبة أمره أن يصبح لهم عدواً، ومصدر حزن وألم ﴿خَاطِئِينَ﴾ مذنبين متعمِّدين للإثم، والخاطئ: الذي يتعمَّد المعصية ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ﴾ فرحة ومسرَّة لي ولكَ ﴿فَارِغًا﴾ خالياً من كل شيء إلَّا من ذكر موسى ﴿لَتُبْدِي بِهِ﴾ كادت تصيح وتقول: هذا ولدي ﴿رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ لولا أن قوَّينا قلبها وألهمناها الصبر، فقد طار عقل أمه من فرط الحزن والغمِّ، وكادت تصيح: وا ابناه، لولا أن عصمها الله!! ﴿قُصِّيهِ﴾ تتبَّعي أثره واعرفي خبره ﴿عَن جُنُبٍ﴾ فأبصرته عن بُعد ﴿الْمَرَاضِعَ﴾ منعناه أن يقبل ثدي واحدة من المرضعات، إلا ثدي أمه لتهدأ نفسُها بسلامته ﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ هل أدلُّكم على مرضعة له تُرضعه وترعاه ﴿وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ لا يقصّرون في تربيته وإرضاعه ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ فأعدناه إلى أمه لكي تفرح وتُسرَّ به، وتهنأ بلقائه ﴿وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ ولتتيقَّن من صدق وعد الله بردِّه عليها.

نصف الحزب ٣٩

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ بلغ كمال الرشد، ونهاية القوة ﴿حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ رزقناه العلم، والفقه في الدين ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ﴾ مصر وقت الظهيرة ﴿غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ والناس نيام وقت المقيل . الظهر . والشوارع تكاد تكون فارغة ﴿يَقْتَتِلَانِ﴾ بينهما شجار وخصومة ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ﴾ أحدهما إسرائيلي والآخر قبطي من جماعة فرعون ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ﴾ استنجد الإسرائيلي بموسى، وطلب غوثه على القبطي ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ لكمه لكمةً بجُمْع يده، فخرَّ القبطيُّ ميتاً، ولم يرد قتله إنما أراد دفعه فكانت القاضية ﴿ظَهِيرًا﴾ بسبب إنعامك عليَّ بالقوة، فلن أكون عوناً لأحد من المجرمين ﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ يتوقع المكروه ﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ فإذا الإسرائيلي الذي خلّصه بالأمس، يستغيث به ويستنجد ﴿لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ قال له موسى: إنك رجل شرِّير، تسبَّبْتَ لي بالأمس في قتل رجل، وتريد اليوم أن توقعني في ورطةٍ أخرى!! ﴿أَن يَبْطِشَ﴾ لما أراد موسى أن يبطش بالقبطي ﴿كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ الظاهر أن القائل هو القبطي لا الإسرائيلي، لأن قوله: ﴿تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لا يصدر من المؤمن، إنما من الكافر، وقيل: إن القائل هو الإسرائيلي، فإنه لمَّا استغاث بموسى، وسمعه يقول له: ﴿إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ ظنَّ أنه يريد أن يبطش به، فقال له: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾؟ ولمَّا سمعها القبطيُّ، انطلقَ فأخبرَ فرعونَ ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ جاء من أبعدِ أطراف المدينة يشتدُّ ويسرع في مشيه ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ إن فرعون وحاشيته يبحثون عنك ليقتلوك، فاخرج فأنا لك ناصح أمين.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

﴿تِلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾ قصد أرض مدين ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ يرشدني إلى الطريق، فلا أخطئ ولا أضل!! ﴿أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ﴾ وجد على البئر جماعة كثيرة، يسقون منه مواشيهم ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تحبسان أغنامهما عن الماء، لئلا تختلط بأغنامهم ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ قالتا: لا نسقي حتى ينصرف الناسُ ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أن يسقي ماشيته من الشيخوخة والكبر ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ غنمهما رحمة بهما ﴿تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ﴾ تنحَّى جانباً وجلس تحت ظل شجرة ﴿مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ إني جائع وأنا محتاج إلى شيء من الطعام أسدُّ به جوعي!! ولمَّا رجعت الفتاتان إلى أبيهما سريعاً قال: ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً رحمنا فسقى لنا!! فأمر إحداهما أن تدعوه وهي «الكبرى» ﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ تمشي بحياء وخجل، مشية الحرائر العفائف ﴿أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ يريد أن يكرمك ويعوضك عن أجر السقاية، فذهب معها، وتمَّ اللقاء بين شعيب وموسى، وزوَّجه ابنته على أساس أن يرعى له الغنم ثماني سنوات أو عشراً.

قال ابن عباس: (خرج موسى من أرض مصر، وليس معه طعامٌ، وكان حافياً فما وصَلَ أرضَ مَدْين، حتى سقطتْ نعلُ قدمَيْه ـ جلدتُهما ـ من الحَفَاء، وجلس في الظلِّ وهو صفوةُ الله من خلقه، وإن بطنَه لَلَاصقٌ بظهره من الجوع، وإن خُضْرةَ البقل لتُرى من داخلِ جوفه، وإنه لمحتاجٌ إلى شِقِّ تمرة) تفسير ابن كثير.

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٣٩

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ﴾ أتمَّ موسى مدة الخدمة وهي عشرة أعوام ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ إلى مصر ﴿ءَانَسَ﴾ أبصر ناراً تتوهج من جانب جبل الطور، لم تكن ناراً إنما هي نور رباني، شعَّ في ذلك المكان ﴿جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ آتيكم بشعلة من النار ﴿تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون بها من البرد، كانت تلك الليلة باردة، وقد أضلَّ موسى الطريق ﴿نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ﴾ لمَّا وصل إلى مكان النار، رأى نوراً يسطع إلى السماء، وجاءه النداء ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ إن الذي يكلمك أنا ربُّ العزة والجلال، ثم أمره أن يلقي عصاه ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ كأنها حية كبيرة تدبُّ في سرعة وخفة ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولَّى هارباً فزعاً منها، ولم يرجع ولم يلتفت نحوها، فناداه ربه ﴿لَا تَخَفْ﴾ ارجع ولا تخفْ فأنت آمن لأنك رسولي!! ثم أراه آية أخرى ﴿يَدَكَ فِى جَيْبِكَ﴾ أدخل يدك في فتحة ثوبك، فأدخلها ثم أخرجها فإذا هي تتلألأ، كأنها قطعة قمر ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ﴾ هاتان معجزتان تدخل بهما على فرعون وقومه ﴿رِدْءًا﴾ عوناً يساعدني على تبليغ الرسالة لفرعون الطاغية الجبار.

ليس المراد من قوله: ﴿يُصَدِّقُنِىٓ﴾ أن يقول: صدقتَ، إنما المراد توضيح كلام موسى، وأن يُلخص بلسانه الفصيح، وجوهَ الدلائل، ويوضِّح الحججَ والبراهينَ لفرعون وجماعته ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ سنقوِّيك بأخيك، ونعينك به ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا﴾ غلبةً وتسلطاً على فرعون وقومه ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ فلا سبيل لهم إلى أذاكما، بما أيَّدتكما به من المعجزات الباهرات، والغلبة لكما بإذن الله تعالى.

فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ
مُّفۡتَرٗى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ
مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ
لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي فَأَوۡقِدۡ
لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ
إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسۡتَكۡبَرَ
هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا
لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي
ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾
وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ
لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ
وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا
مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ
بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

﴿بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٖ﴾ لما جاءهم موسى بالبراهين الساطعة، والمعجزات الواضحة ﴿إِلَّا سِحۡرٞ﴾ ليس هذا إلّا من قبيل السحر ﴿مُّفۡتَرٗى﴾ مكذوب على الله ﴿فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ وما سمعنا بمثل هذه الدعوى «دعوى النبوة» والوحدانية في آبائنا السابقين!! ﴿إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ قال فرعون الطاغية الجبار لأشراف قومه: ليس هناك إلّه غيري ﴿فَٱجۡعَل لِّي صَرۡحٗا﴾ ابنِ لي قصراً عالياً رفيعاً ﴿أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾ لعلي أشاهد إلّه موسى الذي يزعم أنه أرسله ﴿مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ أعتقد أن موسى كاذب في هذه الدعوى!! ظنَّ الأحمق أن الله جالسٌ في السماء، فهو يريد أن يصعد إليه ليراه، والظاهر أنه أراد التمويه على قومه لئلا يعتقدوا صدق موسى فيؤمنوا به!! ﴿فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ﴾ تكبَّر وتعظَّم فرعون وقومه عن الإيمان بالله، فأخذناه مع جنوده فطرحناهم في البحر، وأغرقناهم جميعاً ﴿أَئِمَّةٗ﴾ جعلناهم قادة وزعماء إلى جهنم، يقتدي بهم أهل الضلال ﴿وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ﴾ جعلنا اللعنة تلاحقهم وتطاردهم في الدنيا ﴿مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾ من المطرودين، المبعدين من رحمة الله تعالى، والمرادُ أن اللعنةَ تلازمهم إلى يوم القيامة، مع الخزي والعار، وغضبِ الجبَّار..

وإلى هنا تنتهي قصة موسى مع فرعون، ولقد أكثَرَ القرآنُ من قصص بني إسرائيل، وأفاض في ذكر حوادثهم وأخبارهم، ليأخذ المؤمنون العِظَةَ والعبرةَ، من حياة (اليهود) هذه الأمة الطاغية الفاجرة، التي قابلتِ النعمةَ والإحسان، بالجحود والعصيان، فقتلوا الأنبياء، وسفكوا دماءَ الدعاة، وعبدوا العجلَ، وكفروا بالرحمن!!

وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ وما كنت يا محمد بجانب جبل الطور الغربي ﴿إِذْ قَضَيْنَآ﴾ حين أوحينا إلى موسى بالرسالة، وكلّفناه أن يذهب إلى فرعون ﴿مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ الحاضرين في ذلك الوقت ﴿ثَاوِيًا﴾ مقيماً في أرض مدين، حتى تعلم خبر موسى وشعيب ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ولكنَّا أرسلناك رسولاً، لتقصَّ على قومك تلك الأخبار ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ﴾ هلَّا بعثت إلينا من يبلِّغنا رسالتك؟ وجواب «لولا» محذوف تقديره: لولا اعتذارهم بذلك لما أرسلناك إليهم رسولاً!! ﴿مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ﴾ فلما جاءهم هذا القرآنُ العظيم معجزةً ساطعة، قالوا: هلَّا أعطي محمد من المعجزات، مثل ما أعطي موسى من اليد والعصا؟ ﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟﴾ أو لم تكفر قريش بمعجزات موسى كما كفرت بمعجزتك؟ ﴿سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا﴾ قال المشركون: ليست التوراةُ والقرآن إلا من قبيل السحر، ونحن كافرون بهما، واقترحوا أن يأتيهم ﷺ بمعجزات حسّية مشاهدة، وقد جاءهم القرآن بأعظم المعجزات فقالوا عنه: إنه سحر، وكفروا به، مع إقرارهم بالعجز عن الإتيان بسورةٍ من مثله ﴿أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ﴾ ائتوني بكتاب منزل من عند الله، هو أهدى من التوراة والقرآن، إن كنتم تريدون اتّباع الحقّ!!

قال ابن كثير: وقد عُلِم أن الله لم يُنزل كتاباً من السماء، هو أكملُ ولا أشملُ، ولا أفصحُ ولا أعظمُ من (القرآن) الذي أنزله على محمد ﷺ، وبعده في الشرف والعظمة (التوراة) وأمّا الإنجيلُ فقد جاء متمّماً للتوراة، ومحلّلاً لبعضِ ما حُرّم على بني إسرائيل.

۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

الحزب ٤٠

﴿وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ أنزلنا عليهم القرآن متتابعاً متواصلاً ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ليتعظوا ويتذكروا بما فيه ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أنزلنا عليهم التوراة والإنجيل من قبل القرآن ﴿هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدّقون بالقرآن، كالنجاشي، وابن سلام، وبعض القسس والرهبان ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ إذا سمعوا آيات الذكر الحكيم ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ﴾ صدَّقنا كلام ربنا ﴿مُسْلِمِينَ﴾ كنا قبل نزوله مخلصين التوحيدَ لله، نعلم أنه سيبعث آخر الزمان خاتم الأنبياء ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ يعطون أجرهم مضاعفاً، لإيمانهم بكتابهم، ولإيمانهم بالقرآن، وفي الحديث: «**ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيِّه، وآمن بمحمد وصدّقه**». الحديث رواه مسلم ﴿وَيَدْرَءُونَ﴾ يدفعون الكلام القبيح، بالكلمة الطيبة الجميلة.

سبب النزول: قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ نزلت في «أبي طالب» دخل عليه الرسول في مرض موته، وعرض عليه الإسلام، وقال له: «**يا عم قل: (لا إله إلا الله) أشهد لك بها يوم القيامة**»، فقال أبو طالب: لولا أن تعيِّرني قريشٌ لأقررتُ بها عينك!!» وأبى أن يقول: «لا إله إلا الله» ففيه نزلت ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية رواه مسلم، ﴿بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ أصابها البطرُ والترف، وطغت وتمرَّدت على ربها، فدمَّر الله ديارهم، ﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ﴾ خالية من السُّكان لأنهم بادوا، ولم يسكنها بعدهم إلا قليلٌ من المسافرين المارة، يسكنونها يوماً أو بعض يوم ﴿ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ كنا نحن الوارثين لأموالهم وديارهم ﴿فِيٓ أُمِّهَا﴾ في عاصمتها وكبرى مدنها.

وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

﴿وَعْدًا حَسَنًا﴾ هل المؤمن الذي وعدناه بالجنة على إيمانه وعمله الصالح ﴿فَهُوَ لَاقِيهِ﴾ فهو لا محالة مدركه ﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ كالكافر الذي متعناه في الدنيا بزينتها وشهواتها، بمتاعٍ فانٍ زائل ﴿مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ للعذاب، يُساق إلى نار الجحيم!! هل يتساوى هذا مع هذا؟ ﴿شُرَكَاءَكُمْ﴾ وقيل للكفار: استغيثوا بآلهتكم التي عبدتموها في الدنيا، لتنقذكم وتخلِّصكم من عذاب الله!؟ وهذا للتهكم والسخرية ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ استغاثوا بهم فلم ينفعوهم بوجه من الوجوه ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ شاهدوا العذاب الأليم، وقد كانوا يكذِّبون به ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ جواب «لو» محذوف تقديره: لنجَّاهم ذلك من العذاب ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ ماذا أجبتم رسلي؟ هل آمنتم بهم وصدَّقتموهم؟ أم استهزأتم بهم وكذَّبتموهم؟ ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ﴾ حاروا في الجواب، وأظلمت عليهم الأمور، فلم يعرفوا ما يجيبون!؟ قد انعقدتْ ألسنتُهم، وإنما سمَّى حُجَجَهم أنباءَ أي أخباراً، لأنها لم تكن في الحقيقة حُججاً، إنما هي حكايات ومزاعم، والأصلُ أن يُقال: عَمُوا عن الأنباء، وعُكِس للمبالغة، ويسمى (التشبيه المقلوب). ﴿الْخِيَرَةُ﴾ ليس لأحد الاختيار، أمام حُكم الجبار ﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ ما تخفيه صدورهم، من الكفر والعداوة للرسول والمؤمنين ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود بحقٍّ إلا ربُّ العزة والجلال ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ﴾ له المجدُ والثناء الكامل في الدنيا والآخرة ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ وله القضاءُ النافذ، والفَصْلُ بين العباد، وإليه مرجع الخلائق يوم القيامة.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿سَرْمَدًا﴾ لو جعل الله عليكم الليل دائماً، مستمراً بلا انقطاع ﴿يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ﴾ من هو الإله الذي يقدر أن يرفع عنكم هذه الظلمة ويأتيكم بالنور والضياء؟ ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر وتفكر!؟ ﴿ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا﴾ وأخبروني أيضاً لو جعل الله عليكم النهار دائماً مستمراً بلا انقطاع ﴿تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ تستريحون فيه من تعب العمل في النهار؟ ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ هذه المنافع العظيمة لتشكروا ربكم عليها؟ ﴿ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ يتعاقبان بدقةٍ وإحكام ﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ لتستريحوا بالليل من نَصَب الحياة وأشغالها ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ ولتلتمسوا بالنهار أسباب الكسب والمعاش ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا من كل أمة من يشهد عليها وهو نبيُّها ﴿بُرْهَٰنَكُمْ﴾ هاتوا حجتكم على

ربع الحزب ٤٠

الكفر والإشراك ﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ توضّح لهم أنهم كانوا على ضلال، وغاب عنهم ما كانوا ينسبونه إلى الله من الشركاء والأنداد ﴿مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ من عشيرته وجماعته ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ تكبَّر وتجبَّر على قومه بماله وسلطانه ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ﴾ أعطيناه من الأموال والكنوز ما يثقل حمل مفاتيح خزائنها على الجماعة الأشداء ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ لا تبطر وتتكبر على الناس ﴿ٱلْفَرِحِينَ﴾ يبغض البطرين المتكبرين.

تذكير وتبصير: نبَّهنا تعالى إلى ظاهرتين عظيمتين: هما (الليلُ) و(النهار) وهما من الآيات الباهرة، الدالة على قدرة الله ووحدانيته، ولكنَّ الناسَ ألِفُوا رؤيةَ الشمسِ تشرقُ عليهم في الصباح، ثم تغيبُ عنهم في الليل، وألِفُوا النَّهار يُقبل ثم يُدبر، وإلْفُ الإنسانِ للشيء، يُفْقِدُه ما فيه من روعةِ الجمال والإبداع، ولهذا قال: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا ..﴾!!

الجزء العشرون — سورة القصص

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

﴿ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ قال قارون: إنما حصلت على هذه الثروة بذكائي وفهمي، وعلى علم مني بوجوه المكاسب ﴿ مِنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ ألم يعلم هذا الأحمق المغرور، أن الله أهلك من الخلائق قبله ﴿ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً ﴾ من هو أقوى منه جسداً، وأكثر منه جمعاً للمال؟ ﴿ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ ولا حاجة أن يسألهم الله عن ذنوبهم، لأن الله عالم بجرائمهم ﴿ فِى زِينَتِهِۦ ﴾ خرج قارون على قومه في أظهر زينة وأكملها، مع خدمه وحشمه ﴿ يَـٰلَيْتَ لَنَا ﴾ قال الجهلاء الحمقى: يا ليت لنا من المال والغنى، مثل الذي أعطيه قارون ﴿ حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ ذو نصيب وافر من الدنيا ﴿ وَيْلَكُمْ ﴾ قال لهم العقلاء من أهل الفهم والبصيرة: بئس ما قلتموه، فإن ما أعدّه الله للمؤمنين خير من كل ما ترونه من النعيم المادي الزائل ﴿ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴾ لا ينال هذه المنزلة الرفيعة، إلا أهل الإيمان والصبر ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ ﴾ جعلنا الأرض تغور به وبكنوزه وأمواله، جزاء عتوّه وبطره ﴿ وَيْكَأَنَّ ﴾ كلمة تعجب ومعناها: تنبهوا واتعظوا ﴿ يَبْسُطُ ﴾ يوسّع ﴿ وَيَقْدِرُ ﴾ يُضيّق ﴿ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ لا ينجح الكافرون في مسعاهم.

رُوي عن ابن عباس أنه قال: (كان قارون ابن عمّ موسى، ولكنَّ عدوَّ الله نافَقَ، وحَسَد موسى، فقال له موسى: إن الله أمرني أن آخذ منكم الزكاة فأبى وقال لجماعته: إن موسى يريد أن يأكل أموالكم، ثم لفّقوا على موسى تهمة الزنى، فأوحى الله إليه أن يأمر الأرض أن تأخذهم، فغابوا في جوفها، فذلك قوله تعالى: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ .. ﴾) رواه الحاكم وصححه.

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

ترتيبها ٢٩ — آياتها ٦٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

نصف الحزب ٤٠

﴿فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أنزله وفرض عليك العمل به ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ سيردك إلى مكة كما أخرجك منها، وهذا وعدٌ لرسوله بفتح مكة، وعودته إليها ظافراً منتصراً ﴿جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ الله أعلم بالمهتدي والضال ﴿إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ ما كنت تطمع أن تأتيك النبوة، ولا أن ينزل عليك القرآن ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ ولكنَّ الله رحمك بذلك، ورحم العباد ﴿ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ لا تكن عوناً لهم على باطلهم، وهو تحذير للأمة من موالاة أعداء الله ﴿إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ كلُّ شيء يفنى ويبقى الحيُّ القيوم، **قال ابن كثير**: وهذا إخبار بأنه الدائم الباقي، الذي تموت الخلائق ولا يموت، فعبَّر بالوجه عن الذات، أي كلُّ شيء هالكٌ إلا الله جلَّ وعلا. اهـ. قال الضحَّاكُ: لمَّا هاجر النبي ﷺ من مكة، ووصل الجُحْفة ـ وهي قريةٌ من المدينة المنورة، اشتاق إلى رؤية مكة، فأنزل الله عليه ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ . .﴾ الآية قال البخاري: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قال: إلى مكة.

سورة العنكبوت

﴿فَتَنَّا﴾ اختبرنا من سبقهم بأنواع المحن والمصائب ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ يميّز الله بين الصادقين في دعوى الإيمان، والكاذبين فيه ﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾ هل يظن الفجار أنهم يتخلّصون من عقابنا ويعجزوننا؟ ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بئس ما يظنون ويتوهّمون ﴿يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ من كان يطمع في رحمة الله ويرجو ثوابه ﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ﴾ فإن لقاء الله قريب، فليصبر على طاعة الله، وثوابُه لا يضيع عند الله ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ من جاهد لتزكية نفسه، وكفِّها عن الشهوات، فمنفعة جهاده لنفسه.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧) وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ (٩) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠) وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (١١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٤)

﴿بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أمرناه بالإحسان إلى والديه ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي﴾ وإن بذلا كل جهدهما ليحملاك على الشرك بي ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في ذلك، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق... نزلت في «سعد بن أبي وقاص» لمَّا أسلم قالت له أمه: واللَّهِ لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعيَّر بي، فيقال: يا قاتل أمه، أو ترجع إلى دينك الأول!! قال: يا أماه إني لا أترك ديني لشيء أبداً، فمكثت يوماً، ثم يوماً آخر حتى كادت تهلك، فجاء إليها ابنها سعد فقال لها: يا أمّاه: (انظري واللَّهِ لو كانت لك مائةُ نَفْس فخرجت نَفْساً نفساً ما تركت ديني!! فإن شئتِ فكلي، وإن شئتِ فلا تأكلي..) ففيه نزلت الآية، رواه مسلم ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ ما يصيبه من أذى الناس ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ مثل عذاب الله، في الشدة والغلظة، فارتدَّ عن دينه ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ قال الكفار للمؤمنين: اتبعوا ديننا واتركوا الإسلام ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ ونحن نتحمل عنكم الإثم والعقاب، ونتحمل أوزاركم ﴿مِنْ خَطَايَاهُم﴾ وليسوا بحاملين شيئاً من أوزارهم ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ما زعموا ﴿أَثْقَالَهُمْ﴾ وليحملنَّ ذنوبهم وذنوب من أضلوهم، وسوف يُسألون عن جميع الجرائم التي ارتكبوها... وفي الحديث الصحيح: «**من دعا إلى هُدَى، كان له من الأجرِ مثلُ أجورِ من تَبِعه، من غير أن يُنْقِص من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم، مِثلُ آثام من تَبِعه إلى يوم القيامة، من غير أن يُنقِص من آثامهم شيئاً**» رواه مسلم.

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

﴿أَوْثَٰنًا﴾ تعبدون حجارة لا تسمع ولا تنفع ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ وتختلقون كذباً وباطلاً، وهي أصنامٌ نحتُّموها بأيديكم وسميتموها آلهة ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ وهذه الأصنام التي تعبدونها لا تقدر أن ترزقكم شيئاً من الرزق ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ﴾ اطلبوا الرزق من الخالق الرازق، القادر على كل شيء لا من الأوثان والأصنام ﴿وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾ خصُّوه تعالى وحده بالعبادة، واشكروه على نعمه الجليلة ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ ألم يشاهدوا قدرة الله في الخلق من العدم، ثم يردهم بعد الموت؟ ﴿ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ يعيدكم إلى الحياة بعد موتكم، وينشئكم نشأة أخرى كما بدأكم أول مرة ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ لستم معجزين ربكم ولو تواريتم في أعماق الأرض، أو أعالي السماء، فلو كنتم في السماء ما أعجزتم الله ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ إليه مرجعكم للحساب والجزاء ﴿يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ سيقنطون من رحمة الله، لأن رحمة الله لا تنال المجرمين ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عذابٌ مؤلمٌ موجعٌ أشدَّ الألم.

تنبيه: قولُه تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ ضربه الله مثلاً لإحياء الإنسان بعد موته، كما تحيا الزروع والثمارُ، بالمطر المدرار، قال القرطبيُّ: المعنى: أو لم يروا كيف يُبدئُ الله الثمارَ، فتحيا ثم تفنى، ثم يُعيدها أبداً!! وكذلك يبدأ خلق الإنسان، ثم يُهلكه بعد أن خلَقَ منه الولد، وكذلك سائر الحيوان، فإذا رأيتم قدرته على الإبداء والإيجاد، فهو القادرُ على الإعادة، لأنه يقول للشيء: كنْ فيكون.!) اهـ. تفسير القرطبي.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

﴿ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ ما كان جواب أولئك السفهاء إلا أن قالوا: اقتلوا إبراهيم لتستريحوا منه، أو حرِّقوه جزاء جرأته على تحطيم الأوثان ﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾ فنجَّاه الله منها وجعلها برداً وسلاماً عليه ﴿أَوْثَـٰنًا﴾ ما عبدتم إلٰهاً عظيماً قديراً، إنما عبدتم أوثاناً من حجارة جعلتموها آلهة مع الله ﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ لتدوم بينكم المحبة والألفة، باجتماعكم على عبادتها ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ ويوم القيامة تنقلب الصداقة إلى عداوة، ويلعن بعضكم بعضاً ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ آمن برسالته ابن أخيه «لوط» ﴿مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ وقال إبراهيم: إني مهاجر من بلدي طلباً لرضى ربي، فهاجر من أرض العراق إلى بلاد الشام وفلسطين ﴿لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ﴾ العمل القبيح الذي تناهى في القبح والشناعة وهو اللواطة ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ﴾ لم يسبقكم بهذه الفعلة القبيحة أحد من الخلق ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ تأتون الذكور في الأدبار ﴿وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾ الطريق بتخويف الناس ونهب أموالهم ﴿نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ النادي: المجلسُ، أي تفعلون في ناديكم ومجلسكم ما لا يليق من أنواع المنكرات. **قال مجاهد:** «كانوا يأتون الذُّكور أمامَ الملأ، يرى بعضُهم بعضاً» وهذا منتهى الخِسَّة والفجور، بل منتهى الحيوانية البهيمية، ومِثْلُ هذا تنفر عنه طبائع الحيوانات والبهائم، فضلاً عن الإنسان الذي كرَّمه الله بالفهم والعقل.!

ثلاثة أرباع الحزب ٤٠

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ بالبشارة السارة وهي ولادة «إسحاق» ﴿مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ نهلك أهلها قوم لوط الخبثاء ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ كيف تهلكونها وفيها هذا النبي الصالح «لوط»؟ ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ سننجيه وأتباعه المؤمنين ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ إلا امرأته فستهلك مع الهالكين ﴿سِىٓءَ بِهِمْ﴾ اعتراه الغمُّ بمجيئهم، خوفاً عليهم من قومه الفجار ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ عجز عن تدبير أمر نجاتهم، فأخبروه أنهم ملائكة جاءوا لإهلاك قومه المجرمين ﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ عذاباً شديداً من السماء، وهي الحجارة من نار وطين، بسبب فسقهم وفجورهم ﴿ءَايَةًۢ بَيِّنَةً﴾ تركنا في ديارهم علامة واضحة، هي آثار الحجارة وخراب الديار ﴿وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾ اخشوا الآخرة، وما فيها من الشدائد والأهوال ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ﴾ لا تفسدوا في الأرض بأنواع البغي والظلم ﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿جَٰثِمِينَ﴾ هامدين ميِّتين لا حراك بهم ﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ كانوا قبل هلاكهم، عقلاء متمكنين من الاستدلال والنظر، ومعنى (الغابرين): الباقين في العذاب، لأن زوجة لوط كانت كافرة، أمَّا سببُ ضيقِ صدر لوطٍ بضيوفه ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ فإنهم دخلوا عليه بصورة شباب مُرد، حسان الوجوه، فخاف عليهم من قومه الخبثاء، ولم يعرف أنهم ملائكة، إلَّا بعد أن أخبروه أنهم رسل الله، ليسوا بشراً، جاءوا لإهلاك قومه.

قال ابن كثير: اقتلع جبريل قُراهم، ثم قَلَبها عليهم، فجعل عاليها سافِلَها، وأرسل الله عليهم حجارةً من سجِّيل منضود، وجعلَ مكانَها بُحيرة خبيثةً منتنةً، وجعلهم عبرةً لمن يعتبر!!

وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ﴾ وأهلكنا الجبابرة الظالمين ﴿قَـٰرُونَ﴾ صاحب الكنوز والأموال ﴿وَفِرْعَوْنَ﴾ صاحب الملك والسلطان ﴿وَهَـٰمَـٰنَ﴾ وزير فرعون الذي كان يعينه على الظلم والطغيان ﴿سَـٰبِقِينَ﴾ ما كانوا ليفلتوا من عذابنا ﴿أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ فكل واحدٍ من هؤلاء الطغاة عاقبناه بجنايته ﴿حَاصِبًا﴾ كقوم لوط ﴿أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ كثمود ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ كقارون ﴿مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ كفرعون وزبانيته ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ مثل ضربه الله تعالى لمن عبد غير الله، من صنم، أو حجر، مثَّل له ببيت العنكبوت، اتخذت بيتاً لا يغني عنها من حرٍّ أو برد، ولا يدفع عنها أذى الرياح والمطر ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ﴾ أضعفُ البيوت بيتُ العنكبوت، يتهاوى من هبة هواء، أو نفخة فم ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ﴾ وهذه الأمثال نبينها للناس ليعتبروا بها ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ﴾ وما يدركها ويفهمها إلا أهل العلم والفهم، الذين يعقلون مراد الله تعالى ﴿ٱلْفَحْشَآءِ﴾ كل قبيح من الأعمال ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ كل ما استقبحه الشرع ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ ذكركم لله عظيم، وذكرُ الله لكم بالثناء عليكم أعظم وأكبر وقيل المعنى: لَذِكْرُكَ لله أعظم شيء في الدنيا، وهي أن تتذكر عظمته وجلاله، فتذكره ولا تنساه، في جميع أحوالك، في بيعك وشرائك، ويقظتك ومنامك، وفي السرَّاء والضَّراء، وقد جاء في الحديث الشريف: «**لا يقعُدُ قومٌ يذكرون الله، إلَّا حفَّتهم الملائكةُ، وغشيتْهُم الرحمة، ونزلت عليهم السكينةُ، وذكرهم الله فيمن عنده**» رواه مسلم.

الجزء الحادي والعشرون — سورة العنكبوت

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَمِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٧ وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ٤٨ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٩ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٥٠ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥١ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ شَهِيدٗاۖ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٥٢﴾

الجزء ٢١ الحزب ٤١

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ لا تجادلوا خصومكم اليهود والنصارى ﴿إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ إلا بالطريقة الحسنة والأسلوب الحكيم ﴿ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ﴾ إلا الذين طعنوا في دينكم، ولم يتأدبوا معكم، فأغلظوا لهم القول ﴿وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ وقولوا لهم نحن مؤمنون بالقرآن العظيم، وبالتوراة والإنجيل، وأنتم على خطر في تكذيبكم للقرآن ﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ﴾ ربنا وربكم واحد، لا شريك له في ألوهيته ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ منقادون مستسلمون لأمره وحكمه ﴿تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ﴾ ما كنت يا محمد تعرف القراءة ولا الكتابة لأنك أميٌّ، ولو كنت تقرأ أو تكتب ﴿إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾ شكَّ الكفار في القرآن، وقالوا: أخذه من الكتب السابقة، ونَسَبه إلى الله ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ﴾ هلّا أنزل على محمد خوارق ومعجزات، كمعجزات موسى وناقة صالح؟ ﴿ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أمر هذه المعجزاتِ لله عزَّ وجل، وليس أمرها بيدي ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ﴾ ألا يكفي المشركين هذا الكتاب المعجز، الذي عجزت الفصحاء والنبغاء عن معارضته؟ ﴿شَهِيدٗاۖ﴾ قل للمكذبين: يكفيني شهادةُ الله على صدقِ رسالتي! وإنما أُمرنا بمجادلة أهل الكتاب بالحسنى، لأنهم في الجملة، يؤمنون بالله، وباليوم الآخر، فهم أقربُ من الوثنيين المشركين، عبَدةِ الأوثانِ والأصنام.

روى البخاري: عن أبي هريرة أنه قال: (كان أهلُ الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسِّرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسولُ الله ﷺ: **لا تُصدِّقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم..**) الحديث رواه البخاري.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ يستعجلك الكفار بإنزال العذاب عليهم ﴿وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لولا وقتٌ محدَّد لعذابهم، لعجَّل الله لهم العذاب ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾ وليأتينهم فجأة من حيث لا يدرون ولا يعرفون ﴿يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ﴾ يجلِّلهم العذاب من جميع جهاتهم، من فوقهم ومن تحتهم ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ لنسكننهم وننزلنهم منازل رفيعة في أعالي الجنان ﴿أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ نعم هذا الثواب جزاءً للمؤمنين العاملين بطاعة الله ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ﴾ كم من دابة ضعيفة، لا تقدر على كسب رزقها، ولكنَّ الله يرزقها مع ضعفها؟ فكيف ينسى خلقه؟ ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال؟ ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسِّع الرزق لمن يشاء امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ يضيِّقه على من يشاء ابتلاء ﴿مِن بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ أحيا بالمطر الأرض بعد جدبها ويُبسها ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ ليس لهم عقل يفكِّرون به، حيث يُقرُّون بأن الله هو الخالق الرازق، ثم يعبدون غيره..

والغرضُ من الآية: تقويةُ قلوبِ المهاجرين، لئلا يخافوا الفقر والجوع، عند الهجرة من أوطانهم، فكما يرزق الله البهائم الضعيفة مع عجزها وضعفها، فكذلك يرزق المؤمنين إذا هاجروا من أوطانهم نصرةً لدين الله!! وفي الحديث الشريف: «**لو أنكم تتوكَّلون على الله حقَّ توكله، لَرَزَقكم كما يرزقُ الطيرَ، تغدو خماصاً** - يعني جياعاً - **وتَرُوحُ بطاناً**» أي مملوءة البطون، رواه الترمذي.

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

سُورَةُ الرُّومِ

ترتيبها ٣٠ — آياتها ٦٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ ليست الدنيا إلا كالشيء التافه الحقير، يتلهى به الجاهل، كما يلعب الصبيان ساعةً ثم يتفرَّقون، والغرضُ تحقير شأن الدنيا، بحيث لا ينخدع بها المؤمن ﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ والآخرة هي دار السرور والحبور، وهي الحياة الدائمة الخالدة، التي لا تعب فيها ولا نصب، ومعنى الحيوان: الحياة الرغيدة السعيدة ﴿رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ السفن وخافوا الغرق ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أخلصوا في دعائهم لله لعلمهم أنه لا يكشف الشدائد إلا الله رب العالمين ﴿نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ﴾ فلما أنقذهم من أهوال البحر، وأوصلهم إلى البر ﴿إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ عادوا إلى الكفر والعصيان، وعبادة الأوثان ﴿وَيُتَخَطَّفُ﴾ يُختطفون من حولهم ﴿مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أليس في جهنم مسكن ومأوى، لهؤلاء الكفار الفجار؟ ﴿سُبُلَنَا﴾ نهديهم إلى طريق السعادة والجنة ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالنصر والعون، قال البوصيري:

ربع الحزب ٤١

وجَاهِدِ النَّفْسَ والشَّيْطَانَ واعْصِهِما وإنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فاتَّهِمِ

سورة الروم

﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ هُزم جيش الروم ﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ أقرب أرض الروم إلى فارس ﴿غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ وهم من بعد انهزامهم أمام الفرس، سيغلبون الفرسَ وينتصرون عليهم ﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ في زمن قصير ما بين الثلاث إلى التسع سنين، وهذا إخبار عن أمرٍ غيبيٍّ، وقد حدث ما أخبر عنه القرآن الكريم، فكان في هذا أعظم البرهان على صدق نبوة محمد ﷺ.

الجزء الحادي والعشرون — سورة الروم

وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾

﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ﴾ ذلك وعدٌ مؤكد لا بدَّ أن يتحقَّق وهو انتصار الروم على فارس، لأن الله لا يخلف الميعاد ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ عظمة الله وقدرته ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا﴾ الكفار الغافلون عن الآخرة، يعلمون أمور الدنيا ومصالحها، كيف يزرعون؟ ومتى يحصدون؟ وكيف يبنون!! عرفوا القشور دون اللباب، عرفوا ملاذَّها وشهواتها، ﴿وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ وهم عميٌ عن الآخرة، ساهون غافلون، لا يفكِّرون فيها ولا يعتبرون!! نفى تعالى عنهم العلم الصحيح النافع ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ وأثبت لهم العلم السطحي الظاهر، وهو أمور الزراعة، والصناعة، والتجارة همُّهم ملء البطون بلذيذ الطعام كالبهائم، ونيل متعة الجنس، أمَّا الآخرة فلا تدخل في الحسبان ﴿وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾ حرثوها للزراعة ﴿وَعَمَرُوهَآ﴾ بالأبنية والقصور الشاهقة أكثر مما عمرها كفار مكة ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ بالمعجزات الواضحة فكذَّبوهم ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ فأهلكهم الله بذنوبهم ولم يهلكهم ظلماً ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ كانت عاقبة المكذبين للرسل أسوأ العقوبات وأفظعَها حيث دمَّرهم الله ﴿يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ ييأس المجرمون من رحمة الله وتنقطع حجتهم ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ﴾ ينقسمون فريقين ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ ﴿يُحۡبَرُونَ﴾ يُسرُّون وينعَّمون.

قال الحسن البصري: والله لئن اجتمعوا في الدنيا، فَلَيتفرقُنَّ يومَ القيامةِ، هؤلاء في أعلى علِّيين، وهؤلاء في أسفلِ سافلين.

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٤﴾

﴿مُحۡضَرُونَ﴾ للعذاب، كالمجرم الذي يساق إلى السجن، لينال العقاب ﴿وَحِينَ تُظۡهِرُونَ﴾ وقت الظهيرة ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ الإنسانَ من النطفةِ، والشجرةَ من النَّواة، والنباتَ من الحبّ ﴿وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ الطَّيرَ من البَيْضة، والنطفة من الإنسان، والبيضة من الدجاجة، ويروى عن ابن عباس: يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ تتحركون لمكاسبكم ومعايشكم ﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ لتميلوا إليهن وتألفوهن ﴿مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً﴾ جعل بين الأزواج والزوجات المحبة والشفقة، ولولا هذه المودة والمحبة ما عطف رجل على امرأة، ولا دامت الألفة بينهما ﴿وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ﴾ اختلاف اللغات، من عربية، وهندية، وإنجليزية وغيرها من اللغات التي لا تُحصى ﴿وَأَلۡوَٰنِكُمۡ﴾ ما بين أبيض، وأسود، وأحمر، مع أنهم جميعاً من ذرية آدم ﴿وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ﴾ طلبكم للرزق والكسب في النهار ﴿خَوۡفٗا وَطَمَعٗا﴾ من آياته الباهرة الدالة على قدرته ووحدانيته، أنه يريكم البرق خوفاً من الصواعق التي فيه، وطمعاً في الغيث والمطر، والسحابُ يحمل معه **(الصواعق)** وهي عذاب، و **(المطر)** وهو رحمة، والماءُ يطفئ النار، فكيف اجتمع الضدَّان في الشيء الواحد؟ إنها القدرةُ المُبْدِعَةُ، قال الشاعر:

جَمْعُ النَّقيضَيْن من أسرارِ قُدْرتِهِ   هـذا السَّحابُ بـه (ماءٌ) بـه (نـارُ)

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ
ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ
أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى
مَا رَزَقْنَـٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾
بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى
مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ
حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ
ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟
دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

﴿تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ﴾ تقف السماء بدون أعمدة، وتظلُّ الأرض في حركتها ودورانها دون أن تنقلب بأهلها وسكانها ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ بإرادته تعالى وتدبيره ﴿دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ ثم إذا دعاكم للخروج من القبور، تخرجون فوراً دون إبطاء ﴿قَـٰنِتُونَ﴾ مطيعون منقادون لأمره وحكمه ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ هيِّن عليه، وليس اسم تفضيل لأنه لا شيء عند الله صعبٌ، وشيء أهونُ ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ صفات الكمال التي لا يشابهه فيها أحد ﴿مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ ضرب الله لكم مثلاً من واقع حياتكم، تدركونه بأنفسكم ﴿هَل لَّكُم﴾؟ هل يرضى أحدكم أن يكون عبده ومملوكه شريكاً له في ماله؟ ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ تخافون على أموالكم من عبيدكم ومماليككم، كما تخافون عليها من اللصوص؟ **وخلاصة المثل**: إذا كنتم لا ترضون أن يشارككم عبيدكم في أموالكم، فكيف تقبلون أن يكون لله شركاء في مخلوقاته؟ ﴿حَنِيفًا﴾ استقم على دين الإسلام الذي جاء به خاتم الأنبياء ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ دين الله الذي خلق عليه البشر، وجَبَلهم عليه ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ لا تغيير لتلك الفطرة السليمة ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ الدين المستقيم الذي لا عوج فيه ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ راجعين إليه بالتوبة ﴿شِيَعًا﴾ فرقاً وأحزاباً مختلفة الأهواء ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ كلُّ جماعةٍ وفرقة مسرورون، راضون بما هم عليه من الدين الأعوج، ظناً منهم أنهم على هدى وحقٍّ، وهم غارقون في الغيِّ والضلال.

نصف الحزب ٤١

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا۟ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾

﴿مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ قحط وجدب ﴿مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ ملتجئين إليه وتركوا الأصنام ﴿أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً﴾ فرّج كربتهم، وأنزل عليهم المطر ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ رجعوا إلى عبادة الأوثان، ونسوا ربهم الذي أغاثهم ونجّاهم ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ ليكفروا بنعم الله التي أغدقها عليهم ﴿فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وليتمتعوا بهذه الحياة الفانية، فسوف يعلمون عاقبة الكفر والضلال وهو وعيد وتهديد ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ هل أنزلنا على هؤلاء المشركين حجة ظاهرة؟ ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ فهو ينطق ويشهد عليهم بصحة ما هم عليه من الكفر والإشراك؟ ﴿أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ من رزقٍ وصحة، وغنى ﴿فَرِحُوا۟ بِهَا﴾ فرح بطر وأشر ﴿يَقْنَطُونَ﴾ ييأسون ﴿وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ الذي انقطع في سفره ﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا يزيد ولا يثمر عند الله تعالى، لأنه مال حرام، وكسب خبيث لا يبارك الله فيه ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ﴾ دفعتم إلى الفقراء والمساكين من زكاة أموالكم ﴿تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾ تريدون بذلك وجه الله، فهو الذي يُنمّيه الله، ويباركُ فيه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ الذين تتضاعف لهم الأعمال الصالحة، ويبارك الله لهم في إنفاقهم وصدقاتهم، وفي الحديث الشريف: «**إن الله قسّم بينكم أخلاقكم، كما قسّم بينكم أرزاقكم، وإنَّ اللهَ يُعطي الدنيا لمن يُحبُّ، ولمن لا يُحبُّ، ولا يُعْطي الدينَ إلّا لمن أحبَّه، والذي نفسي بيده لا يكسب عبدٌ مالاً من حرام، فيبارك له فيه، ولا يتصدَّق منه فيقبله الله، ولا يتركه خلفه، إلا كان زاده إلى جهنم، إنَّ الله لا يمحو الخبيثَ بالخبيثِ، ولكنْ يمحو الخبيثَ بالطيِّب**» رواه أحمد.

قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ اعتصمْ بدين الإسلام الذي أوحاه الله إليك، فهو الدين القيم أي المستقيم ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ يتفرّقون إلى الجنة أو إلى النار ﴿يَمْهَدُونَ﴾ يهيئون لهم فراشاً للنوم عليه، شبَّه من عمل الأعمال الصالحة، بمن يمهِّد فراشه ويهيئه للنوم عليه، وهو من لطيف الاستعارة ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ بنزول المطر ﴿وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ﴾ تسير السفن في البحر بتدبيره سبحانه وتقديره ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الواضحات، والحجج النيرات ﴿فَٱنتَقَمْنَا﴾ في الآية محذوف تقديره: فكذبوهم فانتقمنا من الكفرة المجرمين ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ تحرِّك السحاب وتسوقه أمامها ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ ينشره في أعالي الجو ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ قِطعاً متفرّقة أحياناً ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ ترى المطر يخرج من بين ثنايا السحاب ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ إذا نزل المطر عليهم يُسرُّون ويفرحون لمجيء الخصب، وزوال القحط ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ كانوا قبل نزول المطر يائسين قانطين ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ إنّ الذي أحيا الأرض الميتة بالمطر، هو الذي يحيي الخلق بعد موتهم، ففيه تشبيه إحياء الأموات، بإحياء الأراضي المجدبة القاحلة، والله على كل شيء قدير، وقد ساق القرآن الآية، كبرهانٍ عقلي على عقيدة (البعث والنشور) فالذي يُحيي الأرضَ الميتة بالمطر، هو الذي يُحيي الأموات من البشر، كما قال سبحانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ وكفى بها حجةً واضحة!!

وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

﴿أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ إذا أرسلنا على الزرع ريحاً ضارة مفسدة ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ رأوا الزرع مصفراً بعد اخضراره ﴿لَّظَلُّوا مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾ لاستمروا يجحدون النعمة،

ثلاثة أرباع الحزب ٤١

فهم عند الخصب يفرحون، وإذا جاءتهم مصيبة جحدوا سابق نعمة الله عليهم ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ الكفار موتى القلوب ﴿بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ﴾ ولستَ تهدي من أعمى الله بصيرته ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ لا تسمع سماع انتفاع إلا المؤمنين أهل التفكر والتدبر، والآية تشبيه للكفار بالموتى، وبالصمّ والعمي، لأنهم لم ينتفعوا بحواسهم، فإن من يرى الكون وما فيه من دقائق الصنعة والإبداع، ثم لا يؤمن بالله، فإنه ميت القلب والحسّ، ولا يراد (بالموتى) الأموات الذين فارقوا الحياة، **قال الحافظ ابن كثير:** والصحيح أن الميت يسمع، ويُحسُّ بمن يسلّم عليه أو يزوره، ويستبشر به للأحاديث الكثيرة الشهيرة ﴿مِّن ضَعْفٍ﴾ من شيء ضعيف هو المنيُّ ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يُصرفون عن الهدى إلى الضلال ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يُطلب منهم أن يُرضوا ربهم بتوبة أو طاعة، لأن وقت التوبة والإيمان قد فات، يقال في اللغة: استعتبتُه فأعتبني أي استرضيتُه واعتذرتُ إليه فقَبِل عذري ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ بينَّا في هذا القرآن المواعظ، وضربنا فيه **الأمثالَ المتنوّعة** ليتذكروا ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ﴾ ولئن جئتَ المشركين بكل معجزة ممَّا اقترحوه لا يؤمنون، ويقولون: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ ما أنتم إلَّا مفترون، تكذبون علينا لندخل في دينكم ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾ لا يحملنك على الضجر والخِفَّة، الضالون الشاكون في قدرة الله تعالى.

ترتيبها ٣١ — سُورَةُ لُقْمَانَ — آياتها ٣٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

سورة لقمان

﴿الٓمٓ﴾ الحروف المقطعة للإشارة إلى أن هذا الكتاب المعجز، الذي أفحم البلغاء والفصحاء، منظوم من أمثال هذه الحروف الهجائية فليأتوا بمثل سورة من سوره ﴿لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ﴾ الباطل الذي يُلهي عن طاعة الله، كالغناء الماجن، ومزامير الشيطان ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ يتخذ آيات القرآن سخرية واستهزاءً ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ شديد مع الإهانة له والإذلال ﴿وَقْرًا﴾ كأن في أذنيه صمماً يمنعه من سماع كلام الرحمن.. نزلت في «النضر بن الحارث» كان يشتري المغنِّيات ويقول لمن يرغب في الإسلام: تعالَ معي، فيذهب به إلى المغنِّية ويقول لها: أطعميه، واسقيه الخمر، وغنِّيه!! ويقول له: هذا خير مما يدعوك إليه محمد من الصلاة، والصيام، والقتال بين يديه ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ليمنع الناس من الدخول في الإسلام ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ من غير أعمدة ﴿تَرَوْنَهَا﴾ تشاهدونها واقفة بدون عمد بقدرة الله ﴿رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿تَمِيدَ بِكُمْ﴾ تضطرب بكم ﴿زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ من كل صنف كثير المنافع ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ هذه مخلوقاته وهذا إبداعه ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ أروني ماذا خلقته آلهتكم الأصنام والأوثان من مخلوقات؟ حتى عبدتموها من دون الله؟ وهو سؤالٌ فيه السخريةُ والتهكُّمُ بالمشركين، وآلهتهم المزعومة، ولهذا عقَّب على ذلك بقوله سبحانه: ﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ أي هم في ضلال واضح ما بعده ضلال، وخسرانٍ مبين ما بعده خسران!! لأنهم عبدوا ما لا يسمع ولا ينفع، ولا يقدر على خَلْق ذُبابة، فضلاً عن خلق إنسان، أو خلق السمواتِ والأرض!!

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا
يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ
لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ
لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ
وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ
إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ
لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ
وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم
بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ
خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ
بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ
بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ
مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ
مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ
وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾

﴿ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ لقمان ليس بنبي، إنما هو عبد صالح رزقه الله الحكمة، فكان ينطق بها ويعلّمها الناسَ، ومعنى الحكمة: الفقهُ، والعقلُ، والإصابة في الرأي ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأن نفع ذلك راجع إليه ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ﴾ ينصحه ويذكّره ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ لا تجعل لله شريكاً من بشرٍ أو حجر ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ إن الشرك قبيح وعاقبته وخيمة، لأن من ساوى بين الخالق والوثن، فإنه أحمق الناس، وأبعدهم عن منطق العقل والحكمة ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ تزداد بحمله ضعفاً على ضعف، من حين الحمل، إلى حين الولادة ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ فطامه ومدة إرضاعه سنتان ﴿سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ﴾ اسلك طريق المؤمن التائب المخلص لله ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ وزن أصغر شيء ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ﴾ لا تمِلْ خدَّك تكبراً على الناس، واحتقاراً لهم ﴿مَرَحًا﴾ مختالاً عليهم، والمرحُ: الفرحُ والبطر ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾ امشِ بسكينةٍ ووقار ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ اخفض صوتك فلا ترفعه عالياً، فمن رفع صوته فقد تشبَّه بالحمار ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ وهو أوحشُ الأصوات وأقبحها.

قال الحسن البصري: كان المشركون يتفاخرون برفع الأصوات، فردَّ الله عليهم بأنه لو كان خيراً لفضلتهم الحمير!! **وقال قتادة**: (أقبحُ الأصوات صوتُ الحمير، أوّلُه زفيرٌ، وآخرُه شهيقٌ، ولذلك ضرب الله تعالى المثلَ به لبشاعته وشناعته) تفسير ابن كثير.

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ
عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ
بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا
مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ
الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ
وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ
وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ
إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ
مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ
وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

الحزب ٤٢

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾ أتمَّ وأكمل عليكم نعمه العديدة التي لا تُحصى كثرةً ﴿ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ المرئية كنعمة السمع والبصر، والخفية كنعمة العقل والإدراك ﴿عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أيتَّبعون آباءهم ولو كانوا أشقياء ضالين، حتى ولو كان الشيطان يدعوهم إلى نار جهنم المستعرة؟ ﴿وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ يخلص الإيمان والطاعة والعبادة لله جلَّ وعلا ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ تمسَّك بأقوى حبل، واعتصم بأعظم سبب ﴿عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ مرجع جميع الأمور إلى الله وحده، فيجازي عليها، والآية وردت مورد التمثيل، شبَّه من تمسك بدين الإسلام، بمن أراد أن ينزل من شاهق جبل، فتمسَّك بحبل متين غليظ، فنجا من الوقوع في الهاوية ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ نبقيهم في الدنيا مدة قليلة، يتمتعون بها بما يشتهون ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ نلجئهم إلى عذاب فظيع شديد، هو عذاب جهنم ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ لو تصورنا أن جميع أشجار الأرض، جُعلت أقلاماً للكتابة، وجُعلت بحارُ الدنيا حبراً ومداداً، فكتبت بها كلماتُ الله، لانتهت الأقلام، ونفدت مياه البحار، ولم تنته كلمات الجبار جل جلاله، والآية تمثيلٌ لسَعَة علم الله جلَّ وعلا، لأن أحداً لا يستطيع أن يتصوَّر عظمةَ اللهِ وجلالهِ، ولهذا ختم الآية بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ أي غالب لا يعجزه شيءٌ أراده، حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته أمر ﴿إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ما خلقُ جميع البشر، ولا إحياؤهم بعد الموت، إلّا كخلق نفسٍ واحدة، فلا تستبعدوا قدرة الله على إحيائكم.!

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

سُورَةُ السَّجْدَة

ترتيبها ٣٢ — آياتها ٣٠

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ﴾ يدخل ظلمة الليل على ضوء النهار، ويزيد في هذا وينقص من ذاك ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ ذلَّلهما لمصالح العباد، الشمس تشرق ثم تغيب، والقمر كذلك يظهر ثم يختفي، في دورة دائبة مستمرة ﴿أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ غاية محدودة هي انتهاء الحياة عن سطح الأرض، ومجيء القيامة ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾ ليطلعكم على روائع قدرته، وبدائع خلقه ﴿لَآيَاتٍ﴾ علامات باهرة وعبر جليلة ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ لكل عبد منيب، كثير الصبر والشكر لنعم الله تعالى ﴿غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾ كانوا في البحر، وجاءتهم أمواج البحار، كثيفة من كل جانب، كأنها الجبال في علوِّها وكثافتها ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أخلصوا دعاءهم لله، ونسوا الأوثان والأصنام ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾ أنقذهم من شدائد البحر، وأخرجهم إلى شاطئ الأمان ﴿فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ موفٍ بعهده، شاكر لله، وفي الآية حذف، أي ومنهم كافر، دلَّ عليه قوله: ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ ما ينكرها ويكذب بها ﴿خَتَّارٍ﴾ غدار عظيم الغدر ﴿كَفُورٍ﴾ شديد الجحود لنعم الله، وهي صيغة مبالغة ﴿عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ وقتُ قيام الساعة وفناء العالم، وهذه الآية فيها مفاتيح علم الغيب كما جاء في الحديث: «**مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله.. وتلا الآية**» رواه البخاري. ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ أي ولا يعرف أحدٌ المكان الذي تكون منيّته فيه، وإذا كان لا يعرف موطن موته، والمكانَ الذي يموت فيه؟ فكيف يعرف وقت وفاته؟ هذا أبعدُ في الاستحالة، لأن الله إذا قدّر موتَ أحدٍ في بلدٍ، جعل الله إليه فيها حاجة.

سورة السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾

﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك في أنه من عند الله ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ هل يقول المشركون: إن محمداً اختلق هذا القرآن من تلقاء نفسه ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ ليس الأمر كما يدَّعون، بل هو القولُ الحقُّ المنزلُ من عند رب العالمين ﴿مِّن نَّذِيرٍ﴾ أهل الفترة بين سيدنا عيسى وسيدنا محمد، الذين لم يرسل الله لهم رسولاً قبلك ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أوجد وأبدع خلقها ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواءً يليق بجلاله ﴿أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ هذا (اليوم الإلَهي) عند الله تعالى، طوله ألف سنة من أعوام الدنيا والمراد أن أمره تعالى يتنزَّل من أعلى السموات، إلى أقصى أقطار الأرض، في يوم طولُه ألف سنة من أيام الدنيا، فإذا تأخر العذاب عن قوم أربعين سنة فهو في حساب الله أقلُّ من ساعة، فلا يستعجلوا عذابه!!

ربع الحزب ٤٢

﴿نَسْلَهُۥ﴾ ذريته ﴿مِن سُلَٰلَةٍ﴾ يتناسلون من خُلاصة هي النطفة ﴿مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ من ماء ممتهن ضعيف حقير، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾؟ ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾ سوَّى شكله، وعدَّل خلقه، فجعله في أجمل صورة ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ الإضافة للتشريف أي من الروح التي خلقها الله وأوجدها ﴿ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ متنا وصرنا تراباً ورفاتاً، مختلطاً بتراب الأرض، هل سنبعث؟ ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ بل هناك ما هو أبلغ وأشنعُ من الاستهزاء بدين الله، وهو كفرُهم وجحودهم بلقاء الله في دار الجزاء، حيث كانوا يقولون: لا بعثَ ولا حساب!! ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ مرجعكم إلى ربِّ العزة والجلال، للحساب والجزاء، والآية وعيد وتهديد.

الجزء الحادي والعشرون — سورة السجدة

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

﴿ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ ﴾ مطرقو رؤوسهم خجلاً وحياء، كما يكون حال الفجار، وكما يقف الخائنون للوطن أمام المحكمة ﴿ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا ﴾ يقولون: يا ربنا أبصرنا الآن ما كنا نكذّب به، وسمعنا ما كنا ننكره من أمر الرسل، وكنا عمياً وصماً في الدنيا ﴿ فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا ﴾ ردُّنا إلى الدنيا، لنطيعك ونعمل بما يرضيك ﴿ إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ مصدّقون بما جاءنا به رسولك!! ﴿ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ﴾ نتركم اليوم في العذاب، كما تركتم العمل بآياتنا ﴿ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ ﴾ العذاب الدائم الخالد الذي لا ينقطع ﴿ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ تتنحّى أطرافهم عن الفرش ومواضع النوم، والغرضُ أن نومهم بالليل قليل، لانشغالهم بالعبادة ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ ﴿ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ لا يعلم أحد من الخلق، الجزاء الكريم الذي أخفاه الله لهم، مما يُفرح قلوبهم ويُسرون به، وفي الحديث: «**أعددتُ لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**» رواه البخاري ﴿ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ جنات الإقامة الدائمة، التي فيها القصور والدور والغرف العالية ﴿ نُزُلًۢا ﴾ ضيافةً وكرامة لهم من الله ﴿ فَسَقُوا۟ ﴾ أمّا الفُسَّاق الفُجار، فمسكنهم نار الجحيم، لا خروج لهم منها ﴿ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا ﴾ كلّما دفعهم لهب النار، ردُّوا إلى أسفلها، وتقول لهم خزنةُ جهنم: ذوقوا عذاب النار المخزي المهين، والمراد بالفُسَّاق هنا: الكفار، لأن المؤمن العاصي لا يخلَّد في نار الجحيم. **قال الفضيل:** والله إنَّ الأيدي لموثَقةٌ، وإنَّ الأرجلَ لمقيَّدة، وإنَّ اللَّهَب ليرفعهم، والملائكة تَقْمعهم، ولا خروج لهم من نار الجحيم.

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ الأَحْزَابِ

ترتيبها ٣٣ — آياتها ٧٣

﴿ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ﴾ عذاب الدنيا العاجل ﴿دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ عذاب جهنم الشديد المعدّ للفجار ﴿فِى مِرْيَةٍ﴾ في شك ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ أي والله لقد أعطينا موسى (التوراة) فلا تكن يا محمد في شكٍّ من تلقّيك (القرآن) كما تلقّى موسى التوراة، فمصدرُ الوحي واحدٌ، فالذي أنزلَ التوراةَ على موسى، هو الذي أنزل عليك القرآن، وقد آمن بالتوراة فريقٌ، وكفر به فريق، كما فعل قومُك ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ جعلنا التوراة نوراً وهداية لبني إسرائيل، كما جعلنا القرآن هداية لقومك ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ يحكم بينهم بحكمه العادل ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أو لم يتنبه الكفارُ ويظهر لهم كثرة الأمم التي أهلكناها؟ ﴿يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ﴾ يمشون في ديار المهلكين، ولا يرون فيها إلا الأطلال، أفلا يعتبرون ويتعظون؟ ﴿ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ الأرض القاحلة المجدبة، التي لا نبات فيها ولا زرع ﴿فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا﴾ نخرج بهذا الماء النازل من السماء، أنواع الزروع والثمار، فالذي أحيا الأرض الميتة، يحيي الناس من قبورهم ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ﴾ متى اليوم الذي تنصرون فيه علينا؟ يقولونه سخرية واستهزاء ﴿كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ﴾ قل لهم توبيخاً: إن يوم القيامة هو يوم الفصل بيننا، حين لا ينفعكم إيمان ولا اعتذار ﴿يُنظَرُونَ﴾ لا يُمهلون ولا يؤخرون لحظة واحدة، فلماذا تطلبون العذاب سريعاً؟! ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ أعرضْ عن هؤلاء الكفار الفجار، ولا تُبال بهم ولا بتكذيبهم ﴿وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ وانتظر ما يحلُّ بهم من عذاب الله الأليم، إنهم ينتظرون هلاكك.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

سورة الأحزاب

نصف الحزب ٤٢

﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ اثبت على تقوى الله ودم عليها، وبنداؤه بلفظ النبوة للتشريف ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فيما يدعونك إليه من اللين والتساهل، وعدم ذكر آلهتهم بسوء ﴿مِّن قَلْبَيْنِ﴾ ما خلق الله لأحدٍ من الناس، نبياً أو إنساناً عادياً، قلبين في صدره ﴿تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ كما لم يجعل لرجلٍ من قلبين في صدره، كذلك لم يجعل الزوجة التي قال لها زوجها: أنتِ عليّ كظهر أمي، أماً بهذه الكلمة ﴿أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾ كما لم يجعل أبناءكم من التبني أبناءً لكم على الحقيقة ﴿قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ ليس ذلك إلا مجرد قولٍ بالفم، دون أن يكون له حقيقة، وهو قول باطل لا دليل عليه ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾ انسبوهم لآبائهم ﴿أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أعدل وأصوب في شرع الله وحكمه ﴿جُنَاحٌ﴾ إثم ﴿أَخْطَأْتُم بِهِۦ﴾ فيما وقع منكم خطأ دون تعمد ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ رسول الله ﷺ أحقُّ وأولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو كالوالد لأمته ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ زوجاته الطاهرات أمهات للمؤمنين، فعليهم أن يحترموه ويجلُّوه، ويطيعوا أمره، وفي الحديث: «ما من مؤمنٍ إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، واقرءوا إن شئتم ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾» رواه البخاري. ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ﴾ أهلُ القرابة وعصبةُ الميّت، أولى بالميراث من المؤمنين، بالأُخوّة الإيمانية، والموالاة في الدين، والآيةُ ناسخةٌ لما كان في صدر الإسلام، من التوارث بين المهاجرين والأنصار، بالأخوّة التي آخى بينهم رسول الله ﷺ.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَـٰهَدُوا ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾

﴿مِيثَـٰقَهُمْ﴾ أخذنا منهم العهد المؤكد، أن يبلغوا رسالة الله إلى عباده ﴿وَمِنكَ﴾ ومنك أنت يا خاتم النبيين والمرسلين ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى﴾ آخر أنبياء بني إسرائيل ﴿مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ عهداً وثيقاً عظيماً على الوفاء بما التزموا به، وهؤلاء الخمسة مشاهير الرسل، وأولو العزم منهم ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ يسأل يوم القيامة الأنبياء الصادقين، عن تبليغهم الرسالة لأقوامهم ﴿جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ اتفقت أحزاب الكفر عليكم، والآية تشير إلى «غزوة الخندق» حيث جاءت قوى الشر من كل مكان، وحاصرت المدينة المنورة، وحفر الرسول والمؤمنون الخندق، وكانت أياماً عصيبة على المسلمين ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ يعني من كل مكان، ونقض يهود بني قريظة العهد مع رسول الله ﷺ ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ تمثيل لشدة الرعب والفزع الذي دهاهم، حتى كأن قلوبهم خرجت من أماكنها ﴿قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ مرض النفاق حتى قال بعض المنافقين: يعدنا محمد بفتح فارس والروم، وأحدنا لا يقدر أن يذهب ليتغوَّط من الخوف، ما هذا الوعد إلا غرور وباطل!! ﴿بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ غير حصينة معرَّضة للخطر، ليس فيها من يحميها من الرجال ﴿إِلَّا فِرَارًا﴾ لا يريدون إلا الهرب من المعركة ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾ لو دخل عليهم الأعداء من جميع جوانب المدينة ﴿ثُمَّ سُئِلُوا ٱلْفِتْنَةَ﴾ طُلبَ منهم أن يكفروا ويرتدُّوا عن الإسلام ﴿لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾ لما تأخر المنافقون لحظة، وأجابوهم إلى ما طلبوا سراعاً، وهذا غاية الذمّ لهم، على مسارعتهم في الضلال.

قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

﴿يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ من يمنعكم من قدرته تعالى؟ سواءٌ قدّر لكم الحياة أو الموت ﴿ٱلْمُعَوِّقِينَ﴾ المثبطين للناس عن الجهاد ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ تعالوا إلينا واتركوا محمداً وأصحابه حتى يهلكوا ﴿ٱلْبَأْسَ﴾ الحرب والقتال ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بخلاء عليكم حتى بالنصح لكم ﴿يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ يُصيبه الإغماء والغشية من سكرات الموت ﴿ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ﴾ انجلت المعركة ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ آذوكم بالكلام الغليظ، بألسنة سليطة كأنها الحديد، يقولون لكم: أعطونا من الغنيمة فإنا قاتلنا معكم ﴿أَشِحَّةً﴾ بخلاء بالمال ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ لم يؤمنوا على الحقيقة، وإن قالوا بألسنتهم آمنّا، فأبطل الله أعمالهم بسبب كفرهم ونفاقهم ﴿بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ يتمنوا أنهم لو كانوا في البادية مع الأعراب، حذراً من القتل ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ عن أخباركم، هل انتصر الكفار؟ هل انهزم المسلمون؟ ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قدوة حسنة، تقتدون بالرسول في إخلاصه، وجهاده، وصبره، فهو المثل الأعلى، وهو الأسوة والقدوة لجميع المؤمنين ﴿يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ﴾ لمن كان يريد ثواب الله، وجزاءَه في الآخرة ﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أكثرَ من ذكرِ ربه، بلسانه وقلبه، وكان دائم الصلة بالله، يذكره في السراء والضراء ﴿رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ﴾ شاهدوا جيوش الكفر، أحاطوا بهم من كل جانب ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ من المحنة والبلاء ﴿إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ ما زادهم ما رأوه من كثرة الأعداء، إلا إيماناً بالله، واعتقاداً بنصره، واستسلاماً لقضائه وحكمه.

ثلاثة أرباع الحزب ٤٢

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

﴿قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ وفَّى بنذره حتى نال الشهادة في سبيل الله ﴿مَّن يَنتَظِرُ﴾ ومنهم من ينتظر دوره لينال الشهادة ﴿بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ وما غيّروا عهدهم الذي عاهدوا عليه ربهم. . نزلت في «أنس بن النضر» قال: (لئن شهدتُ مع النبي ﷺ قتالاً، ليرينَّ الله ما أصنع؟؟ فلما كانت معركة أحد، وانهزم المسلمون، مشى بسيفه نحو الأعداء، فلقيه سعد فقال يا سعدُ: واللّهِ إني لأجد ريح الجنة دون أُحدا!! ثم دخل في صفوف الأعداء فقتل منهم رجالاً، ثم استشهد، فوجدوا به بضعاً وثمانين جراحة، ولم يعرفه أحد إلا أخته، عرفته من رؤوس أصابعه، ففيه نزلت الآية) صحيح مسلم رقم ١٩٠٣ ﴿ظَٰهَرُوهُم﴾ أعانوهم وهم يهود بني قريظة ﴿صَيَاصِيهِمْ﴾ حصونهم ومعاقلهم ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ زوجاتك أمهات المؤمنين ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أدفع لكنّ متعة الطلاق ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ أطلقكن ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ طلاقاً حسناً ليس فيه إضرار ولا إساءة. . نزلت الآيات حين اجتمع نساؤه يطالبنه بالتوسعة عليهن، وقلن له: يا رسول الله بناتُ كسرى وقيصر في الحُليّ والحُلل، ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق، وآلمن قلبه الشريف فنزل القرآن بآية التخيير، فاخترن جميعاً الله ورسوله على ضيق العيش، ولذلك نلن شرف أمهات المؤمنين.

لقد كان نقضُ اليهود للعهد، سبباً لإجلائهم عن المدينة المنورة، فبعد أن رجع رسولُ الله ﷺ من (غزوة الخندق)، ظافراً منتصراً، ووضع المسلمون السلاح، جاءه جبريل فقال له: إن الله يأمرك أن تنهض إلى (بني قريظة) فتقاتلهم، وأمرني أن أزلزل عليهم حصونهم، وانظر تفصيل القصة في البخاري.

۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

الجزء ٢٢ — الحزب ٤٣

﴿يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ﴾ تطع أمر الله وأمر رسوله، وتواظب على الامتثال والطاعة ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ نؤتها الثواب مضاعفاً، أي مرتين، مرة على الطاعة، وأخرى على طلبها إرضاء الرسول ﷺ ﴿تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾ لا تتلاينّ بالكلام عند مخاطبة الرجال ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ قولاً عفيفاً بعيداً عن الريبة، من غير لين ولا تكسر، كما تفعله المائعات ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ الزمْنَ بيوتكن، ولا تخرجن لغير حاجة ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ لا تُظهرن زينتكن للأجانب وتتكشفْنَ كما كان نساء أهل الجاهلية يفعلن ﴿ٱلرِّجْسَ﴾ دنس المعاصي والفجور ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ يطهركم يا آل بيت النبوة، من جميع ما يُنقص من كرامتكن، تطهيراً كاملاً، والآية عامة تشمل بنات النبي ﷺ وأصهاره وأزواجه الطاهرات، **قال ابن عباس**: نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة وهي تعمُّ جميع أهل بيته ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ المداومين على العبادة والطاعة، من الرجال والنساء ﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ﴾ المتواضعين بقلوبهم وجوارحهم لعظمة الله وجلاله.. نزلت هذه الآية حين قالت: أم سَلَمة يا رسول الله ما لنا لا نُذكر في القرآن كما يُذكر الرجال؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ الآية رواه أحمد والنسائي.

نبّه تعالى في الآية، أن الرجالَ والنساءَ متساوون في التكاليف الشرعية، لا فرق بين رجل وامرأة، وقد ذكر من صفات أهل الإيمان عشرَ صفات، وهي: (الإسلامُ، والإيمانُ، والقنوتُ، والصِّدقُ، والخشوعُ، والإحسانُ، والصومُ، والعِفّةُ، وذكرُ الله تعالى، والبعدُ عن الزنى).

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

﴿قَضَى ٱللَّهُ﴾ إذا حكم أو أمر بشيء من الأشياء ﴿لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ رأيٌ واختيار، بل عليهم الانقيادُ والتسليم لحكم الله ورسوله.. نزلت في «زينب الأسدية» خطبها ﷺ لمملوكه «زيد بن حارثة» فامتنعت لشرفها ومكانتها في قريش، فلما نزلت الآية جاء أخوها فقال: (يا رسول الله مُرني بما شئتَ، فأمره أن يزوِّجها من زيد، فرضي وزوّجها) رواه الطبري ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق من الرقّ، وهو «زيد بن حارثة» كان مملوكاً للرسول ثم أعتقه وتبنَّاه وزوَّجه بزينب ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ لا تتعجل بطلاقها واتركها في عصمتك ﴿مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ ما سيظهره الله، وهو رغبة زواجك بها، لإبطال حكم التبنّي ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ تهاب أن يقول الناسُ: تزوّجَ محمد زوجة ابنه من التبنّي ﴿مِّنْهَا وَطَرًا﴾ لمّا طلّقها زيد ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ تولينا تزويجها لك ﴿أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ زوجات أبنائهم من التبنّي، عن أنس قال: (جاء زيد يشكو زينب إلى رسول الله ﷺ فجعل الرسول يقول له: اتق اللهَ وأمسكْ عليك زوجك!! فلو كان رسول الله كاتماً شيئاً لكتم هذه الآية) رواه البخاري.

تنبيه هام: الآية صريحة في ما أخفى الرسولُ ﷺ في نفسه، من رغبة الزواج بزينب بعد أن يطلّقها زيدٌ ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ قال ابن عباس: «خشيَ ﷺ أن يقول المنافقون: إن محمداً تزوّج بامرأة ابنه» هذا الذي أخفاه ﷺ، أما ما يذكره بعضُ القُصّاص، من أن الرسول ﷺ لما رآها وقع حبُّها في قلبه.. إلخ، فكذبٌ وبهتانٌ، وهي من دسائس أعداء الإسلام!

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌۭ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًۭا كَرِيمًۭا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًۭا وَمُبَشِّرًۭا وَنَذِيرًۭا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًۭا مُّنِيرًۭا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًۭا كَبِيرًۭا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًۭا ﴿٤٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍۢ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًۭا جَمِيلًۭا ﴿٤٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةًۭ مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةًۭ لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌۭ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًۭا رَّحِيمًۭا ﴿٥٠﴾

﴿أَجْرًا كَرِيمًا﴾ الجنة وما فيها من النعيم المقيم ﴿شَـٰهِدًا﴾ تشهد على أمتك ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ للمؤمنين بجنات النعيم ﴿وَنَذِيرًا﴾ للكافرين من عذاب الجحيم ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾ تهدي الخلق إلى توحيد الله ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بأمره وتقديره ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ مصباحاً ساطعاً مضيئاً. تضيء للبشرية طريق الهداية والسعادة، شبَّهه بالسراج المنير. لأن الله كشف به ظلمات الكفر والضلال، كما يجلي السراج ظلمة الليل ﴿أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ طلقتموهن قبل المساس ـ الجماع ـ كنّى عن الجماع بالمساس، لتعليم الأمة الآداب الرفيعة ﴿مِنْ عِدَّةٍ﴾ ليس لكم عليهن حقّ العدَّة، لأن العدة تجب لمعرفة براءة الرحم، وهذه غير مدخول بها ﴿ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهنّ ﴿مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ وأبحنا لك السراري اللواتي تملكهن في الحرب بطريق الغنيمة ﴿إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾ التي تهب نفسها لك بدون مهر، وهذه خاصة بالنبي ﷺ ولهذا قال: ﴿خَالِصَةً لَّكَ﴾ خاصة لك دون سائر المؤمنين ﴿حَرَجٌ﴾ ضيق، يعني وسعنا عليك بالزواج من هذه الأصناف، لئلا يضيق صدرك فتشعر وكأنك آثم بالزواج بهن، وليكنَّ مرشدات ومعلّمات لسائر نساء المؤمنين. وقد ذكر تعالى أن هذه سُنَّةُ الله في جميع المرسلين، فلقد كان لداود مائة زوجة، ولسليمان أكثر من ذلك. فلماذا يعيب اليهودُ على خاتم الأنبياء تزوجه بأكثر من أربعة؟ وهناك حكم عديدة لزواج النبي ﷺ نوجزها في أربع (الحكمة التعليمية، والتشريعية، والاجتماعية، والسياسية) وانظر كتابنا (روائع البيان في تفسير آيات الأحكام) الجزء الثاني ففيه التفصيلُ.

۞ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ۖ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ ۖ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

ربع الحزب ٤٣

﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ﴾ تؤخر من تشاء ﴿وَتُؤْوِي إِلَيْكَ﴾ تضم إليك من تشاء، ومعنى الآية: لك أيها النبيُّ الخيارُ في أن تُطلّق من تشاء من زوجاتك، وتمسك من تشاء منهن، فتتركها في عصمتك!! عن عائشة قالت: (كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول: أتهبُ المرأة نفسها؟ ـ أما تستحي من ذلك ـ فلما أنزل الله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ الآية قلت: ما أرى ربَّك إلَّا يسارع في هواك!!) رواه البخاري، تعني: يحقّق لك ما تحبُّ وتهوى ﴿تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾ ذلك التخيير لك أقرب إلى راحة قلوبهن ﴿وَيَرْضَيْنَ﴾ يرضين بصنيعك، فإن عدلتَ بينهن وجدن ذلك تفضلاً منك وكرماً، وإن آثرت بعضهن علمن أن ذلك بحكم الله تعالى، فاطمأنت نفوسهن به ﴿يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ تُدْعَوْن إلى طعام الوليمة ﴿نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ غير منتظرين نضجه أي لا تحضروا مبكّرين ﴿فَانتَشِرُوا﴾ إذا تناولتم الطعام فتفرقوا ولا تمكثوا ﴿مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ ولا تجلسوا بقصد أن يستأنس بعضكم بحديث بعض.

سبب النزول (نزلت لمَّا تزوج الرسول ﷺ بالسيدة زينب، وصنع وليمة ودعا إليها أصحابه، فلما طَعِمُوا جلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ، فثقلوا على الرسول ﷺ، وانطلق رسولُ الله ﷺ حتى دخل على زينب، فإذا هم جلوسٌ لم يخرجوا، وخرج رسول الله ثم دخل، حتى خرجوا فضرب بالستر، وأنزل الله آية الحجاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ..﴾ الآية) وانظر كامل القصة في الصحيحين.

لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنٗا وَإِثْمٗا مُّبِينٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلٗا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلٗا ﴿٦٢﴾

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ﴾ لا حرج ولا إثم على النساء في ترك الحجاب أمام محارمهن، كالآباء، والأبناء، والإخوة، وأبناء الإخوة، وأبناء الأخوات ﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ المسلمات، لأن في الاحتجاب من الأقارب حرجاً ﴿يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ يعتنون بشأن النبي ﷺ، والصلاةُ من الله: رحمتُه ورضوانُه، ومن الملائكة: الدعاءُ والاستغفارُ، ومن المؤمنين: تعظيمُ أمره وتشريفُه وتكريمُه ﴿صَلُّواْ عَلَيْهِ﴾ أكثروا من الصلاة والتسليم عليه فقولوا: اللهم صلِّ على محمد وآله، وفي الحديث: «**من صلَّى عليَّ صلاةً صلَّى الله عليه بها عشراً**» رواه مسلم، وكان الواجب أن نقول: صليتُ عليه، أو الصلاة عليه، ولكننا لعجزنا عن وفاء حقه العظيم علينا، قد أنبْنا الله تعالى بالصلاة عليه، ولهذا نقول: «**اللهم صلِّ على محمد**» ﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾ بالكفر بالله ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾ ويؤذون الرسول بالتكذيب برسالته ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ طردهم من رحمته ﴿مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ يلبسن الجلباب الواسع، الذي يستر محاسنهن وزينتهن ﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ الذين ينقلون الأخبار الكاذبة لبلبلة الأفكار ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ لنسلطنَّك عليهم فتقتلهم، أو يهربوا من المدينة، فلا يعودون إلى مجاورتك ومساكنتك فيها، إلَّا زمناً يسيراً، ريثما يتأهبوا ويستعدُّوا للخروج.

نصف الحزب ٤٣

سبب نزول آية الحجاب: روى البخاري عن عائشة أن عمر بن الخطاب قال: (يا رسول الله: إن نساءك يدخل عليهنَّ البَرُّ، والفاجرُ، فلو أمرتهنَّ أن يحتجبن!! فنزلت آية الحجاب ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ . . ﴾).

الجزء الثاني والعشرون — سورة الأحزاب

يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَـٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ يسألونك عن وقت الساعة متى تكون؟ ومتى تأتي القيامة؟ ﴿عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ لا يعلم وقتها إلا علام الغيوب ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ ما يعلمك أن الساعة تكون في وقت قريب ﴿لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ طردهم من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ ناراً حامية مستعرة ﴿تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ﴾ تتقلب وجوههم في نار جهنم من جهة إلى جهة، كما يُقلَّب اللحم المشويّ على النار ﴿ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ مثليْ عذابنا لأنهم كانوا سبب شقائنا وضلالنا ﴿ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾ لا تؤذوا نبيكم كما آذى اليهود نبيهم موسى، فاتهموه بالبرص وانتفاخ الخصية، كما في رواية البخاري ﴿فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ﴾ نبرأه الله مما نسبه إليه السفهاء ﴿وَجِيهًا﴾ ذا وجاهة ورفعة قدر، ومكانة سامية ﴿عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ التكاليف الشرعية التي كلَّف الله بها المؤمنين، من أداء الفرائض، واجتناب المحرمات، ومن الأمانة ردُّ الأموال إلى أصحابها ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ خفن من تحملها ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ التزم الإنسان بحملها بما أودعه الله من العقل والقدرة ﴿ظَلُومًا جَهُولًا﴾ كثير الظلم لنفسه، جاهلاً بعواقب الأمور.

مثَّل تعالى للفرائض والتكاليف الشرعية، التي فرضها الله على العباد، بشيء عظيم ثقيل، تعجز عن حمله السموات والأرض، لينبّه المؤمنين على أن أمرها عظيم وخطير، وقال ابن الجوزي: «لم يُرِدْ بقوله ﴿فَأَبَيْنَ﴾ المخالفة لأمر الله، وإنما أبيْن للخشيةِ والمخافةِ، أن لا تقوم بواجب الوفاء، لأن العَرْضَ لها كان تخييراً لا إلزاماً، ولو ألزمَها ما تأخّرتْ» اهـ. تفسير ابن الجوزي.

سُورَةُ سَبَإٍ — ترتيبها ٣٤ — آياتها ٥٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾

سورة سبأ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الثناء الكامل على وجه التعظيم والتبجيل لله جلّ وعلا، لا يستحق الحمد بأجمعه أحد سواه ﴿يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يدخل في جوف الأرض من الأمطار، والكنوز، والأموات ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من الزروع، والنباتات، والمعادن ﴿لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ قال المشركون: لا قيامة، ولا بعث، ولا حساب ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ أقسم لكم بالله العظيم، لتأتينكم الساعة فإنها آتية لا محالة ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾ لا يغيب عنه مقدار وزن أصغر ذرة في الكون ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ يظنون أنهم يعجزون ربهم ﴿رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ لهم عذاب من أسوأ العذاب وأوجعه، والرجز: أسوأ العذاب وأشده ﴿مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ بليتم في الأرض وأصبحتم تراباً ورفاتاً ﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ إنكم ستخلقون خلقاً جديداً بعد ذلك التمزُّق؟ ﴿أَفْتَرَىٰ﴾ هل كذب محمد على الله؟ ﴿أَم بِهِۦ جِنَّةٌ﴾ أم هو رجل مجنون يتكلم بما لا يعقل؟ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ لا يؤمنون بالبعث بعد الموت ﴿وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ في ضلالٍ وحيرة عن الحق، وذلك غاية الحماقة والجنون، وليس محمد كما زعموا أنه مجنون، فإنه ﷺ في غاية العقل والكمال، وهم في غاية السفه والضلال!!

قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ أي أقسمُ بالله العظيم لتأتينكم الساعة، ما في ذلك شكٌّ.

قال الحافظ ابن كثير: هذه إحدى الآيات الثلاث، التي أمر الله رسوله ﷺ أن يُقْسِم بربه العظيم على وقوعها، **والثانية:** في يونس ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ **والثالثة:** في التغابن ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾ اهـ.

أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِن نَّشَأۡ نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّكُلِّ عَبۡدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلًاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٌ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٌۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ مَا دَلَّهُمۡ عَلَىٰ مَوۡتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلۡأَرۡضِ تَأۡكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلۡجِنُّ أَن لَّوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٱلۡغَيۡبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿١٤﴾

﴿نَخۡسِفۡ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ لو شئنا لخسفنا الأرض بهم كما فعلنا بقارون ﴿كِسَفًا﴾ أو نسقط عليهم قطعاً من العذاب كما فعلنا بقوم شعيب ﴿عَبۡدٖ مُّنِيبٖ﴾ عظة وعبرة لكل عبدٍ رجّاع إلى الله بالتوبة ﴿ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ﴾ أعطيناه فضلاً عظيماً، جمعنا له بين (النبوة) و(الملك)، فكان نبياً ملكاً ﴿أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ وقلنا: يا جبالُ سبّحي معه ورجّعي التسبيح إذا سبّح ﴿وَٱلطَّيۡرَ﴾ ويا طيور سبّحي معه أيضاً، **قال ابن عباس**: كانت الطير تسبّح معه إذا سبّح، وكان إذا قرأ الزبور، لم تبق دابة إلا استمعت لقراءته، وبكت لبكائه ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾ جعلنا الحديد ليّناً بين يديه كالشمع والعجين، لا يحتاج إلى إدخاله في النار ﴿سَٰبِغَٰتٖ﴾ اصنع من الحديد الدروع الكاملة التي تقي الإنسان شرّ الحرب ﴿ٱلسَّرۡدِ﴾ قدِّرْ في نسج الدروع، فاجعلها حلقات متناسبة متداخلة ﴿غُدُوُّهَا شَهۡرٞ﴾ تقطع مسيرة شهرين في الذهاب والإياب في أقل من نهار، أسرع من طائرة «البوينج» ﴿عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِ﴾ أذبنا له النحاس ﴿مَّحَٰرِيبَ﴾ القصور الشامخة ﴿وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ﴾ قصعات ضخمة تشبه الأحواض ﴿مِنسَأَتَهُۥ﴾ عصا سليمان عليه السلام ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ سقط ميتاً على الأرض، ظهر للجنّ أنهم لو كانوا يعرفون الغيب ﴿مَا لَبِثُواْ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ﴾ ما مكثوا هذه المدة الطويلة، وهم في الأعمال الشاقة، التي كلّفهم بها سليمان عليه السلام.

تنبيه: كان الإنس يقولون: إن الجنّ يعلمون الغيب، فوقف سليمان يصلّي، وهو متكئ على عصاه فمات، ومكث الجنّ سنة كاملة يعملون، وهم لا يعلمون موته.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

﴿لِسَبَإٍ﴾ قبيلة من العرب كانت تسكن اليمن ﴿ءَايَةٌ﴾ عبرة للبشر ﴿جَنَّتَانِ﴾ بساتين وحدائق تمتد إلى مسافات طويلة، عن يمين الوادي وشماله، ولم يرد جنتين اثنتين، بل أراد من كل جهة بساتين كثيرة ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ قلنا لهم: كلوا من فضل الله واشكروه على هذه النعم ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ بلدتكم كثيرة الخيرات، وربكم كريم رحيم ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن طاعة الله وشكره ﴿سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ فأرسلنا عليهم السيل الشديد، المخرّب المدمّر، فخرّب بساتينهم ودورهم، وأبدلناهم بتلك البساتين الغناء، بساتين قاحلة جرداء ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ ثمر مُرٌّ بشعٌ ﴿وَأَثْلٍ﴾ شجر لا يحمل الثمر ﴿سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ وبعض أشجار السدر القليلة، **قال قتادة:** بينما شجرهم من خير الشجر، إذ صيَّره الله من شرّ الشجر، بأعمالهم القبيحة، فأهلك أشجارهم المثمرة، وأنبت بدلها الأراك وما لا يثمر ﴿أَحَادِيثَ﴾ أخباراً تُروى، وقصصاً تُحكى ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ شتّتناهم وفرَّقناهم في البلاد، حتى أصبح يُضرب بهم المثل، فيقال: «تفرَّقوا أيدي سبأ» ﴿ظَهِيرٍ﴾ معين في الخلق والتدبير، بل هو وحده الخالق لكل شيء ـ هذه القصة (قصة أهل اليمن) عظة وعبرة لكل جاحدٍ لنعماء الله، فلقد كان أهل سبأ في رغدٍ من العيش، ونعيم عظيم. كانت البساتين والحدائق، تمتد عندهم إلى مسافات طويلة، وقد بنوا سداً عظيماً (سدّ مأرب) للانتفاع بمياه الأمطار، وجاءهم الخصبُ والرخاء، فكفروا النعمة، فدمّر الله عليهم السدّ، وأتلف الزروع والثمار، ومزّقهم شرّ ممزّق، وفي ذلك عبرةٌ وأيّة عبرة.!

وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

الحزب ٤٤

﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ زال الخوف والفزع عن قلوب الملائكة والأنبياء ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ ماذا قال ربكم في أمر الشفاعة؟ ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ قد أذن فيها للمؤمنين فقط ﴿ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ المتفرد بالعظمة والكبرياء، وفي الحديث: **«إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله. خضوعاً وإجلالاً. فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟..»** الحديث رواه البخاري ﴿مَن يَرْزُقُكُم﴾ من الذي ينزل لكم المطر، ويُخرج لكم الثمر؟ ـ وهو سؤال إفحام وإلزام ـ لا يستطيعون أن يقولوا: الأصنام ترزقنا، فقل لهم عند ذلك: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أي الله هو الرازق لا آلهتكم المزعومة ﴿لَعَلَىٰ هُدًى﴾ أحدُ الفريقين نحن أو أنتم على الهدى، أو في الضلال الواضح!! ولم يجزم أنه على الهدى لئلا يثير حميتهم، فيعاندوا ويكابروا ﴿أَجْرَمْنَا﴾ لا تؤاخذون على ما ارتكبنا من إجرام ﴿وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ولا نؤاخذ بما اقترفتم من أعمال، وكل زارع يحصد زرعه، وهذا تنزُّلٌ في المجادلة إلى غاية الإنصاف ﴿يَفْتَحُ بَيْنَنَا﴾ يحكم بيني وبينكم يوم القيامة ﴿ٱلْفَتَّاحُ﴾ القاضي والحاكم ﴿مَوْقُوفُونَ﴾ محبوسون للحساب والجزاء ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ﴾ يتخاصمون ويتنازعون، ويلعنُ بعضُهم بعضاً، يقول الأتباعُ: أنتم سبب شقائنا وبلائنا!!

تذكير: أرشدنا المولى إلى أسلوب (المناظرة الحكيمة) لأن أحد المتناظرين إذا قال للآخر: هذا القول خطأ، أو أنت مخطئ، فإن ذلك يُغضبه، وعند الغضب تكون المكابرة والعناد، ولهذا جاء التعبيرُ بقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾!!

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ قال رؤساء الضلالة للأتباع ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾ هل نحن الذين منعناكم عن الإيمان؟ ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ بل كفرتم من ذات أنفسكم لشقاوتكم وإجرامكم ﴿مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ قال الأتباع الضالون: بل خداعُكم لنا ومكرُكم بنا بالليل والنهار هو الذي صدَّنا عن الإيمان ﴿نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ﴾ تحسّنون لنا الكفر ﴿وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ ونشرك بالله فنعبد غيره من الأوثان والأصنام!! فأنتم المسؤولون عن ضلالنا ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ﴾ أخفَوْا في نفوسهم الندم ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ﴾ جعلنا السلاسل في رقاب الكفار الفجار ﴿زُلْفَىٰٓ﴾ ليست الأموال ولا الأولاد تقرِّبكم من الله قربى، إنما الإيمان والعمل الصالح ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ والمؤمنون تُضاعف لهم الحسنات ﴿ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ في قصور الجنة العالية يتنعَّمون فيها، آمنون من العذاب، ومن كل سوء ﴿مُحْضَرُونَ﴾ أمَّا الفجار الذين سعوا لإطفاء نور الله، فهم في عذاب جهنم مخلَّدون، تُحضرهم الزبانية للعذاب، لا يجدون عنها مصرفاً . . وإنما خصَّ تعالى المترفين بالذكر ﴿قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ وهم أهلُ الغنى والتنعُّم في الدنيا، لأنهم أول المكذبين للرسل، لما شُغلوا من زخرف الدنيا، بخلاف الفقراء فإنهم خالون من مستلذات الدنيا، فقلوبهم أقبلُ للخير، ولذلك كانوا أكثر أتباع الأنبياء، قال قتادة: المترفون هم جبابرتُهم وقادتُهم، ورُؤَساؤُهم في الشرِّ.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

﴿يحشرهم جميعا﴾ يحشر الله المشركين جميعاً، للحساب والجزاء، ثم يقول للملائكة ﴿أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ أهؤلاء عبدوكم من دوني؟ وهل أنتم أمرتموهم بذلك؟ ﴿قالوا سبحانك﴾ تنزهت وتقدست يا ربنا عن أن يكون معك إلٓه أو شريك ﴿أنت ولينا﴾ أنت ربنا ومعبودنا الذي نخلص له العبادة!! ما أمرناهم بعبادتنا ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ كانوا يعبدون الشياطين، الذين زينوا لهم عبادة الأصنام ﴿إفك مفترى﴾ كذب مختلق ﴿سحر مبين﴾ سحر واضح ظاهر، لا يخفى على لبيب ﴿يدرسونها﴾ ما أنزلنا على قومك كتاباً يقرءونه قبل القرآن ﴿من نذير﴾ وما بعثنا إليهم قبلك رسولاً ينذرهم عذاب الله. فكيف كذبوك؟ ولم يأتهم كتاب ولم يأتهم نذير؟ ﴿معشار ما آتيناهم﴾ وما بلغ كفار مكة عُشر ما آتينا مَنْ قبلهم، من القوة، وكثرة المال ﴿نكير﴾ كيف كان إنكاري عليهم بالعذاب والعقوبة؟ ألم يكن منكراً فظيعاً؟ ﴿أعظكم بواحدة﴾ أنصحكم بخصلة واحدة ﴿مثنى وفرادى﴾ أن تتحروا الحقّ لوجه الله، مجتمعين اثنين اثنين، أو منفردين واحداً واحداً ﴿من جنة﴾ ثم تتفكروا في أمر محمد ﷺ الذي صاحبتموه مدة أربعين سنة، هل به جنون؟ أم هو أكمل الناس وأرجحهم عقلاً؟! فإنّ من ظهر على يديه هذا الكتابُ المعجزُ، لا يمكن أن يكون به شيءٌ من الجنون، وإنما قال: ﴿ما بصاحبكم من جنة﴾ لينبّهم إلى أن هذا الرسول، صاحبَهم وعاش بين أظهرهم مدة (٤٠) عاماً، أفلا يكفي هذا الزمنُ الطويل أن يعرفوا حقيقته!!

قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

ترتيبها ٣٥ — سُورَةُ فَاطِرٍ — آياتها ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾

﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ جاء القرآن الساطع المبين، وزهق الشرك فذهب إلى غير رجعة، فلم يبق له إقبال ولا إدبار، كالشمس إذا طلعت بدّدت الظلام!! ﴿فَزِعُوا﴾ لو ترى حال المشركين، حين يخرجون من قبورهم فزعين ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أي لا مخلص لهم ولا مهرب ﴿مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ وأخذوا من أرض المحشر إلى نار الجحيم!! وجواب **(لو)** محذوف للتهويل أي لرأيت أمراً هائلاً، ومنظراً فظيعاً ﴿التَّنَاوُشُ﴾ ومن أين لهم تناول الإيمان؟ وقد ذهبت عنهم الدنيا فصارت بمكان بعيد؟ وهذا تمثيل بديع، شبَّه حالهم بمن يريد تناول شيء بيده، وبينهما مسافات شاسعة بعيدة ﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾ حيل بين الكفار وبين ما يشتهون، من التوبة، والرجوع إلى الدنيا ﴿بِأَشْيَاعِهِم﴾ كما حصل لأمثالهم وأشباههم في الكفر ﴿شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ في شك وارتياب، من أمر الآخرة والحساب.

سورة فاطر

﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ﴾ مبدعهما على غير مثالٍ سابق، بمعنى مخترع ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ أصحاب أجنحة منهم من له جناحان، أو ثلاثة، أو أربعة ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾ يزيد في خلق الملائكة من تعدد الأجنحة، وضخامة الأجسام ما يشاء، وقد «**رأى الرسولُ جبريلَ له ستمائة جناح**» رواه مسلم ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ كيف تصرفون عن عبادة الرحمن، إلى عبادة الأوثان؟

الجزء الثاني والعشرون — سورة فاطر

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ
﴿٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ
وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ
عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم
مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ
فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ
عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ
ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ
إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ
يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ
﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ
وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ
وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

﴿كُذِّبَتْ رُسُلٌ﴾ هذه تسلية للنبي ﷺ **والمعنى**: إن كذَّبك هؤلاء المشركون فلا تحزن لذلك، فهذه سنة الأولين، كذبهم أقوامهم ورموهم بالجنون، فلك بهم أسوة ﴿تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ مرجع أمر الخلائق إلى الله وحده، فيجازي كلاً بعمله ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ لا يخدعنكم الشيطان بوسوسته، ويُمنّيكم بالأماني الكاذبة، فإنه كذَّاب ماكر، يريد فتنتكم بأساليبه الخادعة ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ الشيطان عدوٌّ لكم، فعادوه كما عاداكم ﴿يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ﴾ غرضه أن يسحب أتباعه الضالين إلى نار الجحيم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجنة ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ﴾ لا تتحسر ولا تحزن على عدم إيمانهم، فما يستحقُّ أمثال هؤلاء أن يحزن عليهم أحد!! ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ تُهيِّج السحاب وتسوقه من مكان إلى مكان ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ كذلك بعثُ الناس من قبورهم، كما أحيينا الأرض الميتة بالماء، نخرج الأموات من قبورهم، ومعنى ﴿ٱلنُّشُورُ﴾ البعث والإحياء ﴿يَبُورُ﴾ يهلك ويبطل ﴿جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ جعلكم أصنافاً، ذكوراً وإناثاً ﴿مُّعَمَّرٍ﴾ ما يطول عمر أحد ولا يُنقص إلا بعلمه تعالى، وذلك سهلٌ يسيرٌ على الله، لأنه سبحانه قد أحاط بكل شيء علماً.

سأل أحد الصحابة رسولَ الله ﷺ فقال: (يا رسولَ الله، كيف يُحيي الله الموتى؟ فقال له: «**أمَا مررتَ بوادي أهلك مُمْحِلاً ـ يعني مُجْدباً ـ ؟ ثم مررتَ بهِ يهتزُّ خَضِراً!!** قال: بلى يا رسولَ الله!! قال: **فكذلك يُحيي الله الموتى، وذلك آيتُه ـ أي علامتُه ـ في خَلْقه**») رواه ابن ماجه وأحمد.

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا
مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ
حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ
النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي
لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۚ وَالَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن
تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ
وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ
﴿١٤﴾ ۞ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾
وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن
تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ
إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ
وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ ماء البحار، وماء الأنهار ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ ماؤه حلو شديد الحلاوة ﴿وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ علقم شديد الملوحة ﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾ تأكلون سمكاً غضًا طرياً ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ تستخرجون اللؤلؤ والمرجان ﴿مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ ترى السفن الضخمة تشقُّ عُباب البحر، مقبلة ومدبرة ﴿تَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ تعبدونه من دون الله من الأصنام والأوثان ﴿قِطْمِيرٍ﴾ لا يملكون شيئاً تافهاً حقيراً ولو كان كالقطمير، وهو القشرة الرقيقة البيضاء بين التمرة والنواة ﴿يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ وفي الآخرة يتبرءون منكم ومن عبادتكم ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ لا يخبرك على وجه اليقين، إلا الله ربُّ العزة والجلال، **قال قتادة**: يعني نفسه عزَّ وجلَّ فإنه الخبير بكل شيء. ﴿الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ المحتاجون إلى الله على الدوام ﴿الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ واللَّهُ سبحانه هو المستغني عن العباد، لا تنفعه طاعة، ولا تضره معصية ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ لا تحمل نفسٌ ذنبَ نفس أخرى، ولا تعاقب بذنب غيرها ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ نفس مثقلة بالذنوب ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ ليحمل بعض ذنوبها لا تتحمل عنه ولو كان أقرب الناس إليها.

نصف الحزب ٤٤

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ﴾ هذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر، أي كما لا يتساوى ماءُ النهر وماءُ البحر، كذلك لا يتساوى المؤمنُ مع الكافر، ولا البرُّ مع الفاجر، ومِثْلُ هذه الآية قولُه تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ فالأعمى هو الكافر، والبصير هو المؤمن، والظلماتُ الباطلُ، والنورُ الحقُّ.

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

﴿ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ الآية وردت مورد التمثيل، أي لا يستوي عند الله الكافرُ والمؤمن، فالإيمان نور، والكفرُ عمى ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ ولا يتساوى عند الله الباطلُ والحقُّ، فالحقُّ نور، والباطلُ ظلمة ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ لا تتساوى الجنة مع النار، فالجنة ظلال وراحة، والنار سعير وسموم ﴿ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ شبَّه المؤمنين بالأحياء، والكافرين بالأموات، وكفى بهذا التشبيه والتمثيل جمالاً وبياناً ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾ ما من أمة من الأمم، إلّا بعث الله فيها رسولاً منذراً ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات الواضحة، والدلائل القاطعة ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ الكتب الإلهية ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ القرآن العظيم ﴿جُدَدٌ﴾ حجارة متنوعة فيها الأبيض، والأحمر، والأصفر ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ حجارة سوداء شديدة السواد، والمراد بها الرخام المختلف الألوان، والآية تشير إلى العلوم والمعارف الكونية «علم الجيولوجيا» طبقات الأرض، وعلم الأرصاد، والطب البشرى، والبيطري، والنبات، وقد ختم الله الآية بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ علماءُ الطبيعة، وعلماءُ الكون، وعلماءُ الطبّ، والفلك، والنبات، وعلماء طبقات الأرض، والزلازل، والبراكين، وعلماء الفضاء وغيرهم، المفروضُ فيهم أن يكونوا أشد الناس إيماناً وخشية لله ﴿تَبُورَ﴾ تخسر وتكسد، بل هي رابحة على الدوام، لأنها تجارة مع الرحمن الرحيم.

وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ﴿٣٦﴾ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

﴿أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ﴾ القرآن العظيم خاتمة الكتب الإلٰهية ﴿ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾ أورثناه أمة محمد ﷺ الذين اصطفيناهم وفضلناهم على سائر الأمم ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾ مقصِّرٌ في فعل الخير وطاعة الله وهم العصاة ﴿وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ﴾ متوسط في فعل الخيرات والطاعات ﴿وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ جادٌّ مجتهد في العبادة والطاعة، هم الأبرار، فالفريق الأول العصاة أمرهم إلى الله، وأما المقتصدُ والسابق فهؤلاء من أهل الجنة، ولهذا قال: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ﴾ حدائق وبساتين ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا﴾ يُزَيَّنون فيها ﴿مِن ذَهَبٖ﴾ أساور ذهبية مرصّعة باللؤلؤ ﴿وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ جميع ما يلبسونه في الجنة من ثياب الحرير ﴿أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ الهموم والأكدار ﴿دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ﴾ أسكننا دار النعيم «الجنة» من فضله وكرمه ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ﴾ لا يصيبنا فيها تعب ﴿لُغُوبٞ﴾ ولا يصيبنا فيها إعياء ولا فتور ﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ لا يُقضى عليهم بالموت، حتى يموتوا ويستريحوا من العذاب ﴿يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون في النار يرفعون الأصوات ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ جاءكم الرسولُ المنذر محمد ﷺ، وقيل (النذيرُ) الشيبُ، والأولُ أظهرُ وأصحُّ.. جعل الله جزاء هذه الأمة المختارة (أمة محمد) عليه الصلاة والسلام، الجنّةَ دارَ الإقامة والخلود، وجعل فيها النعيمَ مادياً، ومعنوياً، فالنعيم الماديُّ هو كلُّ ما أعدّه الله لأهل الجنة، من المآكل، والمشارب، والملابس، والزينة، والحور العين، والنعيم المعنويُّ هو الراحة، والأمانُ، والخلود، والاطمئنان، وأعظمها النظر إلى وجه الله الكريم.

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠) إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤)

ثلاثة أرباع الحزب ٤٤

﴿خَلَائِفَ﴾ أمماً وأجيالاً، يخلف بعضكم بعضاً في مساكنهم ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ عليه ضرر كفره، لا يضرُّ بذلك إلَّا نفسه ﴿إِلَّا مَقْتًا﴾ لا يزيد الأشقياء كفرُهم، إلَّا بغضاً من الله وسخطاً، والمقتُ: أشدُّ أنواع البغض والكراهية ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ أخبروني عن هذه الآلهة «الأصنام» ماذا خلقت من المخلوقات؟ ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ هل شاركوا اللَّهَ في خلق السموات، فاستحقوا الشركة معه؟ ﴿أَن تَزُولَا﴾ يمسك السموات عن الوقوع والسقوط، ويمسك الأرض أن تتيه في هذا الفضاء الواسع، ولعل في الآية ما يشير إلى حركة الأرض، لأنها لو كانت ثابتة واقفة على شيء، ما احتاجت إلى إمساك، وإنما هي - والله أعلم - كبقية الأفلاك، تسبح في الفضاء بقدرة خالق السماء ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أقسموا بأغلظ الأيمان وأوكدها ﴿لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ لئن جاءهم رسول منذر، ليكونن أسبق الناس إلى الإيمان به ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ فلما جاءهم خاتم الأنبياء الذي هو أشرف نذير، ما زادهم مجيئه إلا تباعداً عن الإيمان، ونفوراً عن اتباعه ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ المكر الخبيث وهو الكيد للرسول ﷺ والتآمر عليه في دار الندوة ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ بسبب الاستكبار والطغيان ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ﴾ لا يرجع وبالُ هذا المكر الخبيث، إلا على أهله فهم الخاسرون دائماً ﴿سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ هل ينتظر هؤلاء إلَّا عادة الله في الطغاة المكذبين، وهي الإهلاك والدمار؟ وهي سُنَّة لا تتبدّل ولا تتغيّر ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ أهلك جميع الخلق من إنسان وحيوان.

وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

سُورَةُ يسٓ

مرتبها ٣٦ — آياتها ٨٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

سورة يسٓ

﴿يسٓ﴾ الحروف المقطعة للتنبيه على إعجاز القرآن ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ القرآن المحكم بعجيب النظم، وبديع المعنى ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ إنك يا محمد أحد الرسل الكرام ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ على منهج واضح، وطريق مستقيم ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ ما جاءهم رسولٌ قبلك زمن الفترة ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ عن الهدى والإيمان، يتخبطون في ظلمات الجهل وعبادة الأوثان ﴿أَغْلَٰلًا﴾ قيوداً تُشدُّ بها أيديهم إلى أعناقهم ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ رافعو الرؤوس مع إغماض البصر.. شبَّه تعالى حال الكفار بصورة من غُلَّت يده إلى عنقه بالسلاسل والأغلال، فأصبح رأسه مرفوعاً، لا يستطيع له خفضاً ولا انحناءً ﴿سَدًّا﴾ مثلٌ ثانٍ، شبَّههم تعالى بمن حُجِز بين سدَّيْن: سدٌّ من أمامه وسدٌّ من خلفه، وسُدَّت الطرق في وجهه، فكيف يهتدي إلى مقصوده؟ لذلك قال: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ أي غطَّينا أبصارهم فلا يرون شيئاً!! ﴿وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ خطاهم إلى المساجد ﴿إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ ضبطناه في صحائف أعمال البشر، والإمامُ: الكتابُ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ القَسَمُ بالقرآن العظيم على رسالته ﷺ، فيه تفخيمٌ وتعظيم لشأن الرسول ﷺ، فلم يُقْسِم الله في كتابه العزيز، لأحدٍ من أنبيائه بالرسالة، إلا لمحمد ﷺ، وكفى بذلك شرفاً وتعظيماً لخاتم النبيِّين. **قال ابنُ عباس**: قال كفارُ قريش: لستَ يا محمد مرسلاً، وما أرسَلَك الله إلينا!! فأقسمَ الله بالقرآن المحكم، أن محمداً رسولُ الله، وأنه من جملة المرسلين صلواتُ الله عليهم أجمعين.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

﴿أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ﴾ بلدة «إنطاكية» على المشهور ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ قوَّينا وشددنا أزرهما برسول ثالث ﴿تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ تشاءمنا بكم وبدعوتكم القبيحة بترك عبادة الأوثان ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟﴾ إن لم تكفُّوا عن دعوتكم ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ بالحجارة حتى تموتوا ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُم﴾ ولنقتلنكم شرَّ قتلة ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ شؤمكم ليس بسببنا بل بسبب كفركم وعصيانكم ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ هل إذا نصحناكم ووعظناكم تشاءمتم بنا وتوعدتمونا بالرجم والانتقام؟ ﴿قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ بل حقيقة الأمر أنكم قوم مسرفون في العصيان والإجرام!! ويظهر من السياق أن القوم عزموا على قتل الرسل، فأرسل الله إليهم رجلاً أميناً ناصحاً خوَّفهم من عذاب الله ﴿أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ من أبعد أطراف المدينة ﴿يَسْعَىٰ﴾ يسرع في مشيه خوفاً من أن يُقدموا على قتل الرسل، واسمه «حبيب النجار» كان قد آمن بدعوة الرسل ﴿ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ اتبعوا الرسل الكرام الذين لا يريدون لكم إلا السعادة، فتوعدوه وهدَّدوه، ولمَّا أعلن إيمانه وثبوا عليه وثبة رجل واحدٍ فقتلوه، فأدخله الله الجنة فقال: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ﴾ قال ابن مسعود: إنهم وطئوه بأقدامهم، حتى خرجت أمعاؤه، فقال له ربه: ادخل الجنة، فدخلها فهو يُرزق فيها، قد أذهبَ الله عنه سُقْم الدنيا، وحُزنها ونَصَبها، فحينَ دخل الجنَّةَ قال: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ وقال ابن عباس: نصح قومه حياً وميتاً.

۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

﴿جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ لم نرسل على قوم «حبيب» ملائكة من السماء لإهلاكهم، فإنهم كانوا أذلَّ وأهون على الله من ذلك ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ الملائكة ﴿إِلَّا صَيْحَةً﴾ ما كانت عقوبتهم إلَّا صيحةً واحدة صاح بهم جبريل ﴿فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ﴾ هلكى ميِّتون، أُخمدت أنفاسهم حتى صاروا كالنار الخامدة ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ يا أسفي على هؤلاء المكذبين، إنهم أحقاء أن يُتحسر عليهم ﴿ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ علامة لهم على كمال قدرتنا، فالأرض اليابسة الجرداء ﴿أَحْيَيْنَٰهَا﴾ بنزول الماء ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ أخرجنا فيها أنواع الحبوب غذاءً لهم ﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾ ليأكلوا من ثمرات النخيل والأعناب ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ ولم تعمله أيديهم، إنما هو من فضل الله ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ أفلا يشكرون ربهم على نعمه!! ﴿خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ﴾ الأصناف كلها، من الزروع، والثمار، والذكور والإناث، ومن مخلوقات عجيبة ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ نذهب عنه ضوء النهار ﴿مُّظْلِمُونَ﴾ داخلون في ظلام دامس ﴿كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ كغصن النخيل اليابس.. والتعبيرُ بقوله: ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ جاء في غاية الإبداع والجمال الفنيّ، فقد صوَّر النهارَ وكأنه لباسٌ ساتر، يَلفُّ جسدَ الليل، فيغطِّي ظلمتَه، فإذا خلعنا الثوب عن الجسد، بدت ظلمةُ الليلِ الدامس، وهكذا الأرض تتزين بالنهار بأبهى حُلل النور، فإذا نُزع عنها اللباسُ عاد الظلام يلفُّ الكون بشبحٍ مخيف، وهذا من بديع الاستعارة.

الجزء الثالث والعشرون — سورة يس

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

﴿حملنا ذريتهم﴾ آباءهم السابقين ﴿في الفلك المشحون﴾ في السفينة المملوءة بالبشر والأنعام وأصناف المخلوقات، والمراد بها: «سفينة نوح» ﴿مثله ما يركبون﴾ وخلقنا لهم سفناً يركبونها أمثال سفينة نوح، وقيل: هي الإبلُ تسمى «سفن البر» ﴿وإن نشأ نغرقهم﴾ لو أردنا لأغرقناهم في البحر ﴿فلا صريخ لهم﴾ لا مغيث لهم ﴿ولا هم ينقذون﴾ ولا أحد يستطيع إنقاذهم من الغرق ﴿صيحة واحدة﴾ هي نفخة إسرافيل في الصور ﴿وهم يخصمون﴾ تأخذهم مفاجأة وهم يتخاصمون في دنياهم ﴿توصية﴾ لا يستطيع بعضهم أن يوصي بعضاً ﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ ولا يستطيعون أن يرجعوا إلى أهلهم ومنازلهم، لأن الأمر أسرع من ذلك ﴿من الأجداث﴾ القبور ﴿ينسلون﴾ يسرعون الخُطى في الخروج ﴿من مرقدنا﴾ من الذي أخرجنا من قبورنا؟ فتقول لهم الملائكة: ﴿هذا ما وعد الرحمن﴾ هذا يوم البعث الذي وعدكم ربكم به ﴿وصدق المرسلون﴾ وصدق رسله الكرام ﴿محضرون﴾ تحضرهم الملائكة للحساب والجزاء.. **قال ابن كثير**: ﴿ما ينظرون إلا صيحة واحدة﴾ هذه الصيحة (نفخة الفزع) ينفخ إسرافيلُ في الصور، والناسُ في أسواقهم ومعايشهم، يختصمون ويتنازعون، ثم تكون (نفخة الصعق) أي الموت التي يموت بها جميع الأحياء، ثم بعد ذلك (نفخة البعث) وهي النفخة الثالثة، وفي صحيح البخاري: «**ولتقومنَّ الساعةُ وقد رفع أُكلته إلى فيه ـ** أي اللقمة ـ **فلا يَطْعَمُها**» اهـ. ابن كثير.

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

ربع الحزب ٤٥

﴿فِى شُغُلٍ﴾ في نعيمٍ عظيم يُلهيهم عن الاهتمام بأهل النار ﴿فَٰكِهُونَ﴾ مسرورون، **قال ابن عباس**: شغلهم سماعُ الأوتار، وفضُّ الأبكار، عن أهاليهم من أهل النار، لئلا يتنغصوا ﴿مَّا يَدَّعُونَ﴾ لهم في الجنة ما يتمنون ويحبُّون ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ﴾ انعزلوا يا معشر المجرمين عن عبادي المؤمنين ﴿تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ ألم أوصكم أن لا تطيعوا أمر الشيطان ﴿عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ عدوٌّ ظاهر العداوة ﴿أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا﴾ خلقاً كثيراً من البشر ﴿ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ﴾ ذوقوا حرَّ جهنم بسبب كفركم ﴿نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ نختم على أفواه الكفار، ختماً يمنعهم من الكلام ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾ تنطق الأيدي والأرجل بما اقترفوه من جرائم في الدنيا، وفي الحديث: **«يقول العبد: إني لا أجيز على نفسي إلّا شاهداً مني. فيختم على فيه - فمه - ويقال لجوارحه: انطقي، فتنطق بأعماله، ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام فيقول: بُعداً لكنَّ وسُحقاً فعنكن كنت أناضل»** رواه مسلم ﴿لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ أعميناهم ﴿فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ﴾ تبادروا الطريق فلم يبصروه ﴿لَمَسَخْنَٰهُمْ﴾ مسخناهم في مكانهم الذي هم فيه، فلم يستطيعوا أن يذهبوا ولا أن يرجعوا ﴿نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ من نطل عمره، نجعله منتكساً كالطفل، ضعيف القوة والعقل، لا يكاد يعي الكلام، وينسى كثيراً مما يسمع. . صوَّرهم القرآنُ في صورتين غريبتين:

١ - صورة العميان يستبقون الطريق، وهم يصطدمون ويتخبطون.

٢ - صورة الممسوخ من صورة آدمية، إلى صورة بهيمية، بحيث صار كالقرد القبيح المنظر.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا
مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا
مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَٰنُ أَنَّا
خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِ الْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ
بِقَٰدِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّٰقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَٰنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

ترتيبها ٣٧ — آياتها ١٨٢

﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ مما خلقناه لهم من الأنعام ﴿فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ يتصرفون فيها تصرف المالك في ملكه ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾ جعلناها ذليلة منقادة لهم، يقودها الصبي فتنقاد له، ولولا هذا التسخير لما استطاعوا أن يركبوها ويضبطوها ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ منها ما يركبونه ويحملون عليه الأثقال كالإبل ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ يأكلون لحمه كالبقر والغنم ﴿ءَالِهَةً﴾ عبد المشركون آلهة من الأحجار ﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾ رجاءَ منهم أن ينتصروا بها ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ لا تستطيع هذه الآلهة نفعهم لا بنصرة ولا بشفاعة ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾ وهؤلاء الكفار خدم للأصنام، يدفعون عنها ويغضبون من أجلها، كالجند لها ﴿نُّطْفَةٍ﴾ شيء حقير مهين ﴿خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ شديد الخصومة والجدال بالباطل، يخاصم ربه وينكر قدرته على إعادته بعد موته ﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ضرب لنا الكافر المثل بالعظم الرميم، فقال: من يحيي الإنسان بعد فنائه، وتمزق أشلائه؟ نزلت في «أُبيّ بن خلف» جاء إلى رسول الله بعظم بالٍ وفتّه أمامه وقال: يا محمد أتزعم أن الله يبعثنا بعد أن نصبح رفاتاً مثل هذه؟ فقال: نعم يبعثك ويدخلك النار، فنزلت الآية، رواه الحاكم ﴿أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يُحييها الذي أوجدها أول مرة، قادر على إعادتها بعد فنائها ﴿أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ أليس هذا الإله الخالق العظيم، الذي خلق هذا الكون البديع، قادراً على أن يعيد البشر بعد موتهم وفنائهم؟ بلى إنه على كل شيء قدير.

❊ ❊ ❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾

سورة الصافات

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ أقسم بالملائكة التي تصطف صفوفاً كما يصطف المؤمنون صفوفاً في الصلاة، وبالملائكة التي تسوق السحاب، وبالملائكة التي تتلو آيات الذكر الحكيم!! أما المقسم عليه فهو ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ إلٰهكم المستحق للعبادة إلٰه واحد ﴿شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ عاتٍ متمرد خارج على طاعة الله ﴿دُحُورًا﴾ طرداً لهم عن سماع الوحي ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ إلا من اختطف شيئاً من الوحي، فتبعه شهاب ساطع محرق فأحرقه ﴿وَاصِبٌ﴾ عذاب دائم ﴿طِينٍ لَّازِبٍ﴾ طين رخو لزج ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ يبالغون في السخرية ﴿دَاخِرُونَ﴾ أذلاء صاغرون ﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ صيحة واحدة ينفخ فيها إسرافيل في الصور ﴿يَنظُرُونَ﴾ إذا هم في أرض المحشر ينظر بعضهم إلى بعض ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ يا هلاكنا ويا خسارتنا ﴿هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ هذا يوم الجزاء والحساب ﴿يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ القضاء بين العباد ﴿ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ لا يراد بهم الزوجات، وإنما يراد به أشباههم في الشرك، أي اجمعوا الظالمين وأشباههم من العصاة المجرمين، فاهدوهم إلى طريق جهنم، (يُحشر الزاني مع الزاني، والسارق مع السارق، والخائن مع الخائن، وهكذا كل مجرمٍ يُحشر مع مثيله) رواه الحاكم وصحَّحه ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ الأسلوب أسلوب سخريةٍ وتهكُّم في لفظ ﴿فَاهْدُوهُمْ﴾ أي دلُّوهم وعرِّفوهم طريق جهنم، فإذا لم يهتدوا في الدنيا إلى الصراط المستقيم، فليهتدوا اليوم إلى طريق الجحيم.

نصف الحزب ٤٥

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾ ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً؟ وقد كنتم في الدنيا أنصاراً على الباطل؟ ﴿مُسْتَسْلِمُونَ﴾ ذلُّوا واستسلموا للعزيز الجبار ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ تخدعوننا بأساليبكم الماكرة باسم الحقّ والدين ﴿سُلْطَٰنٍ﴾ لم يكن لنا عليكم من تسلط وإكراه على اتباعنا، وإنما دعوناكم فأجبتمونا ﴿طَٰغِينَ﴾ فيكم فجور وطغيان ﴿غَٰوِينَ﴾ زيّنا لكم الباطل لأنّا كنا ضالين، فلا عتب علينا ولا ملامة ﴿مَّجْنُونٍۭ﴾ هل نترك عبادة الأوثان لقول شاعر مجنون؟ يعنون بذلك النبي ﷺ وحاشاه ﴿بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ﴾ كأس من الخمر تجري كما تجري العيون على وجه الأرض ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ هذه الخمر بيضاء يلتذُّ بها من شربها ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ لا تغتال عقولهم فتذهب بها ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ ولا هم يسكرون بشربها كما تفعل خمر الدنيا ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ عندهمَ الحور العينُ العفيفات اللواتي لا ينظرن إلى غير أزواجهن ﴿عِينٌ﴾ واسعات العيون ﴿بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ كأنهن اللؤلؤ المكنون في أصدافه، **قال ابن عباس**: (في الخمر أربعُ خصالٍ: السُّكْرُ، والصُّداع، والقَيْءُ، والبولُ، وقد نزّه اللّهُ خمرَ الجنة عنها) رواه البيهقي ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ جلسوا يتجاذبون أطراف الحديث، وهم جالسون على السرر، والخدمُ بين أيديهم يذهبون ويجيئون ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ﴾ إذ تذكر أحدهم صاحباً له، كان في الدنيا مستهتراً، يُكذِّب باليوم الآخر، فقال: ﴿إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ﴾ كان لي صديق وصاحب، ينكر البعث ويسألني هل أنت ممن يصدّق بأننا سنبعث؟

يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾

﴿قَرِينٌ﴾ صاحب وصديق ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ﴾ هل تصدّق بالبعث والجزاء؟ ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ هل نحن محاسبون ومجزيُّون بأعمالنا؟ ﴿سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ رآه في وسط جهنم ﴿لَتُرْدِينِ﴾ قاربْتَ إهلاكي بإغوائك ﴿ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ المحضَرين معك في النار ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ﴾ هل لا تزال على اعتقادك بأننا لن نموت إلا موتة واحدة؟ ﴿بِمُعَذَّبِينَ﴾ وأنه لا حساب ولا عذاب؟ وهو أسلوب ساخر لاذع ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا﴾ النُّزل: الضيافة، هل نعيم الجنة خير كرامةً وضيافة؟ ﴿أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ أم شجرة الزقوم التي في جهنم؟ أيهما خير وأفضل ﴿أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾ تنبت في قعر جهنم ﴿طَلْعُهَا﴾ ثمرها كأنه رؤوس الشياطين في تناهي القبح والشناعة!! ولمَّا سمع أبو جهل ذكر شجرة الزقوم قال: كيف يكون في النار شجرة؟ والنار تحرقُ الشجر؟ وكان يقول لأصحابه: إن محمداً يتوعَّدُنا بشجرة الزقوم، أتدرون ما الزقوم؟ إنه الزبدُ والتمر!! ثم يأتيهم به ويقول: تزقَّموا ﴿لَشَوْبًا﴾ خلطاً ومزاجاً ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾ من ماء حار بلغ أقصى غايات الحرارة ﴿أَلْفَوْا۟﴾ وجدوا ﴿يُهْرَعُونَ﴾ يسرعون في التقليد بدون تفكير ﴿ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ ضلَّ قبل قومك أكثرُ الأمم السابقين ﴿عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ فانظر كيف كان مصير الأمم المكذبين؟ ألم تكن نهايتهم وخيمة؟ والآيةُ تسليةٌ لرسولِ الله ﷺ، ببيان سُنَّة الله في الأمم الماضية، الذين كذبوا رسلهم!! ﴿ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الطوفان الذي عمَّ الأرض، وكان مفزعاً هائلاً.

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ
عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ
عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن
شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ
لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ
﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾
فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ
فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا
بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ
فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾
وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ
يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ
يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

ثلاثة ربع الحزب ٤٥

﴿مِن شِيعَتِهِۦ﴾ ممن سار على طريقة نوح ومنهاجه إبراهيم خليل الرحمن ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ جاء بقلبٍ طاهرٍ نقيٍ من الدنس والذنوب ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ ما الذي تعبدونه من الأصنام والأوثان؟ ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً﴾ أتعبدون آلهة مزيَّفة صنعتموها بأيديكم تعبدونها من دون الله؟ والإفكُ: أسوأ الكذب وأقبحه ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ماذا تظنون أن يفعل الله بكم وقد عبدتم غيره؟ ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ مريض ﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ﴾ تركوه وخرجوا إلى عيدهم ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾ذهب مسرعاً نحو الأصنام في خفية ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ألا تأكلون من هذا الطعام؟ ﴿تَنطِقُونَ﴾ ما لكم لا تردُّون عليَّ الجواب؟ قاله على سبيل السخرية والهزء ﴿ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ أقبل يحطّمها ويضربها بقوة وشدة ﴿يَزِفُّونَ﴾ يسرعون نحوه الخُطى، قالوا: ويحك يا إبراهيم نحن نعبدها، وأنت تكسرها!؟ ﴿تَنْحِتُونَ﴾ أتعبدون آلهة نحتُّموها بأيديكم؟ ﴿ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا﴾ ابنوا له بنياناً عظيماً وأوقِدُوا فيه ناراً ﴿فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ اقذفوه في النار المستعرة المتأجِّجة ﴿بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ سن البلوغ والرشد، الذي يمكنه أن يساعد فيه أباه، جُمعت له ثلاث بشارات: **الأولى**: أن المولود سيكون ذَكراً، **الثانية**: يبلغ سنَّ الرُّشد، **الثالثة**: أنه يكون حليماً، لأن الصغير لا يوصف بالحلم ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ فانظر في الأمر ما رأيك فيه؟ لم يشاوره ليرجع إلى رأيه، ولكنْ ليعلم ما عنده، هل يصبر أم لا؟ فأجابه بأحسن جواب ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ **قال ابن كثير**: وإنما أعلمَ ابنه بذلك، ليكون أهون عليه، وليختبر صبرَه وعزمَه على طاعة الله عزَّ وجل.

فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ استسلم إبراهيم وإسماعيل لأمر الله ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ صرعه على وجهه ليذبحه ﴿صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ نفذت ما أمرت به في المنام، من ذبح ولدك إسماعيل ﴿ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ هذا هو الامتحانُ والاختبار الشاقُّ ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ بعثنا إليه بكبش عظيم يذبحه فداءً عن إسماعيل ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ سلام عاطر كريم منّا على إبراهيم لطاعته لربه ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ بشرناه بغلام آخر هو «إسحاق» من زوجه العقيم «سارة» يكون نبياً، والآية واضحة كالشمس أن الذبيح هو «إسماعيل» لأن الله تعالى ذكر بعد قصة الذبيح البشارة بإسحاق ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ نجينا بني إسرائيل من استعباد فرعون وطغيانه ﴿ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾ التوراة الواضحة في أحكامها وحدودها ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ أتعبدون هذا الصنم «بعلاً»؟ ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ وتتركون عبادة الخالق جل جلاله، الذي هو أحسن من يقال له: خالق؟ هو خالقُكم وخالقُ آبائكم الأقدمين. وليس معناه أن هناك خالقاً غيرُه، والله تعالى هو أحسنُهم وأفضلُهم، وإنما المراد أن الله الخالقَ، أبدعَ صُنْعه وأحسنَ خلقَهَ،

الحكمة في القصة: أمَّا الحكمة من ذكر القصة فإنَّ إبراهيمَ عليه السلام له وصفُ الخُلَّة (خليلُ الرحمن)، فلمَّا سأل ربَّه الولدَ على كبر السنّ، تعلّق قلبُ إبراهيم بهذا المولود، وأحبّه حباً شديداً، فأراد الله أن يُظْهر للملائكة والخلق جميعاً، أن حبَّ إبراهيم لله تعالى، أعظمُ وأكبرُ من حبه لولده، فأمره بذبح المحبوب، ليُظهر صفاءَ الخُلَّة، فامتثل أمرَ الله، ولولا أن الله منع السكّين أن تذبح، لتمَّ الأمرُ وذُبح الولدُ.

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَـٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَـٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثًا وَهُمْ شَـٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾

﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ كذبوا نبيَّهم «إلياس» فإنهم لمحضرون في العذاب، تسحبهم الزبانية إلى نار الجحيم ﴿ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ الباقين في العذاب ﴿دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ﴾ أهلكناهم أشدَّ إهلاك وأفظعه، بقلب ديارهم ﴿مُّصْبِحِينَ﴾ تمرون على منازلهم في الصباح والمساء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ألا تفكرون بعقولكم لتتعظوا وتعتبروا؟ ﴿ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ حين هرب إلى السفينة المملوءة بالرجال ﴿ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ فكان من المغلوبين فألقوه في البحر ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ابتلعه الحوت وهو آتٍ بما يُلام عليه ﴿مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ من المؤمنين الصالحين، الذاكرين الله كثيراً ﴿لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ﴾ لبقي في بطن الحوت إلى يوم القيامة ﴿فَنَبَذْنَـٰهُ بِٱلْعَرَآءِ﴾ طرحناه في الفضاء الواسع ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ مريض ضعيف الجسم ﴿مِّن يَقْطِينٍ﴾ شجر الدباء العريض الورق ﴿مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾ من كذبهم وافترائهم على الله، ينسبون إليه الذريةَ والولدَ، وهم كَذَبةٌ كفرةٌ فجرَة، حيث زعموا أن الله تزوَّج من الجِنَّة ـ يعني الجنَّ ـ فولدتْ له الملائكة، وهي أسطورةٌ واضحةُ البطلان ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾ هل اختار الله لنفسه البنات واختار لكم البنين؟ وهذا تشنيع عليهم وتوبيخ، كيف يجعلون لله البنات، وهم يكرهونهن؟ ولا يرضون نسبتهنَّ إلى أنفسهم، ثم يزعمون أن الملائكة بناتُ الله، فكيف اختار الله البناتِ لنفسه، وتركَ لهم البنين؟ وكيف يجعلون لله ما يكرهون؟ هل هذا منطقُ العدل والإنصاف؟ ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ يعني جائرة ليس فيها عدل ولا إنصاف!!.

الحزب ٤٦

الجزء الثالث والعشرون — سورة الصافات

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

سُورَةُ صٓ

ترتيبها ٣٨ — آياتها ٨٨

﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ماذا حدث لكم حتى حكمتم بهذا الحكم الجائر؟ ﴿سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ﴾ حجة وبرهان على أن الملائكة بناتٍ لله!؟ ﴿وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ جعل المشركون بين الله وبين الجنِّ قرابة فقالوا: إن الله نكح من الجنِّ فولدت له الملائكة، وما أشنعها من فرية!! ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ علمت الشياطينُ أنهم محضرون في العذاب ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ تنزَّه الله وتقدَّس عما يصفه به الفجرةُ الظالمون ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ إنكم أيها الكفار وكل ما تعبدونه من الشياطين والأوثان ﴿بِفَٰتِنِينَ﴾ لستم قادرين على أن تضلوا أحداً من عباد الله ﴿صَالِ ٱلْجَحِيمِ﴾ إلا من قضى الله عليه بالشقاوة لكفره وضلاله ﴿مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ منزلة ووظيفة لا يتعدَّاها ﴿سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ سبق وعدنا وقضاؤنا ﴿لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ لرسلنا الكرام ﴿ٱلْمَنصُورُونَ﴾ هم المنصورون على أعدائهم ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ هل يستعجلون بعذاب الله؟ ﴿فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ بئس هذا الصباحُ صباحَهم، مثَّل تعالى للعذاب بجيش هَجَم عليهم، فأناخ بفنائهم بغتة وقت الصباح، فقطع دابرهم.! ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ سلام على الرسل الكرام، والحمد لله على فضله وإنعامه!!

ولمَّا حاصر رسولُ الله ﷺ يهود خيبر تلا الآية فقال: «**اللَّهُ أكبرُ، خَربتْ خيبر، إنَّا إذا نزلنا بساحة قوم فساءَ صباحُ المنذرين**» رواه البخاري.. ختم الله السورة الكريمة، بهذا الثناء العاطر على رسله الكرام، وفي الحديث الشريف: «**من قال دُبُرَ كلِّ صلاةٍ** ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ * وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **فقد اكتالَ بالمكيال الأوفى من الأجر**» رواه الطبراني.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صٓ وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٢) كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٣) وَعَجِبُوا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ (٤) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥) وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَٰقٌ (٧) أَءُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (٨) أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩) أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَٰبِ (١٠) جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ (١١) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُولَٰٓئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤) وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ (١٥) وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (١٦)

سورة ص

﴿وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ﴾ هذا قَسَمٌ أي أقسِمُ بالقرآن ذي الشرف العظيم، وجوابه محذوف تقديره: ليس الأمر كما يزعم الكفار أنه لا بعث ولا نشور ﴿فِي عِزَّةٍ﴾ في حمية وتكبر عن الإيمان ﴿وَشِقَاقٍ﴾ خلاف وعداوة للرسول ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ استغاثوا واستجاروا، وليس الوقتُ وقت مفرٍّ ونجاة ﴿مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ عجب المشركون من بعثة محمد ﷺ ﴿عُجَابٌ﴾ هذا الذي يقوله محمد أمرٌ بالغ العجب ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ﴾ أشراف قريش ﴿امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ ءَالِهَتِكُمْ﴾ على عبادتها ولا تطيعوا أمر محمد ﴿الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ ما سمعنا بمثل هذه الدعوى في (الملة النصرانية) فإنهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد ﴿إِلَّا اخْتِلَٰقٌ﴾ ما هذا إلا كذب وافتراء ﴿الذِّكْرُ﴾ هل تنزَّل القرآن على محمد دوننا؟ ونحن أعظم منه شرفاً؟ ﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ لم يذوقوا عذابي بعد، ولو ذاقوه لآمنوا ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَٰبِ﴾ فَلْيصعدوا إلى السموات، ولْيدبّروا شؤون الخلق ﴿ذُو الْأَوْتَادِ﴾ ذو الجموع الكثيرة ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ ليس لها توقف ولو بمقدار حلب الناقة ﴿عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ نصيبنا من العذاب الذي وعدتنا به، يقولونه على سبيل السخرية والاستهزاء..

روي أن قريشاً اجتمعوا وذهبوا إلى (أبي طالب) فقالوا له: كُفَّ عنّا ابنَ أخيك، فإنه يعيب، دينَنا، ويُسفِّه أحلامنا، ويسبُّ آلهتنا!! فأرسل إليه يطلبه، فلما حضر قال له: ما بال قومك يشكونك؟ فقال يا عم: أريد منهم كلمةً واحدة، فقال أبو جهل: وأبيكَ نعطيكها وعشراً معها!! فقال: قولوا (لا إله إلا الله) فانفضُّوا فزعين، وهم يقولون ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ ونزلت الآية.

اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

﴿اصْبِرْ﴾ اصبر يا محمد على تكذيبهم واستهزائهم ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ﴾ وتذكّر سيرة عبدنا الصالح، الشاكر الصابر «داود» ﴿ذَا الْأَيْدِ﴾ ذا القوة في الدين والعبادة ﴿سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ﴾ سخرنا الجبال لداود يسبحن معه في المساء والصباح ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ والطيور مجموعة له تسبّح معه كذلك ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ قوّينا ملكه بأسباب القوة والعظمة ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ النبوة ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ الكلام البيّن والفصل في القضاء بين الخصوم ﴿تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ دخلوا عليه من أعلى سور المحراب ﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ خاف على نفسه منهم ﴿خَصْمَانِ﴾ لا تخف فنحن رجلان متخاصمان، تعدّى بعضنا على بعض ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ احكم بيننا بالعدل، ولا تَجُرْ ولا تَظْلم في الحكومة ﴿سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ أرشدنا إلى الحق واحملنا عليه ﴿نَعْجَةً﴾ أنثى الضأن ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾ اجعلها تحت كفالتي وملّكني إياها ﴿وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ غلبني في الخصومة.. وخلاصة القصة أن داود عليه السلام انطلق يقضي بينهما، على إثر سماع هذه المظلمة، ولم يوجّه إلى الخصم الآخر سؤالاً، ولم يطلب منه بياناً، فعاتبه الله على ذلك ونبّهه إلى ضرورة تثبت القاضي وسماعه للخصم الآخر، وأما ما يذكره القُصّاص نقلاً عن الإسرائيليات، أنه عَشِقَ زوجة إحدى قُوّاد جيشه (أوريا) فدبّر له مكيدةً فَقُتل، ثم تزوج بزوجته، فباطلٌ لا صحة له، وكلُّها هُراءٌ وافتراءٌ، ولهذا قال عليٌّ (من حدَّث بحديث (داود) كما يرويه القُصّاصُ، جلدتُه مائةً وستين جلدةً، وتلك هي حدُّ الفرية على الأنبياء) لانتهاكه حرمةَ من رفعَ الله قدْرَه.

سورة ص — الجزء الثالث والعشرون

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾

﴿بَٰطِلًا﴾ لهواً وعبثاً ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ هل نجعل الأخيار الأبرار، كالأشرار الفجار؟ ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾ ليفهموا ويدركوا معاني الكتاب العزيز ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أهل العقول السليمة، **قال الحسن البصري**: واللَّهِ ما تدبُّره بحفظ حروفه، وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: واللَّهِ لقد قرأتُ القرآن فما أسقطتُ منه حرفاً، وقد أسقطه واللَّهِ كلَّه، ما يُرى للقرآن عليه أثر في خُلُقٍ ولا عمل!! ﴿أَوَّابٌ﴾ كثير التوبة والرجوع إلى الله ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ﴾ الخيل الجميلة السريعة الجري ﴿تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ اختفت الشمس وغابت ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ﴾ ردُّوا الخيل عليَّ فردُّوها ﴿بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ ذهب يضرب أعناقها وسوقها ويذبحها، لتكون طعاماً للفقراء، لأنها شغلته عن ذكر الله، **قال الحسن**: لمَّا زُفّت عليه قال: لا واللَّهِ لا تشغليني عن طاعة ربي!! ثم أمر بها فعُقرت فعوَّضه الله عنها «الريح» التي هي أسرع من الخيل ﴿رُخَآءً﴾ ليِّنةً طيبة ﴿بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ سخرنا له الشياطين منهم من يبني له القصور، ومنهم من يغوص في البحار لاستخراج اللآلئ ﴿مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ مقيَّدين بالسلاسل لتمردهم عن طاعته ﴿بِنُصْبٍ﴾ بشر وبلاء ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ اضرب برجلك الأرض فنبعت له الماء، فشرب منها واغتسل، فبرئ من مرضه!! روي أن (أيوب) بقي في البلاء والمرض، ثمان عشرة سنة، ولمّا اشتدَّ به البلاءُ، وطالت به المدة، ضجرت زوجته، فقالت: إلى متى تصبر على هذا البلاء؟ فغضب وحلف أن يضربها مائة سوط، إن شفاه الله، فرحم الله ضعفها، وفرَّج كربتها.

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ حزمة من القضبان الرفيعة ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ اضرب بهذه الحزمة لتبرّ بيمينك ولا تأثم بعدم فعل ما حلفت عليه!! كان أيوب حين اشتد به المرض، وتضجرت زوجته فقالت: إلى متى هذا البلاء؟ فحلف إن شفاه الله، ليضربنها مائة سوط، فجعل الله له فرجاً ومخرجاً أن يأخذ مجموعة عيدان خفيفة، فيضربها بها ضربةً واحدة ويبرّ في يمينه، رحمةً بزوجته التي رعته في مرضه ﴿صَابِرًا﴾ اختبرناه بأنواع البلاء، فوجدناه صابراً على الضراء ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ أهل القوة في عبادة الله، وأهل البصائر في الدين ﴿لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ حسن مرجع في الآخرة، ثم فسّره بقوله: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ لهم بساتين وحدائق زاهرة بأنواع الفواكه والثمار ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ نساء من الحور العين، قصرن أبصارهن على أزواجهن ﴿أَتْرَابٌ﴾ في سنٍ واحدة، متساويات في الحسن والجمال ﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ ليس له زوال ولا انقطاع ﴿لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾ شرّ مرجع ومصير، وهو نار السعير ﴿حَمِيمٌ﴾ ماء حار محرق ﴿وَغَسَّاقٌ﴾ وهو ما يسيل من جلود أهل النار من القيح والصديد يسقونه مع الحميم ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ﴾ ولهم أنواع مشابهة لهذا العذاب متنوعة، كالزقوم، والزمهرير، والسموم. أجارنا الله من هذا البلاء ﴿فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ هذه مجموعة ضخمة من الطغاة، تبعوكم في دخول نار الجحيم ﴿لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ﴾ يقول الرؤساء: لا أهلاً ولا مرحباً بهم ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ﴾ قال الأتباع للزعماء: بل أنتم لا مرحباً بكم، فأنتم أحقُّ بالخزي واللعنة، لأنكم سبب شقائنا.

نصف الحزب ٤٦

وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾

﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا﴾ استهزأنا بهم في الدنيا وسخرنا منهم ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ أم هم معنا في النار ولكنْ لا نراهم!؟ يريدون بهم أصحاب محمد ﷺ، أم دخلوا الجنة كما كانوا يقولون؟ ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ تخاصم الأشقياء في نار جهنم ﴿نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ هذا القرآن الذي جئتكم به خبرٌ عظيم ﴿أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ أنتم غافلون عنه، لا تؤمنون به ولا تلتفتون إليه ﴿بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ﴾ ما كان لي علم بالملائكة حين اختصموا في شأن آدم، فمن أين أعلم أخبارهم لولا أن الله أوحى إليّ بذلك؟ ﴿مِن رُّوحِي﴾ نفخت في آدم من الروح التي ابتدأتُ خلقها، والتي لا يعلم حقيقتها إلا الله ربُّ العالمين ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ ﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ هل تكبرت عن السجود لآدم ﴿أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ أم كنت من المستحقين للترفع والكبرياء؟ ﴿رَجِيمٌ﴾ ملعون مطرود من رحمة الله ﴿الْمُنظَرِينَ﴾ الممهلين ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أقسم اللعين بجلال الله وعظمته أن يضلَّ جميع ذرية آدم، ثم استثنى منهم المؤمنين المخلصين، لأنه لا يقدر عليهم، لأنهم في حفظ الله ورعايته.

تحقيق: فإن قيل: إذا لم يكن إبليس من الملائكة، فلماذا يُؤمر بالسجود لآدم؟ فالجواب: أن إبليس حقيقةً لم يكن من الملائكة، وإنما كان من الجن لقوله سبحانه: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ ودليلٌ آخر أن الملائكة لا يعصون أمر الله، وإبليس قد عصى الأمر، ولكنه كان في صفّ الملائكة، حين أمروا بالسجود لآدم، ولهذا صحَّ الاستثناء ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ ثم هناك أمر خاصٌّ توجّه لإبليس بالسجود لآدم، كما قال سبحانه: ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾.

الجزء الثالث والعشرون — سورة الزمر

قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴿٨٨﴾

سُورَةُ الزُّمَرِ

مكيتها ٣٩ — آياتها ٧٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾

﴿ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴾ أقسمُ بالحقّ، ولا أقولُ إلا الحقَّ ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ ﴾ لأملأن جهنم منك ومن أتباعك الضالين أجمعين ﴿ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ لستُ من المتصنِّعين، المتقوّلين على الله ما لم يقله، بمعنى: لا أحتال لأدعي النبوة ﴿ ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ ما هذا القرآن إلا موعظة وذكرى للبشر ﴿ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾ وسوف تعلمون صدق أخباره عن قريب.

سورة الزمر

﴿ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أنزلنا عليك القرآن متضمناً الحقَّ ﴿ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ اعبد الله وحده، مخلصاً له العبادة، لا تقصد بها إلا وجه الله ﴿ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ ألا فانتبهوا أيها الناس، فإن الله لا يقبل من العمل، إلا ما كان خالصاً له ﴿ لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ والمشركون الذين عبدوا الأوثان، قالوا: ما نعبدها إلا لتقربنا من الله ﴿ زُلْفَىٰٓ ﴾ أي قربى ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ ﴾ يلفُّ الليل على النهار فتظهر الظلمة ﴿ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ كل من الشمس والقمر يسير إلى وقت معلوم، هو نهاية الدنيا، ومجيء القيامة، فإذا جاء اليوم الموعود، اختلَّ نظامُ الكون، فتناثرت الكواكب، وذهب ضوءُ الشمس بالانكساف، ونورُ القمر بالانخساف، وانتهت الحياة عن ظهر هذا الكوكب الأرضيّ.

والتعبيرُ بقوله سبحانه: ﴿ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ ﴾ تعبيرٌ عجيب، فإنه يصوّر حقيقةً علميةً رائعة، وهي أن الأرض تدور في مواجهة الشمس، فالجزء الذي يواجه الشمس يكون نهاراً، ولمّا كانت الأرض في حركة مستمرة وهي كروية، لذلك يتكوّر الليلُ على النهار.

الجزء الثالث والعشرون — سورة الزمر

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٤٦

﴿نَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ آدم عليه السلام ﴿مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء خلقها من ضلع من أضلاعه ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أحدث وأنشأ من أجلكم من الأنعام المأكولة اللحم ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ من كل نوع ذكراً وأنثى ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ ظلمة الكيس الذي يغلف الجنين، وظلمة الرحم، وظلمة البطن الذي يستقر فيه الرحم ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ ذلكم هو الخالق المبدع ربُّ العالمين ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ فكيف تنصرفون عن عبادته إلى عبادة الأوثان؟ ﴿وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ لا تحمل نفس ذنب نفسٍ أخرى ﴿دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ إذا أصابته شدة، لجأ إلى ربه مستغيثاً به ﴿خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً﴾ وإذا فرّج عنه كربته، وأعطاه ما يحب، من مالٍ، وصحة، وذرية وبنين ﴿نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ نسيَ الضُرَّ وتمرَّد على ربه وطغى ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء في العبادة ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾ وعيدٌ وتهديد أي استمتع بهذه الدنيا الفانية، وتلذَّذْ بها وابق على كفرك زمناً قليلاً ﴿أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ فمصيرك إلى نار الجحيم ﴿قَٰنِتٌ﴾ هل من هو عابدٌ لله في ساعات الليل والنهار، كمن هو كافر بربه لا يعبده، ولا يقرُّ بوحدانيته؟ لا يستويان أبداً ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ يخاف عذاب الله، ويرجو رحمته ورضوانه؟ ﴿يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لا يتساوى المطيع مع العاصي، ولا التقيُّ مع الشقيّ ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ إنما يتّعظُ ويعتبرُ أصحابُ العقول السليمة ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يُعطون أجرهم بشكل لا يُحصى ولا يُحصر!!

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ
قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ
وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾
وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ
فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾
لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ
أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ
يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم﴾ وعيدٌ وتهديد، وليس على وجه التخيير، والمعنى: اعبدوا ما شئتم من الأصنام والأوثان، فسترون عاقبة كفركم وإشراككم ﴿ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ لهؤلاء الكفار الفجار، ظلل من النار، تحيط بهم من جميع جوانبهم، من فوقهم ومن تحتهم، وتسميتها ظللاً للتهكم والسخرية، لأن الظلة تقي من الحر، وهؤلاء يستظلون بنار السموم ﴿ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ أعرضوا عن عبادة الأوثان والشيطان ﴿وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ رجعوا إلى ربهم وإلى عبادته وحده ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ لهم البشارة المفرحة السارة، بالفوز بجنان النعيم ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ فبشّرْ عبادي بما أعدَّه الله لهم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب أحدٍ من البشر ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ لهم منازل رفيعة عالية في الجنة، فيها القصور والحور، وكل ما تشتهيه النفس ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ أنزل المطر فأدخله في عيون جارية، تنبع من الأرض وتتكون منها الأنهار ﴿يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ ييبس الزرع بعد خضرته فتراه أصفر ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ يصبح فُتاتاً وهشيماً متكسراً، وهكذا حال الدنيا تكون خضرة حسناء، ثم تعود عجوزاً شوهاء، والآية تمثيلٌ لحياة الإنسان بحياةِ الزرع، فالزرعُ بعد خُضْرته ونُضْرته، يَيْبَسُ، ويصفرُّ ويتحطَّم، كذلك الإنسان بعد شبابه، يعود شيخاً هرماً، يتقوَّس ظهرُه، ويضعف بصرُه، وتذهب قواه، ثم يأتيه الموتُ كما يموتُ الزرع، فالسعيدُ من كان حالُه بعد الموت إلى خير، فأطاع اللهَ وقدَّم لآخرته!!

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

﴿شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ﴾ نوّر قلبه بالإيمان، وفتح صدره لقبول الإسلام ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ شقاء ودمار للذين لا تلين قلوبهم ولا تخشع عند سماع القرآن ﴿فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ في بُعدٍ عن الحقِّ واضح ﴿أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ أنزل أبلغ الكلام وأصدقه وأوضحه ﴿كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا﴾ قرآناً متشابهاً في فصاحته، وبلاغته، وروعة أحكامه ﴿مَّثَانِىَ﴾ تُكرر فيه المواعظ والنصائح، والأنباء والقصص ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ﴾ ترتعد عند سماع آياته أفئدةُ المؤمنين، فتصيبهم قشعريرةٌ من هيبة الله ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ﴾ تسكن وتطمئن قلوبهم عند سماع آيات الرحمة والرضوان ﴿ٱلْخِزْىَ﴾ الذلّ والهوان ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ ليس فيه اختلاف ولا اضطراب ﴿شُرَكَآءُ مُتَشَـٰكِسُونَ﴾ مثلٌ ضربه الله للمؤمن الموحّد، وللمشرك الذي يعبد آلهة متعددة، **وخلاصةُ المثل**: رجلٌ مملوك اشترك فيه أشخاصٌ سيئو الأخلاق ﴿مُتَشَـٰكِسُونَ﴾ متنازعون متخاصمون، هذا يأمره بأمرٍ، وآخر يأمره بضده، وهو متحيّر لمنْ يرضي؟ ورجلٌ آخر لا يملكه إلا سيدٌ واحد، حسن الأخلاق، يخدمه بإخلاص ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ هل يتساوى العبد المملوك لجماعة، والمملوك لواحد؟ كذلك لا يتساوى من يعبد آلهة شتى، ومن يعبد إلّهاً واحداً ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على وضوح الحجة عليهم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أكثرهم لا يعلمون الحقَّ فلذلك يشركون بالله ومعنى المتشاكس هو الرجل الشّرسُ سيّئ الخُلق ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ إنك يا أيها الرسول ستموت، وهم سيموتون، فلا خلود لأحدٍ في الدنيا، وعند الله تجتمع الخصوم.

۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾

﴿كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ لا أحد أفجر وأظلم، ممن كذب على الله، بنسبة الشريك له والولد ﴿وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ﴾ وكذّب بالقرآن من غير تدبر ولا تأمل ﴿مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أليس في جهنم مأوى ومسكن للكفار الفجار؟ ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ﴾ هو النبيُّ محمد ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ هم أتباعه المؤمنون ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ أهل التقوى والصلاح، الذين يستحقون كل إكرام ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ أليس الله كافياً عبده ورسوله محمداً ﷺ؟ يرعاه ويحميه ويدفع عنه شرَّ الأعداء ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ يخوّفونك بالأصنام أن تمسّك بأذى، فلا تبالِ بها وتوكل على الله!! ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ لئن سألت المشركين من خلق السموات والأرض، ليقولن: اللَّهُ خالقهما ﴿أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ أخبروني إن أرادني الله بأذى أو ضرر، هل تستطيع آلهتكم دفع ذلك السوء عني؟ ﴿مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ وإذا أراد بي الخير هل تستطيع أن تمنع عني الرحمة؟ ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ طريقتكم من المكر والكيد والخداع ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ على طريقتي من الدعوة إلى الله، وإظهار دينه، فسوف تعلمون أيُّنا الشقيُّ الضال؟ هل نحن أم أنتم؟ ﴿عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يذلُّه ويُهينه ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم لا ينقطع.

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ كان كفار قريش يخوّفون رسول الله ﷺ من الأصنام أن تضرّهُ وتؤذيه، ويقولون له: أنت تسبُّها ونخاف عليك أن تصيبك بخبَل أو جنون، فأخبره الله تعالى أنه يكفيه ويحميه، فمن يستطيع أن يناله بأذى!؟

إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾

﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾ يقبضها عند انتهاء آجالها من الأبدان بالموت ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ ويتوفى الأنفس التي لم ينته أجلها في منامها لأن النائم كالميت، لا يبصر ولا يسمع، ولا يشعر بما حوله، ولهذا كان ﷺ يقول إذا استيقظ من النوم: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**» ﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ فلا يردُّها إلى بدنها ﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ويرد الأنفس النائمة إلى أبدانها عند اليقظة، إلى وقت انتهاء آجالها ﴿لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ لا يملك أحد الشفاعة إلا بإذنه، لأن الشفاعة لله وحده ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾ انقبضت قلوب المشركين عند ذكر اسم الله سبحانه ﴿ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ إذا ذكرت الأصنام والأوثان ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون ويُسرُّون ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ مبدعهما ومخترعهما على غير مثال سابق ﴿تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾ تفصل بين الخلق بحكمك العادل، فافصل بيني وبين المشركين ﴿لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ﴾ لو كان للكافر جميع ما في الأرض ومثله أيضاً لقدَّمه فديةً له من عذاب الله الشديد، ولكنْ هيهات فلا غوث، ولا فداء ﴿يَحْتَسِبُونَ﴾ ظهر لهم ما لم يكن في حسابهم مما لا يخطر على بال.

قال ابن عباس: إن أرواحَ الأحياء والأموات، تلتقي في المنام، فتتعارف ما شاء الله لها أن تتعارف، فإذا أرادت الرجوع إلى أجسادها، أمسك الله أرواح الأمواتِ عنده، وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها، فذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا..﴾ الآية.

الجزء الرابع والعشرون — سورة الزمر

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾

﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ ظهرت لهم سيئات أعمالهم الشريرة ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أحاط بهم ونزل عقاب ما كانوا يستهزئون به في الدنيا ﴿خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً﴾ أعطيناه نعمة منا ﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ قال ذلك الكافر: إنما جاءني هذا المال بذكائي، وعلى علم مني بطرق الكسب والتجارة ﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ امتحان واختبار له، هل يشكر أم يكفر؟ ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ ليسوا بفائتين من عذابنا، بل هم في قبضتنا لا يعجزون ربهم ﴿أَسْرَفُوا﴾ أفرطوا في ارتكاب الذنوب والجرائم ﴿لَا تَقْنَطُوا﴾ لا تيأسوا من مغفرة الله لذنوبكم وعفوه عنكم ﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ يعفو عن جميع الذنوب لمن تاب توبةً صادقةً، والآية دعوة لجميع العصاة إلى التوبة والإنابة ﴿وَأَنِيبُوٓا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ ارجعوا إليه بالتوبة والطاعة ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُۥ﴾ أخلصوا له العبادة ﴿ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً﴾ فجأة وأنتم غافلون لا تدرون بمجيئه ﴿فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ لئلا يقول أحدكم: يا حسرتي وندامتي على ما قصَّرت في حقِّ الله، وفي جانب طاعته ومرضاته ﴿لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ وقد كنت في الدنيا من المستهزئين بدين الله!! يندم حين لا ينفعه الندم شيئاً.

ربع الحزب ٤٧

ربُّ العزة والجلال يناديك أخي المسلم، للرجوع إليه بالتوبة والإنابة، ليغفر لك ما جنته يداك!! يناديك بهذا النداء الشفيف اللطيف ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ..﴾ إنها دعوةٌ لجميع العصاة، الذين أسرفوا في العصيان، وساروا في طريق الشيطان، ليرجعوا إلى ربهم الغفور الرحيم، فهو سبحانه غفَّارُ الذنوب، ستّارُ العيوب.

أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَـٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

﴿كَرَّةً﴾ أو تقول تلك النفس الفاجرة: لو أن لي رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ فأحسن سيرتي وعملي ﴿بَلَىٰ﴾ هذا جواب لقوله: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ والمعنى: بلى قد جاءك الهدى من الله، ولكنك كذَّبتَ واستهزأتَ ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ كنت كافراً بربك، جاحداً لنعمه!! إن الكافر يتحسَّر أولاً، ثم يحتج بحجج واهية، ثم يتمنى الرجوع إلى الدنيا، ولو ردَّه الله إلى الدنيا لعاد إلى إجرامه كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ فلذلك لا يُجاب إلى طلبه ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ وجوههم سوداء مظلمة بكذبهم وافترائهم ﴿مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أليس في نار الجحيم مقام ومسكن، للمتكبرين عن طاعة الله؟ ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ ينجّي الله المؤمنين المتقين، بسبب سعادتهم وفوزهم بالجنة ﴿لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ﴾ لا ينالهم مكروه ولا أذى ﴿مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ بيد الله وحده مفاتيح خزائن السموات والأرض، فلا ينزل مطر، ولا يخرج زرع ولا ثمر، إلا بإرادته وعلمه ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ ما عظَّموه حق عظمته، ولا عرفوا قدره حقَّ معرفته، حيث عبدوا معه غيره، وهو الخالق الرازق.

قال ابن عباس: (ما السمواتُ السبعُ، في يد الله عزَّ وجلَّ، إلَّا كخردلةٍ في يد أحدكم) وفي الحديث الشريف: «**يقبض الله الأرضَ، ويطوي السماوات بيمينه، ثم يقول: أنا الملكُ، أين ملوكُ الأرض**»؟ رواه البخاري، وقرأ رسول الله الآية ﴿وَمَا قَدَرُوا۟﴾ وهو على المنبر، يقول: «**يمجّد الله نفسه، يقول: أنا الجبّار، أنا المتكبر، أنا العزيز**» رواه مسلم.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ نفخة الصعق التي تكون بعد نفخة الفزع ﴿فَصَعِقَ﴾ مات جميع الأحياء، من الملائكة، والإنس والجن ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ كحملة العرش، وخزنة الجنة والنار ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ نفخة الإحياء، وخروج الناس من القبور ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾ قيام على أرجلهم ينتظرون الحساب ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ أضاءت أرضُ المحشر بنور المولى جلَّ وعلا، لفصل القضاء بين العباد ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أُحضرت كتب أعمال البشر ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ سيق الكفرة المجرمون، إلى نار الجحيم جماعات جماعات، كما يُساق المجرمون في الدنيا إلى السجون ﴿فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ حتى إذا وصلوا إلى النار، فتحت أبوابها فجأة، لتستقبلهم بجحيمها وسعيرها ﴿مَثْوَى﴾ بئست جهنم مسكناً ومأوى للمتكبرين ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ أما المؤمنون، فتقودهم الملائكة إلى الجنة، معزَّزين مكرَّمين، جماعات جماعات، يمشون وهم بين أيديهم كحرس الشرف ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ حتى إذا وصلوا إلى الجنة، وقد فتحت أبوابها كقوله سبحانه: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ وجيء بالواو هنا ﴿وَفُتِحَتْ﴾ لأن دور الفرح تكون مفتوحة الأبواب للضيوف، وأبواب السجون تكون مغلقة، إلى أن يحضر إليها أصحاب الجرائم، فتدبر أسرار القرآن.. وختم السورة بقوله: ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وهو قولُ جميع الخلق، المؤمنون منهم والكفار، ولهذا جاء اللفظ بصيغة المجهول ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ المؤمنون يحمدونه على فضله، والكفار يحمدونه على عدله!!

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ غَافِرٍ — ترتيبها ٤٠ — آياتها ٨٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾

﴿حَآفِّينَ﴾ وترى الملائكة محيطين بعرش الرحمن جل جلاله من كل جانب ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ مسبِّحين لله، ومعظِّمين له على فضله وكماله ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ قضي بين العباد بالعدل، فدخل المؤمنون الجنة، والكافرون النار ﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جميع الخلائق حمدوا الله عزَّ وجل، المؤمنون يحمدون الله على فضله، والكافرون يحمدونه على عدله، ولهذا جيء بلفظ الغائب، **قال ابن كثير**: نطق الكون أجمعُه، ناطقُه وأعجَمُه بالحمد لله في حكمه وعدله، ولهذا لم يسند القول إلى القائل، بل أطلقه، فدلّ على أن جميع المخلوقات شهدتْ له بالحمد.

نصف الحزب ٤٧

❊ ❊ ❊

سورة غافر

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ يقبل توبة العصاة ويعفو عن ذنوب العباد ﴿ذِى ٱلطَّوْلِ﴾ صاحب الفضل والإنعام ﴿مَا يُجَٰدِلُ﴾ ما يخاصم وينازع في آيات القرآن، إلا الكفار الفجار ﴿فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ﴾ فلا تنخدع بما هم عليه من النعيم فإنه زائل، وعاقبتهم إلى نار جهنم ﴿وَهَمَّتْ﴾ همت كل أمة من الأمم المكذبة برسولها ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ ليبطشوا به ويقتلوه ﴿لِيُدْحِضُوا۟﴾ جادلوا رسلهم بالباطل ليبطلوا به الحق الساطع ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ بالعذاب العاجل ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ كيف كان عقابي لهم؟ ألم يكن فظيعاً مريعاً؟ ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وجبت كلمة العذاب عليهم ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ أي لأنهم كفرة فجرة، أصحابُ الجحيم، يستحقُّون أن يُحرقوا بها.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

﴿عَدْنٍ﴾ إقامة دائمة ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ احفظهم من فعل المنكرات والمعاصي ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ بغض الله الشديد لكم ﴿أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أعظمُ من بغضكم اليوم لأنفسكم ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ﴾ حين كنتم في الدنيا تُدعون إلى الإيمان، فتصرُّون على الكفر ﴿أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ قال الكفار حين شاهدوا الشدائد والأهوال: يا ربنا أمتنا مرتين، وأحييتنا مرتين ﴿فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ أقررنا بما فعلناه من الذنوب ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ هل هناك طريق لإخراجنا من النار لنعمل بطاعتك؟ والمراد بالموتتين: الأولى حين كانوا في العدم، والثانية حين ماتوا في الدنيا. والحياةُ الأولى حياة الدنيا. والحياة الثانية، حياة البعث. قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ ينزل لكم المطر الذي هو سبب الرزق، والذي به تخرج الزروع والثمار ﴿مَن يُنِيبُ﴾ من يرجع إلى الله بالتوبة والعمل الصالح ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ﴾ هو الكبير المتعال، صاحب الرفعة والعظمة ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ ينزِّل الوحي على من يشاء من خلقه، سمَّى الوحي روحاً، لأنه يسري في القلوب، سريان الروح في الجسد ﴿يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ يوم يلتقي البشر في أرض المحشر، للحساب والجزاء ﴿بَٰرِزُونَ﴾ ظاهرون أمام أبصار جميع الخلق، لا يسترهم شيء، ويقول الله في ذلك اليوم: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ﴾؟ فلا يجيبه أحد، لأن الخلائق خائفون فزِعون، فيجيب نفسه بنفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ **قال الحسن:** هو تعالى السائلُ، وهو المجيب.!

ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾

﴿يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ﴾ خوِّفهم ذلك اليوم الرهيب «يوم القيامة» سميت القيامة آزفة لقربها ﴿لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ تصوير بليغ لشدة الهول أي تكاد قلوبهم من شدة الخوف تبلغ الحلقوم ﴿كَـٰظِمِينَ﴾ مملوئين غماً وحسرة، شأن الشخص المكروب

ثلاثة أرباع الحزب ٤٧

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ﴾ يعلم الأعين الخائنة التي تسارق النظر إلى المحرَّم، **قال ابن عباس**: الرجل يكون جالساً مع الناس، فتمرُّ المرأة فيسارقهم النظر إليها ﴿يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ يحكم بالعدل ﴿يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ يعبدونهم من الأوثان والأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ﴾ لا يستطيعون حكماً ولا قضاء لأنها جمادات، فكيف يكونون شركاء مع الله؟ ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كانوا أشد قوة من كفار مكة ﴿وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وأقوى منهم بما عمروه فيها من الحصون والقصور ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أهلكهم إهلاكاً فظيعاً لمَّا كذبوا الرسل ﴿مِن وَاقٍ﴾ ما استطاع أحد أن يدفع عنهم عذاب الله، ويقيهم من عقابه ﴿وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ﴾ استبقوا النساء للخدمة ﴿وَمَا كَيْدُ﴾ ليس عمل فرعون وتدبيره، إلَّا في ضَيَاع، وفي تخبُّط وخسران.

لمَّا أظهر لهم موسى معجزته الباهرة، من (اليد) و (العصا) قالوا: اقتلوا ذكور بني إسرائيل لئلا يتناسلوا، واستبقوا نساءهم للخدمة!! وهذا القتلُ غيرُ القتل الذي وقع عند ولادة موسى عليه السلام، فقد كان القتلُ الأول خشية ولادة موسى، وهذا القتلُ الثاني بعد أن بُعث موسى وخشي فرعونُ على ملكه أن يزول.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ
أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾
وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ
لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ
فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ
ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا
فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي
يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوْمِ
لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ
بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّيٓ
أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ
وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾
وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

﴿أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ قال فرعون الجبار: اتركوني حتى أقتل لكم موسى ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ ولْـيـنـادِ ربـه حتـى يخلصه مني ﴿يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ أخشى أن يفسد عليكم دينكم، بالدعوة إلى عبادة الله وحده ﴿ٱلْفَسَادَ﴾ يثير الفتن في أرض مصر، فيقع الهرجُ والمرج، وهذا كما يُقال في المثل: «صار فرعون واعظاً» ﴿عُذْتُ﴾ قال موسى: إني اعتصمت بالله والتجأتُ إليه ليحفظني ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾ من شر كل جبار، لا يؤمن بيوم الحساب ﴿يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ﴾ يخفي إيمانه، كان قبطياً فآمن وهو ابن عم فرعون ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ أتقتلون رجلاً لا ذنب له إلا لأجل أن قال: ربي الله؟ من غير تفكر ولا تبصر في أمره ﴿جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ جاءكم بالمعجزات الواضحات التي شاهدتموها من عند ربكم ﴿ظَٰهِرِينَ﴾ غالبين عالين في أرض مصر ﴿مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾ من ينقذنا وينجّينا من عقاب الله إن قَتَلْنا رسولَه؟ ﴿مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ الأمم الماضية التي تحزَّبت على معاداة رسلها ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ يوم القيامة يوم يُنادى الخلائقُ للحساب ﴿مِنْ عَاصِمٍ﴾ من يمنع ويدفع عنكم عذاب الله.. **تنبيه:** جاءهم بطريق النصح والملاطفة، ليبعد عنه التهمة، أنه من أتباعه وأنصاره، فقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ ولم يذكر اسمه، ليوهم أنه لا يعرفه، ثم قال: ﴿أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ ولم يقل لهم: هو نبيُّ الله، أو هو رجل مؤمن بالله، لئلا يشعروا أنه متعصّبٌ له، وقدَّم الكذب على الصدق ﴿وَإِن يَكُ كَٰذِبًا﴾ ثم قال: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ ولم يقل: يُصبكم جميعُ ما وعدكم به، فكلامُه في منتهى الحكمة والتحفظ.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ جاءكم يوسف من قبل موسى بالمعجزات الساطعات ﴿فِي شَكٍّ﴾ فلم تزالوا في شك من رسالته ﴿هَلَكَ﴾ مات ﴿مِن بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ لن يأتي أحد يدّعي الرسالة بعد يوسف (ويوسف عليه السلام) كان قبل فرعون وهو الذي أدار شؤون الدولة في مصر في سنوات القحط والجدب ﴿مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ مسرف في المعاصي، شاك في دين الله ووحدانيته ﴿سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ يجادلون في دين الله بغير برهان ولا حجة ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ ما أعظم بغض الله لهم؟ بمعنى أن بغض الله لهم شديد ﴿ابْنِ لِي صَرْحًا﴾ هامان وزير فرعون، يقول له فرعون: ابن لي يا هامان قصراً عالياً، وبناء شامخاً منيفاً ﴿أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ لعلي أصل إلى أبواب السموات وطرقها وأرى إلّه موسى!! يقوله ليوهم أنه يبحث عن الله تمويهاً عليهم، لئلا يؤمن أحد بكلام المؤمن الناصح، ولهذا أتبعه بقوله: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ إني لأعتقد أن موسى كاذب في دعوى أنّ له إلّهاً غيري ﴿فِي تَبَابٍ﴾ وليس مكر فرعون واحتياله في الصدّ عن سبيل الله، إلا في خسار وهلاك، قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾ يطلب فرعونُ من وزيره (هامان) أن يبني له قصراً عالياً، شامخاً رفيعاً ﴿لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ لعله يصل إلى الطرق الموصلة إلى السماء، فيرى إلّه موسى نظر عيان، ومع هذا التصور السخيف، يجزم فرعونُ بكذب موسى ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ وهذا يؤكّد أنّ فرعون كان يريد التمويه على قومه، لأن بلوغ السماء مستحيل، ولكنه يتظاهر بالبحث عن الإلّه!؟

۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى
ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ
لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ
وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ
﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى
ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ
مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ
يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ
ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي
ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا
لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ
﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ
قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ
جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٩﴾

الحزب ٤٨

﴿مَا لِيٓ﴾ أنا أعجب من حالكم ﴿أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ أدعوكم إلى الإيمان الموصل إلى الجنان، وأنتم تدعونني إلى الكفر الموصل إلى النيران!! ﴿لَا جَرَمَ﴾ حقاً إن ما تدعونني لعبادته باطل، لأنه ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ﴾ لا يجيب داعيه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا ينفع ولا يضرُّ ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وأن مرجعنا إلى الله وحده، فيجازي كلاً بعمله ﴿وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ وأن الكافرين المغالين في الكفر والضلال، سيخلَّدون في نار الجحيم ﴿فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡ﴾ سترون صدق كلامي عندما يحلُّ بكم العذاب ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ نجّاه الله من القتل ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ نزل بفرعون وجماعته الأشقياء أشدُّ أنواع العذاب، وهو الغرق في البحر ﴿يَتَحَآجُّونَ﴾ يختصمون في النار، الرؤساء والأتباع ﴿ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ﴾ يقول الأتباع المخدوعون لرؤسائهم الزعماء المضلّين ﴿كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا﴾ كنا في الدنيا أتباعاً لكم، كالخدم نطيعكم، وننقاد لأوامركم ﴿مُّغۡنُونَ عَنَّا﴾ فهل أنتم تدفعون عنّا قدراً يسيراً من العذاب؟ ﴿إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ﴾ قال الرؤساء الطغاة: إننا جميعاً في النار، ولو قدرنا على دفع العذاب عنكم، لدفعناه عن أنفسنا!! ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ زبانية جهنم وحُرّاسها ﴿يُخَفِّفۡ عَنَّا﴾ ادعوا لنا ربَّ العزة والجلال، ليخفّف عنّا ولو يوماً واحداً، ممّا نحن فيه من العذاب!! فتجيبهم الملائكة على وجه التوبيخ: ادعوا أنتم ربكم، فإنا لا نجترئ على ذلك، ولكن نبشّركم أنَّ دعاءكم لا يفيد ولا ينفع شيئاً. فقد حكم الجبّارُ بخلود الكافرين في النار.

الجزء الرابع والعشرون — سورة غافر

قَالُوٓاْ أَوَلَمۡ تَكُ تَأۡتِيكُمۡ رُسُلُكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدۡعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡهُدَىٰ وَأَوۡرَثۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدٗى وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾

﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أما جاءتكم الرسل بالمعجزات الواضحات؟ ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ قالوا بلى أتونا فكذبناهم ﴿فَٱدۡعُواْ﴾ تقول لهم الملائكة: ادعوا أنتم ربكم، فإنا لا نجترئ على ذلك، وقولهم هذا للدلالة على الخيبة، فإذا لم يسمع دعاء الملائكة، كيف يسمع دعاء الكفار؟ ﴿يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ ننصرهم في الدنيا ويوم القيامة، والأشهادُ هم الملائكة والنبيون، الذين يشهدون على أعمال العباد ﴿مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾ لا ينفعهم اعتذارهم ﴿وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ﴾ ولهم الطرد من رحمة الله ﴿بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ بالمساء والصباح، والمقصودُ المواظبةُ على ذكر الله، وأن لا يفتر اللسان عنه ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾ يخاصمون في الآيات القرآنية ﴿بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ﴾ بغير برهان ولا حجة ﴿إِلَّا كِبۡرٞ﴾ ما يحملهم على ذلك إلا التكبرُ عن الحقّ ﴿مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ﴾ ليسوا واصلين إلى مرادهم من إطفاء نور الله ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ تحصَّنْ بالله من كيدهم، فإنه سبحانه يدفع عنك شرَّهم ﴿لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ﴾ خلقُ الله للسموات والأرض، أعظمُ وأضخمُ من خلق البشر، والغرضُ من الآية: إثبات البعث والحساب، فإن الإلّه الذي خلق السموات والأرض، بهذا الشكل العظيم المدهش، كيف لا يقدر على إعادة الأجسام بعد موتها وفنائها؟ وهو الذي خلقها بنظام عجيب دقيق، ولكنْ لا يدرك هذا مَنْ كان أعمى البصر. ﴿ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ المراد بالأعمى هنا: الكافرُ، وبالبصير: المؤمنُ، لا يتساوى المؤمن والكافر، كما لا يتساوى الصالح والطالح.

إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ﴾ إن القيامة آتية لا محالة ﴿لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ لا شك في ذلك ولا مرية ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يصدِّقون بمجيئها لقصور أفهامهم، وضعف عقولهم، والمراد بأكثر الناس: الكفار الذين ينكرون البعث ﴿دَاخِرِينَ﴾ الذين يتكبرون عن عبادة الله ودعائه، سيدخلون جهنم ذليلين مهينين، لأن من تكبّر على الله أهانه ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ جعل النهار مضيئاً مشرقاً، لتبصروا فيه منافعكم ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ كيف تصرفون عن عبادة الرحمن، إلى عبادة الأوثان؟ ﴿قَرَارًا﴾ مستقراً لكم في حياتكم، عليها تبنون وفيها تزرعون، ومصيركم إليها بعد الموت كما قال سبحانه: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾

ربع الحزب ٤٨

﴿يَجْحَدُونَ﴾ يكذّبون وينكرون ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾ خلقكم في أجمل صورة، وأحسن شكل ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ هو الباقي الذي لا يفنى ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا معبود بحقٍّ إلَّا الله سبحانه ﴿أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أمرت أن أستسلم، وأذل وأخضع لله رب العالمين، وأن أخلص له عبادتي وديني!! **قوله تعالى:** ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا﴾ القرارُ هنا: بمعنى السَّكن والاستقرار، أي جعلها لكم منزلاً وسكناً تستقرُّون عليها، وليس كما فهم البعضُ أنها واقفةٌ غير متحركة، إذْ لو كانت الأرض لا تدور حول الشمس، لما تعاقب الليل والنهار، فالشمسُ تدور، والقمرُ يدور، والأرض تدور، والنجومُ تدور ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ فالأرض مع حركتها ودورانها تمسكها يد القدرة الإلَهية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ
يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا
شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى
وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا
قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾
فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ
مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ
نَكُن نَّدْعُو مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾
ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ
تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ
مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا
نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ كمال شبابكم وقوتكم ﴿شُيُوخًا﴾ تصبحوا في سن الشيخوخة والهرم ﴿أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ أجل الموت الذي حُدِّد لكل إنسان ﴿أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال ﴿كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ كذبوا بالقرآن الواضح الساطع ﴿بِهِ رُسُلَنَا﴾ وكذبوا بالكتب والشرائع السماوية ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة التكذيب، وهو وعيد وتهديد ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ﴾ حين تربط أيديهم مع أعناقهم بالقيود والسلاسل ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ يُجَرُّون بتلك السلاسل إلى الماء المتناهي في الحرارة ﴿يُسْجَرُونَ﴾ ثم في نار الجحيم يُحرقون، **قال ابن كثير**: معنى الآية أن السلاسل متصلة بالأغلال، وهي بأيدي الزبانية، يسحبونهم على وجوههم تارة إلى الحميم، وتارة إلى الجحيم ﴿كُنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ أين الأوثان التي كنتم تعبدونها من دون الرحمن؟ أدعوهم ليخلّصوكم من العذاب ﴿ضَلُّوا عَنَّا﴾ غابوا عنا وفقدناهم فلا نراهم ﴿تَمْرَحُونَ﴾ ذلك العذاب بسبب بطركم واستكباركم على الله ﴿مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ بئست جهنم مأوى ومسكناً للطغاة المتكبرين ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك، فإنَّ وعْدَ اللهِ بتعذيبهم والانتقام منهم، كائن لا محالة ﴿فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ فإن أريناك بعض ما وعدناهم من العذاب، لتَقرّ به عينك ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ أو نقبضك قبل عذابهم، فمرجعهم إلينا لنجازيهم بأعمالهم، وهذا توجيهٌ للدعاة، أن يتأسوا برسول الله ﷺ، بالصبر على أذى السفهاء.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

• ﴿قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ أخبرناك عن أحوالهم، وما لاقوه من أقوامهم ﴿لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ ومن الرسل من لم نخبرك عن قصصهم وأنبائهم، والآية تسلية للرسول ﷺ بما لاقى الرسل ليتأسى بهم ﴿بِآيَةٍ﴾ لا يصح لرسول أن يأتي بشيء من الخوارق والمعجزات، إلا بأمر الله ورضاه، وهو ردٌّ على قولهم: اجعل لنا جبل الصفا ذهباً، وأجر لنا الأنهار في مكة ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ الوقت المحدَّد لعذابهم ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ وخسر في ذلك الوقت كل مبطل وفاجر ﴿الْأَنْعَامَ﴾ خلقها وسخَّرها لكم ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا﴾ لتركبوا على ظهور بعضها كالإبل ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ وتأكلون من لحومها وألبانها ﴿حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ بحمل الأثقال في الأسفار البعيدة ﴿عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أفلم يسافروا ليعرفوا عاقبة الطغاة المتمردين على الله ورسله؟ ماذا فعل الله بهم؟ ﴿مِّنَ الْعِلْمِ﴾ اغترُّوا بعلومهم الدنيوية ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ نزل بهم جزاء الكفر والاستهزاء ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ لمَّا شاهدوا العذاب الأليم ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ آمنوا حين لا ينفع الإيمان، ولا تجدي التوبة ﴿سُنَّتَ اللَّهِ﴾ هذه طريقة الله وسُنَّته في المكذبين، أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ ظهر خسران كل كافر وفاجر، وقت رؤيتهم للعذاب، حيث لا ينفعهم ندم ولا توبة، ولا يفيدهم استغاثة ولا اعتذار ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾.

❊ ❊ ❊

الجزء الرابع والعشرون — سورة فصلت

سُورَةُ فُصِّلَتْ

ترتيبها ٤١ — آياتها ٥٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾

نصف الحزب ٤٨

سورة فصلت

﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ بُيِّنت معانيه، ووضحت أحكامه أجمل توضيح ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ نزل بلسان العرب ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ تفاصيل آياته، ودلائل إعجازه ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ مبشراً بالجنة لأهل الإيمان، ومنذراً بالعذاب لأهل الكفر والطغيان ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾ أعرض الطغاة المشركون عن تدبر آياته ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفكر وتدبر ﴿فِىٓ أَكِنَّةٍ﴾ في أغطية متكاثفة ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ صمم يمنع من السماع وفهم الكلام ﴿حِجَابٌ﴾ وهناك حاجز يحول بيننا وبينك، وهذه كلها أمثلة على عدم قبول الكفار دعوة الإسلام، وعدم الإيمان برسالة خاتم المرسلين كأنهم يقولون: إن قلوبنا في أغطية متكاثفة، لا يصل إليها شيء مما تدعونا إليه، من التوحيد والإيمان، وفي آذاننا صممٌ فلا نسمع دعوتك، فافعل ما شئت فإننا مستمرون على عبادة الأوثان والأصنام ﴿بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ لستُ إلا بشراً مثلكم ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ أوحى الله إليَّ بالرسالة لأبلِّغكم دعوة الله ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أجر غير مقطوع، بل هو دائم مستمر ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ تجعلون له أمثالاً من الشركاء ﴿رَوَٰسِىَ﴾ جبالاً ثوابت ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾ أرزاق البشر ومعاشهم ﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ في تتمة أيام من حين خلق الأرض ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ استجيبا لأمر الله طائعين أو مكرهين، **قال الشوكاني**: ومعنى هذا الأمر لهما: التسخير، أي قال لهما: كونا فكانتا، فالكلام من (باب التمثيل) لتأثير قدرته، واستحالة امتناعهما على إرادة الله.! ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ امتثلنا أمرك يا ربِّ طائعين، خاضعين.

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ
وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ
عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُوا لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً
فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا فِي
ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ
ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةًۖ وَكَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ
عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰۖ وَهُمْ
لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا ٱلْعَمَىٰ عَلَى
ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ
أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ
عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ أبدع وأتقن خلقهن سبع سموات، فتمّ خلق السموات والأرض في ستة أيام، ولو شاء لخلقهنّ بلمح البصر ﴿بِمَصَٰبِيحَ﴾ بالكواكب المضيئة وهي السماء الأولى القريبة منكم ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ فإن أعرض المشركون، وامتنعوا عن الإيمان ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً﴾ خوّفتكم عذاباً شديداً ينصبّ عليكم كالصاعقة ﴿مِّثْلَ صَٰعِقَةِ﴾ مثل العذاب الذي حلّ بعاد وثمود ﴿جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ﴾ جاءوهم من جميع الجوانب يأمرونهم بالتوحيد ﴿لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ لو شاء إرسال رسول لجعله من الملائكة لا من البشر ﴿كَٰفِرُونَ﴾ نحن كافرون بكم وبرسالتكم ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أرسلنا على عاد ريحاً باردة، شديدة البرد، وشديدة الصوت ﴿فِيٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ في أيام مشؤومة ﴿عَذَابَ ٱلْخِزْيِ﴾ العذاب المخزي المذل لهم ﴿فَٱسْتَحَبُّوا ٱلْعَمَىٰ﴾ اختاروا الضلالة على الهدى، والكفر على الإيمان ﴿صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ أخذهم العذاب الشامل المهلك، الموقع لهم في الذل والإهانة ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يُحبس أعداء الله في مكان ليتلاحقوا ويجتمعوا، ثم تسوقهم الملائكة إلى نار الجحيم.

تنبيه: نقف عند هذا التعبير المعجز ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ فإن فيه من روعة الجمال، ما يفوق الخيال، وقد أشارت الآية إلى انقياد هذا الكون إلى خالقه، انقيادَ العبد لسيدّه، والجنديّ لقائده، مثّل لذلك بتمثيل بديع، يجعل من الجماد كائناً حياً، يُؤمر فيلبّي الأمرَ، ويُكلّف بشيءٍ، فيسمع ويطيع، ويا له من تصوير بديع!!

وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ
أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾
وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم
مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن
يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ
قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ
كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا
شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ
أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ لماذا أقررتم علينا بما ارتكبناه من أعمال؟ ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ﴾ قالوا: أنطقنا الله بقدرته، ولم يكن ذلك بإرادتنا واختيارنا.. روى مسلم عن أنسٍ أنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، ثم قال: **«هل تدرون ممَّ أضحك؟»** قلنا: الله ورسولُه أعلم!! قال: **«من مخاطبة العبد ربَّه، يقول: يا ربّ: ألم تُجرني من الظلم؟ فيقول الله: بلى، فيقول العبد: إني لا أجيز على نفسي إلَّا شاهداً من نفسي، فيقول الله له: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، فيختمُ على فيه، ثم يُقال لجوارحه انطقي، فتنطق بأعماله، ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام، فيقول لجوارحه: بُعْداً لكنَّ وسُحْقاً فعنكنَّ كنتُ أناضل»**

ثلاثة أرباع الحزب ٤٨

﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ تستخفون عند ارتكابكم الفواحش ﴿أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ لذلك ما كنتم تستخفون منها، وكنتم تستترون عن الناس مخافة الفضيحة ﴿ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ﴾ وهذا الظن القبيحُ بربكم، هو الذي أوقعكم في الهلاك والدمار ﴿فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ فإن يصبروا على العذاب، فنار جهنم منزلهم ومحلُّ إقامتهم ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ﴾ وإن يطلبوا إرضاء ربهم، فما هم من المرضيّ عنهم، يقال في اللغة: استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ هيأنا للكفار أصدقاء سوء ﴿فَزَيَّنُواْ لَهُم﴾ حسَّنوا لهم أعمالهم القبيحة ﴿لَا تَسْمَعُواْ﴾ لا تسمعوا لمحمد إذا قرأ عليكم القرآن ﴿وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ ارفعوا أصواتكم عند قراءته وصيحوا لتشوِّشوا عليه ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ لكي تغلبوه على تلاوته فيسكت، ولا يسمع الناسُ ما يقرأه.

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾

﴿ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ آمنوا بالله ثم استقاموا على التوحيد، وثبتوا على ذلك حتى الموت ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ ملائكة الرحمة عند الاحتضار ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ لا تخافوا ممّا أمامكم، ولا تحزنوا على ما تركتموه في الدنيا فنحن نخلفكم فيها ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ﴾ أبشروا بجنة الخلد التي وعدكم بها ربكم ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ نحن أعوانكم وأنصاركم في الدنيا والآخرة ﴿مَا تَدَّعُونَ﴾ لكم في الجنة ما تطلبون وتشتهون ﴿نُزُلًا﴾ ضيافة وكرامة من ربكم الرحيم ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ ادفع السيئة بالخصلة الحميدة، كمقابلة الإساءة بالإحسان، والذنب بالعفو ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ فإذا فعلت ذلك، صار العدوُّ كالصديق، والبعيد عنك كالقريب ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾ وإن وسوس إليك الشيطان بالبطش والعدوان ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ التجئ إلى الله يَكْفِكَ منه، ويردَّ كيده وشرَّه عنك ﴿لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ لا يملّون التسبيح، يسبحون الله ليلاً ونهاراً، لأنهم لا ينامون، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، خلافاً للبشر فقد يعتريهم الملل من العبادة والطاعة.

سجدة

تنبيه: تنزُّل الملائكة على المؤمنين، تكون عند الاحتضار، ونزع الروح منه، يبشرونهم برحمةٍ من الله ورضوانه، وجنات لهم فيها نعيم مقيم، والنُّزُلُ: الضيافةُ والكرامة، أي هذه ضيافتكم وكرامتكم، من ربكم الرحيم، فأيُّ نعيم بعد هذا النعيم؟ هذا جزاء من آمن واستقام. سأل رجلٌ رسولَ الله عن نصيحة جامعة فقال له: «**قل آمنت بالله ثم استقم**» رواه مسلم.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

علامة الهمزة المسهلة

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ من الدلائل والبراهين على وحدانيته وكمال قدرته ﴿تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾ جرداء يابسة لا نبات فيها ولا زرع ﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ فإذا أنزلنا عليها المطر، تحركت بالنبات، وعلت وانتفخت، وأخرجت من جميع أنواع الزروع والثمار ﴿أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ فالإله الذي أحيا الأرض الميتة، هو الذي يحيي الموتى ويبعثهم من القبور ﴿يُلْحِدُونَ﴾ يطعنون في آياتنا المنزلة، ويميلون بها عن الحقّ، إلى الأهواء والشهوات ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ لا يخفى أمرهم علينا، فنحن نعلمهم ونجازيهم بما يعملون ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ وعيد وتهديد، أي افعلوا ما تشاءون فالحساب أمامكم ﴿كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ﴾ كذبوا بالقرآن ﴿لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ﴾ منيع الجانب أن يُعارض ﴿مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ منزّلٌ من إلهٍ حكيم في تشريعه، محمود في السموات والأرض ﴿قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾ لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم ﴿فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ لقال المشركون: هلّا نزل بلغتنا، فنحن عرب لا نفهم لغة العجم!! ﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ أكلام أعجمي ورسول عربي؟ ﴿وَقْرٌ﴾ صمم عن سماعه وتدبر معانيه ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ عميت قلوبهم عن فهمه ﴿مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ وهؤلاء كمن ينادي من مكان بعيد، فإنه لا يسمع ولا يفهم.

صوّر القرآن الكريم الأرضَ اليابسةَ الجرداء، بصورةٍ بيانيةٍ رائعة، صورة الرجل البائس المسكين، الذي جلس على قارعة الطريق، يستجدي إحسان المحسنين، وتأمل لفظ (الخشوع) و (الاهتزاز) للأرض الجرداء، كيف تصبح وكأنها عروسٌ فاتنة، تزيّنت بأبهى حلل الزينة، وهي تختال عُجباً!!

۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾

الجزء ٢٥ الحزب ٤٩

﴿عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ علمُ القيامة ووقتُ مجيئها لا يعلمه إلا الله سبحانه ﴿أَكْمَامِهَا﴾ غلافها ووعائها ﴿وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ لا تحمل أنثى جنيناً، ولا تلده إلا ويعلمه رب العزة والجلال ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾أين هم الآلهة الذين زعمتم أنهم شركائي؟ ادعوهم ليشفعوا لكم؟ ﴿آذَنَّاكَ﴾ أعلمناك يا ربنا بالحقيقة، ما منا من يشهد اليوم بأن لك شريكاً!! ﴿مِّن مَّحِيصٍ﴾ أيقنوا أن لا مهرب لهم ولا مخلص من العذاب ﴿مِن دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾ لا يملُّ الإنسان من دعاء الخير لنفسه، من مالٍ وصحة وجاه ﴿وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ﴾ وإن أصابه الفقر والمرض والبلاء، يئس وقنط من رحمة الله ﴿وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ﴾ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض عن شكر ربه، وترفَّع عن طاعته وعبادته ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ وإن أصابه البلاء والمكروه، تضرَّع إلى الله واستغاث به، فهو عند النعمة جاحد، وعند البلاء ضارع ﴿فِي الْآفَاقِ﴾ في أقطار السموات والأرض ﴿وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ في عجائب قدرة الله في خلقهم وتكوينهم ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ حتى يتحققوا أن القرآن هو الحق المنزل من عند الله ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ في شك من البعث والحساب والجزاء ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ أحاط علمه بجميع الأشياء وسيجازيهم على كفرهم واستهزائهم... ختمت السورة الكريمة بكشف الله للبشر، عن بعض أسرار هذا الكون ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ﴾ فمن كان يخطر على باله، أن البشر سيصلون إلى القمر؟ ومن كان يصدِّق أن يرى من هو في المشرق أهلَ المغرب؟ ومن كان يتصور أن يطير بين السماء والأرض، وأن يدور حول الكرة الأرضية؟ ويتناول طعام الغداء في أجواء السماء!؟

سُورَةُ الشُّورَىٰ

ترتيبها ٤٢ آياتها ٥٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾

سورة الشورى

﴿حمٓ عٓسٓقٓ﴾ الحروف المقطَّعة للإشارة إلى إعجاز القرآن ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ تكاد السموات يتشقَّقن من عظمة الله وجلاله ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ﴾ والملائكة الأبرار، ينزّهونه عمَّا لا يليق به، وهم في تسبيحه وتمجيده دائمون ﴿ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ جعلوا له شركاء وأنداداً من الأوثان والأصنام ﴿ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ﴾ الله تعالى رقيب على أعمالهم وهو محاسبهم عليها ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ أهل مكة ﴿يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ وتخوّف الناس ذلك اليوم الرهيب «يوم القيامة» ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك في مجيئه وحدوثه ﴿لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ لو شاء الله تعالى لجعل الناس أهل دين واحد، وجعلهم مؤمنين مهتدين، بطريق الإكراه والإجبار، ولكنَّ ذلك يناقض الحكمة الإلَهية، بترك الاختيار للبشر، ليترتب على ذلك الحسابُ والجزاءُ، وقد اقتضت حكمته تعالى أن يترك أمر الإيمان لرغبة الإنسان ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ . ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ليس لهم من ينصرهم، ولا من يتولى أمرهم ﴿مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ هل اتخذ المشركون من دون الله أولياء، وعبدوا آلهة من الأوثان يستعينون بهم ويطلبون شفاعتهم؟ ﴿فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ فالله وحده هو الوليُّ والناصرُ لعباده المؤمنين ﴿وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ وهو وحده القادر على إحياء الموتى ﴿فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ كلُّ ما تنازعتم فيه من أمر الدنيا أو الدين، فالحكم فيه لله تعالى ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ عليه وحده أعتمد، وإليه وحده المرجع في كل الأمور.

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خالقهما ومبدعهما ابتداءً على غير مثالٍ سابق ﴿أَزْوَٰجًا﴾ ذكوراً وإناثاً من البشر ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ يُكثركم بسبب هذا التناكح ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ليس له تعالى مثيل ولا نظير ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ﴾ مفاتيح خزائن الكون ينزّل المطر، ويخرج الزرع والثمر ﴿شَرَعَ لَكُم﴾ بيّن لكم وأوضح من الدين ما وصّى به الرسل ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ وصّاهم بأن استمسكوا بدين الحنيفية ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ ولا تختلفوا بسببه فتهلكوا ﴿كَبُرَ﴾ عَظُمَ على المشركين دعوتهم إلى توحيد الله ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ﴾ يصطفي ويختار للإيمان والتوحيد من يعلم فيه الخير ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ حسداً وعناداً لخاتم الأنبياء ﴿لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ لعجَّل الله لهم العقوبة في الدنيا ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ﴾ من أجل التفرق الذي حصل، أمرناك يا محمد أن تدعو إلى دين الحنيفية السمحة ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ لا تتبع أهواءهم الباطلة ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ صدَّقتُ بكل كتاب أنزله الله، وآمنت بجميع الرسل ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ وأمرني ربي لأحكم بينكم بالعدل ﴿ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ ربُّ العزة والجلال هو خالقنا جميعاً ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ لنا جزاء أعمالنا من خير أو شر، ولكم جزاء أعمالكم، لا نُعاقب بذنوبكم، ولا تعاقبون بذنوبنا ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ لا محاجة ولا مناظرة بيننا وبينكم، لأن الحقَّ قد ظهر وبان كالشمس الساطعة، ومع العناد لا تنفع حجة ولا جدال ﴿ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ الله يجمع بيننا يوم القيامة لفصل القضاء ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع والمآب.

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ وَلَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِىُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِى حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِىَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

﴿يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ﴾ يخاصمون في دين الله، ليصدوا الناس عن الإيمان ﴿ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ من بعد ما استجاب الناسُ له ودخلوا في دينه ﴿حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾ باطلة زائلة ﴿أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾ أنزل الكتب السماوية، بالصدق القاطع، والحقّ الساطع ﴿وَٱلۡمِيزَانَۗ﴾ العدل، أي فرض العدل ﴿مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا﴾ خائفون وجلون من قيامها ﴿يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ﴾ يجادلون في شأنها ﴿لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ﴾ بالغ الرأفة والرحمة بعباده ﴿حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ ثواب الآخرة ﴿نَزِدۡ لَهُۥ﴾ نضاعف له الأجر والثواب ﴿حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا﴾ ومن كان يريد بعمله متاع الدنيا ونعيمها فقط ﴿نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا﴾ نعطه منها ما قُدّر له ﴿مِن نَّصِيبٍ﴾ وليس له حظٌّ في نعيم الآخرة ﴿مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ﴾ خائفين مما ارتكبوا من السيئات والجرائم ﴿وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ﴾ والعقاب نازل بهم لا محالة ﴿فِى رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ﴾ والمؤمنون الصالحون في رياض الجنة يتمتعون بما تشتهيه نفوسهم ﴿ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ الفوز الأكبر الذي لا يوازيه شيءٌ من نعيم الدنيا، حيث نالوا رضوان الله وجنته.

قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ الحرثُ: الزرعُ، شبَّه تعالى العملَ بالزرع، فالزارعُ يزرع الحبَّ والنَّوى، ليجني منه النباتَ والثَّمر، فمن زرع لدنياه فقط، خسِرَ وندم، ومن زرع لآخرته، فاز ونجح، قال ابن عباس: (من كان يؤثر الدنيا على الآخرة، لم يجعل الله له نصيباً إلّا النار، ولم ينل من الدنيا إلّا ما قُسم له) وفي الحديث: «**بشِّر هذه الأمة بالسّناء، والرفعة ما لم يطلبوا الدنيا بعمل الآخرة**» رواه أحمد.

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾

﴿أَجْرًا﴾ لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة شيئاً من الأجر والمال ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ إلا أن توَدُّوني لقرابتي بينكم فلا تؤذوني، ولا يراد بالآية قرابة الرسول ﷺ، فقد قال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ، فقال له ابن عباس: (لقد تعجّلت إن رسول الله ﷺ لم يكن أحد في قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة!!) رواه البخاري ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ من يكتسب حسنة نضاعف له ثوابها ﴿ٱفْتَرَىٰ﴾ اختلق محمد الكذب على الله بدعوى النبوة ﴿يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ لو افتريت الكذب كما زعموا، لختم الله على قلبك، وسلبك نعمة القرآن، ولكنك لم تفتر على الله كذباً، ولذلك أيّدناك

نصف الحزب ٤٩

وسدّدناك ﴿لَبَغَوْا۟﴾ لو وسّع الله الرزق على العباد، لأفسدوا في الأرض بالفجور والمعاصي ﴿بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ ينزل الأرزاق بما تقتضيه الحكمة ﴿قَنَطُوا۟﴾ من بعد ما يئسوا من نزوله ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ يبسط خيراته على العباد ﴿وَمَا بَثَّ﴾ وما نشر وفرّق في السموات والأرض من مخلوقات لا تحصى ﴿جَمْعِهِمْ﴾ جمع الخلائق للحشر والحساب.

ولْنمعنْ النظر في قوله سبحانه: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ بدل القول وينزل المطر، لأن اللفظ يوحي بالنجدة، والغوث، بعد الكرب والضيق، وفي قوله: ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ تعبير بديعٌ رائع، يُلقي ظلال النداوة، والخضرة، والبهجة، لا سيما بعد أن تكتسي الأرض المجدبة، بالخُضرة الزاهية، فتتفتّح الأزهار، وتظهر الثمار، فما أبدع هذا البيان!!

الجزء الخامس والعشرون — سورة الشورى

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ﴾ ومن علامات قدرته ووحدانيته، السفنُ الجارية في البحر ﴿كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ كالجبال في ضخامتها وعظمتها، وإنما ذكر السفن وشبّهها بالجبال، لما فيها من دلائل القدرة الباهرة، لأن الماء لطيف يغوص فيه الثقيل، والسفن الضخمة تحمل الأجسام الثقيلة ولا تغوص في الماء ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ﴾ يهلكهن بالغرق بسبب ما اقترفوا من جرائم ﴿مَّحِيصٍ﴾ ليعلم الكفار أنه لا ملجأ لهم ولا مهرب من عذاب الله ﴿كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ كبائر الذنوب ﴿وَٱلْفَوَٰحِشَ﴾ الجرائم العظيمة كالزنى والقتل ﴿ٱلْبَغْىُ﴾ نالهم الظلمُ والعدوانُ ﴿هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ لا يستسلمون لظلم المعتدي، لأن التذلل للباغي الطاغي ليس من صفات المؤمن ﴿مِّن سَبِيلٍ﴾ ليس عليهم مؤاخذة ولا عقوبة ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ العقوبة والمؤاخذة على البغاة المعتدين الذين يتكبرون على عباد الله، ويفسدون في الأرض بأنواع المعاصي والموبقات ﴿مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ هل من رجعة إلى الدنيا لنعمل بطاعة الله؟

قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ معنى الآية أن جزاء العدوان، أن يُعاقب المعتدي بالمثل، ولا يزاد عليه، كيلا يتبجّح الشرُّ ويطغى، حين لا يجد من يردعه عن الظلم، وتسمية الردّ على المعتدي بأنها سيئة، لأنها تسوء من نزلت به، والله سبحانه شرع القصاص وهو العدلُ، وندب إلى العفو وهو الفضلُ، والعفوُ لا يكون إلا عند المقدرة، ولهذا يكون فيه الأجر الكبير ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

﴿خَٰشِعِينَ﴾ يعرضون على النار مستكينين متواضعين، مما يلحقهم من الذل والهوان ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ ينظرون بطرف ذابل ذليل من شدة الخوف، كمن يُقدّم ليقتل بالسيف، لا يكاد ينظر بملء عينيه ﴿مُّقِيمٍ﴾ دائم لا ينقطع ﴿مِّنْ أَوْلِيَآءَ﴾ أعوان ونصراء يدفعون عنهم العذاب ﴿مِن سَبِيلٍ﴾ ليس له طريق يسلكها إلى النجاة ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم﴾ استجيبوا دعوة ربكم إلى الإيمان والطاعة ﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ من قبل مجيء يوم رهيب، لا يقدر أحد على رده، هو يوم القيامة ﴿مِّن مَّلْجَإٍ﴾ ليس لكم مكان تلجأون إليه ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ ولا تستطيعون إنكار ما اقترفتم من جرائم، لأنه مدون في صحائف أعمالكم، وتشهد عليه جوارحكم

ثلاثة أرباع الحزب ٤٩

﴿حَفِيظًا﴾ حافظاً تحفظ أعمالهم ﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾ ليس عليك إلا تبليغ رسالة ربك، أما الجزاء والحساب فعلينا ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ بطر بالنعمة وتكبّر على ربه ﴿إِنَٰثًا﴾ يخصُّ من شاء بالإناث ﴿ٱلذُّكُورَ﴾ (٤٩) ويخصُّ من شاء بالذكور ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ يجعلهم من النوعين: الذكور والإناث ﴿عَقِيمًا﴾ الزوجة التي لا تلد، والرجل عقيماً لا يولد له ﴿وَحْيًا﴾ في المنام أو الإلهام كقوله ﷺ: «**إنَّ روحَ القُدُس نفَثَ في رُوعي، أن نفساً لن تموت، حتى تستكملَ رزقَها وأجَلَها، فاتقوا اللّهَ وأجمِلُوا في الطلب**» رواه ابن ماجه.

بيَّن الله تعالى أنه المالك للكون كلِّه، والمتصرّفُ فيه بالخلق والإبداع، يخصُّ من يشاء بالبنين من الذكور، أو بالإناث فقط، ويجعل من يشاء عقيماً حسب الحكمة الإلَهية.

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخْرُفِ

ترتيبها ٤٣ — آياتها ٨٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا﴾ قرآناً عجيباً، سمّاه «روحاً» لأن فيه حياة القلوب، من ظلمات الجهل والضلال ﴿مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ ما كنت تعرف ما هو القرآن؟ ولا ما هو الإيمان؟ ﴿جَعَلْنَٰهُ نُورًا﴾ جعلنا القرآن نوراً مضيئاً، يهدي إلى طريق الجنة ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ وإنك يا محمد لترشد إلى طريق مستقيم هو الإسلام.

سورة الزخرف

﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ هذا القرآن رفيع القدر، عظيم الشأن، محكم النظم، لا يوجد فيه اختلاف ولا تناقض ﴿صَفْحًا﴾ هل نترك تذكيركم بالقرآن؟ إعراضاً عنكم، ونعتبركم كالبهائم فلا نعظكم ولا نذكّركم؟ ﴿مُّسْرِفِينَ﴾ من أجل إسرافكم في الاستهزاء والعصيان؟ لا، بل نعظكم ونذكّركم وإن كنتم طغاةً متمرِّدين!! فمن لطفه ورحمته بالخلق، أنه لا يترك دعوتهم إلى الخير، وإن كانوا معرضين عن هداية الله ﴿فِى ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء في الأمم السابقين!؟ ﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ما جاء نبيٌّ قومه إلا سخروا منه واستهزءوا، وهذه تسلية للنبي ﷺ ﴿أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ أطغى وأعتى من قومك ﴿وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ سلفت أخبار الأمم الطاغين، وأحاديث إهلاكهم، حتى صارت مثلاً يُروى ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا﴾ جعل لكم الأرض ممهّدة كالبساط، تستقرُّون عليها، وتبنون، وتنامون ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقاً تسلكونها في أسفاركم ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لكي تهتدوا إلى مقاصدكم في الأسفار.

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

﴿مَاءً بِقَدَرٍ﴾ بمقدار معلوم، بحيث ينفع ولا يضر ﴿فَأَنشَرْنَا﴾ فأحيينا بهذا الماء أرضاً قاحلة مجدبة ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ نخرجكم من قبوركم كما أخرجنا الزرع والثمر ﴿خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الأصناف كلها من أنواع النبات، والثمار، والأزهار، والحبوب ﴿الْفُلْكِ﴾ السفن في البحر ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ في البر، يعني مراكب بحرية، ومراكب برية ﴿لِتَسْتَوُوا﴾ لتستقروا على ظهور ما تركبونه ﴿سَخَّرَ لَنَا﴾ وتقولوا عند ركوبكم: سبحان الذي ذلّل ويسّر لنا هذا المركب ﴿مُقْرِنِينَ﴾ وما كنا قادرين ولا مطيقين لركوبه، لولا تسخير الله لنا ﴿لَمُنقَلِبُونَ﴾ راجعون إليه تعالى ﴿جُزْءًا﴾ جعل المشركون لله من خلقه نسلاً فقالوا: الملائكة بنات الله ﴿وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ﴾ هل اتخذ تعالى لنفسه البنات، وخصّكم أنتم بالبنين؟ وهذا نهاية التقريع والإنكار ﴿يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ ينشأن ويكبرن على الزينة؟ ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ غير مظهرٍ لحجته إذا جادل غيره وخاصم؟ ﴿عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ اعتقدوا أن الملائكة هم إناث لا ذكور ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ هل حضروا وقت خلق الله للملائكة حتى عرفوا أنهم إناث؟ ﴿يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون ﴿أُمَّةٍ﴾ على طريقةٍ ودينٍ ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ ونحن سائرون على طريقتهم، مهتدون بآثارهم!! لم يأتوا بحجة عقلية أو شرعية على ما زعموا، سوى تقليد آبائهم تقليداً أعمى، دون بصر ولا نظر ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾؟ وهذا منتهى الجهالة والغباء.!

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ
إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾
۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟
إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ
إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ
﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ
مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾
وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟
لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ
يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم
بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ
أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ
لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾

﴿مُتْرَفُوهَا﴾ المتنعمون فيها الغارقون في الشهوات ﴿عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ على دين وطريقة ﴿مُّقْتَدُونَ﴾ سائرون على طريقتهم ﴿بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ بريء من هذه الأوثان التي تعبدونها من دون الرحمن!! ﴿فَطَرَنِى﴾ وربي الذي خلقني، هو الذي يهديني إلى طريق الخير والسعادة ﴿فِى عَقِبِهِۦ﴾ جعل كلمة (التوحيد) باقية في ذريته، والعقبُ: الأولادُ والنسل ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ القرآنُ الساطع ﴿هَٰذَا سِحْرٌ﴾ قالوا عن القرآن: إنه سحر ﴿كَٰفِرُونَ﴾ لا نؤمن أنه من عند الله ﴿مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ﴾ قال المشركون: هلّا أنزل هذا القرآن على رجل غنيّ عظيم، من أشراف قريش!! في مكة، والطائف!! استبعدوا أن ينزل القرآنُ على محمد ﷺ وهو يتيم فقير، وطلبوا أن ينزل على رجل عظيم من أشراف مكة أو الطائف

الحزب ٥٠

﴿يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ أهم يخصُّون النبوة بمن شاءوا؟ فإذا كان أمر الرزق والمعاش لم نتركه لأهوائهم، فكيف نترك لهم أمر النبوة؟ ﴿سُخْرِيًّا﴾ مسخَّراً بعضهم لبعض ﴿أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ لولا أن يصبحوا أمة واحدة في الكفر، لخصصنا الدنيا بالكفار! وفي الحديث: "**إن اللّهَ يعطي الدنيا لمن يحبُّ ولمن لا يحبُّ، ولا يعطي الدينَ إلّا لمن أحبَّه**" رواه البيهقي. استبعدت قريشٌ نزول القرآن على محمد ﷺ، وهو فقير "يتيم"، لا يملك من حطام الدنيا شيئاً، واقترحوا أن ينزل على أحد الزعماء والوجهاء الكبار، وهم يعتبرون مقياس العظمة (الجاهَ، والمالَ، والزعامة) فمحمد ﷺ لم يكن زعيم قبيلة، ولا رئيس عشيرة، ولم يكن غنيًا من الأغنياء، فكيف تنزل عليه الرسالة؟

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾

﴿ومعارج﴾ مصاعد من فضة ﴿عليها يظهرون﴾ عليها يرتقون ويصعدون، وفي الآية إشارة لطيفة إلى ناطحات السحاب «البنايات العالية» التي ظهرت في زماننا، وتحتاج إلى مصاعد كهربائية ﴿وزخرفا﴾ الزخرف: الذهب، ومعنى الآية بالإجمال: لولا خوف الكفر على المؤمنين، لخصصنا كامل النعيم في الدنيا بالكفار، فجعلنا لهم القصور الشاهقة، سُقُفها من فضة، ومصاعدها وأبوابها من ذهب، وفي الحديث: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى منها كافراً شربة ماء**» رواه الترمذي ﴿للمتقين﴾ والجنة وما فيها من أنواع الملاذ والنعيم، خاصة بالمؤمنين المتقين ﴿يعش﴾ من يعرض عن عبادة الرحمن ﴿نقيض له﴾ نسلّط عليه شيطاناً ﴿فهو له قرين﴾ صاحب وملازم له لا يفارقه ﴿ليصدونهم﴾ وإن الشياطين ليمنعونهم عن طريق الهدى ﴿مهتدون﴾ ويظن الكفار أنهم على نور وهداية من أمرهم ﴿بعد المشرقين﴾ بُعْدَ ما بين المشرق والمغرب، وهو من باب التغليب ﴿أفأنت تسمع الصم﴾ هل باستطاعتك يا محمد أن تُسمع الأطرش؟ أو تهدي أعمى القلب والبصيرة؟ شبَّه تعالى الكفار بالصمّ وبالعمي، لأنهم لا يسمعون كلام الله، ولا يبصرون نور الحقّ والإيمان ﴿فإنا منهم منتقمون﴾ إن عجّلنا وفاتك، قبل أن ننتقم لك منهم، فإنّا سننتقم منهم بعد وفاتك..

قال ابن عباس: (قد أراه الله ذلك يومَ بدر، ولم يقبضِ اللهُ رسوله، حتى أقرّ عينه بإهلاك أعدائه، وحكّمه في نواصيهم). ﴿وإنه لذكر﴾ وإن القرآن لشرف عظيم لك وللعرب ﴿وسوف تسألون﴾ عن شكر هذه النعمة.

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم
بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ
ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ
قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن
تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ
وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ
مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ
فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا
ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ
سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ
مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا
خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾
إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ
﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

﴿أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ ما نريهم آية من آيات العذاب، كالطوفان، والجراد، إلا وهي في غاية الظهور والكبر ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ﴾ قالوا لموسى: يا أيها البارعُ في السحر ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ ليكشف عنا البلاء ﴿بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ بالعهد الذي أعطاك من استجابة دعائك ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ نؤمن برسالتك إن كشف ربك عنا العذاب ﴿يَنكُثُونَ﴾ ينقضون العهد ﴿مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير، لا عزَّ له ولا جاه ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ لا يكاد يفصح عن كلامه ﴿أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ﴾ هلّا حُلّي بأساور الذهب إن كان عظيماً!؟ ﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ جاءت الملائكة ملازمين له يكتنفونه شهادة بصدقه!! ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ استجهلهم بقوله، واستخفَّ بعقولهم، فأطاعوه في ما دعاهم إليه من الضلالة ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أغضبونا ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ انتقمنا منهم بأشد أنواع العقاب، فأغرقناهم في البحر ﴿يَصِدُّونَ﴾ يضجُّون بالصياح ﴿خَصِمُونَ﴾ شديدو الخصومة بالباطل ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾ ليس عيسى ابن مريم إلّا عبد مخلوق من عباد الله، أنعمنا عليه بالنبوة ﴿مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ صيّرناه أمراً عجيباً، حيث خلقناه بقدرتنا من غير أب، حتى صار كالمثل السائر.

ربع الحزب ٥٠

روي أن النبي ﷺ قرأ أمام المشركين ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ فضجّ المشركون وارتفعت أصواتهم بالصياح، وقالوا: شتم محمدٌ آلهتنا!! فقال أحدُ الطغاة: أليس النصارى يعبدون عيسى، واليهود يعبدون (عزيراً) وطائفة منّا يعبدون الملائكة، فإن كان هؤلاء في النار، فقد رضينا أن نكون وآلهتنا معهم!! فنزلت الآية.

وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ وإن نزول عيسى علامةٌ على قرب الساعة ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ لا تشكّوا في أمرها فإنها آتية لا محالة، وفي الحديث: «**يوشك أن ينزل فيكم عيسى ابن مريم، حَكَماً مقسطاً، فيكسر الصليبَ، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية..**» الحديث أخرجه البخاري ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ اختلفت طوائف النصارى في شأن عيسى، فمنهم من زعم أنه ابن الله، ومنهم من زعم أنه هو الله، ومنهم من ادعى أنه ثالث ثلاثة ﴿فَوَيْلٌ﴾ هلاك ودمار ﴿بَغْتَةً﴾ تأتيهم القيامة فجأة ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾ الأصدقاء والأحباب ﴿عَدُوٌّ﴾ يصبح بعضهم أعداء لبعض ﴿إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ إلّا من كانت صداقته ومحبته في الله، ومن أجل مرضاته ﴿تُحْبَرُونَ﴾ تُنعَمون وتُسرُّون ﴿بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾ أوانٍ من ذهب ﴿وَأَكْوَابٍ﴾ أقداح من ذهب ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾ في الجنة كل ما تشتهيه النفوس، من أنواع اللذائذ والمشتهيات ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ الخلودُ الأبديُّ الدائم، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾.

ذكر تعالى أن أهل الجنة، يدور عليهم خدمها بأوانٍ من الذهب، فيها ألوان الطعام، وأقداحٌ من ذهب فيها أنواع الشراب، ممّا لذَّ وطاب، وفي الجنة كلُّ ما تشتهيه النفوس من أنواع اللذائذ والمشتهيات، وممّا تُسرُّ به العيونُ من فنون المناظر الجميلة، ممّا لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعتْ، ولا خطر على قلب بشر، وزيادةً على هذا النعيم، لهم الخلود الدائم الأبدي في الجنة. اللهم لا تحرمنا نعيمها بكرمك يا أكرمَ الأكرمين.!

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ لا يخفف عنهم العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾ يائسون من كل خير ونجاة ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ نادوا مالكاً خازن جهنم ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ليُميتنا حتى نخلص من هذا العذاب ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ دائمون مقيمون في العذاب، **قال ابن عباس**: لم يجبهم إلا بعد ألف سنة ﴿أَبْرَمُوا أَمْرًا﴾ هل أحكموا أمرهم في كيد النبي ﷺ؟ ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ أمرنا في نصرته وحمايته ﴿أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ إن فُرض أن لله ولداً فأنا أول من يعبد هذا الولد، ولكنه جلَّ وعلا منزَّه عن الزوجة والولد!! وهذا مبالغة في نفي الولد على أبلغ الوجوه ﴿يَخُوضُوا﴾ اتركهم يخوضوا في باطلهم، ويلعبوا بدنياهم ﴿فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ﴾ معبود في السماء ﴿وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ ومعبود في الأرض ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ فكيف يُصرفون عن عبادته تعالى إلى عبادة الأصنام؟ ﴿وَقِيلِهِ﴾ وقول الرسول في شكواه لربه: يا رب إن هؤلاء قوم جبارون معاندون، لا يؤمنون بما جئتهم به ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ أعرض عنهم يا أيها الرسول ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة إجرامهم وتكذيبهم، وهو نهايةُ الوعيد والتهديد.. لقد تآمر المشركون على رسول الله ﷺ في (دار الندوة) واستقرَّ رأيهم على قتله، ولكنَّ الله ردَّ كيدهم في نحورهم، ونجّى رسوله من شرِّهم، وقد كانوا يتحدَّثون بهذا الأمر سراً في لقاءاتهم، فنزل قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ففضحهم الله تعالى، وكشَفَ عنهم ثوبَ الخداع.

* * *

سُورَةُ الدُّخَانِ ترتيبها ٤٤ آياتها ٥٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

سورة الدخان

﴿فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ أنزلنا القرآن في ليلة القدر من شهر رمضان، وكان بدء نزوله في هذه الليلة المباركة ﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾ فيها يُفصَّل ويُبيَّن كل أمرٍ محكم، من أرزاق العباد وآجالهم، **قال ابن عباس**: يُحْكِم الله أمرَ الدنيا إلى السنة القابلة، ما كان من حياة وموتٍ، وخير وشر، وبسط وقبض ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ انتظر عذاب هؤلاء المكذبين ﴿بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ بدخان كثيف، بيِّن واضح، **قال ابن مسعود**: إن قريشاً لما عصت الرسول ﷺ دعا عليهم فقال: «**اللهم اشدد وطأتك عليهم، واجعلها عليهم سِنِينَ - أي قحطاً - كسنيِّ يوسف**» فأصابهم قحط وجدب حتى أكلوا الجيَف والجلود والميتة من الجوع، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى كهيئة الدخان فقيل للرسول: «**إن كشفنا عنهم عادوا، فدعا ربه فكشف عنهم، فعادوا فانتقم الله منهم**..» الحديث رواه البخاري ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ كيف يتذكرون ويتعظون!؟ ﴿رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ محمد ﷺ بالمعجزات البينة، فقالوا: ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ بهتوه ونسبوه إلى الجنون ﴿ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ يوم القيامة ﴿فَتَنَّا﴾ ابتلينا وامتحنَّا بالنعمة، والجاه، والسلطان قوم فرعون ﴿وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ وبعثنا إليهم رسولاً كريماً رفيع القدر، هو (موسى) عليه السلام ﴿أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ﴾ ادفعوا إليَّ قومي من بني إسرائيل ولا تعذبوهم. **تنبيه**: اختلف المفسرون في المراد بـ ﴿ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ فقال ابن عباس: هو (يوم القيامة) وقال ابن مسعود هو (يوم بدر) حيث قُتل من صناديدهم سبعون، وأُسر سبعون، والراجح قولُ ابن عباس لأن الله وصفها بالكبرى.

نصف الحزب ٥٠

سورة الدخان — الجزء الخامس والعشرون

وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَآتَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا﴾ لا تتكبّروا وتتجبّروا على الله ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ بحجة واضحة، وبرهان ساطع، وهي معجزة العصا، واليد ﴿عُذْتُ﴾ استجرت بالله تعالى ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ أن تقتلوني ﴿رَهْوًا﴾ ساكناً منفرجاً على هيئته ﴿جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ سنغرق فرعون وجنوده في البحر ﴿كَمْ تَرَكُوا﴾ البساتين والحدائق، والعيون الجارية، تركوها بعد هلاكهم ﴿فَاكِهِينَ﴾ ونِعَم جليلة كثيرة كانوا متنعمين فيها ذهبت عنهم ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ملّكناها المستضعفين من بني إسرائيل ﴿فَمَا بَكَتْ﴾ فما حزن على فقدهم أحد، ولا تأثّر بموتهم إنسان ﴿مُنظَرِينَ﴾ ممهلين بالعذاب إلى وقت آخر ﴿كَانَ عَالِيًا﴾ إذ فرعون كان متكبراً جباراً ﴿الْمُسْرِفِينَ﴾ المجاوزين الحدَّ في القتل والتعذيب ﴿بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ اختبار ظاهر ﴿بِمُنشَرِينَ﴾ لسنا بمبعوثين بعد الموت ﴿قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ هل كفار مكة أقوى وأشد، أم أهل سبأ ملوك اليمن؟ أهلكناهم بسبب إجرامهم مع أنهم أقوى، وأكثر أموالاً، وأعظم نعيماً!! أفلا يخافون أن نهلكهم كما أهلكنا الطغاةَ المكذّبين؟ وهذا وعيد وتهديد لكفار مكة.

قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ بكاءُ السماء والأرض، استعارةٌ لطيفةٌ عن الحزن والألم، أي لم يحزن على موتهم أحدٌ، ولا تأثّر على هلاكهم مخلوق، لأنهم فجرة أشقياء.. وقيل: بكاء السماء حقيقة لحديث: «**ما من مؤمنٍ إلا وله بابان: بابٌ يصعد فيه عملُه، وباب ينزل منه رزقُه، فإذا مات بكيا عليه**»، ثم تلا ﷺ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ..﴾ رواه الترمذي.

الجزء الخامس والعشرون — سورة الدخان

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَـٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَـٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَـٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

ترتيبها ٤٥ — آياتها ٣٧

﴿يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ يوم القيامة يفصل الله فيه بين الخلق ﴿مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ موعد جزائهم وحسابهم ﴿لَا يُغْنِى مَوْلًى﴾ لا يغني صديق عن صديقه، ولا قريبٌ عن قريبه ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ من المؤمنين، فتنفع فيه شفاعة الملائكة والنبيِّين ﴿شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ الشجرة الخبيثة التي تنبت في أصل جهنم ﴿طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ طعام كل فاجر، كثير الآثام والفجور ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ كالنحاس المذاب يغلي في بطونهم ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ خذوا هذا الفاجر اللئيم، فسوقوه وجرُّوه إلى وسط جهنم ﴿ثُمَّ صُبُّوا۟﴾ صبُّوا فوق رأسه عذاب ذلك الحميم الذي تناهى حرُّه ﴿أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ ذق هذا العذاب فأنت عندنا المعزَّز المكرَّم! وهذا من باب السخرية والتهكم، فأي عزة وكرامة لهذا الشقي؟ نزلت في (أبي جهل) وهي تعمُّ كل طاغية وفاجر ﴿تَمْتَرُونَ﴾ تشكُّون ﴿سُندُسٍ﴾ رقيق الحرير ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ غليظ الحرير وهو الديباج ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ انتظر ما يحلُّ بهم إنهم منتظرون هلاكك، وسيعلمون لمن تكون النصرةُ والظفرُ في الدنيا والآخرة!!

سبب النزول: لمَّا نزلت ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۞ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ قال أبو جهل لأصحابه: إن محمداً يعدنا بطعام في جهنم، هو (الزقُّوم) هل تدرون ما الزقوم؟ إنه الرُّطبُ والزُّبدُ، هلمُّوا فتزقموا، فهذا هو الزقُّومُ الذي يعدكم به محمدٌ!؟ فأنزل الله ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾ ولمَّا توعّده رسولُ الله بالعذاب، قال الشقيُّ: علامَ تهدِّدني؟ فأنا العزيز الكريم، فأنزل الله رداً عليه ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾.

سورة الجاثية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٠

﴿ لَآيَٰتٍ ﴾ علامات باهرة، تدل على كمال الله، وقدرته ووحدانيته ﴿ وَمَا يَبُثُّ ﴾ وما ينشره تعالى ويفرّقه من أنواع المخلوقات، آيات باهرة أيضاً ﴿ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ يعتقدون اعتقاداً جازماً بالله، وبيوم الحساب ﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ﴾ تقليبها جنوباً وشمالاً، وباردة وحارة ﴿ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ ﴾ إذا لم يؤمنوا بكلام الله، فبأي كلام يؤمنون ويصدّقون؟ ﴿ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ كافر كذّاب، كثير الآثام والإجرام ﴿ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا ﴾ يسمع آيات القرآن، ثم يستمرُّ على كفره، متكبراً عن الإيمان، كأنه لم يسمع آيات الرحمن ﴿ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ ﴾ بشّره بعذاب شديد موجع، وتسمية العذاب بشارة، للسخرية والتهكم ﴿ مِّن رِّجْزٍ ﴾ الرجز: أشدُّ العذاب وأفظعه ﴿ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ﴾ أمامهم جهنم تنتظرهم ﴿ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم ﴾ لا ينفعهم ما ملكوه في الدنيا من الأموال والأولاد ﴿ أَوْلِيَآءَ ﴾ ولا تنفعهم الأصنام التي عبدوها من دون الرحمن ﴿ هَٰذَا هُدًى ﴾ هذا القرآن هادٍ للناس من الضلالة، وطريقٌ لسعادة البشر ﴿ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ ﴾ جحدوا به مع سطوع حججه، وظهور إعجازه ﴿ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ لهم أشدُّ أنواع العذاب المؤلم الموجع ﴿ سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ ذلّل لكم البحر على سعته وامتداده ﴿ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ ﴾ لتسير السفن على سطحه، دون أن تغوص في أعماقه، بتدبيره وإذنه، ولولا هذا التسخيرُ والتذليلُ، لما استطاع البشر أن يقطعوا البحار، ويجوبوا القارات.

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَـٰهُم بَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

﴿لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ لا يخافون عقاب الله وانتقامه، لأنهم لا يؤمنون بالآخرة ﴿عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ على سائر الأمم في زمانهم ﴿بَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أمر الدين والنبوة، وشواهد نبوّته عليه الصلاة والسلام ﴿جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ ما اختلفوا في أمر الرسول، إلا من بعد ما جاءتهم الحجج والبراهين على أنه خاتم النبيّين ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ حسداً وعناداً لأنه ﷺ بُعث من العرب ﴿شَرِيعَةٍ﴾ على طريقة ومنهاج واضح من أمر الدين ﴿فَٱتَّبِعْهَا﴾ استمسك بهذه الشريعة الغراء ﴿يُغْنُوا۟ عَنكَ﴾ لن يدفعوا عنك شيئاً من العذاب ﴿بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ هذا القرآن المبين، بيّنات للبشر، تبصّرهم سُبُل الفلاح والرشاد ﴿ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ ارتكبوا المعاصي والآثام ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾ هل يظنون أن نساوي بين الأبرار والفجار؟ لا يمكن المساواة بينهم بحالٍ من الأحوال ﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بئس ما يظنون وما يعتقدون، فلا يتساوى عند الله المؤمنُ والكافرُ، والبَرُّ والفاجر ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ خلق الكون كلَّه، السماء والأرض بالعدل، لينال كلُّ إنسان جزاءه، ولو لم تكن هناك آخرة - كما زعم الكفارُ - لاستوى المطيعُ والعاصي، والمؤمن والكافر، وهذا يناقضُ الحكمة الإلَهية.!

وضّح سبحانه أن الحكمة من خلق العالم، هو أن ينال الإنسان الجزاء العادل، ومن أجل تحقيق العدل، لا بدّ من مجيء الآخرة، للانتصار للمظلوم من الظالم، فإننا نرى الظالمَ يموت، ولم ينل المظلوم حقه منه، فلا بدَّ إذاً من دارِ آخرة، ينال كل إنسان فيها جزاءه.

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾

﴿ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ اتخذ ما تهواه نفسه معبوداً له، **قال ابن عباس:** ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئاً إلّا ركبه ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ﴾ وأضلَّ الله هذا الشقي، وهو عالم بالحقّ غير جاهل به ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ طبع عليها فلا تتأثر بالمواعظ ﴿غِشَٰوَةً﴾ جعل على بصره غطاءً حتى لا يبصر الرشد ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ يموت بعضنا ويحيا بعضنا، ولا آخرة ولا حساب ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ﴾ وما يهلكنا إلا تعاقب الأزمان والأيام، يريدون الطبيعة ﴿حُجَّتَهُمْ﴾ ما كان لهم متمسك ﴿ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾ أحيوا لنا آباءنا الأولين ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أن البعث حقٌّ، سمّى قولهم الباطل حجة على سبيل التهكم ﴿جَاثِيَةً﴾ جالسة على الرُّكب من شدة الهول والفزع ﴿يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ يشهد عليكم بالحق، دون زيادة ولا نقصان ﴿نَسْتَنسِخُ﴾ نأمر ملائكتنا بكتابة أعمالكم ﴿مَا ٱلسَّاعَةُ﴾ لا نعتقد بها ولا نعرف ما هي؟ ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ نتوهم توهماً ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ ولسنا مصدِّقين بالآخرة على وجه اليقين، وهذا لعتوِّهم وشدَّة ضلالهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حقيقةُ النسخ هو: النقلُ من أصلٍ إلى آخر، **قال ابن عباس:** تكتب الملائكةُ أعمالَ العباد، ثم تصعد بها إلى السماء، فيقابل الملائكةُ الموكَّلون بديوانِ أعمالِ البشر، ما كتبه الحَفَظةُ، مما هو مسجّل في اللوح المحفوظ في كل (ليلة قدر) فلا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً، فذلك هو الاستنساخ، قال ابن عباس: ألستم عَرَباً؟ هل يكون الاستنساخ إلّا من أصل!؟

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الأَحْقَافِ

ترتيبها ٤٦ — آياتها ٣٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾

﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ﴾ ظهر لهم في الآخرة قبائح أعمالهم ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ نزل عليهم وأحاط بهم العذاب ﴿نَنسَىٰكُمْ﴾ نتركُكم في العذاب، ونعاملكم معاملة الناسي، كما تركتم العمل لهذا اليوم العصيب ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ خدعتكم الدنيا بزخارفها ومفاتنها، حتى حسبتم أن لا حياة سواها ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يُطلب منهم أن يُرضوا ربهم، بتوبة أو اعتذار ﴿وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ﴾ له جلَّ وعلا العظمةُ والجلالُ والسلطانُ في السموات والأرض.

الجزء ٢٦ الحزب ٥

سورة الأحقاف

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى زمنٍ معين، هو زمن فناء الدنيا ﴿أَرَءَيْتُم﴾ أخبروني عن هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله؟ ﴿مَاذَا خَلَقُواْ﴾ أرشدوني أيَّ شيء خلقوا من مخلوقات في الأرض؟ ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ أم لهم شركة ونصيب مع الله في خلق السموات ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ﴾ هاتوا لي كتاباً من الكتب الإلٰهية، يشهد لكم بعبادة هذه الأوثان؟! ﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ﴾ بقيَّة من علم السابقين ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعواكم!! والغرضُ توبيخهم وتكذيبهم لأن جميع كتب الله ناطقة بالتوحيد، وإبطال الشرك ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ليس هناك أضلُّ ولا أجهلُ، ممن يعبد أصناماً من الحجارة، لا تسمع دعاء الداعين، لأنها جمادات لا تسمع ولا تعقل ﴿غَٰفِلُونَ﴾ والأصنام غافلة عمن يدعوها ويتضرع إليها!! ﴿ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ﴾ المراد بالنسيان: التركُ، لأن الله لا يضلُّ ولا ينسى. وفي الحديث: «**يقول الله للعبد يوم القيامة: ألم أكرمْكَ، وأزوّجْك، وأسخّر لك الخيلَ والإبل؟ فيقول: بلى يا رب، فيقول: أفظننتَ أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا، فيقول الله تعالى له: فاليوم أنساكَ كما نسيتني**» رواه مسلم.

وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴿٦﴾ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين ﴿٧﴾ أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم ﴿٨﴾ قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين ﴿٩﴾ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴿١٠﴾ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم ﴿١١﴾ ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ﴿١٢﴾ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿١٣﴾ أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ﴿١٤﴾

﴿حُشِرَ النَّاسُ﴾ جمعوا للحساب ﴿كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ كانت الأصنام، أعداءً لعابديها يضرونهم ولا ينفعونهم ﴿بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ تبرؤوا منهم ﴿إِنِ افْتَرَيْتُهُ﴾ إن كذبتُ على الله، فلا تردُّون عني عقابه ﴿تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الله هو العالم بما تقدحون في القرآن من قولكم: إنه سحر، أو شعر، أو كهانة ﴿بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ لستُ أول رسولٍ جاء إلى الدنيا ﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾ ما أتّبع إلا ما يوحيه الله إليَّ، ولا أبتدع شيئاً من عندي ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ إن كان هذا القرآن كلام رب العزة والجلال ﴿وَكَفَرْتُمْ﴾ وكذبتم به وجحدتموه، كيف يكون حالكم؟ ﴿شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ شهد على صدق القرآن رجل من أكابر علماء بني إسرائيل ﴿فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ فآمن الرجل واستكبرتم أنتم عن الإيمان؟ ألا تكونون أشقى الناس وأظلم الناس؟ والشاهد هو «عبد الله بن سلام» رئيس أحبار اليهود كما ثبت في الصحيح ﴿مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ قال المشركون: لو كان هذا الدين خيراً ما سبقنا إليه هؤلاء الضعفاء الفقراء!! ﴿إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ وإذا لم يهتدوا بالقرآن مع وضوح إعجازه، قالوا: هذا كذب قديم، أتى به محمد ونسبه إلى الله!! لمّا هاجر رسولُ الله إلى المدينة المنورة، جاءه (عبد الله بن سلام) أكبرُ علماء اليهود. فسأله عن ثلاثة أسئلة، لا يعلمهنّ إلّا نبيٌّ، فلما أجابه عليها أسلم رضي الله عنه، وله قصة عجيبة مع اليهود، ذكرها البخاري في صحيحه، وروى الشيخان عن سعد أنه قال: ما سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لإنسانٍ حيٍّ يمشي على وجه الأرض: إنه من أهل الجنة، إلّا لعبد الله بن سلام، وفيه نزلت الآية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ﴾.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أمرناه وألزمناه بالإحسان إلى والديه ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا﴾ حملته بكره ومشقة ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ وولدته بكره ومشقة ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ﴾ ومدة حمله ورضاعه عامان ونصف ﴿بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ بلغ كمال قوته وعقله وهو سنّ الأربعين ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ﴾ ألهمني شكر نعمتك التي أنعمت بها عليّ ﴿وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ﴾ اجعل ذريتي من الصالحين المتمسكين بدين الإسلام ﴿وَنَتَجَاوَزُ﴾ نصفح عن خطيآتهم ﴿وَعْدَ ٱلصِّدْقِ﴾ بالوعد الصادق الذي وعدناهم به ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ قُبحاً لكما وشؤماً ﴿أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ﴾ أتعدانني أن أبعث بعد الموت؟ وقد مات قبلي خلائق كثيرون ولم يبعثوا ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ﴾ وأبواه يطلبان من الله أن يُنجيه من هذا الضلال، قائلين له: ﴿ءَامِنْ﴾ آمن بالله وإلّا هلكت ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ فيقول الولد: ما هذا إلا خرافات وأباطيل سطّرها الأقدمون ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ وجب لهم عذابُ الله ﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ عذاب الذل والهوان.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ هذه الآية والتي قبلها، عامةٌ في كل ولدٍ بارٍّ لوالديه، وفي كل ولدٍ شقيٍّ عاقٍّ لوالديه، ضربهما الله تعالى كنموذج للأبرار، والأشرار، ومن زعم أنها نزلت في (عبد الرحمن بن أبي بكر) فقد أخطأ خطأً فاحشاً، فإن عبد الرحمن قد أسلم، وحَسُن إسلامُه، حتى كان من سادات الصحابة، ولهذا قالت عائشة: (والله ما هو به، ولو شئتُ أن أسمّي الذي نزلتْ فيه لسمّيتُه) رواه النسائي.

الجزء السادس والعشرون — سورة الأحقاف

۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

ربع الحزب ٥١

﴿أَخَا عَادٍ﴾ هوداً عليه السلام ﴿بِٱلْأَحْقَافِ﴾ حذَّرهم عذاب الله وهم بالأحقاف، وهي تلالُ من الرمل في بلاد اليمن ﴿خَلَتِ ٱلنُّذُرُ﴾ مضت الرسل قبله، مذكّرين أقوامهم بتوحيد الله ﴿لِتَأْفِكَنَا﴾ جئتنا بهذه الدعوة لتصرفنا عن عبادة آلهتنا؟ ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ ائتنا بالعذاب الذي كنت تتوعدنا به ﴿عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ ولمَّا رأوا السحاب استبشروا به وقالوا: هذا السحاب سيأتينا بالمطر المدرار ﴿ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ﴾ هذا العذاب الذي طلبتم تعجيله ﴿رِيحٌ﴾ ريح عاصفة مدمرة لا تبقي ولا تذر، فيها أشد أنواع العذاب ﴿لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ أصبحوا هلكى لم تبق منهم إلا آثار الديار ﴿فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ مكنّا عاداً في الذي لم نُمكّنكم فيه يا أهلَ مكة، من القوة، والرزق، وطول الأعمار، وأعطيناهم جميع الحواس من السمع، والبصر، والقلب ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ﴾ فما نفعتهم تلك الحواس أي نفع ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ نزل وأحاط بهم العذاب ﴿وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ﴾ كرّرْنا المواعظ بأساليب مختلفة.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لعلهم يرجعون عن الكفر والمعاصي ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ﴾ فهلاً نصرتهم آلهتهم المزعومة، التي عبدوها من دون الله؟ يريد الأوثان والأصنام!! ﴿بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ﴾ غابوا عن نصرتهم، وتخلّوْا عنهم، أحوجَ ما يكونون إليهم، لأن الصَّديق عند الضيق، كما يُقال في الأمثال ﴿وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ وهذا نتيجة الكذب، والافتراء على الله، حيث زعموا أن الأصنام شركاء مع الله، وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالى.

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

ترتيبها ٤٧ — آياتها ٣٨

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ﴾ وجّهنا وبعثنا إليك يا محمد ﴿نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ جماعة من الجنّ، ليستمعوا كلام الرحمن ﴿أَنصِتُوا۟﴾ فلما حضروا مجلسك، قالوا: اسكتوا لاستماع القرآن ﴿فَلَمَّا قُضِىَ﴾ فلما سمعوا القرآن رجعوا إلى قومهم مخوّفين لهم من عذاب الله ﴿أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ أجيبوا محمداً رسول الله، الذي يدعوكم إلى توحيد الله ﴿وَيُجِرْكُم﴾ يُنجّكم من عذاب موجع مؤلم ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾ لن يعجز الله، ولن ينجو من عقابه ﴿وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ خلق السموات والأرض، ولم يضعف ولم يتعب بخلقهن ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أليس قادراً على أن يعيد الموتى بعد الفناء، وتمزق الأشلاء؟ ﴿بَلَىٰٓ﴾ بلى لا يعجزه شيء ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ﴾ اصبر يا خاتم الأنبياء على أذى المشركين، كما صبر الرسل الكبار، وهم سادة الرسل ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ لا تطلب تعجيل العذاب لهؤلاء الكفرة الفجرة ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ كأنهم حين يشاهدون العذاب، لم يمكثوا في الدنيا إلا ساعة واحدة من شدته وهوله ﴿بَلَٰغٌ﴾ هذا بلاغ وإنذار ﴿ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ لا يهلك إلا الفُسّاق، الخارجون عن طاعة الرحمن! وفي هذه الآيات توبيخ للمشركين، حيث آمنت الجنُّ بالقرآن، والمشركون يهزءون ويسخرون ويقولون: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾، فما أبعدَ الفارق بين الجنّ، وكفار مكة، الغلاظ القلوب والأكباد!!!

❊ ❊ ❊

سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾

نصف الحزب ٥١

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جحدوا وحدانية الله، وكذبوا رسوله ﴿وَصَدُّوا﴾ منعوا الناس عن الدخول في الإسلام ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أبطلها وأحبطها ﴿نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ آمنوا بالقرآن العظيم ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ غفر لهم سيئاتهم التي فعلوها ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ أصلح حالهم وشأنهم ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ إذا لقيتم أعداءكم الكفار فاضربوا أعناقهم بالسيوف ﴿أَثْخَنتُمُوهُمْ﴾ أكثرتم فيهم القتل والجراحات ﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾ أحكموا قيد الأسارى، والوثاق: الحبل الذي يربط به الأسير ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾ إمّا أن تطلقوا سراحهم لوجه الله، وإمّا أن تأخذوا منهم الفداء ﴿أَوْزَارَهَا﴾ حتى تنتهي الحرب بعزة الإسلام، واندحار المشركين ﴿لِّيَبْلُوَ﴾ ليختبر أحوالكم، فيمحّص المؤمنين، ويمحق الكافرين ﴿يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ لن يبطلها ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ هلاكاً وشقاء لهم ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أهلكهم واستأصلهم مع أهليهم وأموالهم ﴿مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وليُّ المؤمنين وناصرهم.. ولفظ ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أبلغ من قوله: دمّرهم، لأن معنى الأول أنه أهلكهم إهلاكاً فظيعاً، مع أموالهم وأهليهم، كما يحدث في الزلازل، والفيضانات، والحرائق، وأمّا «دمّرهم» فيفيد الهلاك للأنفس فقط، فتدبَّرْ أسرار القرآن، لقد ضرب الله الأمثال لكفار مكة، بالطغاة المتجبّرين من الأمم السابقة، وكيف دمّر عليهم بسبب إجرامهم وطغيانهم، ليكون ذلك عظةً وعبرةً لكل طاغية أثيم.

إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾

﴿كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ﴾ يأكلون كالبهائم، ليس لهم همٌّ إلّا بطونهم ﴿مَثْوًى لَّهُمْ﴾ ونار جهنم مسكنهم ومنزلهم في الآخرة ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ وكثير من أهل بلدة طاغية عاتية ﴿أَشَدُّ قُوَّةً﴾ أقوى وأعتى من أهل مكة، الذين أخرجوك ﴿أَهْلَكْنَٰهُمْ﴾ أهلكناهم بأنواع العذاب، فلم ينصرهم أحد ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ صفةُ الجنة التي وعد الله بها عباده الأبرار ﴿غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ أنهار تجري بالماء السلسبيل، غير منتنٍ، ولا متغيِّر الطعم ﴿خَمْرٍ لَّذَّةٍ﴾ وفيها أنهار من الخمر اللذيذ الطعم، الذي لا يغتال العقول ﴿عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ وأنهار من عسل منقًّى من جميع الشوائب ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ من جميع أصناف الفواكه والثمار ﴿خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ﴾ كمن هو مخلَّد في الجحيم؟ هل يستوي من هو في النعيم، مع من هو في الجحيم؟ ﴿حَمِيمًا﴾ بالغ الغاية في الحرارة ﴿ءَانِفًا﴾ ماذا قال محمد من قريب؟ ﴿أَشْرَاطُهَا﴾ جاءت علامات الساعة ﴿وَمَثْوَىٰكُمْ﴾ مستقركم في الآخرة، فأعدُّوا الزادَ ليوم المعاد.. وصَفَ تعالى الجنةَ بهذه الأوصاف الجليلة، التي هي غاية في الجمال والسعادة والهناء، ولا يراد بقوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ التمثيل لها، وإنما يراد به الوصف. والمعنى: صفةُ الجنة العجيبةِ الغريبةِ، التي هي في الجمال والروعة تشبهُ المَثَل، أن فيها أنهاراً جاريات، من كل صنف ونوع، فيها أنهارُ الماء السلسبيل، الذي لم يتغيَّر بطول المُكث، وأنهار من حليب صافٍ، في غاية النقاء والصفاء، وأنهار من خمر لذيذة الطعم، وأنهار من العسل الذي لم يخرج من بطون النحل، وإنما هو من أنهارٍ تتفجَّر في الجنة، وفيها من جميع أنواع الفواكه والثمار، ممَّا لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خَطَر على قلب بَشَر!!

الجزء السادس والعشرون — سورة محمد

وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾

﴿سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ﴾ فيها الأمر بالقتال، محكمة غير منسوخة ﴿نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ﴾ رأيت المنافقين ينظرون إليك، نظر من أصابه الإغماء من حلول الموت ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ فويل لهم ﴿عَزَمَ ٱلْأَمْرُ﴾ جدَّ وقتُ القتال ﴿يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ أفلا يفهمون كلام الرحمن، ليعرفوا ما فيه من المواعظ والزواجر؟ ﴿قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ أم قلوبهم مظلمةٌ معميَّة، مكبَّلةٌ بالأقفال الحديدية؟ ﴿سَوَّلَ لَهُمْ﴾ الشيطان حسّن وزيّن لهم ذلك العمل القبيح ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ خدعهم وغرّهم بالأمل، وطول الأجل ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ ما يبطنونه من الكيد والتآمر على المسلمين ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ كيف يكون حالهم حين تحضرهم ملائكة العذاب، ومعهم مقامع الحديد، يضربون بها وجوههم وظهورهم ﴿أَضْغَٰنَهُمْ﴾ أحقادهم الشديدة الكامنة في نفوسهم؟ لا بدَّ أن يكشف اللَّهُ أمرهم للمؤمنين، ويفضحهم في الدنيا قبل الآخرة، وقد نزلت سورة (براءة) وسورة (المنافقون) تذكر مخازيهم وجرائمهم، وكفى بذلك فضيحةً لهم.!

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ شبَّه تعالى قلوب المنافقين بالأبواب المغلقة، فهي لا تستفيد من وعظ، ولا تلين لنصح، كأن القلوب أبوابٌ أُغلقت بإحكام، وجُعلت عليها الأقفال الحديدية، فكيف يدخل إليها شيءٌ من النور الإلَهي؟ كما صوَّرهم تعالى في قوله: ﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ بالبهائم التي لا تعقل، لأنهم عطّلوا هذه الحواس: (السمعَ، والبصر، والعقل) فاستحقُّوا هذا الوصف الذميم.

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي
لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ
الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾
۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا
أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا
وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ
وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ
وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ
تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ
لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ
فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن
تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾

﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلاماتهم ﴿لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ فحوى كلامهم في ما ظاهره الخير، ومرادهم به القبيح ﴿وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾ نختبر أعمالكم ﴿وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾ عادوا الرسول وخالفوا أمره ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ لا تضعفوا عن مقاتلة الكفار ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ تدعوا إلى المهادنة والصلح ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ الأعزة الغالبون ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ لن ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً ﴿لَعِبٌ﴾ الدنيا فانية، لا قرار لها ولا دوام، بمنزلة اللهو واللعب ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾ يبالغ في طلب أموالكم كلها ﴿أَضْغَانَكُمْ﴾ يخرج ما في قلوبكم من البخل. لأن المال شقيق الروح ﴿مَن يَبْخَلُ﴾ من يشحُّ ويُمسك عن الإنفاق ﴿يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ يعود ضرر بخله على نفسه ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا﴾ تعرضوا عن طاعة الله ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا﴾ يأتي بقوم غيركم ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ يكونون أفضل منكم، وأطوعَ للّهِ وأعبد.. من رحمة الله بالعباد، أنه لم يكلّفهم بإنفاق جميع أموالهم، أو نصفها، أو ثُلثها، وإنما فرض الزكاة، وهي نسبة ضئيلة جداً، في المائة اثنان ونصف/ ٢,٥٠/ من المال، لا تُرهق كاهل أحدٍ من الأغنياء، ويا ويل من بخل بإخراجها!! **قوله تعالى:** ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي ولتعرفنَّ المنافقين من فَحْوى كلامهم وأسلوبه، في ما يحكون لك من القول، من كلامهم المعسول، الذي ظاهره الطاعة، وباطنه الكفر والخُبث. قال الكلبيُّ: لم يتكلم بعد نزول هذه الآية عند النبي ﷺ منهم أحدٌ إلَّا عرفه، وفي الحديث: «**ما أسرَّ أحد سريرةً، إلَّا كساه الله جلبابَها، إن خيراً فخير، وإن شراً فشرٌ**».

ثلاثة أرباع الحزب ٥١

سُورَةُ الفَتْح

ترتيبها ٤٨ — آياتها ٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ
وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾
وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ
الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ
بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

سورة الفتح

﴿فَتَحْنَا لَكَ﴾ قضينا لك بفتح مكة، فستفتح لك يا خاتم الأنبياء ﴿فَتْحًا مُّبِينًا﴾ فتحاً ظاهراً بيِّناً، بشَّره تعالى بفتح مكة قبل مجيئه، وهذا من أعلام النبوة، فقد تحققت البشارة، وفتح الله لرسوله ﷺ مكة! وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد به (صلح الحديبية) لما ترتَّب عليه من الآثار العظيمة، حيث أسلم في ثلاث سنين خَلْقٌ كثير ﴿السَّكِينَةَ﴾ السكون والطمأنينة والثبات ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ يمحو عنهم الخطايا والذنوب ﴿ظَنَّ السَّوْءِ﴾ أسوأ الظنون، ظن المنافقون أن الله لن ينصر رسوله، وأنه لن تقوم للمسلمين قائمة ﴿دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ دعاء عليهم بالهلاك والدمار ﴿وَلَعَنَهُمْ﴾ طردهم من رحمته ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ تعظموا الرسول وتفخِّموا شأنه ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ تحترموه وتجلُّوه وترفعوا قدره ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ الضمير هنا راجع إلى الله عزَّ وجلَّ أي وتسبحوا ربكم ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ صباحاً ومساءً.. سُئل عبدُ اللَّهِ بن عمرو بن العاص عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: واللَّهِ إنه لموصوف في التوراة بمثل صفته في القرآن «**يا أيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشِّراً، وحِرْزاً للأميين، أنت عبدي ورسولي سمَّيتُك المتوكِّل، ليس بفظٍّ ولا غليظ، ولا سخَّاب بالأسواق...** الحديث، رواه البخاري.

قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ﴾ لا يجوز لنا أن نعتقد أن الرسول ارتكب جنايةً أو معصيةً، فإن الرسول معصومٌ عن المعاصي والذنوب، وإنما اجتهد في بعض الأمور، فمنها ما أقرَّه الله عليها، ومنها ما نبَّهه فيها على الخطأ، وهو بالنسبة لمقامه الشريف كالذنب.

سورة الفتح

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

﴿يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ المراد هنا (بيعة الرضوان) التي بايع فيها الصحابةُ رسولَ الله على الموت في سبيل الله، والمعنى: بيعتهم لك يا محمد هي بيعةٌ لله، لأنك رسولُه ﴿فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ هذا على التمثيل كما قال ابن كثير: أي إنه تعالى هو المبايع بواسطة رسوله ﷺ ﴿نَّكَثَ﴾ نقض البيعة ﴿يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ ضرر نقضه للعهد عائد إليه، لا يضرُّ بذلك إلا نفسه ﴿ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ الذين تخلفوا عن الخروج عام الحديبية ﴿يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ﴾ ظننتم لن يرجع الرسول إلى المدينة المنورة سالماً ﴿بُورًا﴾ قوماً هالكين ﴿سَعِيرًا﴾ ناراً مستعرة متأججة ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ اتركونا نخرج معكم إلى خيبر لنجاهد معكم ﴿يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ حكمه ووعده بأن تكون غنائم خيبر، خاصة بأهل (بيعة الرضوان)، وأن يحرم منها المنافقون.. وسببُ هذه البيعة أن النبي ﷺ أرسل «عثمان بن عفان» إلى أهل مكة، يخبرهم أنه جاء مع أصحابه معتمراً، ولا يريد حرباً، فحبسوه عندهم ووصل الخبرُ إلى المسلمين أن عثمان قد قُتل، فدعا الرسول إلى البيعة على قتال المشركين، فبايعوه على الموت، ولهذا سُمِّيت «بيعةَ الرضوان»!! وقد تخلَّف المنافقون عن الخروج مع رسول الله ﷺ في هذه البيعة، خوفاً على أنفسهم من القتل، وظنُّوا أن لا يرجع الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ثم جاءوا يعتذرون بالأعذار الكاذبة، وقد أخبر تعالى عن كلِّ هذا قبل وقوعه، ولهذا جاء التعبير بقوله: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ﴾ فكان هذا الإخبار معجزة غيبيَّة للقرآن، حيث أخبر بما سيحدث منهم، ووقَعَ كما أخبر!!

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ
تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ
وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ
عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ
وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ
وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ
كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ
مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ
النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا
مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ
وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

الحزب ٥٢

﴿بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ أصحاب شدة وقوة في الحروب ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ إما أن تقاتلوهم، أو يدخلوا في الإسلام ﴿حَرَجٌ﴾ إثم في التخلف عن الجهاد ﴿يُبَايِعُونَكَ﴾ بيعة الرضوان تحت ظل الشجرة بالحديبية، وسميت بيعة الرضوان لأن الله رضي عن أصحابها جميعاً ﴿وَأَثَابَهُمْ﴾ جازاهم بغنيمة عظيمة هي (غنائم خيبر) زيادة على الأجر والثواب ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ﴾ عجّل لكم غنائم خيبر، دون جهدٍ ولا قتال ﴿وَكَفَّ﴾ منع كفار قريش أن تمتد إليكم أيديهم بسوء يوم الحديبية ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ وغنيمة أخرى يسَّرها لكم، لم تكونوا قادرين عليها، وهي «فتح مكة» ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ استولى عليها بقدرته ووهبها لكم، حين ألقى في قلوب أهل مكة الخوف، ففتحتموها دون حرب ﴿لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ﴾ انهزموا أمامكم ولم يثبتوا ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ طريقة الله وعادتُه في الأمم الماضية، وهي نصرةُ رسله وأوليائه، وخذلان أهل الشرك والضلال ﴿لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ وسُنَّتُه تعالى لا تتبدَّل ولا تتغيَّر، والآية الكريمة أشارت إشارة لطيفة إلى (فتح مكة) وقد فُتحت في السنة الثامنة من الهجرة، حيث نقض المشركون العهد، الذي كان بينهم وبين رسول الله ﷺ، فغزاهم الرسول بعشرة آلاف من المهاجرين، ولم تقع فيها حرب، لأن الله ألقى في قلوب المشركين الفزع والرعب، وبفتح مكة تحقّق النصر الأكيد لجند الرحمن، ولهذا بدأ الله السورة بهذه البشارة لرسوله ﷺ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ أي حكمنا وقضينا لك بفتح مكة، تفتحها قريباً، وتدخلها ظافراً منصوراً.

وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

﴿كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ صرف أيدي كفار مكة عنكم، بفضله تعالى وكرمه كما كفّ أيديكم عنهم ﴿بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ بالمكان القريب من «الحديبية» رُوي (أن ثمانين رجلاً من أهل مكة، هبطوا من جبل التنعيم يريدون الفتك برسول الله، فأخذهم المسلمون أسرى، فعفا ﷺ عنهم، ففي هذه الحادثة نزلت الآية) رواه مسلم، وكانت هذه سبباً للصلح ﴿وَصَدُّوكُمْ﴾ منعوكم من الوصول إلى المسجد الحرام لأداء مناسك العمرة ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا﴾ ومنعوا وصول الهدي إلى المكان الذي يُذبح فيه ﴿رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ﴾ لولا أن في مكة رجالاً ونساءً من المؤمنين ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ لا تعرفونهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ أن تقتلوهم بدون علم منكم بإيمانهم ﴿مَّعَرَّةٌ﴾ فينالكم بقتلهم إثم وعيبٌ حيث قتلتم إخوانكم.. وجواب ﴿وَلَوْلَا﴾ محذوف تقديره: لأذن الله لكم في قتالهم ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ تميَّزوا عن الكفار ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لعذَّبنا أعداء الله الكفار عذاباً أليماً، بالقتل، والأسر، والتشريد من الوطن ﴿ٱلْحَمِيَّةَ﴾ الأنفة والكبرياء والعصبية ﴿ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ هي رؤيا منامية رأى ﷺ أنه دخل مكة مع أصحابه للعمرة، في أمنٍ وأمان، يحلق بعضهم رأسه، وبعضُهم يقصِّر من شعره، بعد الانتهاء من مناسك العمرة، لا يخافون أعداءهم المشركين، وقد تحققت الرؤيا، فدخل رسولُ الله ﷺ مع أصحابه مكة، آمنين مطمئنين في السنة السابعة، بعد عام واحدٍ من صلح الحديبية، وكانت هذه الرؤيا مقدِّمة لفتح مكة المكرَّمة.

الجزء السادس والعشرون — سورة الحجرات

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

ترتيبها ٤٩ — آياتها ١٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

﴿سِيمَاهُمْ﴾ علامتهم في جباههم، من كثرة السجود والصلاة ﴿مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ وصفهم في التوراة ﴿أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ أخرج فروعه وفراخه ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ فقوّى الزرعَ بهذه الفروع والأغصان ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ صار قوياً وغليظاً ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ قام على أعواده وأصوله ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ ليغتاظ منهم الكفار. **قال قتادة:** هذا مثلٌ في غاية البيان، فالزرعُ هو محمد ﷺ، والفروع هم أصحابه، كانوا قليلين فكثروا، وضعفاء فتقوّوا، وما زالوا يزدادون ويكثرون، حتى صاروا دِرْعاً لرسول الله ﷺ، حتى صلُبَ أمرُ الدين بهم واشتدّ، وانتشر الإسلام في أقطار المعمورة.

ربع الحزب ٥٢

سورة الحجرات

﴿بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ لا تقدّموا رأياً، أمام قضاء الله ورسوله، بل عليكم الطاعة والتسليم ﴿وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ﴾ ولا تتحدثوا أمام الرسول ﷺ كما يتحدث بعضكم إلى بعض، لا تقولوا في ندائكم له: يا محمد، ولكنْ قولوا: يا نبيَّ الله، يا رسول الله، تعظيماً لقدره، نزلت في بعض الجفاة، الذين ما كانوا يعرفون أدب الحديث، ولا مقام الرسالة في كلامهم ﴿تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ﴾ خشية أن تبطل أعمالكم ﴿يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾ يخفضونها في حضرة الرسول ﷺ ﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ﴾ أخلصها وصفّاها لإشراقة صفاء الإيمان والتقوى ﴿مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ بيوت أزواج النبي ﷺ التي كانت بجوار المسجد النبوي الشريف.

الجزء السادس والعشرون سورة الحجرات

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾

﴿فَاسِقٌ﴾ إن جاءكم رجل فاسق، غير موثوق في كلامه وعدالته ﴿بِنَبَإٍ﴾ بخبر من الأخبار ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ تثبّتوا من صدق خبره ﴿أَن تُصِيبُوا﴾ خشية أن تصيبوا عن جهل جماعة بالأذى ﴿نَادِمِينَ﴾ فتصبحوا نادمين أشد الندم على صنيعكم ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ لوقعتم في الجهد والمشقة وهلكتم ﴿وَزَيَّنَهُ﴾ نوّر بصائركم، وحسّن الإيمان في قلوبكم ﴿الرَّاشِدُونَ﴾ المهديُّون إلى طريق الرشاد ﴿بَغَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ اعتدَتْ إحداهما واستطالت ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾ قاتلوا تلك الجماعة الباغية ﴿حَتَّىٰ تَفِيءَ﴾ حتى ترجع إلى قبول حكم الله.. نزلت هذه الآيات، في خصومة وقعت في عهد النبي ﷺ.. **روى البخاري عن أنس أنه قال:** (انطلق النبي ﷺ إلى (ابن سلول) المنافق، وركب حماراً وانطلق معه المسلمون، فلمّا وصل إليه قال ذلك المنافق: إليك عني فقد آذاني نتنُ حمارك!! فقال رجل من الأنصار: والله لحمارُ رسول الله أطيبُ ريحاً منك، فغضب للمنافق رجل من قومه، فكان بين أصحابه وأصحاب الرسول ﷺ، ضربٌ بالأيدي، والجريد، والنّعال، فأنزلت هذه الآية ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا..﴾ الآية) رواه البخاري. ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ اعدلوا بين الطائفتين ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ لا يعب بعضُكم بعضاً ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ لا يرْمِ أحدٌ أحداً بلقب السّوء، كقوله: يا أقرع، يا أعرج، أو يا كلبُ، يا حمارُ، وهذا يشمل كل لقبٍ قبيح يكرهه الإنسان ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ﴾ بئس أن يسمى الإنسان فاسقاً، بعد أن كان مؤمناً صادقاً، والمراد أن فعل هذه القبائح فسقٌ، يُخرجُ الإنسانَ عن صفة العدالة والإسلام.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوٓا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

نصف الحزب ٥٢

﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ ظن السوء بأهل الخير ﴿بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ ذنب يستحق صاحبه العقوبة، **قال عمر**: لا تظننَّ بكلمةٍ خرجت من أخيك المؤمن شرًا، وأنت تجد لها في الخير محملاً ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ لا تتبعوا عورات المسلمين ﴿وَلَا يَغْتَب﴾ لا يذكره في غيابه بما يكره ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ كما تكرهون أكل لحم الميت، فاكرهوا غِيبَته ﴿شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ﴾ جماعات تنتسب إلى أصل واحد آدم عليه السلام ﴿لِتَعَارَفُوٓا﴾ ليحصل بينكم التعارف والتآلف، لا التناحر والتخالف ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ لا ينقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً ﴿لَمْ يَرْتَابُوا﴾ لم يشكُّوا ولم يترددوا ﴿بِدِينِكُمْ﴾ أتخبرون الله بما في قلوبكم من الإيمان؟ ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ﴾ يمتنون عليك يا أيها الرسول بدخولهم في الإسلام ﴿يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾ قل لهم: لا تمتنوا عليّ بالإسلام، بل للّهِ المنّةُ عليكم، أن وفّقكم للهداية والإيمان ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنكم دخلتم في الإسلام عن رغبة، لا طمعاً في حطام الدنيا.. نزلت في جماعةٍ من (بني أَسَد) جاءوا إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله جئناكَ مسلمينَ، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلانٍ وفلان، وأخذوا يمتّون على الرسول بإسلامهم، فنزلت الآية، تفسير الشوكاني.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ قل يا محمد: أتخبرون الله بما في ضمائركم وقلوبكم من الإيمان؟ وهو جلَّ وعلا العليم بجميع أحوال الخلق؟ **قال ابن كثير**: (وهؤلاء الأعراب ليسوا منافقين، وإنما هم مسلمون، لم يستحكم الإيمان في قلوبهم، فأُدِّبوا بذلك، ولو كانوا منافقين لعُنِّفوا وفُضحوا).

ترتيبها ٥٠ — سُورَةُ قٓ — آياتها ٤٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ
فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ
رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظُۢ ٤ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ
٥ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا
وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ
وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ
مُّنِيبٖ ٨ وَنَزَّلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ مُّبَٰرَكٗا فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ جَنَّٰتٖ
وَحَبَّ ٱلۡحَصِيدِ ٩ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ١٠
رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِۖ وَأَحۡيَيۡنَا بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗاۚ كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ ١١ كَذَّبَتۡ
قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ١٢ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ
لُوطٖ ١٣ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٥

سورة قٓ

﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ هذا قَسَمٌ حُذف جوابه، أي أقسمُ لكم بالقرآن ذي العزة والمجد، لتبعثن بعد الموت ﴿شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ في منتهى الغرابة والعجب ﴿أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا﴾ هل إذا متنا، وأصبحت أجسادنا ذرات مختلطة بتراب الأرض، سوف نرجع إلى الحياة مرة أخرى؟ ونُبعث ونحاسب؟ ﴿رَجۡعُۢ بَعِيدٞ﴾ ذلك رجوع مستحيل ﴿تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡ﴾ نحن نعلم ما تأكله الأرض من لحومهم وأجسامهم وجلودهم ﴿كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ﴾ هو اللوح المحفوظ الذي أحصى كل شيء ﴿أَمۡرٖ مَّرِيجٍ﴾ أمرٍ مختلط مضطرب ﴿فُرُوجٖ﴾ شقوق وصدوع ﴿بَاسِقَٰتٖ﴾ طويلات عاليات ﴿لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ﴾ لها ثمر متراكب بعضه فوق بعض، وهو البلح والرطب الذي يشبه عنقود العنب ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ أصحاب البئر الذين قتلوا نبيهم ودفنوه فيه ﴿ٱلۡأَيۡكَةِ﴾ أصحاب الشجر الكثير الملتف، قوم شعيب ﴿وَقَوۡمُ تُبَّعٖ﴾ ملك اليمن المسمَّى «تُبَّع اليماني» ﴿كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ﴾ جميع هؤلاء الطغاة المفسدين كذبوا رسلهم ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ فوجب عليهم وعيدي وعقابي، والآية تسليةٌ للنبي ﷺ وتهديد للكفرة المجرمين، وإنما جَمَع الرسلَ، لأن من كذَّب رسولاً فقد كذَّب جميع الرسل ﴿أَفَعَيِينَا﴾ هل عجزنا حين ابتدأنا خلقهم، حتى نعجز عن إعادتهم؟ ﴿لَبۡسٖ﴾ خلط وشك واضطراب ﴿مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ من إعادة خلقهم بعد موتهم وفنائهم.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

﴿مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ ما يجول في قلبه وخاطره ﴿حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ عِرْقٌ معلَّق بالقلب، ويسمى الشريان الأبهر، وهو تمثيل لشدة القرب أي نحن أقرب إليه من حبل وريده ﴿قَعِيدٌ﴾ أي مَلَكٌ قاعد عن يمينه، ومَلَكٌ قاعد عن شماله ﴿رَقِيبٌ﴾ حافظ شاهد على عمل الإنسان ﴿عَتِيدٌ﴾ حاضرٌ لا يغيب عنه شيء من أفعاله، **قال ابن عباس**: إنما يكتب الخير والشرَّ، لا يكتب يا غلام اسقني الماء، أو أسرج الفرس ﴿سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ شدة الموت وأهواله ﴿تَحِيدُ﴾ تفرُّ وتهرب منه ﴿حَدِيدٌ﴾ قويٌّ نافذ ﴿قَرِينُهُۥ﴾ الشيطان الذي قُيِّض للكافر، كقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾، ﴿مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ ما أضللته، ولكنه كان ضالاً بنفسه ﴿قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ أنذرتكم وخوَّفتكم عقابي ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ لا يتغيَّرُ حكمي، ولا يتبدَّل كلامي في الكفرة المجرمين ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ قُرِّبت من المؤمنين الأبرار، حتى رأوها رأي العين ﴿أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ توَّاب، رجَّاع إلى الله، حافظ لعهده وأمره ﴿مُّنِيبٍ﴾ قلب خاشع، مؤمن بالله ﴿مَزِيدٌ﴾ النظر إلى وجه الله الكريم، وهو أعظم نعيم لأهل الجنة، كما جاء في الحديث الشريف: «**فَيُكْشَفُ الحجابُ، فما أعطوا شيئاً أحبَّ إليهم، من النظر إلى ربهم عزَّ وجل**» رواه مسلم. وفي حديث الصحيحين: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، هل تضارُّون في رؤيته...**» رواه البخاري ومسلم.

ثلاثة أرباع الحزب ٥٢

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ — ترتيبها ٥١ — آياتها ٦٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ «كم» للتكثير، أي أهلكنا قبل أهل مكة أمماً كثيرين ﴿بَطْشًا﴾ أقوى من كفار قريش قوة وفتكاً ﴿فَنَقَّبُوا﴾ ساروا في أنحاء الأرض ﴿مَّحِيصٍ﴾ هل كان لهم مهربٌ من الموت؟ أو مخلصٌ من العذاب؟ ﴿لُّغُوبٍ﴾ تعب وإعياء، وهو ردٌّ على اليهود، إذ قالوا: إن الله تعب فاستراح يوم السبت ﴿وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ أعقاب الصلوات المفروضة ﴿الصَّيْحَةَ﴾ نفخة البعث ﴿يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ من القبور ﴿سِرَاعًا﴾ يخرجون من قبورهم مسرعين ﴿بِجَبَّارٍ﴾ بمسلَّط عليهم تُجبِرُهم على الإيمان.

سورة الذاريات

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ هذه أقسام أربعة: أقسم تعالى بالرياح التي تطيِّرُ الترابَ، وتحمل الرمالَ من مكان إلى مكان ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ وبالسحب التي تحمل الأمطار الغزيرة ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ وبالسفن التي تجري على سطح الماء، بسهولة ويسر ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ وبالملائكة التي تقسم أمورَ الخلائق وأرزاقهم ﴿الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ إن الحساب والجزاء كائن لا محالة، لأنه يوم العدالة الإلٓهية، والآية ردٌّ على المشركين حيث قالوا: لا حشر ولا نشر، ولا حساب ولا جزاء.. أقسم سبحانه بأمور أربعة مما خلق في هذا الكون، وهي (الرياح، والسحبُ، والملائكةُ، والسفن) والقَسَمُ بهذه الأمور، للتنبيه على ما فيها من خصائص وأسرار، فالله تعالى يجعل الرياح رحمةً أو عذاباً، فيقصف أحياناً بها الأشجارَ، ويخرِّب الديارَ، فتكون عذاباً، وأحياناً يُنزل بها الأمطار، ويُلقِّح بها الأشجار فتكون رحمة.

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

﴿ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ الطرق التي تسير فيها الكواكب ﴿قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ مضطرب متناقض تقولون عنه: شاعر، ساحر، مجنون ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ﴾ يُصرف عن الحقّ والإيمان، من صَرفه اللّهُ عن طريق السعادة ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ لُعن الكذّابون الذين قالوا عن النبي ﷺ إنه ساحر كذاب ﴿غَمْرَةٍ﴾ في غفلةٍ وعمى وجهالة ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون عن الآخرة ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ متى يوم الحساب والجزاء؟ ﴿يُفْتَنُونَ﴾ يُحرقون ويُعذَّبون ﴿يَهْجَعُونَ﴾ ينامون قليلاً من الليل ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ المتعفّف عن السؤال ﴿مُّنكَرُونَ﴾ قوم غرباء لا نعرفكم ﴿فَرَاغَ﴾ ذهب إلى أهله في سُرعةٍ وخفية ﴿بِعِجْلٍ﴾ مشويٍّ، واختاره سميناً زيادة في إكرامهم ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أضمر في نفسه الخوف منهم ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ في صيحة وضجّة ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ لطمت وجهها تعجباً من البشارة ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ كبيرة السن، والعقيمُ: التي لا تلد.

وتناولت الآياتُ آداب الضيافة، فإنه جاء بطعام من حيث لا يشعرون، وجاءهم به بسرعة، وأتى بأفضل ماله، وهو عجل فتيٌّ، سمينٌ مشويٌّ، فقرَّبه إليهم، ولم يضعه أمامهم وقال اقتربوا، وإبراهيم عليه السلام رمز الجود والكرم، ومنه أخذ العرب هذه الخصلة الحميدة. .

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ لم يقل هذه العبارة مشافهةً لهم، وإنما قالها في نفسه، لأن خُلق إبراهيم الكريم، لا يسمح له بالجهر بها، في مؤانسة الضيف، ويدلُّ على هذا ما جاء في سورة هود ﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي أنكرهم في نفسه، لأنهم قدموا في صورة شُبَّان حسان، وأضمرَ الخوفَ في نفسه، لمّا رأى إعراضهم عن الطعام.

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾

﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ ما قصتكم التي من أجلها قدمتم علينا؟ ﴿مِن طِينٍ﴾ لنهلكهم بحجارة من طينٍ متحجّرٍ من السماء، مطبوخ من نارٍ وطين ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلّمة عند الله بعلامة ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ بحجة واضحة، وهي العصا، واليد ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ﴾ أعرض عن الإيمان بجيشه وجنوده ﴿فِى الْيَمِّ﴾ طرحناهم في البحر وأغرقناهم ﴿مُلِيمٌ﴾ آتٍ بما يُلامُ عليه من الكفر والطغيان ﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ المدمِّرة التي لا خير فيها، شُبِّهت بالمرأة العقيم التي لا تلد ﴿كَالرَّمِيمِ﴾ كالشيء البالي، والرَّماد المتطاير في الجوّ ﴿فَعَتَوْا﴾ تكبَّروا عن امتثال أمر الله ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ صيحة العذاب، نار من السماء عُذِّبوا بها ﴿بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ بقوة وقدرة ﴿فَرَشْنَاهَا﴾ مهّدناها لكم لتستقرُّوا عليها وتبنوا وتزرعوا ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ المسوُّون المصلحون للأرض ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ اهرعوا إلى الله، والجأوا إليه بالتوبة والإيمان والعمل الصالح ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أنذركم عذاب الله وعقابه إن لم تؤمنوا، والفرارُ إلى الله معناه: اللجوءُ إليه والإقبالُ على طاعته.

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ قال ابن عباس: أي بقوةٍ عظيمة منا.. تأمل عظمة الكون، بعين البصيرة والعقل، لترى عظمة الخالق، الكبير المتعال، فإن هذه الأرض التي نعيش على سطحها، ما هي إلّا ذرة صغيرة، تسبح في هذا الكون الفسيح، ومع ذلك ففيها البحارُ، والأنهار، والجبالُ، وهي كبيرة بالنسبة للإنسان، ولكنها بالنسبة للنجوم والمجرات لا تكاد تذكر، وتمعَّنْ وأنت تقرأ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ عظمة الكون، لتسبِّح الله مع المسبِّحين.!

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ — ترتيبها ٥٢ — آياتها ٤٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾

﴿قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ مجاوزون الحدَّ في الكفر والطغيان ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أعرض عنهم ﴿بِمَلُومٍ﴾ لا لوم عليك ولا عتاب، لأنك قد بلَّغتهم وأنذرتهم ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ **قال ابن عباس**: إلَّا ليعرفوني ويوحِّدوني، ويخضعوا لعظمتي وجلالي ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ أي لا أريد منهم أن يرزقوني، أو يرزقوا أنفسهم، ولا أريدُ منهم أن يطعموني، فأنا الغنيُّ الحميد، أطعمهم وأرزقهم!! وفي الآية تعريضٌ بأصنام وأوثان المشركين، حيث كانوا يُحضرون للأصنام أنواع المآكل اللذيذة، فربما أكلتها الكلابُ، ثم بالتْ على الأصنام!! ﴿ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ ذو القوة القاهرة ﴿ذَنُوبًا﴾ نصيباً من العذاب ﴿فَوَيْلٌ﴾ هلاك وعذاب ودمار للكفرة الفجار ﴿ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ من عذاب يوم القيامة، الذي وُعدوا به..

سورة الطور

﴿وَٱلطُّورِ﴾ الجبل الذي كلَّم الله عليه موسى ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ القرآن العظيم المسطَّر في اللوح المحفوظ ﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ مكتوب في الصحف، والمنشورُ: المبسوط ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ المتوقِّد ناراً ﴿تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ﴾ تضطرب وتتحرك اضطراباً شديداً ﴿خَوْضٍ﴾ يخوضون في الباطل وهم غافلون ساهون ﴿يُدَعُّونَ﴾ يدفعون إلى النار دفعاً عنيفاً شديداً. فخزنةُ جهنم، يجمعون نواصي الكفار مع أقدامهم، ويدفعون بهم دفعاً إلى النار، تحقيراً لهم وإذلالاً، كما تدفع البهائم إلى الزرائب، وتقول لهم خزنة جهنم: هذه جهنم التي كنتم تكذِّبون بها وتسخرون، ومعنى الدَّعّ: الدفعُ بشدة وغلظة، مع الإهانة والإذلال.

أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

﴿اصْلَوْهَا﴾ ذوقوا عذابها وحرّها ﴿فَاصْبِرُوا﴾ اصبروا على العذاب أو لا تصبروا ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ الصبر أو عدمه ﴿فَاكِهِينَ﴾ متنعّمين متلذّذين بما أكرمهم ربهم به ﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾ سرر من ذهب صُفَّ بعضُها إلى جانب بعض ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ نساء حسان جميلات، واسعات العيون ﴿أَلَتْنَاهُم﴾ ما أنقصنا الآباء من ثواب عملهم شيئاً، وإنما رفعنا الأبناء إلى منازل الآباء، لتقرّ أعينهم بهم، **قال ابن عباس:** (إن الله ليرفع ذرية المؤمن، معه في درجته في الجنة، وإن كان لا يبلغها بعمله، لتقرَّ بهم عينُه) ثم تلا الآية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ..﴾ الآية رواه ابن جرير ﴿رَهِينٌ﴾ كلُّ إنسان محبوسٌ بعمله ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ يتجاذبون في الجنة كأساً من الخمر لشدة سرورهم ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾ ليس في شربها كلام ساقط، ولا يلحقهم بسببها إثم ﴿مَّكْنُونٌ﴾ كأنهم في الحُسن والبهاء، اللؤلؤ المصون في الصَّدف ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين من عذاب الله ﴿عَذَابَ السَّمُومِ﴾ نجّانا من نار جهنم الحارّة.. **رُوي أن السيدة عائشة رضي الله عنها** (قامتْ ذاتَ ليلةٍ تصلِّي، فقرأتْ هذه الآية ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ فجعلت تردّدها وتبكي وتقول: (اللهم مُنَّ علينا، وقنا عذاب السموم، إنك أنت البر الرحيم) قيل للأعمش: في الصلاة؟ قال: نعم) رواه ابن أبي حاتم. ﴿رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ صروف الدهر وأحداثه ﴿تَرَبَّصُوا﴾ انتظروا موتي وهلاكي، وأنا أنتظر ما يفعل الله بكم، وهذا وعيد وتهديد شديد، وتهكُّمٌ وسخرية بهم.

ربع الحزب ٥٣

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سُورَةُ النَّجْمِ

ترتيبها ٥٣ — آياتها ٦٢

﴿أَحْلَٰمُهُم﴾ هل تأمرهم عقولهم بهذا الكذب والبهتان؟ وهو تهكم ساخر ﴿طَاغُونَ﴾ مجاوزون الحدّ في الكفر والطغيان ﴿تَقَوَّلَهُۥ﴾ افترى القرآن من عند نفسه ﴿مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ هل خُلقوا من غير خالق؟ هذا باطل مستحيل ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾؟ هل هم الذين خلقوا أنفسهم؟ هذا في البطلان والفساد أشد ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؟ هل خلقوا السموات والأرض؟ لا يستطيعون أن يزعموا ذلك، فلزمتهم الحجة بأن لهم خالقاً ﴿ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ﴾ القاهرون الجبّارون ﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ حجة واضحة ﴿مُّثْقَلُونَ﴾ مجهودون من أخذ المال فلذلك لا يسلمون ﴿كِسْفًا﴾ قِطعاً من العذاب تنزل عليهم ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ يقولوا هذا سحاب متراكم بعضه فوق بعض، وليس بعذاب ﴿يُصْعَقُونَ﴾ يُهلكون بالعذاب النازل عليهم كالصاعقة ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ في حفظنا وحراستنا ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ آخر الليل حين تغيب النجوم بضوء الصباح، والاستفهامُ بـ(أم) جاء في هذه السورة في آياتها الخمس عشرة، للتوبيخ والتقريع والسخرية.. روي أن (جُبَير بن مطعم) قدم المدينة المنورة ـ وكان مشركاً ـ ليسأل الرسول ﷺ في أسارى بدر ـ أي لإطلاق سراحهم ـ فلقيه في صلاة المغرب يقرأ سورة الطور ﴿وَٱلطُّورِ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ فلما أتى على هذه الآية ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ قال: فكأنما صُدِعَ قلبي ـ أي شُقّ ـ فأسلمتُ خوفاً من نزول العذاب، فلما انتهى إلى هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ قال: (شعرتُ أن قلبي قد طار) فأسلم رضي الله عنه، رواه البخاري.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾

سورة النجم

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ أقسم لكم بالنجوم إذا انتثرت وتساقطت ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ ما ضلَّ محمد عن طريق الهداية ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ ولا حاد عن الرشد ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ جبريلُ صاحب قوةٍ وشدَّة في الخَلْق ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ استقرَّ على صورته التي خلقه الله عليها، له ستمائة جناح ﴿بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ جانب مشرق الشمس ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ دنا جبريل واقترب من النبي ﷺ وزاد في القرب ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أي صار جبريل قريباً من النبي ﷺ على قدر ذراعين ﴿أَفَتُمَارُونَهُ﴾ أفتجادلونه على ما رأى ليلة الإسراء؟ ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ رأى الرسولُ جبريل مرة ثانية ﴿سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ عند شجرة عظيمة قرب العرش، التي ينتهي عندها علم الخلائق ﴿قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ قسمة جائرة غير عادلة ﴿سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان ﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ﴾ لا تنفع شفاعتهم لأحد، إلا إذا أذن الله لهم بذلك، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ أي لمن رضيه الله من المؤمنين..

(نصف الحزب ٥٣)

تحدثت السورة عن قصة المعراج، التي رأى فيها رسول الله من عجائب خلق الله ما رأى، وإنما قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾ ولم يقل: ما ضلَّ محمد، لينبِّههم على سخافة ما زعموه، أن محمداً كاذب وأنه مجنون، كأنه يقول: عاش بينكم محمد أربعين سنة، أما عرفتم حقيقته!! لقد صَاحَبكم هذه المدة الطويلة، وهو يُشار إليه بالبَنَان، في صدقِه، وأمانتِه، ورجاحةِ عقله، حتى كنتم تقولون عنه (الصادق الأمين) أمَا تكفي هذه المدة، لتتحققوا أنه صادق أم كاذب؟ كما قال في آية أخرى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾؟

الجزء السابع والعشرون — سورة النجم

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

﴿تَسْمِيَةَ الْأُنْثَىٰ﴾ زعم المشركون أن الملائكة بنات الله، وأنهم إناث ﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾ ما يتَّبعون إلا الظنون والأوهام ﴿لَا يُغْنِي﴾ الظنُّ لا يفيد شيئاً، ولا يقوم مقام الحقِّ أبداً ﴿بِالْحُسْنَى﴾ بالمثوبة الحسنى وهي الجنة ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ ما تناهى قبحُه من الكبائر ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ صغائر الذنوب ﴿أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين الولد في بطن أمه ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ لا تمدحوها على سبيل الإعجاب، فإن النفس خسيسة إذا مُدحت اغترَّتْ وتكبَّرت ﴿وَأَكْدَىٰ﴾ قطع العطاء، نزلت في «الوليد بن المغيرة» كاد أن يُسلم فعيَّره بعض المشركين وقال له: تترك دين آبائك وأجدادك؟ فقال الوليد: إني أخشى عذاب الله!! فضمن له الرجل إن أعطاه شيئاً من المال، أن يتحمّل عنه عذاب الآخرة، فأعطاه شيئاً ثم بخل ومنعه باقي العطاء ﴿وَازِرَةٌ﴾ لا تحمل نفس ذنب غيرها ﴿الْمُنْتَهَىٰ﴾ المصير في الآخرة ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ﴾ سيعرض عليه يوم القيامة ويراه في ميزانه، وفي الآية بشارة للمؤمنْ، حيثُ يريه تعالى أعماله الصالحة ليفرح بها، ويحزن الكافر بأعماله الفاجرة، فيزداد حزناً وغماً ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ هو جلَّ وعلا خلق الفرح والحزن، والسرور والغَمَّ، فأضحك في الدنيا من أضحك، وأبكى من أبكى، حتى ولو كان وزيراً أو مَلِكاً، **قال الحسن البصري**: أضحك أهلَ الجنة في الجنة، وأبكى أهلَ النَّار في النار ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ خلق الموت، وخلق الحياة، ولا يقدر على ذلك غيرُه، وقهر الملوك والعظماء بالموت، سُئل عمر رضي الله عنه: (هل كان أصحاب الرسول ﷺ يضحكون؟ قال: نعم والله، والإيمانُ في قلوبهم أثبتُ من الجبال الرَّواسي).

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

سُورَةُ القَمَر

مرتبتها ٥٤ — آياتها ٥٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾

﴿من نطفة﴾ من المني ﴿إذا تمنى﴾ تدفقت من صلب الرجل إلى رحم المرأة، فالنطفة واحدة يُخلق منها الذكر والأنثى ﴿النشأة الأخرى﴾ إحياء الإنسان بعد الموت ﴿أغنى وأقنى﴾ أغنى من شاء، وأفقر من شاء ﴿والمؤتفكة أهوى﴾ أسقطها فجعل عاليها سافلها، وهي مدائنُ قوم لوط ﴿فغشاها ما غشى﴾ غطاها بأنواع من العذاب فظيع، والتعبير يفيد التهويل ﴿تتمارى﴾ تتشكك وتكذّب ﴿أزفت الآزفة﴾ دنت القيامة ﴿وأنتم سامدون﴾ لاهون غافلون، لا تفكّرون في العاقبة، وكان الأجدرَ في حقكم البكاءُ عند سماعه، لا الضحكُ والاستهزاء.

سجدة

سورة القمر

﴿اقتربت الساعة﴾ قَرُبتِ القيامة ﴿وانشق القمر﴾ انفلق القمرُ فلقتين. وهذه إحدى معجزات الرسول ﷺ الباهرة.. روى **البخاري** «أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية - معجزة - فأراهم القمر شقّتين، حتى رأوا حراء بينهما» ﴿سحر مستمر﴾ شديد يعلو كل سحر ﴿مستقر﴾ منتهٍ إلى غاية يستقرُّ عليها ﴿مزدجر﴾ واعظ لهم عن التمادي في الضلال ﴿نكر﴾ شيء فظيع تنكره النفوس لشدته وهوله، والداعي هو «إسرافيل» ينفخ في الصور، فيخرج الناس من القبور. لقد طلب طغاة مكة من رسول الله ﷺ معجزةً تدلُّ على صدقه، وقالوا له: شُقَّ لنا القمرَ، إن كنتَ حقاً نبياً!! - وكان ليلة البدر - فدعا الله عزَّ وجلَّ فانفلق القمرُ فلقتين. فقال المشركون: سحر محمد أعيننا!! فقال لهم أبو جهل: انتظروا حتى يأتي المسافرون فسألهم، فلما قدموا سألوهم، فأخبروهم أنهم رأوا القمر منشقاً وفزعوا، فقال أبو جهل: سحر محمد الناسَ جميعاً.

سُورَةُ القَمَر — الجزء السابع والعشرون

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٣

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ ذليلة من الخوف ﴿ٱلْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ مسرعين في إجابة الداعي «إسرافيل» ﴿يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ صعب شديد لأهواله ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ زُجِرَ عن دعوى النبوة، وهُدِّد بالقتل ﴿قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾، ﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ منصبٌّ بقوة وغزارة ﴿وَدُسُرٍ﴾ ألواحُ السفينة مشدودة بالمسامير ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ تسير بمرأى منا وبحفظنا ورعايتنا ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ هل من معتبر ومتّعظ؟ ﴿وَنُذُرِ﴾ إنذاري للمكذّبين ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ ريحاً عاصفة، شديدة الصوت والهبوب ﴿نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ في يوم مشؤوم، استمرَّ عليهم بشؤمه، فهلكوا جميعاً ﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ تقتلعهم من أماكنهم، ثم ترميهم على رؤوسهم ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ أصول شجر النخيل ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ مُنقلع من أصوله ومغرسه ﴿وَسُعُرٍ﴾ جنون ﴿أَشِرٌ﴾ متكبِّر بَطِر ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ امتحاناً وابتلاء لهم..

تكررت الآية ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ أربع مرات في هذه السورة، للتنبيه على أخذ العبرة من أخبار الأمم السابقين، أي سهلنا القرآن للحفظ والفهم، والتدبر لما جرى للأمم السابقين، فهل من متّعظ ومعتبر بزواجر القرآن؟ ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا ٱلنَّاقَةِ﴾ سنخرج لهم الناقة من الصخر الأصمّ كما سألوا ﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ﴾ انتظرهم وتبصَّر ما يصنعون، واصبر على أذيّتهم، قال ابن كثير: أخرج الله لهم ناقةً عظيمة عشراء - حاملاً - من صخرة صمَّاء، طِبْقَ ما سألوا، لتكون حجة عليهم في تصديق نبي الله (صالح) عليه السلام، فعقروا الناقة ولم يؤمنوا، فدمَّرهم الله تعالى.

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

﴿قِسْمَةٌ﴾ مقسومٌ بين ثمود وبين الناقة ﴿مُّحْتَضَرٌ﴾ كل حصةٍ من الماء يحضرها صاحبها، كما قال سبحانه: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾، ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ تناول الناقة بسيفه فقتلها، غير مكترث بالوعيد ﴿كَهَشِيمِ﴾ صاروا كيابس الشجر، إذا يبس وداسته الأقدام ﴿ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ كالراعي الذي يجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر ﴿حَاصِبًا﴾ حجارة من السماء من نارٍ متحجِّر ﴿أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا﴾ خوّفهم عقوبتنا الشديدة ﴿فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ﴾ تشكّكوا بالوعيد والإنذار ﴿رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ﴾ طلبوا منه أن يُسلِّم لهم ضيوفه، ليفجروا بهم ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ أعميناها فلم يروا الطريق ﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ دائم، وذلك بقلب مدنهم، وإمطار الحجارة عليهم ﴿فِى ٱلزُّبُرِ﴾ الكتب السماوية ﴿أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ أعظم بليّة، وأشدُّ مرارةً من عذاب الدنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾ نيران مستعرة، أو جنون، من قولهم: ناقة مسعورة أي مجنونة تتخبَّط.

قوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ يعني سيُهزم جمعُهم، ويولُّون الأدبار منهزمين، رُوي عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال يوم بَدْر: اللهم إني أنشدك عهدَكَ ووعدَكَ، اللهمَّ إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً!! فأخذ أبو بكر بيده، وقال: يا رسول الله حسبُك فقد أَلْححتَ على ربك، فخرج من القبة وهو يَثِبُ في الدِّرْع ويقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ رواه البخاري، وعن عمر أنه قال: (لمّا نزلت الآية ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ قلتُ: أيَّ جمعٍ يُهزم؟ فلمّا كان يوم بدر، رأيتُ النبيّ يَثِبُ في الدرع ـ أي يُهرول في دِرْع الحرب ـ وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ فعرفت تأويلها يومئذٍ) رواه ابن أبي حاتم.

وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحۡمَٰنِ

ترتيبها ٥٥ — آياتها ٧٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلرَّحۡمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ وَٱلرَّيۡحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

﴿أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ﴾ أمثالكم في الكفر والضلال ﴿فِي ٱلزُّبُرِ﴾ مسجَّل في كتب الحفظة من الملائكة ﴿مُّسۡتَطَرٌ﴾ مثبت في اللوح المحفوظ ﴿وَنَهَرٖ﴾ أنهار الجنة ﴿مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾ مكان مرضيّ، ومنزل رفيع ﴿عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ عند ملك الملوك ربّ العزة والجلال، القادر على ما يشاء.

الحزب ٥٤

سورة الرحمن

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ علَّم الإنسان القرآن ﴿ٱلۡبَيَانَ﴾ ألهمه النطق والكلام ﴿بِحُسۡبَانٖ﴾ بحساب دقيق منتظم ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ﴾ النجوم والأشجار تسجد للواحد القهار، وتنقاد لأمره كقوله سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ﴾، ﴿وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ شرع العدل في جميع الأمور وأمر به البشر ﴿لِلۡأَنَامِ﴾ للخلائق ﴿ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ﴾ أوعية الثمر، وهو العنقود الذي يخرج منه الرطب ﴿وَٱلۡحَبُّ ذُو ٱلۡعَصۡفِ﴾ الحبُّ ذو التبن الذي هو غذاء للحيوان ﴿وَٱلرَّيۡحَانُ﴾ الأزهار ذات الروائح الطيبة ﴿صَلۡصَٰلٖ﴾ طين يابس يُسمع له صلصلة ﴿مَّارِجٖ﴾ لهب النار الذي لا دخان فيه، وفي الحديث الشريف: «**خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجانُّ من مارج من نار، وخُلق آدم ممَّا وُصفَ لكم**» رواه مسلم أي مما وصفه الله لكم ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ بأيِّ نعمة من نعم الله الجليلة تكذِّبان، يا معشر الإنس والجان؟ ذكرت هذه الآية إحدى وثلاثين مرة في هذه السورة، والسرُّ في هذا التكرار: التنبيه على كثرة نعم الله على العباد، ليحمدوه ويشكروه عليها.

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ مشرق الشمس والقمر ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ الأنهار والبحار وهو من باب التغليب ﴿بَرْزَخٌ﴾ حاجز هو اليابسة من الأرض ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ لا تطغى البحار على الأنهار فتفسدها كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ وليس العذب إلا ماء الأنهار ﴿آلَاءِ﴾ نِعَم الله ﴿اللُّؤْلُؤُ﴾ صغار الدُّر ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾ كبار الدرّ ﴿الْجَوَارِ﴾ السفن الجارية ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ كالجبال ﴿الثَّقَلَانِ﴾ الإنسُ، والجنُّ ﴿تَنفُذُوا﴾ تهربوا من ملكي ﴿فَانفُذُوا﴾ فاهربوا وهو أمر تعجيز ﴿شُوَاظٌ﴾ لهب النار الحامية ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ مثل الورد الأحمر من حرارة النار ﴿تُكَذِّبَانِ﴾؟ بأيِّ نعمة من نعم الله تكذبان، قرأ رسول الله ﷺ سورة الرحمن على أصحابه فسكتوا، فقال لهم: «**ما لي أرى الجنَّ أحسنَ جواباً لربها منكم؟ ما أتيتُ على قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نِعَمِك ربَّنا نكذِّب، فلك الحمد**» رواه الترمذي.

تنبيه: فإنْ قيل: ما وجهُ النعمةِ في الموت؟ فالجواب: أن الله تعالى سوَّى فيه بين الملِكِ والمملوك، وبين الغني والفقير، وبين الظالم والمظلوم، فلو ماتَ المظلومُ وبقي الظالم يسرح ويمرح، ومات الفقيرُ وبقي الغنيُّ، لكان في النفس أشد الحسرة والألم، لذلك سوَّى الله تعالى في الموت، بين جميع الخلائق: (الملِك، والغني، والفقير، والظالم، والمظلوم) إقامةً للعدل بين الخلق.

يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ
﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٥﴾ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيۡنَانِ
تَجۡرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ
زَوۡجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ
بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ وَجَنَى ٱلۡجَنَّتَيۡنِ دَانٖ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ
وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ
وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلۡ جَزَآءُ
ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٦٣﴾ مُدۡهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا
عَيۡنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾

﴿بِسِيمَٰهُمۡ﴾ بعلامتهم، وهي سواد الوجوه، وزرقة العيون ﴿وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾، ﴿بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ﴾ يؤخذون بمقدَّم شعور رؤوسهم وبالأقدام، فيقذفون في جهنم، إهانةً لهم ﴿يَطُوفُونَ بَيۡنَهَا﴾ يتردَّدون بين نار جهنم ﴿وَبَيۡنَ حَمِيمٍ ءَانٖ﴾ وبين ماء حار بلغ نهاية الحرارة ﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ خاف وقوفه بين يدي الله للحساب ﴿جَنَّتَانِ﴾ جنة لسَكَنه، وجنةٌ لأزواجه وخدمه ،كما هو حالُ ملوك الدنيا، له قصرٌ، ولأزواجه قصرٌ، ولخدمه كذلك. وفي حديث البخاري: **«جنتان من فضةٍ آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلَّا رداءُ الكِبْرِ على وجههِ في جنَّة عدن»** ﴿أَفۡنَانٖ﴾ أغصان كثيرة الظلال ﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾ مضطجعين ﴿إِسۡتَبۡرَقٖ﴾ من ديباج وهو الحرير المزيَّن بالذهب، **قال ابن مسعود**: هذه البطائن فكيف لو رأيتم الظواهر؟ ﴿دَانٖ﴾ (٥٤) ثمر الجنتين قريب يتناوله القائم، والقاعد، والمضطجع ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ﴾ الحور العين قصرن أبصارهن على أزواجهن ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ﴾ خضراوان شديدتا الخضرة من كثرة الريِّ ﴿نَضَّاخَتَانِ﴾ فوَّارتان بالماء لا تنقطعان.. قوله تعالى: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ سنتفرَّغ لحسابكم يا معشر الإنس والجن!! وهو أسلوبُ وعيدٍ وتهديد، يقول الرجل لمن يتهدَّده: سأتفرّغ لحسابك وللانتقام منك. قال البخاري: ﴿سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ﴾ سنحاسبكم، لا يشغله شأنٌ عن شأن، وهو معروف في كلام العرب، يُقال: لأتفرغنَّ لك، وما به شُغْلٌ، وقال ابن عباس: ليس بالله تعالى شُغل، وهو فارغ، وهو وعيد من الله لعباده. ا.هـ.

فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٞ مَّقۡصُورَٰتٞ فِي ٱلۡخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٧٨﴾

ترتيبها ٥٦ — سُورَةُ الوَاقِعَةِ — آياتها ٩٦

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيۡسَ لِوَقۡعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا ﴿٥﴾ فَكَانَتۡ هَبَآءٗ مُّنۢبَثّٗا ﴿٦﴾ وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ﴿٧﴾ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

﴿خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾ في تلك الجنات نساء كريمات الأخلاق، حسانُ الوجوه ﴿فِي ٱلۡخِيَامِ﴾ في بيوت من اللؤلؤ، وفي الحديث: "**إن في الجنة خيمةً من لؤلؤة مجوَّفة، عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهلٌ ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمنون**" رواه البخاري ﴿لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ﴾ لم يغشهنَّ ولم يَفْضَضْهُنَّ أحد، لا من الإنس ولا من الجن ﴿رَفۡرَفٍ﴾ بُسُط ووسائد خضر ﴿وَعَبۡقَرِيٍّ حِسَانٖ﴾ طنافس مزخرفة بأنواع الزينة والصور ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾؟ ذُكرت هذه الآية إحدى وثلاثين مرة، فبعد كل آية يأتي التذكير للبشر بنعم الله الجليلة التي لا تحصى، ليشكروا ربهم عليها.

ربع الحزب ٥٤

سورة الواقعة

﴿ٱلۡوَاقِعَةُ﴾ القيامة، سميت واقعة لتحقق وقوعها ﴿كَاذِبَةٌ﴾ لا يكون عند مجيئها نفسٌ كاذبة تنكر وقوعها ﴿رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ زلزلت زلزالاً عنيفاً ﴿وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ﴾ فُتّتت تفتيتاً رهيباً ﴿أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ﴾ أصنافاً ثلاثة ﴿ثُلَّةٞ﴾ جماعة ﴿مَّوۡضُونَةٖ﴾ أسرَّة من الذهب، مرصَّعة بالدرّ والياقوت، كما أنْ أوانيها وكؤوسها من الذهب، قال سبحانه: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖ﴾ فكل ما في الجنة من أسرة، وأواني، وملاعق، وأكواب، من ذهب، اللهم لا تحرمنا نعيم الجنة.

قوله تعالى: ﴿خَافِضَةٞ رَّافِعَةٌ﴾ قال الحسن البصري: تخفض أقواماً إلى أسفل سافلين، وترفع أقواماً إلى أعلى علّيين، وإن كانوا في الدنيا وضعاء!!

الجزء السابع والعشرون سورة الواقعة

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾

﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ أطفال في نضارة الصّبا، باقون على هيئة الولدان في البهاء، لا يهرمون ولا يموتون ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ أقداح ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ أوان لها عُرى، تبرُقُ من صفاء لونها ﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ كأس من خمر جارية من عيون الجنة ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا﴾ لا تصدع رؤوسهم بشربها ﴿وَلَا يُنزِفُونَ﴾ لا يسكرون فتذهب بعقولهم ﴿مَّخْضُودٍ﴾ السّدرُ: شجرُ النَّبق الذي قُطع شوكُه، وفي الحديث: (أن أعرابياً قال للرسول ﷺ: إن في الجنة شجرةً تؤذي أصحابها!! فقال: وما هي؟ قال: السدرُ فإنَّ له شوكاً، فقال له الرسول ﷺ: أليس الله يقول: ﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾؟ خَضَد اللّهُ شوكه، فجعل مكان كلِّ شوكةٍ ثمرةً، تفتقُ عن اثنين وسبعين لوناً، ما فيها لونٌ يشبه الآخر) رواه البيهقي ﴿وَطَلْحٍ﴾ شجر الموز ﴿مَّنضُودٍ﴾ متراكم مملوء بالثمر ﴿عُرُبًا﴾ جمع عَرُوب وهي العاشقة لزوجها المتحبِّبة إليه ﴿أَتْرَابًا﴾ متساويات في السنِّ على ميلادٍ واحد ﴿ثُلَّةٌ﴾ جماعة ﴿سَمُومٍ﴾ ريح شديدة الحرّ ﴿مُتْرَفِينَ﴾ منعّمين ﴿يَحْمُومٍ﴾ دخان أسود سمّاه ظلاً تهكماً ﴿ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الذنبُ والجرم العظيم ﴿مِيقَٰتِ﴾ وقت معلوم.

قوله تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ من طيور الجنة مما يشتهيه السعداء، قال ابن عباس: (يخطُر على قلبه الطيرُ، فيصير ممثّلاً بين يديه كما اشتهى - يعني مشوياً أو مقليًّا على الوجه الذي يحبُّه ويشتهيه -) وفي الحديث «**إنك لتنظر إلى الطير في الجنة، فتشتهيه، فيخرُّ بينَ يديكَ مشويًّا**» رواه البيهقي، وقدّم الفاكهة على اللحم، لأن أهل الجنة يأكلون لا عن جوع، بل لمجرد التلذذ.

الجزء السابع والعشرون — سورة الواقعة

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾

﴿زقوم﴾ شجرة خبيثة كريهة الطعم ﴿شُرْبَ الْهِيمِ﴾ الإبل العطاش التي لا ترْوى لداءٍ يصيبها ﴿نُزُلُهُمْ﴾ ضيافتهم وكرامتهم، وتسميته نُزُلاً تهكُّمٌ بهم ﴿تُمْنُونَ﴾ المنيُّ الذي تصبُّونه في الأرحام هل أنتم تخلقون المنيّ بشراً سوياً؟ ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ أم نحن الذين خلقناه وصوَّرناه؟ ﴿بِمَسْبُوقِينَ﴾ بعاجزين ﴿حُطَامًا﴾ هشيماً متكسّراً لا يُنتفع به ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ تتعجبون من سوء ما حلَّ به ﴿لَمُغْرَمُونَ﴾ متحمّلون الغُرْم حيث ذهب زرعُنا وخسرنا البذر ﴿الْمُزْنِ﴾ السُّحب ﴿أُجَاجًا﴾ مالحاً شديد الملوحة كماء البحر ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾ المسافرين، والقِوى: القَفْرُ، وهي الصحراء، والنارُ يحتاجها المسافر أكثر من غيره ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ منازل النجوم التي تدور فيها ﴿لَقَسَمٌ﴾ لو عرفتم عظمة هذا القسم، لآمنتم

نصف الحزب ٥٤

بخالق هذا الكون. أقسم تعالى بمواقع النجوم، لأنها جميعها تسبح في هذا الفَلَك الواسع، وهي من الضخامة بحيث أن مجموعتنا الشمسية كأنها برتقالة بالنسبة لبعض النجوم، ومع حركة هذه النجوم ودورانها، لا يمكن أن يصطدم نجم بآخر، ولا أن يقترب نجم من مجال نجم آخر، وهنا ندرك سرَّ عظمة هذا القَسَم!

ذكر تعالى في هذه السورة من الأدلة الكونية، على وجود الله تعالى ووحدانيته، أربعة أمور:

الأول: خلق الإنسان من نطفة من ماءٍ مهين. **الثاني**: إخراج الزرع والثمر من الأرض الهامدة. **الثالث**: نزول الماء العذب ـ المطر ـ من السحاب. **الرابع**: إخراج النار المحرقة من الشجر الأخضر، وكلُّها براهين ساطعة على قدرة الله ووحدانيته.

الجزء السابع والعشرون — سورة الواقعة

إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الحَدِيدِ

آياتها ٢٩ — ترتيبها ٥٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

﴿مَّكْنُونٍ﴾ محفوظ عن الباطل، وعن التبديل والتغيير، **قال مجاهد**: هو المصحف الذي بأيدي الناس، **وقيل**: هو اللوح المحفوظ ﴿إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ لا يمسُّه إلا الطاهر المتوضئ، وفي الحديث: «**وأن لا يمسَّ القرآنَ إلَّا طاهرٌ**» رواه مالك ﴿مُّدْهِنُونَ﴾ المدهنُ: المنافقُ المكذِّبُ لآيات الله ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ على حذف مضاف أي تجعلون شكر رزقكم تكذيبكم للخالق الرازق؟ ﴿بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ وصلت الروحُ إلى الحلقِ ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أقرب إلى الميت منكم بعلمنا وقدرتنا ﴿غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ غير محاسبين ولا مجزيِّين ﴿تَرْجِعُونَهَآ﴾ تردُّون الروح إلى جسدها ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ضيافتُهم التي يُكرمون بها: ماءُ الحميم الذي يقطِّع الأمعاء ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾، ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ إحراقٌ بنار جهنم، والآيةُ وردت بأسلوب التهكُّم والسخرية لهؤلاء الأشقياء الفُجَّار. ! فأيُّ ضيافةٍ وأيُّ كرامةٍ لهؤلاء المجرمين؟

سورة الحديد

﴿ٱلْأَوَّلُ﴾ السابقُ على جميع الموجودات، الأولُ الذي لا شيءَ قبْلَه ﴿وَٱلْءَاخِرُ﴾ الباقي بعد فناء الخلق ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ بوجوده وآثاره ومخلوقاته ﴿وَٱلْبَاطِنُ﴾ المحتجب عن العقول بكُنْه ذاته، كما قال سبحانه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ وفي الحديث: «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء**» رواه مسلم.

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ استواءً يليق بكماله سبحانه ﴿يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ما يدخل فيها من أمطار وأموات ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من نباتات وأثمار ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ما يصعد فيها من الأعمال الصالحة والملائكة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بعلمه المحيط بكل الأشياء ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ﴾ يُدخل الليلَ في النهار وبالعكس، فتارةً يطول النهارُ ويقصر الليلُ ﴿مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ خلفاء في التصرف فيه، فالمالُ مالُ الله، وأنتم بمنزلة الوكلاء، فلا تبخلوا بالإنفاق ﴿مِيثَٰقَكُمْ﴾ العهد المؤكَّد ﴿ٱلنُّورِ﴾ يخرجكم من ظلمات الكفر، إلى نور الهداية والإيمان ﴿قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ فتح مكة ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ يتصدق محتسباً أجره عند الله، ولمَّا نزلت هذه الآية، جاء «أبو الدحداح» فقال: يا رسول الله أوَ يريد اللَّهُ منا القرضَ؟ قال: نعم يا أبا الدحداح!! قال: أرني يدك، فناوله ﷺ يده، فقال: إني أقرضتُ ربي بستاني!! وكان فيه ستمائة نخلة، وجاء إلى أهله فقال لها: انقلي متاعك وصبيانك فقد أقرضته ربي!! فقالت له: ربح بيعك يا أبا الدحداح، ربح بيعُك!! ثم نقلت متاعها وصبيانها، وخرجت منه، وقال فيه النبي ﷺ «**كم من عِذْقٍ رَدَاحٍ، في الجنة لأبي الدحداح**» ـ أي كم من غُصنٍ من النخيل مملوءٍ بالرُّطَب له ـ رواه ابن أبي حاتم ﴿وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ ثواب عظيم، وجزاء كريم، هو الجنة التي أعدَّها الله للمتقين المحسنين، وكلُّ لفظٍ ورد في القرآن بلفظ (جزاء كريم) يراد به الجنة دار النعيم، كما قال ابن عباس.

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٤

﴿نُورُهُم﴾ تتلألأ عليهم الأنوار ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ من جميع جهاتهم ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ أبشروا بجنات النعيم ﴿ٱنظُرُونَا﴾ انتظرونا لنقتبس من أنواركم ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ﴾ أي ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا هذه الأنوار، يقال لهم ذلك سخريةً واستهزاء ﴿بِسُورٍ﴾ حاجز بين الجنة والنار كما قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾، ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾ الجانب الذي فيه المؤمنون «الرحمة» وهي الجنة ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ والجانب الذي فيه الكفار النار ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أهلكتموها بالنفاق ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ انتظرتم بالمؤمنين وبالرسول حوادث الدهر ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ خدعكم الشيطان الماكر ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ مسكنكم نار جهنم ﴿مَوْلَىٰكُمْ﴾ هي عونكم وسندكم وناصركم، وهو تهكُّمٌ لاذع ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ ألم يَحِنْ ﴿ٱلْأَمَدُ﴾ الزمن ﴿فَٰسِقُونَ﴾ خارجون عن طاعة الله.. **وسبب نزول الآية**: أن المسلمين لمَّا قدموا المدينة، أصابوا من لين العيش ورفاهيته، ففتروا عن بعض الأعمال، فعاتبهم الله بهذه الآية ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ **قال ابن مسعود**: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية، إلا أربع سنين» رواه مسلم.

قوله تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ هذه الآية وردت مورد التمثيل، فهي تمثيلٌ للقلوب القاسية، تلين بذكر الرحمن وتلاوة القرآن، كما تحيا الأرضُ المجدبة بالغيث الهتّان، **قال ابن عباس**: (يعني يُحيي القلوبَ الميتة، بالعلم والحكمة، فيجعلها مخبتة منيبة) تفسير ابن كثير.

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

﴿وَتَكَاثُرٞ﴾ تفاخر بكثرة الأموال والأولاد ﴿غَيۡثٍ﴾ مطر غزير ﴿أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ﴾ المراد بالكُفّار: الزُرّاع لأنهم يدفنون الحبَّ في الأرض ﴿يَهِيجُ﴾ ييبسُ بعد خضرته ﴿حُطَٰمٗا﴾ هشيماً متكسّراً تذروه الرياح ﴿مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ يستمتع بها الغافلُ الجاهل ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ سارعوا إلى فعل الخيرات كأنكم في ميدان سباق ﴿كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي واسعة فسيحة، وهذا على التمثيل أي كعرض السموات السبع مع الأرض مجتمعة، وذَكَر العَرْضَ دون الطول، على طريقة العرب في تعظيم وتفخيم الأمر ﴿نَّبۡرَأَهَآ﴾ نوجدها ونخلقها ﴿تَأۡسَوۡاْ﴾ تحزنوا ﴿فَاتَكُمۡ﴾ من الدنيا ﴿بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ ولا يُطغيكم المال فتبطروا، فالمراد بالفَرَح: الفرحُ الذي يورثُ الأشَر والبَطَر، **قال ابن عباس**: «ليس أحد إلا يحزن ويفرح، ولكنَّ المؤمن يجعل مصيبته صبراً، وغنيمته شكراً» ﴿مُخۡتَالٖ﴾ متكبّر ﴿فَخُورٍ﴾ معجب بنفسه ينظر إلى الناس بعين الاحتقار ﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ المستغني عن الخلق ﴿ٱلۡحَمِيدُ﴾ المحمود في ذاته وصفاته، لا تنفعه الطاعةُ، ولا تضره المعصية..

قوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ جاء التعبيرُ بلفظ (المسابقة)كأنهم في ميدان سباق، يركضون نحو هدفٍ وغاية، وكأنه يقول: تسابقوا أيها الناس، وسارعوا بالأعمال الصالحة، التي توجب الرحمة والمغفرة لكم من ربكم ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾ هذا بالنسبة للآخرة، أما بالنسبة للدنيا، فلم يأمرنا تعالى بالمسابقة، وإنما بالمشي الهوينى ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦ﴾ فتدبّر بدائعَ القرآن!!

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الساطعة والمعجزات الواضحة ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ وأمرناهم بالعدل بين الناس، وقيل: هو الميزان الذي يتعامل به البشر ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالحقّ والعدل ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ خلقناه وهيأناه في الأرض ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ قوة ومنعة لأن آلات الحرب تُتَّخذ منه ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ كالسكين، والفأس، وآلات الزراعة ﴿قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم﴾ أتبعنا بعد نوح وإبراهيم برسلٍ كثيرين ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى﴾ آخر الأنبياء من بني إسرائيل ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ ورهبانيةً ابتدعها القسُسُ والرهبان، وهي رفضُ الزواج، وشهوات الدنيا ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ ما فرضناها عليهم ولكنهم أحدثوها من عند أنفسهم ﴿ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ فعلوها طلباً لرضوان الله ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ ما التزموا بموجبها ولا حافظوا عليها، وهذا ذمٌّ لهم من وجهين: الابتداع، وعدم الالتزام بها ﴿كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ﴾ يعطكم ضعفين من الثواب ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ اللام زائدة للتأكيد أي ليعلم اليهود والنصارى أن النبوة والرسالة ليست وقفاً على بني إسرائيل، فقد بعث الله خاتم الأنبياء محمداً ﷺ من العرب، عن معرفةٍ وعلم، والله أعلم حيثُ يجعل رسالته!! والآيةُ ردٌّ على أهل الكتاب (اليهود) و (النصارى) لأنهم كانوا يقولون: النُبوَّةُ، والرسالةُ فينا، لا تخرج عن بني إسرائيل، فردَّ الله عليهم ذلك الافتراء الفاضح المكشوف، وبيّن أن فضلَه ليس بيد أحد، حتى يحجبه عن خلقه، وإنما أمر النبوّة والرسالة بيد الرحمن، يجعلها فيمن يشاء من خلقه.

سورة المجادلة

ترتيبها ٥٨ — آياتها ٢٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ۚ أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

سورة المجادلة

الجزء ٢٨ الحزب ٥٥

﴿سَمِعَ اللَّهُ﴾ حقاً لقد سمع اللّهُ قول المرأة ﴿تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ تراجعك الحديث في شأن زوجها الذي ظاهر منها ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ تتضرَّع إلى الله في تفريج كربتها، وهي «خَوْلَةُ بنتُ ثَعْلبة» (جاءت إلى رسول الله ﷺ تشتكي زوجها، وتقول: يا رسول الله أكَلَ شبابي، ونَثَرْتُ له بَطْني، حتى إذا كبِرَتْ سِنّي، وانقطعَ ولدي، ظَاهَر مني - أي قال لي: أنتِ عليَّ كظهر أمي - اللهم إني أشكو إليك، فما بَرِحَتْ حتى نزل جبريل بهذه الآيات) رواه البخاري ﴿يُظَاهِرُونَ مِنكُم﴾ يحرّمون نساءهم كتحريم أمهاتهم ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ هؤلاء الزوجات لا يصبحن أمهاتٍ بهذه المظاهرة ﴿إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ ما أمهاتهم في الحقيقة إلا الوالدات اللاتي ولدنهم من بطونهن ﴿مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ﴾ قولاً شنيعاً ينكره الشرع والعقل ﴿وَزُورًا﴾ كذباً وباطلاً ﴿يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ يندمون على ما حدث منهم ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ عليهم إعتاقُ عبد مملوك لوجه الله ﴿أَن يَتَمَاسَّا﴾ قبل مجامعتهن ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ أحكامُه وشرائعه ﴿كُبِتُوا﴾ أهينوا وأُخزوا ﴿كَمَا كُبِتَ﴾ كما أُخزيَ الذين من قبلهم من أهل الشرك والنفاق.. **توضيح وبيان:** ربّى القرآنُ الأمة الإسلامية، تربيةً فريدة، وفَطَمها عن كثير من العادات المذمومة، من جملة تلك العادات الجاهلية (عادةُ الظهار) وهي أن يقول الرجل لامرأته: أنتِ عليَّ كظهر أمي - يريد تحريمها عليه كحرمة أمه - وكان هذا النوع من أعظم وجوه التحريم عندهم، لأنها تصبح أمه، وقد أبطله الإسلام، لأنه زور وبهتان.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

﴿نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾ السرُّ بين المتحدثين ﴿وَلَا أَدْنَىٰ﴾ ولا أقلَّ من الثلاثة ولا أكثر منه ﴿هُوَ مَعَهُمْ﴾ بعلمه تعالى، يعلم ما يخفون من القول، قال ابن كثير: أجمع أهل العلم على أن المراد بالمعية ﴿مَعَهُمْ﴾ معية العلم ﴿بِالْإِثْمِ﴾ بالمعصية لله ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ مخالفة أمره ﷺ ﴿بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ نزلت في اليهود كانوا إذا دخلوا على رسول الله ﷺ قالوا: السامُ عليك يا محمد، يريدون بذلك شتمه والدعاء عليه بالموت، ولا يقولون: «السلامُ» من خبثهم ونجاستهم ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ﴾ هلَّا عذَّبنا الله بهذا القول لو كان محمد نبياً صادقاً!؟ ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ تكفيهم جهنم عذاباً لهم ﴿بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ تحدثوا بما فيه خير وطاعة وإحسان ﴿تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ توسَّعوا فيها وافسحوا لإخوانكم ﴿انشُزُوا﴾ قوموا وانهضوا من المجلس.. نزلت حين قدم وفد من أهل بدر على النبي ﷺ فلم يجدوا مجلساً، فوقفوا على أرجلهم، فشقَّ ذلك على النبي ﷺ فقال: قم يا فلان، وقم يا فلان، فطعن المنافقون في ذلك، فنزلت الآية، وهي عامة لجميع المسلمين، وفي الحديث: «**لا يُقم الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكنْ تفسَّحوا وتوسَّعوا**» رواه مسلم.. هذه الآية فيها بيانٌ للأدب الرفيع، الذي ينبغي أن يتحلَّى به المؤمنون، وهو أن يعرفوا لأهلِ الصلاح فضلَهم، ولأهل العلم قدرهم، فيوقِّروا الكبير، ويرحموا الصغير، ويعرفوا مكانة أهل العلم والفضل، فقد قال ﷺ: «**ليس منَّا من لم يوقِّر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويأمر بالمعروف، وينه عن المنكر**» رواه الترمذي.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

الحزب ٥٥

﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ إذا أردتم محادثة الرسول سراً ﴿صَدَقَةً﴾ فقدموا قبل مناجاته صدقة للفقراء.. نزلت لمّا أكثر بعض المسلمين الأسئلة على رسول الله ﷺ، فأراد الله أن يخفّف عن رسوله فأمرهم بالصدقة ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ أتخافون الفقر إذا تصدّقتم؟ ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ اليهود، كان المنافقون يتودّدون لهم، ويتخذونهم أصدقاء وأولياء ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ﴾ ليسوا من المؤمنين ولا من اليهود، إنما هم فريق آخر من المنافقين ﴿عَلَى الْكَذِبِ﴾ يحلفون أنهم مسلمون وهم كاذبون ﴿جُنَّةً﴾ جعلوا أيمانهم الكاذبة وقايةً لهم ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ عذاب شديد مع الإذلال والإهانة ﴿اسْتَحْوَذَ﴾ استولى على قلوبهم حتى عشعش فيها وملَكها ﴿يُحَادُّونَ اللَّهَ﴾ يعادون الله ويخالفون أمره ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ في جملة الأذلاء المطرودين من رحمة الله ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ قضى سبحانه وحكم ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ الغلبة لدينه، ورسوله، وعباده المؤمنين، والتعبيرُ بقوله: ﴿فِي الْأَذَلِّينَ﴾ لغاية التشنيع، كأنَّ الذلَّ خيمةٌ ضُربت عليهم، وأحاطت بهم من كل جانب، فهم غارقون في الذل والهوان، لا يفارقهم أبداً، ولو قال: هم أذلاء لم يُفد هذا المعنى الدقيق..

روي أن رسول الله ﷺ كان يوماً في ظلّ حُجرة، وعنده نفرٌ من المسلمين، فقال لهم: «**إنه سيأتيكم إنسان، ينظر بعينيْ شيطان، فإذا أتاكم فلا تكلّموه**»، فجاء رجل أزرق، فدعاه رسول الله فقال له: «**علامَ تشتمني أنتَ وفلانٌ وفلانٌ**»؟ فانطلق الرجل فدعاهم، فحلفوا له واعتذروا. فأنزل الله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ..﴾ الآية رواه الحاكم وأحمد.

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ

ترتيبها ٥٩ — آياتها ٢٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ لا يتصور ولا يمكن أن يجتمع في صدر مؤمن، حبُّ الله، وحبُّ أعدائه، ولا يُصادق ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ عادى الله ورسوله وخالف أمرهما ﴿قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ مكّن في قلوبهم الإيمان، ورسّخه حتى جرى في عروقهم ﴿بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ أيدهم بنصره وعونه ﴿حِزْبُ اللَّهِ﴾ جنده المنتصرون.. نزلت في أصحاب النبي ﷺ، قتل «أبو عبيدة» أباه الجرّاح، ومصعب قتلَ أخاه «عُبيد» وحمزة وعلي قتلا عُتبة وشيبة، وهذا سرُّ عظمة الإسلام، أنه لا صداقة بين الكفر والإيمان ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بخير الدنيا والآخرة.

سورة الحشر

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ مجّده وشهد له بالوحدانية جميعُ ما في الكون ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يهود بني النضير ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ في أول مرة أجلوا عن المدينة ﴿يَحْتَسِبُوا﴾ من حيث لم يكن في حسابهم، ولم يخطر على بالهم.. **قال المفسرون:** لمَّا قدم ﷺ المدينة، صالح «بني النضير» على ألا يكونوا معه ولا عليه، فلمَّا هُزم المسلمون يوم أحد، خرج زعيمهم «كعب بن الأشرف» مع أربعين راكباً وحالفوا كفار قريش على حرب الرسول ﷺ ونقضوا العهد معه، فأجلاهم ﷺ عن المدينة المنورة، فمضى بعضُهم إلى الشام، وبعضُهم إلى خيبر، وأنزل الله فيهم قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ..﴾ الآيات، وكانوا هم أول من أخرجوا من المدينة، من كفار أهل الكتاب ﴿الْجَلَاءَ﴾ الخروج من الوطن ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل والأسر، وفي الآخرة لهم عذاب السعير.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ۚ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

﴿شَآقُّوا ٱللَّهَ﴾ عصوا أمر الله، ونقضوا عهدهم مع الرسول ﴿مِّن لِّينَةٍ﴾ شجرة نخيل مثمرة ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً﴾ باقية بدون قطع ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بأمره سبحانه وإرادته ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ يغيظهم ويذلّهم.. رُوي أن النبي ﷺ حرَّق نخيل بني النضير، فقالوا: يا محمد، إنك تنهى عن الفساد، فما بالُ قطع النخل وتحريقها؟ فنزلت الآية، رواه البخاري ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ﴾ لم تسرعوا عليه بالخيل والإبل، ولا تحملتم في تحصيل الغنائم مشقة، وإنما هي غنيمة باردة من فضل الله عليكم ﴿دُولَةًۢ﴾ لئلا يكون المال متداولاً بين الأغنياء دون الفقراء، ويستأثر به أهل الثراء ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ اتخذوا المدينة المنورة منزلاً وسكناً لهم والمراد بهم الأنصار ﴿حَاجَةً﴾ لا يجد الأنصار حَسداً ولا كراهيةً لما أُعطي المهاجرون من الغنيمة دونهم ﴿خَصَاصَةٌ﴾ حاجة وفاقة إلى المال ﴿يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ يحميه الله من البخل ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بما يشتهون.. قَسم تعالى المؤمنين إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ المهاجرون، الذين تركوا وطنهم مكة، وخرجوا طلباً لرضوان الله.

٢ ـ الأنصار، الذين آووا إخوانهم المهاجرين، وواسَوْهم بالمساكن والأموال..

٣ ـ التابعون لهم بإحسان، ولفظُ التابعين يشمل جميع من جاء بعدهم من المؤمنين، إلى قيام الساعة، فهم يحبون المهاجرين والأنصار، ويدعون لهم بالرحمة والغفران، بسبب رابطة (الأخوّة الإيمانية). فمن لم يكن محباً لإخوانه المسلمين، كان خارجاً عن هذه الأصناف الثلاثة.

وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

نصف الحزب ٥٥

﴿جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ التابعون لهم بإحسان ﴿غِلًّا﴾ بغضاً وحسداً لأحد من المؤمنين، قيل لعائشة رضي الله عنها: إن ناساً يتناولون أصحاب النبي ﷺ حتى أبا بكر وعمر. فقالت: وما تعجبون من هذا؟ انقطع عنهم العمل، فأحبَّ الله أن لا يقطع عنهم الأجر وفي رواية لها: (أمروا أن يستغفروا لأصحاب رسول الله ﷺ فسبُّوهم) رواه مسلم ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ ينهزمون ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ خوفاً وخشيةً ﴿قُرًى مُحَصَّنَةٍ﴾ بالأسوار والخنادق ﴿وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ من وراء الحيطان والجدران ﴿بَأْسُهُمْ﴾ عداوتهم في ما بينهم شديدة ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ مختلفة متنازعة ﴿وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ ذاقوا سوء عاقبة إجرامهم ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ﴾ مثل المنافقين في إغرائهم اليهود على قتال المسلمين، كمثل الشيطان في إغرائه الإنسان بالكفر ﴿بَرِيءٌ مِنْكَ﴾ فلما كفر تبرأ منه الشيطان..

حُكي أن رجلاً عابداً كان يتعبَّد بصومعة، ومرضت امرأة في البلدة، فجاء إخوتها إلى العابد ليعالجها ويُداويَها، فلمَّا خَلَا بها زيَّن له الشيطانُ مضاجعتها، فحملت منه، فلما خاف أن يفتضح أمره، قتَلَها ودفنها، ولمَّا أخذوه إلى السلطان ليقتله، جاءه الشيطان وقال له: اسجد لي سجدة وأنا أخلِّصك من القتل، فذلك قوله: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ رواه أحمد والبيهقي، والآية بيان لكل من أطاع الشيطان، وعصى الرحمن، فإن الشيطان يتخلَّى عنه ويخذله، في أشد أوقات حاجته إلى الناصر والمعين.

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ المُمْتَحَنَة

ترتيبها ٦٠ — آياتها ١٣

﴿عَٰقِبَتَهُمَآ﴾ دخول الشيطان والكافر نار الجحيم ﴿لِغَدٍ﴾ عبّر عن يوم القيامة بالغَد، لدنوّه، وقرب مجيئه، يعني ماذا قدّمت النفسُ لآخرتها من الأعمال الصالحة ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ تركوا طاعته وعبادته ﴿فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ ما ينفعها وينقذها من عذاب الله ﴿لَا يَسْتَوِىٓ﴾ لا يتساوى أصحاب الجنة وأصحاب السعير ﴿مُّتَصَدِّعًا﴾ متشققاً من عظمة الله ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ عالم السرّ والعَلَن ﴿ٱلْمَلِكُ﴾ المالك لجميع ما في الكون ﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ المنزَّه عن النقائص والقبائح ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ الذي سَلِمَ الخلقُ من عقابه وجوْره ﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ المصدِّق لرسله بإظهار المعجزات على أيديهم ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالبُ الذي لا يُغلب ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ الذي إذا أراد شيئاً فعله ﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ الذي لا تليق الكبرياء إلّا له ﴿ٱلْبَارِئُ﴾ المنشئ للأشياء بطريق الاختراع ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ المبدع للصور والأشكال ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الأسماء البديعة الدالة على محاسن المعاني ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الحكيم في صنعه وتدبيره.. ذكر تعالى من أسمائه الحسنى في هذه الآيات، خمسة عشر اسماً، هي: (اللّهُ، الرحمنُ، الرحيم، الملكُ، القدوسُ، السلامُ، المؤمنُ، المهيمنُ، العزيزُ، الجبَّارُ، المتكبّرُ، الخالقُ، البارئُ، المصوّرُ، الحكيمُ) وكلها أسماء قدسية، تدلُّ على العظمة والجلال، وختم السورة الكريمة بالتسبيح، كما بَدَأها بالتسبيح، لينبّه العبادَ على أن تنزيه الله، وإفراده بصفات الجلال والكمال، هو المقصود الأعظم من خلق هذا الوجود ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي يعرفوا ربهم الذي خلقهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾

سورة الممتحنة

﴿عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ لا تتخذوهم أصدقاء وأحباء، تودُّونهم وتأخذون بنصائحهم ﴿بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ تحبونهم وتصادقونهم ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟﴾ كفروا بالقرآن وبدينكم ﴿أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ يخرجونكم، من أجل أنكم آمنتم بالله الواحد الأحد ﴿أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ أنا العالم بسريرتكم وعلانيتكم، لا يخفى عليَّ شيء من أحوالكم ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ إن يظفروا بكم ﴿أَعْدَآءً﴾ يُظْهِرون لكم كامل العداوة ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ تمنَّوْا كفركم لتكونوا مثلهم.. نزلت في (حاطب بن أبي بَلْتعة) لمَّا أراد الرسول غَزْو مكة، أرسل «حاطب» إلى أهل مكة يخبرهم بذلك، ونزل الوحي على رسول الله يخبره بما صنع «حاطب» فبعث النبي ﷺ علياً، والزبير، والمقداد، فقال لهم: انطلقوا حتى تأتوا روضة (خاخ) - بستاناً قريباً من المدينة - فإن بها ظعينةً - امرأة مسافرة - معها كتاب فخذوه منها، فانطلقوا حتى أتوا الروضة، فإذا بها الظعينة، فقالوا لها: أخرجي الكتاب، أو لنلقينَّ عنك الثياب، فأخرجته من ضفائر رأسها، فإذا فيه (من حاطب إلى أهل مكة، يخبرهم بأن الرسول ﷺ سيغزوهم..) وانظر كامل القصة في صحيح البخاري. ﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ قدوة حسنة في إبراهيم وأتباعه ﴿بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ﴾ متبرِّئون منكم ومن الأصنام التي تعبدونها ﴿أَنَبْنَا﴾ رجعنا بالتوبة والإخلاص ﴿وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ وإليك المرجع والمعاد ﴿فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ لا تسلِّطهم علينا فيفتنونا عن ديننا فنشقى!!

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۖ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

ثلاثة أرباع الحزب ٥٥

﴿يَرْجُوا اللَّهَ﴾ يرجو ثواب الله ﴿يَتَوَلَّ﴾ يعرض عن طاعة الرحمن ﴿تَبَرُّوهُمْ﴾ تُحسنوا إليهم وتكرموهم ﴿وَتُقْسِطُوا﴾ تعاملوهم بالعدل ﴿الْمُقْسِطِينَ﴾ يحب العادلين في جميع أمورهم ﴿وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ﴾ أعانوا أعداءكم على إخراجكم من أوطانكم ﴿تَوَلَّوْهُمْ﴾ أن تتخذوهم أنصاراً وأحباباً ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ اختبروهنَّ. **قال ابن عباس**: كانت المرأة تُستحلف أنها ما هاجرت بغضاً لزوجها، ولا طمعاً في الدنيا، وإنما خرجت حباً لله ورسوله ﴿أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ بصدقهن في دعوى الإيمان ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ﴾ لا تحلُّ المؤمنة للمشرك ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ ولا يحلُّ للمؤمن نكاح المشركة ﴿بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ لا تتمسَّكوا بعقود زوجاتكم الكافرات، لأن الإسلام فرَّق بينهما ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ﴾ وإن فرَّت زوجة أحدٍ من المسلمين، ولحقت بالكفار ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ فغزوتم وغنمتم منهم ﴿مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ أعطوا أزواجهم من الغنيمة مثل ما دفع لها من المهر، وهذا من محاسن الإسلام، لئلا يجتمع على الزوج، خسرانُ زوجته، وخسرانُ مهرها الذي دفعه لها.

رُوي عن (أسماء بنتِ أبي بكر) أنها قالت: (قدمتْ أمي وهي مشركةٌ، في عهد قريش حين عاهدوا رسولَ الله ﷺ ـ تعني صلح الحديبية ـ فأتيتُ رسولَ الله ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ الله إن أمي قدمتْ وهي راغبةٌ ـ أي في العطاء ـ أفأصِلُ أمي؟ قال: نعم، صِلي أمك!! فأنزل الله ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ..﴾ الآية رواه البخاري ومسلم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ — ترتيبها ٦١ — آياتها ١٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾

﴿بِبُهْتَٰنٍ﴾ لا تنسب إلى زوجها ولداً لقيطاً وتقول: هذا ولدي منك ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ لا يخالفن أمرك في كل أمرٍ ونهي، بل يسمعن ويطعن، والمراد هنا: النياحة على الميت، ولطم الوجه ﴿فَبَايِعْهُنَّ﴾ فبايعهن وهذه البيعة خاصة بالنساء، **قالت السيدة عائشة:** (واللَّهِ ما مسَّتْ يدُ رسولِ الله ﷺ يدَ امرأةٍ قطُّ من المبايعات، كان يقول للمرأة: قد بايعتكِ كلاماً) رواه البخاري ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود، أي لا تصادقوهم وتتخذوهم أصحاباً وأحباء، والآية عامةٌ تشمل اليهودَ والنصارى، وسائرَ الكفار، لأن كل كافر عليه غضبٌ من الله ﴿أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ كما يئس الكفار من أمواتهم، أن يعودوا إلى الحياة مرة ثانية، فقد كانوا يقولون: هذا آخر العهد به، ولن نراه أبداً.

سورة الصف

﴿مَقْتًا﴾ عَظُم فعلكم بغضاً عند الله، أن تقولوا شيئاً ثم لا تفعلونه!! ﴿بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ كأنهم بناءٌ محكم، ملصَقٌ بعضُه ببعض ﴿زَاغُوٓا۟﴾ مالوا عن الهدى والحق ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ حرمهم التوفيق للخير، ومعرفة طريق الهداية ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ لا يهدي كلَّ فاسق فاجر، خارج عن طاعة الرحمن. رُوي أن المسلمين قالوا: لو علمنا أحبَّ الأعمال إلى الله لعملناه!! فلمّا نزلت آيات الجهاد في سبيل الله، كرهه بعضهم، وتباطأ بعضهم، فنزلت الآية ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾؟ رواه أحمد والترمذي.

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ﴾ أبشركم ببعثة خاتم الأنبياء ﴿ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ يُسمَّى أحمد وهو أحد أسماء نبيِّنا ﷺ، وفي الحديث: «**لي خمسة أسماء: أنا «محمد» وأنا «أحمد» وأنا «الحاشر» الذي يحشر اللَّهُ الناسَ على قدمي، وأنا «الماحي» الذي يمحو الله بي الكفرَ، وأنا «العاقب»**» رواه البخاري، ومعنى العاقب: الذي لا نبيَّ بعده ﴿يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾ ينتسب إلى دين الإسلام ﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾ يطفئوا نور الإسلام بأفواههم، وهذا تمثيل رائع، فقد مثَّل حال أعداء الإسلام بمن يحاول أن ينفخ بفمه الصغير الحقير، على الشمس الساطعة ليطمس نورها وضياءها!! وهذه بلا شك سفاهة وحماقة ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ ليعليه على سائر الأديان ﴿تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم﴾ تجارة رابحة تخلِّصكم من عذاب الله الشديد، وهي: الإيمانُ بالله، والجهادُ في سبيله ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ من ينصرني لأبلِّغ دعوة الله؟ ﴿ظَٰهِرِينَ﴾ صار المؤمنون أتباع عيسى، غالبين على أعداء الله اليهود، فكما نصر تعالى الحواريين، ينصر عباده المؤمنين. والغرضُ من ذكر قصة (موسى) و (عيسى) عليهما السلام تسليةُ النبي ﷺ عن إيذاء قومه له، فقد أوذي موسى عليه السلام من قومه حين رموه بالأُدْرة ـ انتفاخ الخصيتين ـ ومن الأذى أنهم دسُّوا امرأة تدَّعي عليه أنه زنى بها، ومن الأذى له قولهم: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ ومن أذى اليهود لعيسى عليه السلام قولهم عنه: إنه ساحرٌ، وإنه ابنُ زنى، وهمُّوا بقتله فنجَّاه الله من شرهم، ورفعه إلى السماء.. وكأن الآية تقول: اصبرْ يا خاتَمَ النبيِّين على أذى المشركين، فلستَ أولَ نبيٍّ يؤذى.

سُورَةُ الجُمُعَةِ — ترتيبها ٦٢ — آياتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

سورة الجمعة

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ يُمجِّد اللَّهَ وينزِّهه جميع ما في الكون ﴿الْقُدُّوسِ﴾ المنزَّه عن النقائص وعن الزوجة والولد ﴿الْأُمِّيِّينَ﴾ العرب، سمُّوا بذلك لعدم معرفتهم بالكتابة والقراءة ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهِّرهم من أدناس الجاهلية ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ لم يكونوا في زمانهم وسيجيئون بعدهم، وفي الحديث: «**لو كان الإيمانُ عند الثُّريَّا لناله رجال من هؤلاء!! ووضع ﷺ يده على سلمان الفارسي**» رواه البخاري ﴿حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ﴾ كُلِّفوا العملَ بما في التوراة ﴿لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يعملوا بأحكامها ﴿يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ كمثل الحمار الذي يحمل الكتب الكبيرة النافعة، ولا ينتفع بما فيها، وهو غاية في التقبيح والتشنيع عليهم ﴿هَادُوا﴾ يا معشر اليهود ﴿أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾ أحباب الله كما زعمتم ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ﴾ تمنوا من الله أن يميتكم لتدخلوا الجنة دار الكرامة، وهذا تكذيب لدعواهم ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا﴾ لا يشتهون الموت بحال من الأحوال، بسبب كفرهم وجرائمهم الشنيعة ﴿الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ قل يا محمد لهؤلاء اليهود: إن الموت الذي تهربون منه ﴿فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ فإنه آتيكم لا محالة، ولا ينفعكم الفرارُ منه، لأنه قضاء مبرمٌ، وقدرٌ محتوم ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ والآية ردٌّ على قول اليهود: نحن أبناءُ الله وأحباؤه، ولن يعذبنا!! وهذا كذب وافتراء، وفي الحديث: «**لو أنَّ اليهودَ تمنَّوا الموت لماتُوا، ورأوا مقعدهم من النَّار**» رواه البخاري.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

ترتيبها ٦٣ — آياتها ١١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٤﴾

﴿نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ أذن لصلاة الجمعة ﴿فَٱسۡعَوۡاْ﴾ امضوا للمسجد ولأداء الصلاة ﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾ اتركوا جميع الأعمال الدنيوية ﴿قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ فرغتم من صلاة الجمعة ﴿فَٱنتَشِرُواْ﴾ تفرّقوا في الأرض للتجارة وقضاء حوائجكم ﴿ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا﴾ انصرفوا من المسجد قاصدين إليها ﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا﴾ تركوك قائماً تخطب على المنبر، بعد أداء الصلاة، **ملاحظة**: كانت صلاة الجمعة قبل الخطبة كما في العيدين، ثم جعلها الرسول ﷺ بعد الخطبة بأمر اللّهِ، كما قال الحافظ ابن كثير، وإلا فمن المستحيل وغير المتصوّر أن يترك الصحابةُ رسول الله يخطب على المنبر، ويتركوا صلاة الجمعة، ويخرجوا من المسجد، لاستقبال القافلة التي فيها أنواع التجارة.

ربع الحزب ٥٦

سورة المنافقون

﴿جُنَّةٗ﴾ وقايةً يحفظون بها أنفسهم من القتل ﴿ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ آمنوا بألسنتهم، وكفروا بقلوبهم ﴿فَطُبِعَ﴾ فَخُتم على قلوبهم، فلا يصل إليها هدى ولا نور ﴿تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡ﴾ هيئاتهم وأشكالهم لضخامتها ﴿كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ﴾ يشبهون الأخشاب المنصوبة إلى الحائط، لا يفقهون ولا يفهمون، أجسام بلا أحلام ﴿كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡ﴾ يظنون كل صوت ونداء أنهم هم المقصودون ﴿يُؤۡفَكُونَ﴾ كيف يُصرفون عن الهدى إلى الضلال؟ نزلت هذه السورة في «عبد الله بن سلول» وأتباعه المنافقين، فهو الذي قال تلك الكلمة القبيحة ﴿لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ﴾.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّغَابُنِ

ترتيبها ٦٤ — آياتها ١٨

﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ هزُّوها استكباراً، وسخرية باستغفار الرسول ﴿يَصُدُّونَ﴾ يُعرضون عمّا دُعوا إليه، رُوي أن بعض الصحابة قالوا لعبد الله بن سلول: امضِ إلى رسول الله ﷺ واعتذر إليه، واسأله أن يستغفر لك، فلوى رأسه استنكاراً، ثم قال: لقد أشرتم عليَّ بالإيمان فآمنتُ، وأشرتم عليَّ بالزكاة ففعلتُ، ولم يبق إلّا أن تأمروني بالسجود لمحمد، فنزلت هذه الآيات ﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾ يتساوى الأمر عند المنافقين الاستغفارُ وعدمُه، فإنه لا ينفعهم لاستمرارهم على النفاق والكفر ﴿يَنفَضُّوا۟﴾ لا تنفقوا على المهاجرين والفقراء، حتى يتفرّقوا عن محمد ويتركوه ﴿رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾ من غزوة بني المصطلق ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ هذه مقالة الشقي «ابن سلول» عنى بالأعز نفسَه، وبالأذلّ رسولَ الله ﷺ وأصحابه، وقد أطلع الله رسوله ﷺ على ذلك وفضح أهل النفاق ﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾ لا تشغلكم أموالكم ولا أولادكم عن طاعة الله وعبادته ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ من شغلته الدنيا فهو الشقي الخاسر ﴿أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ من قبل مشاهدة أسبابه وعلاماته ﴿أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ زمن قريب أتدارك فيه نفسي.. سبب النزول: رُوي عن (زيد بن أرقم) أنه قال: (كنتُ في غزوةٍ مع عمي، فسمعتُ ابن سلول المنافق يقول ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ وسمعته يقول: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ فذكرتُ ذلك لعمي، فذكره لرسول الله ﷺ فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى ابن سلول وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فصدَّقهم رسول الله ﷺ وكذَّبني، فأصابني همٌّ شديد، فأنزل الله السورة، فقرأها عليَّ رسول الله ﷺ، وقال لي: «**إن الله قد صدّقك**» رواه البخاري.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

سورة التغابن

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ ينزهه ويمجده جميع ما في الكون ﴿خَلَقَكُمْ﴾ أوجدكم من العدم بقدرته ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ منكم من كفر بخالقه، ومنكم من آمن به، وقدَّم الكافر لأنهم أكثرُ الخلق ﴿وَصَوَّرَكُمْ﴾ خلقكم في أحسن هيئة، وأجمل شكل، فأحسن خلقكم وتصويركم ﴿نَبَؤُا﴾ خبر من قبلكم من الكفار، المكذبين لرسلهم ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ جاءتهم رسلهم بالمعجزات الواضحات ﴿وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ ذاقوا عاقبة كفرهم الوخيمة ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ أنكروا أن يكون الرسول ﷺ بشراً، ولم ينكروا أن يكون معبودهم حجراً!! ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا﴾ كفروا بالرسل، وأعرضوا عنهم ﴿وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾ عن طاعتهم وعبادتهم ﴿زَعَمَ﴾ ادَّعى الكفار وظنوا أن لن يبعثوا ﴿وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ قل لهم: أقسمُ لكم بربي سيبعثكم الله من قبوركم ﴿لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ ليوم القيامة ﴿التَّغَابُنِ﴾ يظهر فيه غبنُ الكافر ـ خسارته ـ بتركه الإيمان، وغبنُ المؤمن بتقصيره في الإحسان ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ من يُصدِّق بوجود الله ووحدانيته، ويعمل عملاً صالحاً، يمحو الله عنه ذنوبه وسيئاته ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ يدخله حدائق وبساتين، تجري من تحت قصورها أنهارُ الجنة ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقيمين في تلك الجنات على الدوام.

بدأ تعالى السورة، بالإخبار بأن كل ما في الكون، يسبِّح بحمده، ويشهد بوحدانيته، ويُمجِّده ويُقدِّسه، الأملاك تسبِّح الله في عليائها، والأفلاكُ في دورانها وجريانها، والأنهارُ في خريرها. والأطيارُ في تغريدها، والبحار في أمواجها ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ..﴾.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ — ترتيبها ٦٥ — آياتها ١٢

﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ كفروا بالمعجزات الواضحة ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ بئست النارُ مرجعاً ومستقراً للكفار ﴿مِن مُّصِيبَةٍ﴾ لا يصيب أحداً مصيبة في نفسه أو ماله ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إلا بقضاء الله وقدره ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ يوفّقه لليقين، والصبر والتسليم، **قال ابن عباس**: يعلم أن المصيبة من الله، فيسلّم لها ويرضى، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ﴿عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ يشغلونكم عن الخير، والجهاد، والهجرة ﴿فَاحْذَرُوهُمْ﴾ احذروا طاعتهم. **وسبب نزول الآيات**: أن رجالاً من مكة أسلموا، وأرادوا الهجرة، فمنعهم أزواجهم، فلم يهاجروا، فلمّا قدموا المدينة رأوا الناس قد تفقّهوا، وسبقوهم في الخير والعلم، فهمُّوا بمعاقبتهم، فنزلت الآيات ﴿فِتْنَةٌ﴾ امتحان وابتلاء ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ على قدر مستطاعكم وقدرتكم ﴿يُوقَ شُحَّ﴾ يتخلّص من البخل الشديد القبيح ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بكل خير ومحبوب.. والأمر بالتقوى بقدر الاستطاعة، هذا في المأمورات لا في المنهيَّات، لقوله ﷺ: «**إذا أمرتكم بأمر، فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه**» رواه البخاري ومسلم.

تنبيه: الإيمانُ بالقضاء والقَدَر، راحةٌ للقلب، وسلوى للنَّفس، فإذا سلَّم الإنسانُ الأمرَ لله، ورضيَ بقضائه، خفَّتْ عليه المصيبةُ، ورأى فيها بَلْسماً لما أصابه من بلاء، ولهذا كان عمر رضي الله عنه يقول: (ما أصابتني مصيبة، إلَّا وجدتُ فيها ثلاثَ نِعَم: **الأولى**: أنها لم تكن في ديني، **الثانية**: أنها لم تكن أعظم مما كانت، **الثالثة**: أن الله وعد عليها بالأجر الكبير) وتلا قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ الآيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾

سورة الطلاق

نصف الحزب ٥٦

﴿طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ أردتم تطليقهن وعزمتم عليه، خصَّ النبيَّ ﷺ بالنداء تشريفاً له وتفخيماً، والخطابُ للأمة، بدليل الجمع ﴿طَلَّقْتُمُ﴾، ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ مستقبلات لعدتهنّ وهو الطُّهْرُ، ولا تطلِّقوهن في الحيض، لأن حالة الحيض منفِّرة للزوج، تجعله يتسرَّع في طلاقها ﴿وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ اضبطوها حتى تكتمل ثلاثة أطهار، لئلا تختلط الأنساب ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ﴾ ما دُمْن في العدة، لأن العدة من حقّ الرجل، حفاظاً على نسبه ﴿بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ بمعصية كبيرة ظاهرة، وهي (الزنى) على قول ابن عباس، و(سلاطة اللسان وبذاءته) على قول أبيّ ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ شرائعه وأحكامه التي أوجبها ﴿بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربن انقضاء العدة ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ راجعوهنَّ مع إحسان المعاشرة، أو اتركوهن حتى تنقضي عدتهن، فيتزوجن بمن يشأن ﴿لَا يَحْتَسِبُ﴾ من حيث لا يخطر بباله ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ الله تعالى كافيه ﴿يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ انقطع عنهن دمُ الحيض لكبرهنَّ ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾ النساء الحوامل عدتهن تنتهي بوضع الحمل، سواءً طالت المدَّةُ أو قَصُرتْ ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ من يتَّقِ الله في تصرفاته وأعماله، يُسهِّل عليه أموره، ويوفِّقْه للخير.

سبب النزول: روى البخاري أنَّ (عبد الله بن عمر) طلَّق امرأته وهي حائضٌ، فذكر ذلك عمرُ لرسول الله ﷺ، فتغيَّظ رسول الله ﷺ ثم قال لعمر: «**مُرْهُ فلْيراجعها، ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها، فلْيطلِّقها قبل أن يمسَّها، فتلك العدةُ التي أمر الله عزّ وجل أن يُطلَّق لها النساءُ**» والأمرُ له بمراجعتها، دليلٌ على وقوع الطَّلاق على الحائض.

أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى (٦) لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا (٧) وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا (٨) فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا (٩) أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا (١٠) رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا (١١) الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما (١٢)

﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ أسكنوا المطلَّقات في منازلكم التي تسكنونها ﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ على قدر سعتكم ومقدرتكم ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ﴾ لا تضيِّقوا عليهن في النفقة، حتى تضطروهن إلى الخروج من المنزل ﴿أُولَاتِ حَمْلٍ﴾ وإن كانت المطلَّقة حاملاً ﴿يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ فأنفقوا عليها حتى تلد، ولو طالت مدة الحمل ﴿أُجُورَهُنَّ﴾ أجر الرضاعة ﴿وَأْتَمِرُوا﴾ وليأمر بعضكم بعضاً بالجميل في حقِّ الأطفال ﴿تَعَاسَرْتُمْ﴾ وإن اختلفتم فأبى الزوج أن يعطي الأمَّ الأجر، وأبت الأمُّ أن تقبل إرضاعه إلَّا بما تطلب ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ﴾ فليستأجر له مرضعة أخرى، وفيه عتابٌ للأم لطيفٌ، حيث إن الطفل ولدها، ولا ينبغي أن يضيع من أجل المال ﴿وَكَأَيِّن﴾ كثير من أهل بلدة ﴿عَتَتْ﴾ تجبَّرت وتمرَّدت على أوامر الله فأهلكناها ﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾ عذاباً شديداً منكراً يفوق التصور ﴿خُسْرًا﴾ كانت نهايتها الخسران والدمار، والآية تحمل في طيَّاتها الوعيد والتهديد، لكل من عصى وانتهك محارم الله!! **تذكير وتبصير**: تكرَّر في هذه السورة، ذكرُ التقوى ثلاث مرات ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ ذلك لأن الأمر جدٌّ خطير، حيثُ في الطلاق هدمُ (عُشِّ الزوجية) وقد يكون هناك عُدوانٌ من الرجل على المرأة، فينسب إليها كلَّ قبيح، لينفِّرَ الخُطَّاب عنها، فلذلك تكرر الأمر بتقوى الله، ولم ينسَ النبيُّ ﷺ وهو على فراش الموت، أن يوصي بالنساء، حيث قال وهو يودِّع الدنيا: «إن أمركنَّ يهمُّني بعدي، ولن يصبرَ عليكنَّ إلا الصابرون» رواه الترمذي.

ترتيبها ٦٦ — سُورَةُ التَّحْرِيمِ — آياتها ١٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

سورة التحريم

ثلاثة أرباع الحزب ٥٦

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ الخطاب بلفظ النبوة مشعر بالتفخيم والتعظيم ﴿لِمَ تُحَرِّمُ﴾ لماذا تمنع نفسك ممّا أحلّ الله لك من النساء؟ تطلب رضاء أزواجك بذلك!؟ عاتبه على التضييق على نفسه ﴿تَحِلَّةَ﴾ شرع لكم ما تتحلّلون به من اليمين، وذلك بالكفارة.. استأذنت «حفصة» الرسول ﷺ بزيارة أبويها، فأذن لها، فلما خرجت دعا جاريته المملوكة «مارية» فعاشرها في بيت حفصة، ولمَّا رجعت وأبصرتها في بيتها مع النبي ﷺ غارتْ غيْرةً شديدة. فقالت: ما أراكَ فعلت هذا إلا لهواني عليك، فقال لها ﷺ: «**إني حرَّمتها على نفسي، وأبشِّرك أن أباك عمر، وأبا بكر سيكونان خليفتين من بعدي، ولا تخبري بذلك أحداً!!**» وما إن خرج رسول الله ﷺ حتى طرقت حفصةُ الباب على عائشة فأخبرتها الخبر. رواه الدارقطني ﴿أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ﴾ أي أخبرها خبراً بالسرّ، وطلب كتمه ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ﴾ أطلع الله نبيّه على ذلك ﴿مَنْ أَنۢبَأَكَ﴾ من حدَّثك بهذا الأمر؟ قال: أخبرني بذلك ربي ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ مالت عن الحقّ ﴿تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ تتعاونا على ما يؤذي النبي ﷺ ﴿ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ هو وليه وناصره، ومعه الملائكة الأطهار، وأصحابه الأبرار ﴿ظَهِيرٌ﴾ معين.

بدأت السورة الكريمة، بعتابٍ شفيفٍ لطيف، للرسول الكريم ﷺ على حرمان نفسه، من شيء أباحه الله له، وهذا العتاب يكشف لنا عن مقدار كرامة النبي ﷺ على ربه، ومكانته الرفيعة لديه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ..﴾ ناداه بوصف النبوة تكريماً وتشريفاً له، ليعلِّمنا الأدب في مقام خاتم الأنبياء ﷺ.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

﴿تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ توبة صادقة صافية، بترك الذنب، والندم على فعله ﴿لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ﴾ لا يذلُّ اللَّهُ النبيّ بل يعزُّه ويكرمه ﴿يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ نور المؤمنين يضيء لهم الطريق من جميع الجهات ﴿أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾ أدم علينا هذا النور ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾ جاهد الكفار بالسيف، والمنافقين بالحجة ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ شدِّد عليهم الكلام ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ﴾ مسكنهم ومستقرهم نار الجحيم ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا﴾ للكفرة في عدم انتفاعهم بالقرابة والنسب، بامرأة نوح، وامرأة لوط ﴿كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ﴾ في عصمتي نبيَّيْن عظيمين: هما (نوح) و(لوط) ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ بالكفر وعدم الإيمان، **قال ابن عباس**: ما بغت ـ أي زنت ـ امرأة نبي قط، إنما كانت خيانتهما بالكفر وعدم الإيمان ﴿فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا﴾ فلم تنفعهما صلة القرابة والزوجية ﴿مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مثّل له بامرأة فرعون، حيث كان زوجها فرعون من أكفر الكافرين ﴿أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا﴾ عفَّت مريم عن الفواحش، فكانت طاهرة شريفة عفيفة ﴿مِن رُّوحِنَا﴾ حملت بعيسى بنفخة جبريل بلا واسطة أب ﴿ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾ العابدين المطيعين لله سبحانه.

تنبيه: ضرب الله تعالى مثلين: **المثل الأول**: للزوجة الكافرة، في حمى التوحيد، وعرين الإيمان، لا ينفعها إيمانُ زوجها، ولو كان نبياً مكرّماً، مثّل لذلك بامرأة (نوح) وامرأة (لوط) كانتا في عصمة نبيَّيْن كريمين، **والمثل الثاني**: للإيمان في عرين الكفر، لا يتضرر بكفر من فيه، حتى ولو كان صاحبه أفجر الفجار، وأطغى الطغاة، ومثّل له بـ (آسية امرأة فرعون)!!

سُورَةُ المُلْكِ

مرتبتها ٦٧ — آياتها ٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

سورة الملك

الجزء ٢٩ — الحزب ٥٧

﴿تَبَٰرَكَ﴾ تقدّس وتمجّد الله العلي الكبير ﴿ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ له الأمر، والنهي، والسلطان، يعزُّ من يشاء ويذلُّ من يشاء ﴿ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ أوجد الموت والحياة وقدّرهما أزلاً، وقدّم ذكر الموت لأنه أهيبُ وأفزع ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ويمتحنكم، فيظهر المحسن والمسيء ﴿طِبَاقًا﴾ متطابقة متناسقة بعضها فوق بعض، كلُّ سماء كالقُبّة للأخرى ﴿تَفَٰوُتٍ﴾ تناقض وعدم تناسب ﴿فُطُورٍ﴾ شقوق وصدوع ﴿كَرَّتَيْنِ﴾ مرتين، مرّة بعد أخرى ﴿خَاسِئًا﴾ ذليلاً مهيناً ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ كليلٌ متعب من النظر ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ هيأنا وأعددنا ﴿لَهَا شَهِيقًا﴾ صوتاً منكراً فظيعاً كصوت الحمير ﴿تَفُورُ﴾ تغلي كما يغلي القِدْرُ من شدة اللّهب ﴿تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ تتقطع وينفصل بعضها عن بعض ﴿فَوْجٌ﴾ جماعة من الكفار الفجار ﴿خَزَنَتُهَآ﴾ الزبانية الموكَّلون بجهنم ﴿فَسُحْقًا﴾ هلاكاً ودماراً وبُعداً لهم من رحمة الله ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ يخافون ربهم ويخشون عذابه ولم يروه.

تنبيه: في هذه الدنيا يسخر الكفارُ من المؤمنين، ويعتقدون أنهم هم العقلاء، ولكنهم في الآخرة يقرُّون على أنفسهم، بأنهم كانوا في الدنيا مجانين ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ * فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ﴾ يا ويح هؤلاء المساكين، لقد كانت لهم عقولٌ، ولكنهم لم يستفيدوا منها، وكانت لهم أسماع، ولكنهم لم ينتفعوا بها، وكانوا في الدنيا يسخرون من الرسل والمؤمنين، ويتهمونهم بالسَّفه والجنون، وها هم اليوم يشهدون على أنفسهم بالحماقة والجنون، فما أشدَّ حسرتهم وندامتهم!!

وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًاۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ﴾ أخفوا كلامكم أو أعلنوه، فإن الله لا تخفى عليه خافية ﴿بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ عالم بما في القلوب ﴿ذَلُولًا﴾ سهلة ليّنة تستقرُّون عليها ﴿مَنَاكِبِهَا﴾ سيروا في طرقها وأطرافها وجوانبها ﴿ٱلنُّشُورُ﴾ المرجع بعد الموت ﴿يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ يغيّبكم فيها كما خسفها بقارون ﴿تَمُورُ﴾ تضطرب وتهتز هزًّا عنيفاً، بعد أن كانت هادئة ساكنة ﴿حَاصِبًا﴾ حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط ﴿نَكِيرِ﴾ كيف كانت عقوبتي للمكذبين؟ ألم تكن في غاية الهول والفظاعة؟ ﴿صَٰٓفَّٰتٍ﴾ باسطات أجنحتهن عند طيرانها ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ ويضممنها ولا يسقطن ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ ما يمسكهن عن السقوط إلا ربُّ العزة والجلال ﴿غُرُورٍ﴾ في أوهام وظنون ﴿لَّجُّواْ﴾ تمادوا في الضلال والطغيان ﴿مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ منكّساً رأسه لا يرى ما أمامه، وهذا تمثيل للمؤمن والكافر، فالمؤمن يمشي بنورٍ سويًا على صراط مستقيم، والكافر يمشي، مكباً على وجهه إلى طريق الجحيم ﴿ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم وكثّركم بطريق التناسل.. **وقوله تعالى**: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ يعني جعلها مسخّرة ميسّرة لكم، كالدابة المذلّلة للركوب، ولكنْ ماذا يصنع البشر، لو تحركت وانقلبت إلى (دابّة جَمُوح) فاشتدت بها الزلازلُ، وثارت فيها البراكينُ، واضطربت بمن فيها اضطراباً مخيفاً!! إن الله يذكّرنا ويخوّفنا بهذه الزلازل والبراكين، التي تحدث بين حين وآخر، من غضبه وانتقامه، وما هي إلّا دقائق بل ثوانٍ، يتحطم فيها ما بناه البشر في مئات السنين!!

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ القَلَمِ

ترتيبها ٦٨ — آياتها ٥٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

﴿زُلْفَةً﴾ لمّا رأوا العذاب قريباً منهم ﴿سِيٓـَٔتْ﴾ علت على وجوههم الذلة والكآبة، كالذي يُساق إلى القتل، يغشاه الحزنُ والغمُّ ﴿تَدَّعُونَ﴾ هذا الذي كنتم تطلبونه وتستعجلونه من العذاب سخرية واستهزاء ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ ﴿فَمَن يُجِيرُ﴾ من يحميهم وينقذهم من عذاب الله الأليم؟ ﴿أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ إذا صار الماء غائراً في الأرض، بحيث لا يخرج منها ﴿بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ﴾ من الذي يخرجه لكم، حتى يكون جارياً على وجه الأرض؟ تُليت هذه الآية عند بعض المتجبّرين، فقال مستهزئاً: تأتي به الفؤوسُ والمعاولُ، فنام تلك الليلة، فذهب ماءُ عينيه وعَمِيَ، ذكره السيوطي.

ربع الحزب ٥٧

سورة القلم

﴿مَمْنُونٍ﴾ دائم غير مقطوع ﴿ٱلْمَفْتُونُ﴾ أيكم المجنون؟ هل أنت يا خاتم المرسلين، أم أعداؤك الكفرة المجرمون؟ ﴿لَوْ تُدْهِنُ﴾ لو تلين معهم، وتسايرهم على ضلالهم، فيلينون لك ﴿مَّهِينٍ﴾ حقير فاجر ﴿هَمَّازٍ﴾ مغتاب للناس ﴿مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ يمشي بالنميمة ليوقع بينهم الفتنة ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير المعاصي والإجرام ﴿عُتُلٍّۭ﴾ غليظ القلب والطبع ﴿زَنِيمٍ﴾ ملصق بقومه وليس منهم، يعني أنه ابن زنى، وهذه أشنع وأقبح معايبه، نزلت في (الوليد بن المغيرة) كان دعيًّا في قريش، ادَّعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة، **قال ابن عباس**: (لا نعلم أحداً وَصَفه تعالى بهذه العيوب غير هذا، فألحق به عاراً لا يفارقه أبداً.!) عن التفسير الواضح الميسّر للصابوني.

سُورَةُ القَلَمِ — الجزء التاسع والعشرون

سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيۡهَا طَآئِفٞ مِّن رَّبِّكَ وَهُمۡ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغۡدُواْ عَلَىٰ حَرۡثِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوۡاْ عَلَىٰ حَرۡدٖ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾ سنجعل له علامة على أنفه، تبقى ملازمة له مدى الدهر، شبّه الأنف بالخرطوم تقبيحاً له وتشنيعاً ﴿بَلَوۡنَٰهُمۡ﴾ اختبرنا أهل مكة بالقحط والجوع ﴿أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ أصحاب الحديقة باليمن ﴿لَيَصۡرِمُنَّهَا﴾ حين أقسموا أن يقطفوا ثمارها وقت الصباح ﴿وَلَا يَسۡتَثۡنُونَ﴾ حقّ المساكين، كما كان يفعل أبوهم ﴿طَآئِفٞ﴾ جاءتها نار في الليل فأحرقت الثّمر والشجر ﴿فَأَصۡبَحَتۡ كَٱلصَّرِيمِ﴾ أصبحت هشيماً كالزرع المحصود ﴿حَرۡثِكُمۡ﴾ اذهبوا مبكّرين إلى ثمار حديقتكم ﴿صَٰرِمِينَ﴾ تريدون قطف الثمار، قبل مجيء الفقراء.. وخلاصة القصة أنه كان لرجل طيّب بستان في اليمن، فيه أنواع النخيل والزروع والثمار، فكان يكرم الفقراء، ويعطيهم نصيباً وافراً من ثمر البستان، فلما مات قال أبناؤه: إن أبانا كان أحمق، يُضيّع غلة البستان، وعزموا على حرمان المساكين، فأرسل الله ناراً أتلفت لهم الزروع والثمار ﴿عَلَىٰ حَرۡدٖ﴾ على عزم وقصد لمنع حقوق الفقراء ﴿يَتَلَٰوَمُونَ﴾ يلوم بعضهم بعضاً ﴿زَعِيمٌ﴾ ضامن وكفيل ﴿يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ عن أهوال وشدائد القيامة، هكذا قال ابن عباس رضي الله عنه، حبرُ الأمةِ، وترجمانُ القرآن، ففيها استعارةٌ بديعة، وإلى هذا القول ذهب أعلامُ المفسّرين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ ذكر الله هذه القصة، لتكون عِظَةً وعبرة، لمن جحد نعمة الله، وبخل وضنّ بإنفاق المال، قال ابن كثير: وهذا مثَلٌ ضربه الله لكفار مكة، حيث أرسل إليهم الرحمة العظيمة، بعثة خير البشر، فقابلوه بالاستهزاء والتكذيب، وهم كفار قريش.

خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الحَاقَّةِ

ترتيبها ٦٩ — آياتها ٥٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ﴿٧﴾ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ﴿٨﴾

﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ ذليلة منكسرة متواضعة ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞ﴾ تغشاهم ذلة ومهانة ﴿وَهُمۡ سَٰلِمُونَ﴾ وهم أصحاء معافون فيمتنعون ويتكبرون ﴿فَذَرۡنِي﴾ دعني وهؤلاء المكذبين ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ نأخذهم بالعذاب على غفلة، درجة درجة ﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡ﴾ أؤخرهم وأمهلهم ليزدادوا فجوراً وضلالاً ﴿كَيۡدِي مَتِينٌ﴾ انتقامي قويٌّ شديد ﴿مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ﴾ هل تطلب منهم المال، فهم معرضون عن الإيمان، بسبب ذلك التكليف الثقيل؟ ﴿كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ لا تكن في العجلة كيونس بن متى ﴿مَكۡظُومٞ﴾ مملوء غيظاً وغماً ﴿لَيُزۡلِقُونَكَ﴾ يصرعونك ويسقطونك بأبصارهم، والآية دليل على أن العين حقٌّ، وفي الحديث: «**لو كان شيءٌ يسبق القَدَر لسبقته العينُ**» رواه الترمذي ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ﴾ ويقولون من شدة بغضهم وحسدهم لك: إن محمداً مجنون ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ وما هذا القرآن المعجز، المنزل عليك يا خاتم النبيين، إلا موعظة وتذكرة لجميع الخلق، من الإنس والجن.

نصف الحزب ٥٧

سورة الحاقة

﴿ٱلۡحَآقَّةُ﴾ القيامة، سميت حاقة لأنها أمر مقطوع بمجيئه ووقوعه ﴿صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ﴾ شديدة الصوت والبرد ﴿حُسُومٗا﴾ ثمانية أيام متلاحقة متتابعة ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٍ﴾ كأنهم أصول نخيل متآكلة الأجواف، ساقطة على الأرض ﴿بَاقِيَةٖ﴾ هل ترى لهم أثراً؟ أو أحداً من بقاياهم؟ لقد بادوا وهلكوا، وأصبحوا أثراً بعد عين.

وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾

﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ ﴾ الأمم الذين انقلبت بهم ديارهم وجعل الله عاليها سافلها ﴿ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴾ بالذنب العظيم الجسيم وهو الكفر ﴿ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ زائدة في الشدة، لأن جرائمهم زادت في القبح والشناعة ﴿ طَغَا ٱلْمَآءُ ﴾ تجاوز حدَّه في الارتفاع والعلو ﴿ ٱلْجَارِيَةِ ﴾ سفينة نوح ﴿ وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴾ تحفظها وتستوعبها أذن تنتفع بما تسمع ﴿ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾ نفخة الصعق ﴿ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴾ ضُربت ضربة واحدة حتى صارت كالهباء المنثور ﴿ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾ قامت القيامة الكبرى ﴿ وَاهِيَةٌ ﴾ ضعيفة مسترخية ﴿ أَرْجَآئِهَا ﴾ على جوانبها وأطرافها ﴿ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ ثمانية صفوف من الملائكة، لا يعلم عددهم إلا الله ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ ﴾ للحساب والجزاء ﴿ خَافِيَةٌ ﴾ لا يخفى على الله أحد منكم ﴿ هَآؤُمُ ﴾ خذوا اقرءوا كتابي ﴿ ظَنَنتُ ﴾ أيقنتُ وتحقَّقتُ ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ ثمارها قريبة التناول، يتناولها القائم، والقاعد، والمضطجع ﴿ ٱلْقَاضِيَةَ ﴾ ليت الموتة التي متُّها كانت النهاية والقاطعة لحياتي ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴾ خذوا هذا المجرم فشدُّوه بالأغلال والسلاسل ﴿ صَلُّوهُ ﴾ احرقوه بنار الجحيم ليذوق حرها ﴿ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا ﴾ أدخلوه في سلسلة حديدية، طولُها سبعون ذراعاً بذراع المَلَك، قاله ابن عباس ﴿ فَٱسْلُكُوهُ ﴾ لُفُّوه بها وأدخلوه في نار الجحيم ﴿ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ لأنه كان كافراً فاجراً، لا يؤمن بالله العظيم ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ ولا يحثُّ غيره على إطعام الضعيف المسكين، وهذا غايةُ الذمِّ والوصفِ له بالبخل، فإذا كان لا يحثُّ غيرَه على الإطعام، فكيف يُنفِقُ هو ويبذلُ مالَه!؟

فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

ترتيبها ٧٠ — آياتها ٤٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾

﴿حَمِيمٌ﴾ صديق يدفع عنه العذاب ﴿غِسْلِينٍ﴾ صديد أهل النار، الذي يسيل منهم ﴿الْخَاطِئُونَ﴾ لا يأكل هذا الطعام الشنيع، إلا الآثمون المغرقون في الإجرام ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ هذا القرآن كلامُ الرحمن، يقرأه رسولٌ كريمٌ ليس كلام شاعر ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ يدَّعي معرفة الغيوب ﴿الْأَقَاوِيلِ﴾ الأقوال المكذوبة ﴿بِالْيَمِينِ﴾ لانتقمنا منه بقوتنا وقدرتنا ﴿الْوَتِينَ﴾ قطعنا عروق قلبه ﴿حَاجِزِينَ﴾ لا يستطيع أحد أن يدفع عنه عذابنا فكيف يُتصوَّرُ أن يكذب علينا!؟ ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ إن هذا القرآن لعظة وتذكرة لأهل الإيمان والتقوى.

سورة المعارج

﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ دعا طاغية من طغاة مكة﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ بعذاب عاجل يقع عليه وعلى قومه، بقوله: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾والآية تسلية للرسول ﷺ، عن استعجال المشركين للعذاب، لأنهم كانوا يطلبونه على وجه السخرية والاستهزاء، ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ لا يستطيع أن يدفعه أحد ﴿الْمَعَارِجِ﴾ صاحب المصاعد التي تصعد بها الملائكة ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ هو يوم القيامة طوله خمسون ألف سنة، ولهذا جاء الخبر عن القيامة قاطعاً جازماً، وأمّا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ فالمراد به (اليوم الإلٰهي) ولهذا جاء بكاف التشبيه، أي إن اليوم عند الله طويل، ليس مثل اليوم عند البشر، فلا تعارض بين الآيتين. ﴿كَالْمُهْلِ﴾ سائلة غير متماسكة كالرصاص المذاب ﴿كَالْعِهْنِ﴾ كالصوف المصبوغ ألواناً. متناثرة في الهواء.

يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

(ثلاثة أرباع الحزب ٥٧)

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ يبصرُ بعضُهم بعضاً، فيفرُّ منهم ولا يكلمهم ﴿يَفْتَدِي﴾ يتمنّى المجرمُ أن يفتدي من عذاب الله، بأعزِّ من كان عليه في الدنيا، ولكنْ هيهات ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته الأقربين الذين كانوا ينصرونه ويحمونه ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ ليرتدعْ هذا الفاجرُ الأثيمُ عن هذه الأماني الفارغة فأمامه نارُ جهنم، تتلظّى وتلتهب ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ﴾ تنزع جلدة الرأس من شدة حرِّها ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ﴾ تنادي جهنم من أعرض عن الإيمان، وكفر بالرحمن ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ جمع المال وكنَزه في الخزائن، فلم ينفق منه ﴿هَلُوعًا﴾ كثير الجزع والضجر ﴿جَزُوعًا﴾ إذا أصابه الفقرُ لم يصبر ﴿مَنُوعًا﴾ وإن أصابه الغنى لم يشكر ﴿لِلسَّائِلِ﴾ الفقير الذي يسأل الناس ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ المتعفف عن السؤال ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خائفون من عظمته جلَّ وعلا مع طاعتهم له ﴿مَلُومِينَ﴾ غير مؤاخذين ﴿الْعَادُونَ﴾ المجاوزون الحدَّ في الظلم والعصيان ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين نحوك ﴿عِزِينَ﴾ جماعات، جماعات، جمع عِزَة وهي الجماعة المتفرّقة ﴿يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ هل يطمع كلُّ واحد من الأشقياء، أن يُدخله الله جنة الخلد والنعيم؟ ﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ إنهم أذلُّ وأحقر من أن يدخلوا جنة الخلد، وهم يعلمون أنهم خُلقوا من الماء المهين، الذي تستقذره النفسُ. والتعبيرُ المبدعُ الرائع في الآية، يجعلهم يُطأطئون الرؤوسَ، خجلاً وحياءً، ويُعرِّفهم بقدرهم عند الله، لقد أراهم الله حقيقة أنفسهم، دون لفظة نابية، فلم يقل: خلقناهم من نَجَسٍ أو قذر، وإنما قال: ﴿مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ لكسر غطرستِهم وكبريائهم.

فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ

ترتيبها ٧١ — آياتها ٢٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ﴿٥﴾ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ﴿٩﴾ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ أقسم لكم، و«لا» زائدة للتأكيد ﴿بِمَسۡبُوقِينَ﴾ لسنا بعاجزين عن ذلك ﴿ٱلۡأَجۡدَاثِ﴾ القبور ﴿سِرَاعٗا﴾ مسرعين نحو الداعي ﴿نُصُبٖ يُوفِضُونَ﴾ كأنهم يستبقون إلى أصنامهم التي نصبوها للعبادة، وفي الآية سخرية وتهكم وتعريض بسخافة عقولهم ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ﴾ يلحقهم الذل والهوان من كل مكان ﴿كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ هذا يومهم الذي وُعدوا به في الدنيا، واليوم يرون عقابهم وجزاءهم.

* * *

سورة نوح

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا﴾ أرسلنا شيخ الأنبياء نوحاً إلى أهل جزيرة العرب ﴿نَذِيرٞ﴾ منذر لكم من عقاب الله ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾ خافوا عقابه، وأطيعوا أمري بترك عبادة الأوثان ﴿أَجَلَ ٱللَّهِ﴾ وقت مجيء عذابه لا يؤخَّر إن لم تؤمنوا ﴿لَيۡلٗا وَنَهَارٗا﴾ دعوتهم للإيمان في الليل والنهار، والسرّ والإعلان ﴿فِرَارٗا﴾ لم يزدهم دعائي إلّا هرباً، وشروداً عن الحق ﴿أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾ سدُّوا آذانهم لئلا يسمعوا نصحي ﴿وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ﴾ غطوا بها وجوههم لئلا يروني ﴿وَأَصَرُّواْ﴾ استمروا على الكفر والعصيان ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا﴾ استكبروا عن قبول الحق استكباراً شديداً ﴿دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا﴾ دعوتُهم علناً على رؤوس الأشهاد، مجاهراً بدعوتي دون خوفٍ ولا ملَل ﴿وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾ ودعوتُهم سرًّا، وسلكت معهم كل طريق، في الدعوة إلى الله، تارةً سِرًّا، وأخرى علناً، وبذلتُ كلَّ جهدي معهم، فلم ينفعهم كلُّ ذلك.

يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

﴿مِّدْرَارًا﴾ غزيراً متتابعاً ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ﴾ حدائق فسيحة ذات أشجار تجري خلالها الأنهار ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ ما لكم لا تخافون عظمة الله وسلطانه؟ ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ خلقكم في أدوار وأطوار مختلفة: نطفة، علقة، مضغة، إلى تمام الخلق؟ ﴿طِبَاقًا﴾ سماء فوق سماء، كل سماء كالقبة للأخرى ﴿نُورًا﴾ جعل القمر منيراً لوجه الأرض في ظلمة الليل ﴿سِرَاجًا﴾ وجعل الشمس كالمصباح الوهّاج، يضيء لأهل الأرض، وعبّر عن القمر بالنور، لأنه مكتسب من نور الشمس ﴿نَبَاتًا﴾ أنشأكم إنشاء، كما يخرج النبات من الأرض ﴿بِسَاطًا﴾ فسيحة ممتدة كالبساط، تستقرون على ظهرها ﴿سُبُلًا فِجَاجًا﴾ طرقاً واسعة تتنقلون في أرجائها ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾ مكراً عظيماً متناهياً في الشناعة ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ لا تتركوا عبادة آلهتكم ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ بسبب جرائمهم المتتالية أغرقوا بالطوفان، و(ما) في ﴿مِّمَّا﴾ مزيدة للتأكيد ﴿دَيَّارًا﴾ لا تترك أحداً من الكافرين ﴿تَبَارًۢا﴾ هلاكاً ودماراً، وقد استجاب الله دعاءه، فأهلكهم وأغرقهم بالطوفان ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَـٰلِمُونَ﴾ وقد ختم نوح عليه السلام كلامه بالدعاء، فدعا لنفسه أولاً، ثم لأبويه ثانياً، ثم عمّم الدعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات، من عصره إلى قيام الساعة، فشمل بهذا الدعاء الخاشع، جميع المسلمين إلى يوم الدين، ولم ينس أمة محمد ﷺ من دعائه الصالح، فجزاه الله عنّا خير الجزاء.!

* * *

سُورَةُ الجِنِّ — ترتيبها ٧٢ — آياتها ٢٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

سورة الجن

الحزب ٥٨

﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ قل يا محمد: إن ربي أوحى لي ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ جماعة من الجنّ استمعوا لقراءتي، فآمنوا بدين الإسلام ﴿قُرْآنًا عَجَبًا﴾ عجيباً مؤثراً في فصاحته وبلاغته، وحسن نظمه ﴿الرُّشْدِ﴾ يهدي إلى الحقّ والرشاد ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾ صدَّقنا أنه كلام رب العزة والجلال ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ تقدّست عظمة ربنا وجلاله ﴿صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ لم يتخذ زوجة ولا ولداً، لأنه لا مثيل له ولا نظير ﴿سَفِيهُنَا﴾ إبليس اللعين وأنصاره ﴿يَعُوذُونَ﴾ يستجيرون برجال من الجن ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ زاد الإنسُ الجنَّ سفهاً وطغياناً، كان الرجل إذا نزل بوادٍ قال: أعوذ - أي أحتمي - بسيِّد هذا الوادي من سفهاء قومه، فزاد البشر الجنَّ عُتوًّا وتكبراً ﴿حَرَسًا شَدِيدًا﴾ حُرّاساً من الملائكة أقوياء أشداء ﴿شِهَابًا رَّصَدًا﴾ شعلةً من النار، تحرق من يريد الاقتراب من السماء ﴿طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ فِرقاً شتّى، ذوي أهواء متباينة، منّا الصالح، ومنّا الطالح ﴿بَخْسًا﴾ نقصاً من ثوابه ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ زيادة في سيئاته.

توضيح: الجنُّ خلقٌ من مخلوقات الله، وهم كالإنس مكلّفون بالتكاليف الشرعية، فيهم المؤمن والكافر، والبرُّ والفاجر، وأجسامُهم لطيفة، قادرون على التشكل، بأي صورةٍ شاءوا، بصورة حيوانٍ أو ثعبانٍ أو غير ذلك، ومن عجيب أمرهم أنهم يبصرون البشر، ونحن لا نراهم، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ حتى يتحقّق منّا (الإيمان بالغيب).!

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

﴿ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ الجائرون الظالمون ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ اعتنق الإسلام ﴿تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ سلك طريق السعادة والنجاة ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ أمّا الجائرون عن طريق الحق والإيمان، فسيكونون وقوداً لجهنم، توقد بهم ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾، ﴿مَّآءً غَدَقًا﴾ لو آمنوا لوسّعنا عليهم في الدنيا، والماءُ الغَدَقُ: الكثيرُ الواسعُ ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنختبرهم في ما رزقناهم ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ يدخله به عذاباً شديداً شاقاً، لا راحة له فيه ﴿عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ لمّا قام محمد يعبد ربه ﴿لِبَدًا﴾ كاد الجنُّ يركب بعضهم بعضاً، من شدة الزحام ﴿يُجِيرَنِى﴾ لن ينقذني من عذاب الله أحد ﴿مُلْتَحَدًا﴾ ملجأً ونصيراً ﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾ لا أجد لي ملجأ إلّا إذا بلّغتُ رسالة ربي ﴿نَاصِرًا﴾ من أضعف جُنداً ينتصر به؟ ﴿وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ ومن هو أقل عدداً؟ هل هم المؤمنون أم الكافرون؟ ﴿أَمَدًا﴾ زمناً بعيداً لنزول العذاب، لا أدري وقت ذلك؟ هل هو قريب أم بعيد؟ ﴿رَصَدًا﴾ يرسل له ملائكة وحرساً، يحرسونه من شياطين الإنس والجن ﴿أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ بلّغوا وحيه إلى خلقه.

سبب النزول: عن ابن عباس قال: (انطلق رسولُ الله ﷺ في طائفةٍ من أصحابه، إلى سوق (عكاظ) وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء، وتوجهوا نحو تهامة ـ مكة ـ فرأوا رسول الله ﷺ يصلّي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن، قالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، وأنزل الله على نبيه ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ..﴾) رواه البخاري.

سُورَةُ المُزَّمِّلِ

ترتيبها ٧٣ — آياتها ٢٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

سورة المزمل

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ يا أيها المتلفّف بثيابه، الذي يريد الهدوء والراحة، وفي هذا تأنيس له وملاطفة، على عادة العرب فيمن يريدون مؤانسته ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ قم للصلاة في الليل، لتستعدَّ للأمر الجليل ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ اقرأه بإمعانٍ وتثبُّت وتمهُّل، ليكون عوناً لك على تدبر معانيه ﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ سننزل عليك كلاماً عظيماً جليلاً، له روعة وجلال ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ﴾ ساعات الليل وأوقاته ﴿أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾ أثقلُ على المصلّي لأن الليل للراحة ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ وأبينُ وأظهر قولاً، لأن في الليل تهدأ الأصوات، فتكون النفس أصفى لتدبر آيات القرآن ﴿سَبْحًا طَوِيلًا﴾ ولك في النهار تصرُّفٌ واسع لمهامِّك، فاجعل الليل لربك ﴿وَتَبَتَّلْ﴾ انقطع إلى عبادته تعالى ﴿هَجْرًا جَمِيلًا﴾ لا تتعرَّضْ لهم بأذى ولا شتيمة ﴿أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾ أصحاب الغنى والثراء ﴿أَنكَالًا وَجَحِيمًا﴾ لهم في الآخرة قيودٌ شديدة وثقيلة، ونار ملتهبة مستعرة ﴿ذَا غُصَّةٍ﴾ طعاماً كريهاً لا تستسيغه النفس، يغصُّ به الإنسان ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ تصبح الجبال تلًّا من الرمل متناثراً ﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أهلكنا فرعون إهلاكاً شديداً فظيعاً ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾؟ هذا تهديد لمشركي قريش، أي كيف تنجون من عذاب يوم شديدٍ هائل، إن كفرتم بالله؟ ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ يوم يشيب فيه الوليد، من شدة كربه وهوْله!! يوم يأمر الله آدم، فيقول له: «**أخرجْ بعث النار من ذريتك، فيقول يا رب: وما بعثُ النار؟ فيقول: من كل ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعون**» رواه مسلم، إنه يوم عصيب، شديد الهوْلِ والكرْب. !

۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ المُدَّثِّرِ

ترتيبها ٧٤ — آياتها ٥٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾

ربع الحزب ٥٨

﴿أَدْنَىٰ﴾ تقوم للتهجد أقل من ثلثي الليل ﴿وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ وأحياناً تقوم نصفه، وأحياناً ثلثه ﴿يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ والله وحده يعلم مقادير الليل والنهار التي تقومونها ﴿تُحْصُوهُ﴾ علم سبحانه أنكم لا تطيقون قيام الليل كله ﴿مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ فصلُّوا ما تيسَّر لكم من صلاة الليل، واقرءوا فيها ما تيسَّر من القرآن، **قال ابن عباس**: كان قيام الليل واجباً على الرسول ﷺ وعلى أصحابه، ثم سقط عن أصحاب رسول الله ﷺ، وبقي ذلك فرضاً على رسول الله ﷺ.

سورة المدثر

﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ المتغطِّي بثيابه يريد النوم والراحة ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ انهضْ وحذِّر الناس من عذاب الله ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ عظِّمْ ربك، وخُصَّه بالتمجيد بالتعظيم والتكبير ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ اهجر عبادة الأوثان ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ لا تعط عطيَّةً تلتمس فيها أفضلَ منها، **قال الضحاك**: هذا حرَّمه الله على رسوله، لأنه مأمور بأشرف الآداب، وأجلِّ الأخلاق ﴿ٱلنَّاقُورِ﴾ نُفخ في الصور النفخة الثانية «نفخة الإحياء» ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ فذلك اليوم شديد الهول، عسير على أهل الكفر والنفاق ﴿ذَرْنِى﴾ دعني وخلِّ بيني وبين هذا الكافر الفاجر (الوليد بن المغيرة) ﴿مَّمْدُودًا﴾ مالاً واسعاً وفيراً ﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ سأكلِّفه وألجئه إلى عذاب شاقٍّ لا يُطاق، جزاء كفره وتكذيبه لآياتنا.

قوله تعالى: ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ تقييده بالكافر، يدلُّ على أنه على المؤمنين يسير، وفي الحديث: «**إنه ليُخفَّف على المؤمن، حتى يكون أخفَّ عليه من صلاةٍ مكتوبة، يُصَلِّيها في الدنيا**» رواه أحمد في المسند.

إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗاۙ وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴿٤٧﴾

﴿فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ فكَّر بذهنه الثاقب، ماذا يقول عن القرآن؟ وبماذا يطعن فيه ﴿فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ﴾ قاتله الله وأخزاه، على ذلك القول الشنيع، حيث قال: إنه سحر ﴿ثُمَّ قُتِلَ﴾ كرَّره تقبيحاً وتشنيعاً عليه ﴿عَبَسَ﴾ قطَّب وجهه ﴿وَبَسَرَ﴾ زاد في القبض والكلوح، كالمهتمِّ في أمرٍ يدبّره ﴿سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ﴾ ما هذا الذي جاء به محمد، إلَّا سحرٌ ينقله عن السحرة ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾؟ تهويلٌ وتفظيعٌ لشأنها أي ما أخبرك ما هي سقر؟ إنها فوق التصور والخيال ﴿لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ﴾ لا تترك لحماً ولا عظماً إلَّا أحرقته ومزَّقته ﴿لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ﴾ تظهر لأنظار الكفار من مسافات بعيدة ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾ من الملائكة الغلاظ الشِّداد ﴿جُنُودَ رَبِّكَ﴾ لا يعلم عدد الملائكة وضخامة أجسامهم إلا ربُّ العزة والجلال ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ﴾ إذا أضاء بنوره الأرجاء ﴿إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ﴾ إن جهنم إحدى الدواهي الكبيرة، والبلايا الخطيرة ﴿رَهِينَةٌ﴾ محبوسة بعملها ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ﴾ ما الذي أدخلكم نارَ جهنم؟ ﴿أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾ جاءنا الموتُ.

سبب النزول: رُوي أن (الوليدَ بنَ المغيرة) مرَّ بالنبي ﷺ، وهو يتلو القرآن في صلاته، فاستمع لقراءته، وتأثّر بها بالغ التأثر، فرجع إلى قومه فقال: لقد سمعتُ من محمد كلاماً عجيباً، ما هو من كلام الإنس ، ولا من كلام الجن، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة!! فقالت قريش: صبأ الوليدُ، لتصْبأَنَّ قريش كلُّها، فجاءه أبو جهل، وظلَّ ينفخ فيه ويعاتبه، حتى قال عن القرآن: إنه سحر، ففيه نزلت ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا..﴾ وانظر قصته في التفسير الواضح الميسَّر.

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

سُورَةُ القِيَامَةِ

ترتيبها ٧٥ — آياتها ٤٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾

﴿مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ لم نكن نصلّي لله رب العالمين ﴿ٱلْخَآئِضِينَ﴾ كنا نتحدث بالباطل مع أهل الضلالة ﴿ٱلْيَقِينُ﴾ جاءنا الموتُ ﴿شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ ما تنفعهم شفاعة أحد من الملائكة والنبيين، ولو شفع فيهم أهل الأرض ﴿عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ﴾ ما لهم عن التذكُّر بمواعظ القرآن في صدودٍ وإعراض؟ ﴿حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ حمر وحشية ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ هربت من الأسد من شدة الفزع.. شبَّههم تعالى بالحمر الوحشية، ترى الأسدَ فتهرب منه أشدَّ الهرب، كذلك هؤلاء الأشقياء الفجار، إذا رأوا الرسول هربوا منه ﴿صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ يطمع أن يكون رسولاً، وأن ينزل عليه الوحي ﴿أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ الله جلَّ وعلا أهلٌ لأن يُتقى، وهو الحقيقُ بمغفرة الذنوب ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وفي الآيات تسليةٌ للنبي ﷺ، مما كان يغشاه ويلاقيه من إعراضهم، وتكذيبهم له، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «**أنا أهلٌ أن أُتقى، فمن اتَّقاني فلم يجعلْ معي إلهاً، فأنا أهلٌ أن أغفرَ له**» رواه الترمذي.

نصف الحزب ٥٨

سورة القيامة

﴿ٱللَّوَّامَةِ﴾ التي تلوم صاحبها على تقصيره ﴿نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ نحييه بعد موته وبلاء عظامه ﴿نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ نعيد أطراف أصابعه المغطّاة بخطوط دقيقة متناهية في الدقَّة، والآيةُ إشارة إلى «بصمات الأصابع» التي لا يشبه فيها إنسان غيره من البشر ﴿بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ دُهش وتحيَّر من شدة الهول ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ ولا نجاة له من عذاب الله ﴿أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ جاء بكل عذر لم ينفعه ذلك ﴿بَيَانَهُۥ﴾ علينا تفسير ما أشكل من معانيه.

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٥) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (٤٠)

سُورَةُ الإِنسَانِ

ترتيبها ٧٦ — آياتها ٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥)

﴿الْعَاجِلَةَ﴾ تحبون الدنيا الفانية ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ وتتركون الآخرة الخالدة الباقية ﴿نَاضِرَةٌ﴾ وجوه أهل السعادة مشرقة مضيئة ﴿بَاسِرَةٌ﴾ ووجوه الأشقياء الفجار، عابسة مظلمة كالحة ﴿فَاقِرَةٌ﴾ داهية عظيمة تقصم فقار الظهر ﴿بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ وصلت الروح أعالي الصدر، وقت نزع الروح ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ من يرقيه ويشفيه ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ أيقن أنه سيفارق الدنيا ﴿يَتَمَطَّىٰ﴾ يتبختر في مشيته إعجاباً.. نزلت في «أبي جهل» الطاغية الجبّار ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ لحقَكَ الويل أيها الشقي ﴿سُدًى﴾ يُترك هَمَلاً بلا حساب ولا جزاء ﴿يُمْنَىٰ﴾ يُصبُّ في الرحم ﴿فَسَوَّىٰ﴾ سوَّى صورته في أحسن شكل، وأبدع تقويم ﴿الزَّوْجَيْنِ﴾ جعل من هذه النطفة المهينة الرجل والمرأة ﴿يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ أليس هذا الإله الخالق العظيم، بقادر على إعادة الخلق بعد فنائهم؟ رُوي أن النبي ﷺ، لقي أبا جهل فقال له: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ فقال له أبو جهل: أتتوعدني يا محمد؟ والله لا تستطيع لا أنت ولا ربُّك عليَّ، وأنا أعزُّ أهل مكة!! فقتله الله يوم بدر شرَّ قتلة!! تفسير ابن كثير.

سورة الإنسان

﴿أَمْشَاجٍ﴾ أخلاط اختلط ماء الرجل بماء المرأة ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ نمتحنه ونختبره، لننظر أيشكر أم يكفر؟ ﴿السَّبِيلَ﴾ عرَّفناه طريق الهدى والضلال ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ إمّا أن يشكر ربه ﴿وَإِمَّا كَفُورًا﴾ وإما أن يكفر ويفجر ﴿أَعْتَدْنَا﴾ هيأنا ﴿سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا﴾ قيوداً تُشدُّ بها أرجلهم، وأغلالاً تُغلُّ بها الأيدي إلى الأعناق، كما قال سبحانه: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَـٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَـٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

﴿مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ ممزوجة بأنفس أنواع الطيب، يتدفق من عين جارية من عيون الجنة ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ يُجْرونها حيث شاءوا من الدور والقصور ﴿مُسْتَطِيرًا﴾ يخافون من هول يوم القيامة، الذي تتفطَّر له القلوب ﴿عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ نخاف من يوم شديد عصيب، تعبس من هوله الوجوه ﴿نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ أعطاهم حسناً وبهجة في الوجوه ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ مضطجعين على الأسرَّة الذهبية، المزيَّنة بالدر والياقوت ﴿زَمْهَرِيرًا﴾ لا يجدون حرَّ الشمس، ولا برد الزمهرير ﴿وَذُلِّلَتْ﴾ أدنيت ثمارها منهم ليسهل تناولها ﴿قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾ هذه الكؤوس من فضة، ولكنها رقيقة شفَّافة كالزجاج في صفائه ﴿كَأْسًا﴾ يُسقى هؤلاء الأبرار كأساً من الخمر، ممزوجةً بالزنجبيل ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ ماء عذباً سهل الجريان في الحلق، لعذوبته وصفائه ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ غلمان في سنِّ الشباب، لا يهرمون ولا يتغيَّرون، كأنهم اللؤلؤ المنثور ﴿رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ هناك في الجنة ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ واسعاً عظيماً فوق التصور والخيال.

ثلاثة أرباع الحزب ٥٨

وصفُ أهلِ الجنة: وصفت السورة الكريمة، ما عليه أهلُ الجنة من السرور والحبور، والبهجة والنعيم، فهم في الجنة في سَعَةٍ وراحة، ثيابُهم الحريرُ، ونساؤُهم الحورُ العين، وحليتُهم الذهبُ والفضةُ، وخدمُهم الوِلْدانُ المخلَّدون، وشرابُهم الماءُ الطهور، وهم في القصور العالية يتنعمون، بكل ما يحبون ويشتهون، مع المُلْك الواسع الخالد، وفي الحديث الصحيح «**إن أقلَّ أهلِ الجنة منزلةً، من له قدرُ الدنيا وعشرةُ أمثالها**» اللهمَّ لا تحرمنا نعيم الجنة، يا أرحم الراحمين.

وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرْسَلَاتِ

ترتيبها ٧٧ — آياتها ٥٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

﴿فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ صلِّ لربك مستغرقاً في مناجاته ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ أكثرْ من الصلاة في ظلام الليل والناسُ نيام ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يؤثرون الدنيا على الآخرة ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ يتركون أمامهم يوماً شديداً عسيراً، هو يوم القيامة ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ أحكمنا خلقهم وشددنا أوصالهم بالعروق والعصب ﴿بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ لو شئنا أهلكناهم، وجئنا بخلقٍ يكونون أطوع لله منهم ﴿هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ هذه الآيات البينات، موعظة وذكرى، يتذكر بها العاقل ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ من أراد الانتفاع بآيات الذكر الحكيم، فليسلك طريقاً إلى الله بطاعته، واتّباع رسوله.

سورة المرسلات

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ هذا قسم بالرياح، التي تهبُّ متتابعة، وهي رياح العذاب ﴿عَصْفًا﴾ الشديدة «الزوابع» التي تعصف عصفاً، فتقلع الأشجار، وتخرِّب الديار ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ الملائكة الموكلون بالسحب يسوقونها حيث شاء الله ﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾ الملائكة تنزل بالوحي فتفرق بين الحق والباطل، والهدى والضلال ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ الملائكة تلقي الوحي إلى أنبياء الله ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ للإعذار من الله للعباد، والتخويف لهم من عذابه ﴿طُمِسَتْ﴾ مُحي نُورها وذهب ضوؤها ﴿فُرِجَتْ﴾ شُقَّت وتصدَّعت ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ جُعل لها وقت للفصل بينهم وبين الأمم، ولهذا قال: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ أي الحكم والقضاء بين العباد ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾؟ تهويلٌ لشأن القيامة، أي هل تعلم حقيقة هذا اليوم؟ إنه يوم هائلٌ فظيع، تتقطّع لهوله القلوب!!

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ خلقناكم من ماء حقير هو «المنيُّ» فكيف لا نستطيع إعادتكم؟ ﴿قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ مكان مصونٍ محكم هو «الرَّحِمُ» ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ زمن معيَّن محدَّد «وقت الولادة» ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ قدرنا على خلق الإنسان وإبداعه، فنعم القادرون نحن.. وفي الحديث: «**ابنَ آدم أنَّى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه**»؟ رواه أحمد، أي من المنيّ الذي يشبه البصاق ﴿كِفَاتًا﴾ جامعة تجمع الأحياء على ظهرها، والأموات في بطنها ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾ جبالاً راسخات عاليات ﴿مَّآءً فُرَاتًا﴾ حلواً عذباً ﴿ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ دخان كثيف، يتفرع منه ثلاث شعب، سمّاه ظلاً سخرية ﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ لا يُظلُّ من الحرّ ﴿وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ لا يدفع ألسنة النار الملتهبة ﴿كَٱلْقَصْرِ﴾ تقذف بشرر فظيع، كلُّ شرارة منها كالقصر الفخم ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ كأن شرر جهنم الإبلُ الصفر في لونها، وسرعة حركتها ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ بين الخلائق ﴿كَيْدٌ﴾ حيلة في دفع العذاب فاحتالوا ﴿ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ﴾ في ظلال الأشجار الوارفة، وعيون الماء الجارية ﴿ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ إذا قيل للكفرة الفجار: صلُّوا لربكم لا يصلُّون ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾؟ بأيِّ كلام بعد هذا القرآن، المنير الساطع، يؤمنون ويصدِّقون، إن لم يؤمنوا بهذا الكتاب العزيز؟ تكَررت هذه الآية ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ عشر مرات في هذه السورة الكريمة، للتخويف والوعيد، فَعَقِب كلِّ خبرٍ، يتوعَّدهم ربُّ العزة والجلال إن لم يؤمنوا، بالعذاب الأليم الشديد، اللهمَّ قِنا عذابكَ يوم تبعث عبادك. !

سُورَةُ النَّبَإِ — ترتيبها ٧٨ — آياتها ٤٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

سورة النبأ

الجزء ٣٠ الحزب ٥٩

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عن أيِّ شيء يسأل كفار مكة بعضُهم بعضاً؟ ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ عن الخبر الهام، وهو أمرُ البعث ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ وعيد وتهديد أي سيعلمون حقيقة الأمر، وعاقبة إنكارهم للبعث ﴿الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ ألم نجعل الأرض ممهَّدة للاستقرار عليها؟ ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ كالأوتاد للأرض، تثبّتها وتحفظ توازنها؟ ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكوراً وإناثاً لبقاء النسل؟ ﴿سُبَاتًا﴾ جعلنا النوم راحة لأبدانكم قاطعاً لأعمالكم؟ ﴿اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ كاللباس يغشاكم ويستركم بظلامه؟ ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾ سبع سموات قوية الخلق، محكمة البناء ﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ خلقنا لكم شمساً ساطعة مضيئة، يتوهَّج ضياؤها ويتوقَّد ﴿الْمُعْصِرَاتِ﴾ السحب الكثيفة ﴿مَاءً ثَجَّاجًا﴾ ماءً غزيراً متدفقاً بشدة ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾ حدائق كثيرة الأشجار والأزهار ﴿يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ يوم القيامة الذي يفصل الله فيه بين الخلائق ﴿سَرَابًا﴾ صارت الجبال كالسراب متطايرة في الهواء ﴿مِرْصَادًا﴾ جهنم ترقب وتنتظر ضيوفها الكفرة الفجار ﴿أَحْقَابًا﴾ دهوراً متتابعة لا تنتهي ﴿وَغَسَّاقًا﴾ القيحُ والصديدُ الذي يسيل من جلود أهل النار ﴿جَزَاءً وِفَاقًا﴾ عاقبناهم بذلك، جزاءً موافقاً لأعمالهم وإجرامهم ﴿لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ كانوا مجرمين لا يصدِّقون بالحساب والجزاء، ولا يؤمنون بلقاء الله ﴿كِذَّابًا﴾ كذبوا بالقرآن المنزل على خاتم النبيِّين، تكذيباً بليغاً ﴿أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ كلُّ ما فعلوه من جرائم وآثام، ضبطناه في كتاب أعمالهم ﴿إِلَّا عَذَابًا﴾ لن نزيدكم على استغاثتكم، إلَّا عذاباً فوق عذابكم، وهذه أشدُّ آيةٍ على أهل النَّار.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

ترتيبها ٧٩ — آياتها ٤٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾

﴿مفازاً﴾ فوزاً وظفراً بالنعيم الخالد ﴿حدائق وأعناباً﴾ بساتين ناضرة، فيها أنواع العنب الشهيّ ﴿وكواعب أتراباً﴾ نساءً فاتنات عذارى، قد برزت نهودهنّ، «الحور العين» ﴿وكأساً دهاقاً﴾ كأساً من الخمر مملوءة، في صفاء الزجاج، والدِّهاقُ: الممتلئة ﴿لغواً ولا كذاباً﴾ لا يسمعون في الجنة كلاماً ساقطاً ولا شيئاً من الحديث الكذب ﴿يقوم الروح﴾ جبريل رئيس الملائكة وتقف الملائكة خاشعة خاضعة، في صفوف متتابعة، هيبةً من ربِّ العزةِ والجلال ﴿مآباً﴾ مرجعاً بالعمل الصالح ﴿كنت تراباً﴾ يتمنى الكافر أن لو كان تراباً حتى لا يُعذَّب.

سورة النازعات

﴿والنازعات غرقاً﴾ الملائكة تنزع أرواح الكفار، نزعاً شديداً ﴿والناشطات نشطاً﴾ الملائكة تنزع أرواح المؤمنين بلطف ولين، أقسم الله بملائكة العذاب، وملائكة الرحمة ﴿فالسابقات سبقاً﴾ ملائكة الرحمة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة ﴿فالمدبرات أمراً﴾ الملائكة الموكّلون بتدبير الأمور ﴿ترجف الراجفة﴾ النفخة الأولى في الصور «نفخة الصَّعق» ﴿تتبعها الرادفة﴾ النفخة الثانية «نفخة قيام الناس من القبور» **قال ابن عباس:** (الراجفة) و (الرادفة) هما النفختان، الأولى، والثانية، أما الأولى فتميتُ كلَّ شيء بإذن الله تعالى. وأما الثانية فتُحيي كلّ شي بإذن الله تعالى ﴿واجفة﴾ خائفة مضطربة ﴿الحافرة﴾ سنرجع إلى الحياة مرة ثانية؟ ﴿زجرة واحدة﴾ صيحة واحدة لا تتكرر ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ أرض المحشر، للحساب والجزاء ﴿هل أتاك﴾ استفهام فيه التشويق لسماع القصة.

إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

سُورَةُ عَبَسَ

ترتيبها ٨٠ — آياتها ٤٢

﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ حين ناداه ربه بالوادي المطهَّر المبارك «جبل الطور» ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ اذهب إلى فرعون الجبار ﴿إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ جاوز الحدَّ في الظلم والطغيان ﴿تَزَكَّىٰ﴾ تتطهر من دنس الكفر والطغيان؟ ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ المعجزة العظمى، وهي انقلاب العصا إلى ثعبان فظيع ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ فجمع فرعون السحرةَ والجنود، ونادى فيهم بمقالته الفاجرة ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ لا ربَّ فوقي ﴿نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ فعاقبه الله أشدَّ العقوبة على مقالته الأخيرة ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ وعلى مقالته الأولى ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾، ﴿أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ هل أنتم أصعب أم خلق السموات؟ ﴿سَمْكَهَا﴾ جعلها عالية مرتفعة، بلا صدوع ولا شقوق ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ جعل ليلها مظلماً حالكاً، ونهارها مشرقاً مضيئاً ﴿دَحَاهَا﴾ الأرض بسطها ومهّدها مع كرويتها ﴿الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ﴾ الداهيةُ العظمى «القيامة» ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾ ظهرت للكفار عياناً، فرأوها رأي العين ﴿الْمَأْوَىٰ﴾ المنزل والمسكن ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ متى مجيء القيامة؟ ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا﴾ ليس علمها عندك حتى تخبرهم عن وقتها ﴿مُنتَهَاهَا﴾ علمها عند ربِّ العزة والجلال، لا يعلم وقتها إلا هو سبحانه ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ كأن هؤلاء الفجرة، حين يشاهدون القيامة وأهوالها، لم يمكثوا في الدنيا إلّا عشية يوم، أو ضحى يوم، كأنها ساعة من نهار، ويا لها من خسارة فادحة ما بعدها خسارةٌ!؟

❊ ❊ ❊

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ (٢) وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣) أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ (٤) أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخۡشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ (١١) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (١٢) فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ (١٣) مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ (١٤) بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ (١٥) كِرَامِۭ بَرَرَةٖ (١٦) قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ (١٧) مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ (٢٣) فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا (٢٥) ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا (٢٦) فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا (٢٧) وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا (٢٨) وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا (٣٠) وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا (٣١) مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ (٣٢) فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ (٣٣) يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ (٣٧) وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ (٣٨) ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ (٣٩) وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ (٤٠) تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ (٤٢)

سورة عبس

ربع الحزب ٥٩

﴿عَبَسَ﴾ كَلَح وجهه الشريف وقطَّبه ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ أعرض عن السائل ﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾ يتطهر من ذنوبه ﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ﴾ يتَّعظ ﴿تَصَدَّىٰ﴾ تتعرَّض له بالإقبال عليه ﴿أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ لا حرج عليك ولا إثم، إن لم يتطهر من دنس الكفر ﴿جَآءَكَ يَسۡعَىٰ﴾ جاء مسرعاً يبتغي التفقه في الدين ﴿تَلَهَّىٰ﴾ تتشاغل عنه وتُعرض عن سماع كلامه ﴿تَذۡكِرَةٞ﴾ هذه الآيات موعظة وتذكير للعباد.. نزلت في «ابن أم مكتوم»، جاء إلى رسول الله ﷺ وجعل يقول: أرشدني، وعند رسول الله رجلٌ من عظماء المشركين «أُبيُّ بن خَلَف» فجعل رسول الله يُعرض عن الأعمى ويقبل على «المشرك» ويقول له: «**أترى بما أقول بأساً؟** فنزلت الآيات عتاباً له» رواه الترمذي، تقول السيدة عائشة: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً من الوحي شيئاً لكتم هذا!؟ وقد كان رسول الله بعد نزول هذه الآيات يبسط رداءه له ويقول: مرحباً بمن عاتبني فيه ربي!! ﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ﴾ ملائكة كرام سفراء بين الله تعالى ورسله ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ لُعن الكافرُ ما أشدَّ كفره بالله؟ ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ أليس من شيء مهين حقير؟ ﴿ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ يسَّر له طريق الخروج من بطن أمه ﴿أَنشَرَهُۥ﴾ أحياه بعد موته ﴿وَأَبّٗا﴾ الأبُّ: الكلأُ والمرعى ﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ القيامة ﴿مُّسۡفِرَةٞ﴾ مشرقة مضيئة ﴿غَبَرَةٞ﴾ دخان من جهنم ﴿تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ تغشاها ظلمة وسواد من سوء عملها.

قوله تعالى: ﴿مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ أي ألم يُخلق من نطفة من ماء حقير؟ فكيف يتعالى ويتكبر، وهو بهذه المهانة والحقارة؟ **قال الحسن البصري:** (كيف يتكبَّر من خرج من طريق البول مرتين؟)

الجزء الثلاثون — سورة التكوير

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

ترتيبها ٨١ — آياتها ٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الانفِطَارِ

ترتيبها ٨٢ — آياتها ١٩

سورة التكوير

﴿الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ذهب نورها وضياؤها ﴿النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ تساقطت وتهاوت ﴿الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ صارت كالهباء المنبثّ في الفضاء ﴿الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ النُّوق الحوامل تُركت هَمَلاً بلا راع ﴿الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ جُمعت من شدة الفزع ﴿الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أوقدت فصارت ناراً تضطرم ﴿النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ قُرنت بشبهها، الفاجر مع الفاجر، والصالح مع الصالح ﴿الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾ البنت التي دُفنت حيّة ﴿بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ ما هو ذنبها حتى قُتلت بهذه الصورة الوحشية؟ ﴿الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ فُتحت للحساب والجزاء ﴿الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أوقدت وأضرمت حتى صارت نيراناً ملتهبة ﴿الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أدنيت وقُربت من المؤمنين الأبرار ﴿مَّا أَحْضَرَتْ﴾ في ذلك اليوم تعلم كلُّ نفس ما عملت من خير أو شر ﴿بِالْخُنَّسِ﴾ الكواكب المضيئة التي تختفي بالنهار ﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ النجوم التي تجري ثم تستتر، وهذا تشبيه فيه إبداع، كأن الكواكب ظباءٌ دخلت في كهوفها مختفية عن الأنظار ﴿عَسْعَسَ﴾ اشتد ظلامه ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ بلَّغه جبريل الأمين لخاتم النبيين ﴿مَكِينٍ﴾ ذو مكانة ومنزلة رفيعة عند الله ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ المَلَكُ جبريل مطاع في الملأ الأعلى، تطيعه جميع الملائكة، لأنه رئيسهم، (وثَمَّ) بمعنى هناك أي عند الملائكة ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ ليس محمد الذي صَاحَبكم هذه المدة الطويلة بمجنون، كما افتريتم عليه، بل هو في كمال العقل والرشد ﴿بِضَنِينٍ﴾ ليس محمد ببخيل يضنُّ بتبليغ الوحي ونشره ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ فأين تذهب عقولكم حين كذبتم بالقرآن؟ واتَّهمتم رسوله بالجنون؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

ترتيبها ٨٣ — آياتها ٣٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

سورة الانفطار

نصف الحزب ٥٩

﴿انفطرت﴾ انشقَّتْ لنزول الملائكة ﴿الكواكب انتثرت﴾ تساقطت وتناثرت من علياء السماء ﴿البحار فجرت﴾ اختلطت البحار مع الأنهار، فصارت بحراً واحداً ﴿القبور بعثرت﴾ قُلبت ونُبش ما فيها من الموتى ﴿قدمت وأخرت﴾ علمت كلُّ نفسٍ ما أسلفت من خير وشر ﴿ما غرك﴾ ما الذي خدعك بربك الحليم الكريم؟ ﴿فسواك﴾ جعلك سويًا سالم الأعضاء ﴿فعدلك﴾ جعلك معتدل القامة، في أجمل شكل، وأحسن صورة ﴿بالدين﴾ بيوم الحساب والجزاء ﴿لحافظين﴾ ملائكة يحفظون أعمالكم ﴿يصلونها﴾ يدخلونها ويقاسون حرّها وعذابها.

❊ ❊ ❊

سورة المطففين

﴿ويل للمطففين﴾ هلاك وعذاب ودمار، للذي يُنقص المكيال والميزان ﴿اكتالوا على الناس﴾ أخذوا الكيل من البائعين وافياً دون نقص ﴿كالوهم﴾ إذا باعوا الناس بالكيل أو الوزن ﴿يخسرون﴾ ينقصون لهم الوزن والكيل ﴿ألا يظن﴾ ألا يعتقد أولئك المطففون أنهم سيُبعثون ليوم عظيم، شديد الهول؟ ﴿يقوم الناس لرب العالمين﴾ يقفون للحساب أمام رب العزة والجلال؟!وهو وعيد وتهديد شديد، لكل ظالم.. روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: (لمَّا قدم رسول الله ﷺ المدينة، كانوا من أخبث الناس كيلاً، فلمَّا نزلت السورة، كانوا من أحسن الناس كيلاً) رواه النسائي.

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

﴿كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ كتاب أعمال الأشقياء ﴿سِجِّينٍ﴾ في مكان ضيّق، محبوسون بأعمالهم الشرّيرة ﴿مَّرْقُومٌ﴾ مكتوب فيه جميع جرائمهم، ولا يضيع منها شيء ﴿مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ فاجر مبالغ في الإثم والإجرام ﴿أَسَٰطِيرُ﴾ خرافات وأباطيل الأمم السابقة ﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ غطّى عليها ما اكتسبوه من جرائم وقبائح ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾ لا يرون ربهم أبداً ﴿عِلِّيِّينَ﴾ أعلى درجات الجنة ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ الأسرّة الذهبية المزيّنة بفاخر الستور ﴿نَضْرَةَ﴾ بهجة النعيم ﴿رَّحِيقٍ﴾ يُسقون من أجود أنواع الخمر وأصفاه ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ آخر الشراب تفوح منه روائح المسك ﴿فَلْيَتَنَافَسِ﴾ فليتسابقْ المتسابقون في طلب هذا النعيم ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ تُمزج هذه الخمر من عينٍ عالية رفيعة، هي أنفسُ شراب أهل الجنة ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ بأعينهم سخريةً واستهزاءً بالمؤمنين ﴿فَكِهِينَ﴾ متلذّذين بالسخرية بالمؤمنين ﴿ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ﴾ هل جُوزي الكفار على سخريتهم بالمؤمنين جزاءً مناسباً؟ سمّى العقاب ثواباً بأسلوب (السخرية والتهكّم) أي هل نالوا ثوابهم وافياً كافياً؟ وأيُّ ثوابٍ هذا وهم يُحرقون في لظى الجحيم!؟

جاء في الحديث الشريف «أن أبواب النار تُفتح للكفار، ثم يُقال لهم: اخرجوا، فإذا رأوها فُتحت، أقبلوا يريدون الخروج، فإذا وصلوا إلى أبوابها، أُغلقت دونهم، والمؤمنون في الجنة على الأرائك ينظرون، فيضحكون من هذا المنظر، كما ضحك عليهم الكفار في الدنيا» تفسير القرطبي، وذكره الواحدي في كتابه أسباب النزول.

عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الانْشِقَاقِ

ترتيبها ٨٤ — آياتها ٢٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

سورة الانشقاق

﴿ٱنشَقَّتْ﴾ انشقت لنزول الملائكة ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ استمعت لأمر ربها وحُقَّ لها أن تسمع وتطيع ﴿ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ سُوِّيت بلا بناء ولا جبال ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ أخرجت ما في بطنها من الكنوز والأموات ﴿كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ مجدٌّ ومجتهدٌ في عملك، من خيرٍ أو شرّ ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ ستلاقي جزاء عملك في الآخرة ﴿يَسِيرًا﴾ حساباً سهلاً هيّناً وهو «العَرْضُ» كما جاء في الحديث: «**إنما ذلك العرضُ ولكنْ من نوقش الحساب عُذِّب**» رواه البخاري ﴿وَيَنقَلِبُ﴾ يرجع مسروراً إلى أهله ﴿ثُبُورًا﴾ يصيح على نفسه بالويل والثبور، يقول: يا هلاكي ويا حسرتي ﴿يَحُورَ﴾ ظنَّ أن لا رجوع له إلى ربه ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ أُقسمُ لكم بالحمرة في الأفق بعد الغروب ﴿وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ وأُقسمُ بالليل وما ضمَّ وجمع في ظلمته، من الخلائق والأنعام ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ وأُقسمُ بالقمر إذا تكامل ضوؤه ونورُه، فصار بدراً ساطعاً ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ ستلاقون أهوالاً وشدائد، بعضُها أشدُّ من بعض ﴿يُوعُونَ﴾ يُضمرون في صدورهم من العداوة للرسول ﷺ والمؤمنين ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع عنهم، بل هو دائم مستمر.

ثلاثة أرباع الحزب ٥٩

سجدة

تنبيه: الحسابُ اليسير الذي أشارت إليه الآية ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ هو (العَرْضُ) فقد جاء في الحديث: «**إن الله يدني العبدَ يوم القيامة، فيقول له: فعلتَ كذا وكذا، ويعدِّدُ عليه ذنوبه فيعترفُ بها، ثم يقول له: سترتُها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم**» فهذا هو الحسابُ اليسير.



سورة البروج

﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ النجوم التي تدور في أفلاكها ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يوم القيامة ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ الرسلُ التي تشهد على أممها ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾، ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ لعن الله المجرمين، الذين شقُّوا الأرض وأضرموا فيها النار لتعذيب المؤمنين ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ ما كان لهم ذنب، إلَّا إيمانهم بالله الواحد الأحد ﴿عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ العذاب الشديد المحرق ﴿بَطْشَ رَبِّكَ﴾ انتقامه وأخذه الظلمة الجبابرة ﴿لَشَدِيدٌ﴾ بالغ الغاية في الشدة والانتقام ﴿الْوَدُودُ﴾ المحبُّ لأوليائه لا يفضحهم ولا يُهينهم ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ صاحب العرش العظيم ﴿الْمَجِيدُ﴾ المتعالي على جميع الخلائق ﴿حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ الجموع الكافرة الذين تجنَّدوا لحرب الأنبياء والمؤمنين ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ هم أتباع فرعون الطاغية، وقوم ثمود أصحاب الشدة والبأس، ألم يهلكهم الله ويجعلهم عبرة للمعتبرين!! ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾ هم مستمرون في تكذيبهم واستهزائهم بالرسل، وسيلقون عاقبة هذا الطغيان والفجور، واللَّهُ قادر عليهم، لا يفوتونه ولا يعجزونه!! **خلاصةُ قصة الأخدود**: (أن ملِكاً ظالماً جباراً، ادَّعى الربوبية، وكان يستعين على دعواه بساحرٍ عنده، فلما كبر الساحرُ، أرسل إليه شاباً يتعلم منه السِّحْر، ثم اهتدى هذا الشابُ، على يد عابدٍ صالح، فآمن بالله، وكفَرَ بالملك، فعذَّبه الملك حتى دلَّ على الرجل الصالح، فنشره بالمنشار لأنه لم يرجع عن دينه، ثم أضرم النار وأحرق بها المؤمنين..) وانظر القصة كاملة في صحيح مسلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

سُورَةُ الْأَعْلَىٰ

ترتيبها ٨٧ — آياتها ١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾

سورة الطارق

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ أقسمُ بالسماء، وبالنجوم التي تظهر فيها بالليل وتختفي بالنهار ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ النجمُ المضيء المتوهِّج، الذي يثقب الظلام بضيائه ﴿حَافِظٌ﴾ ما من نفسٍ من نفوس البشر، إلا عليها حافظ من الملائكة ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ من أي شيء خلقه الله؟ ﴿مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ متدفق ينصبُّ بقوة، ويخرج من مكان البول **قال الحسن البصري**: كيف يتكبَّر من خرج من طريق البول، مرَّتين!! يريد الذَّكر، والفرج ﴿وَالتَّرَائِبِ﴾ يخرج المنيُّ من بين الصلب، وعظم الصدر، من الرجل والمرأة، والترائبُ هي: عظامُ الصدر، جمع تريبة ﴿السَّرَائِرُ﴾ تمتحن القلوبُ وتُختبر ﴿ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ ترجع بالمطر حيناً بعد حين ﴿ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ وبالأرض التي تنشقُّ بالنبات والشجر ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ القرآنُ قول بيِّن، فاصل بين الحق والباطل ﴿رُوَيْدًا﴾ أمهلهم قليلاً فسيرون عاقبة التكذيب.

الحزب ٦٠

سورة الأعلى

﴿غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ صار بعد الخضرة أسود، هشيماً ترعاه الأغنام ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾ نجعل القرآن محفوظاً في صدرك لا تنساه أبداً ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾ نوفّقك للشريعة السمحة ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ يرفض الموعظة ويبتعد عنها الشقيُّ الكافر ﴿النَّارَ الْكُبْرَىٰ﴾ نار جهنم ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ لا يموت فيستريح من العذاب ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ الحياة الكريمة الهنيئة ﴿مَن تَزَكَّىٰ﴾ فاز من طهَّر نفسه بالإيمان، وصلَّى للرحمن.

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧) إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ (١٩)

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

ترتيبها ٨٨ — آياتها ٢٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ (٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم (٢٦)

سورة الغاشية

﴿الْغَاشِيَةِ﴾ هل جاءك يا محمد خبرُ القيامة التي تغشى الناس بشدائدها وأهوالها؟ ﴿خَاشِعَةٌ﴾ ذليلة مهينة ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ تعمل الأعمال الشاقة، وهي تعبةٌ مرهقة بها، من جرّ السلاسل والأغلال ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾. ﴿مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ عين متناهية في الحرّ، تقطّع الأمعاء ﴿ضَرِيعٍ﴾ الضريع: نبات ذو شوك وهو أخبث طعام ﴿وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ لا يفيد السِّمَنَ في الأبدان، ولا يدفع ألم الجوع ﴿لَاغِيَةً﴾ لا تسمع في الجنة كلاماً بذيئاً ولا فاحشاً ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ وسائد صُفّت بعضها إلى جانب بعض ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ طنافس فاخرة مبسوطة في أنحاء الجنة ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ أفلا يتأملون في خلق الإبل، كيف خلقها الله خلقاً بديعاً عجيباً؟ ﴿كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ وإلى الجبال كيف وقفت راسخة، لا تضطرب ولا تميل؟ ﴿كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ وإلى الأرض كيف بُسِطت ومُهِّدت، حتى كانت واسعة شاسعة؟ ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ بمتسلّط عليهم تجبرهم على الإيمان ﴿إِيَابَهُمْ﴾ رجوعهم إلينا لينالوا الجزاء. وفي هذا تسليةٌ للنبي ﷺ وإزالةٌ لهمومه وأحزانه، كأنه يقول: لا تحزن لتكذيبهم لك، فرجوعهم إلينا، ونحن سنتولّى عقابهم!! ولن يُفلتوا من عذابنا أبداً، فالمحاسبُ بصير. **خصَّ تعالى الإبلَ بالذكر**، لأنها أفضلُ (دوابِّ العرب) وهي سفينة الصحراء، ومع قوتها وشدتها، فإنها تنقاد مع الصغير، ويمكن للطفل أن يقود مائة بعير، وتحمل من الأثقال ما يعجز عن حمله أيُّ حيوان، وتصبر على الجوع والعطش الأيام المعدودة.

سورة الفجر ترتيبها ٨٩ آياتها ٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾

سورة الفجر

﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسمُ بضياء الفجر حين يطرد الظلام ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ وبالليالي العشر المباركات من أول شهر «ذي الحجة» ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ وبالليل إذا مضى كالحارس يقطع الزمان ﴿لِّذِي حِجْرٍ﴾ هل في هذه التي أقسمت لكم بها، قَسَمٌ مقنع لذي لُبّ وعقل؟ ﴿بِعَادٍ﴾ قوم هود ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ ذات القوّة والشدة، كيف أهلكهم الله ودمَّرهم؟ ﴿جَابُوا الصَّخْرَ﴾ قطعوا صخور الجبال لمساكنهم وهم ثمود ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ وفرعون الطاغية الجبار، صاحب الجنود والجيوش الجرّارة ﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾ ألوان العذاب الأليم ﴿لَبِالْمِرْصَادِ﴾ يرصد أعمالهم، ولا يفوته أحد من الظلمة الجبابرة ﴿ابْتَلَاهُ﴾ اختبره بالنعم ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ يقول: ربي أكرمني لأني أستحقُّ ذلك ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ اختبره بالفقر وتضييق الرزق ﴿رَبِّي أَهَانَنِ﴾ يحصر الكافر نعم الله بالمال، سعةً وتضييقاً ﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ تأكلون الميراث أكلاً شديداً ﴿حُبًّا جَمًّا﴾ تحبون المال حباً عظيماً ﴿وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ لا يُقيِّد أحدٌ أحداً بالسلاسل والأغلال، كما يقيِّد اللهُ الكافر الفاجر!!

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ التعبيرُ هنا جاء في قمة الروعة (والإبداع الفنيّ) فقد صوَّر الليلَ بإنسانٍ مسافر، يمشي في ظلمة الليل، يقطع الصحارى والقفار، ويختار وقت الليل للسير، لأن السُّرى معناه: السفر بالليل، وفرق كبير بين أن يقول: والليلِ إذا مضى، وبين التعبير القرآني المعجز ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ كالفارق بين الثَّرى والثُّريَّا.

يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

سُورَةُ البَلَدِ

ترتيبها ٩٠ — آياتها ٢٠

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ ﴿١٤﴾ يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الشَّمۡسِ

ترتيبها ٩١ — آياتها ١٥

سورة البلد

﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ أقسم، و﴿لَآ﴾ مزيدة للتأكيد ﴿بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ بمكة المكرمة شرّفها الله ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ﴾ وأنت يا خاتم الأنبياء، ساكن ومقيمٌ بهذا البلد، فشرف المكان بشرف أهله ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ وأقسم بكل والدٍ ومولود، من ذرية آدم الصالحين ﴿كَبَدٍ﴾ في مشقة وتعب، من وقت الولادة إلى وقت الوفاة ﴿أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾ أنفقت مالاً كثيراً في عداوة محمد، نزلت في «الأشدّ بن كلدة» كان طاغيةً جباراً مغترًّا بقوّته وماله ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾ عرّفناه طريق الخير والشر، والهدى والضلال ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ﴾ فهلّا أنفق ماله في اجتياز العقبة، بدل أن ينفقه في عداوة محمد ﷺ!؟ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾ ما أخبرك أيُّ شيء هو اجتياز العقبة؟ ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ هي إعتاقُ رقبة وتخليصها من رِق

ربع الحزب ٦٠

العبودية ﴿ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾ أو إطعام الفقراء في يوم ذي مجاعة ﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ﴾ يطعم اليتيم لا سيّما القريب له ﴿مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾ يطعم المسكين الذي لا شيء له كأنه لصق بالتراب لفقره ﴿ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ السعداء أصحاب الجنة ﴿ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾ الأشقياء أصحاب النار ﴿نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾ نار مطبقة مغلقة، لا يستطيعون الخروج منها، ولا الفكاك عنها. . أقسم تعالى بمكة، وبسكنى النبي ﷺ فيها، إظهاراً لقدره عليه السلام، ومقامه الرفيع عند الله، وكأن الله تعالى جعل من أسباب شرف هذا البلد، كونُ حبيبه ونبيّه ساكناً فيه، ثم لتضخيم جريمة الكفار، في إخراج النبي ﷺ منها، وأنه من أكبر الكبائر عند الله، وشرفُ المكان إنما يكون بشرف ساكنه ولهذا قال: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ أي ساكن ومقيم فيه، من حلَّ بالمكان، إذا نزل وأقام به.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)

سُورَةُ اللَّيْلِ — ترتيبها ٩٢ — آياتها ٢١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤)

سورة الشمس

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ أقسمُ بالشمس وضوئها الساطع ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ وبالقمر إذا تَبِع الشمس بعد غروبها ﴿إِذَا جَلَّاهَا﴾ جلا ظلمة الليل بنوره الباهر ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ وبالليل إذا غطّى الكون بظلامه الدامس ﴿طَحَاهَا﴾ وبالأرض ومن بَسَطها فجعلها واسعة ممتدة ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ وأقسمُ بالنفس البشرية ومن أنشأها وأبدعها ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ألهمها ما تميّز به بين الرشد والضلال ﴿زَكَّاهَا﴾ طهّرها من دَنَس المعاصي والآثام ﴿بِطَغْوَاهَا﴾ بطغيانها وفجورها ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ قتلوا الناقة ﴿فَدَمْدَمَ﴾ أهلكهم اللّهُ ودمّرهم ﴿عُقْبَاهَا﴾ لا يخاف ربك عاقبة إهلاكهم وتدميرهم.

سورة الليل

﴿يَغْشَىٰ﴾ يُغطّي الكون بالظلام الدامس ﴿تَجَلَّىٰ﴾ انكشف وظهر ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ﴾ وأقسمُ بالخالق القدير، الذي خلق من نطفةٍ ذكراً وأنثى ﴿سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ عملكم مختلف، فمنكم بَرٌّ، ومنكم فاجر ﴿بِالْحُسْنَىٰ﴾ صدّق بالجنة ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾ نُيسّر له عمل الخير، حتى يدخل الجنة ﴿لِلْعُسْرَىٰ﴾ نيسّر له طريق الشر، حتى يدخل النار ﴿تَرَدَّىٰ﴾ ماذا يفيده ماله إذا شقي وهلك!! وفي الحديث يقول تعالى: «**يا ابنَ آدمَ أرأيتَ لو كان لك ملءُ الدنيا ذهباً، أكنتَ تفتدي نفسَك من عذاب هذا اليوم؟ فيقول: نعم يا رب!! فيقول الله له: قد سألتك ما هو أهونُ من ذلك!! سألتُك أن لا تشركَ بي، فأبيتَ إلّا الشركَ**» رواه البخاري ﴿تَلَظَّىٰ﴾ تتلهّبُ وتتوقّد من شدة حرارتها.

لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

سُورَةُ الضُّحَىٰ

ترتيبها ٩٣ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

سُورَةُ الشَّرْحِ

ترتيبها ٩٤ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾ لا يذوق حرَّها ﴿ٱلْأَشْقَى﴾ الشقيُّ المغرق في الشقاوة ﴿ٱلْأَتْقَى﴾ وسينجو من هذه النار المستعرة، المؤمنُ المتّقي لله ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ ينفق مالهُ ليطهِّر نفسه من الشحّ والبخل ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ يعطيه الله حتى يرضيه.. نزلت بإجماع المفسرين في سيدنا «أبي بكر» كان ينفق ماله في المستضعفين، ويعتقهم لوجه الله، وكان عمر يقول: (أبو بكر سيِّدُنا، وأعتقَ سيِّدنا) يعني بلالاً.

سورة الضحى

﴿سَجَىٰ﴾ اشتدَّ ظلامُه ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ ما تركك ربك ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ وما أبغضك.. نزلت لمَّا قال المشركون: إن محمداً قد هجره ربُّه وأبغضه، حين تأخر نزول الوحي عليه ﴿ٱلْأُولَىٰ﴾ دار الدنيا الفانية ﴿يَتِيمًا﴾ ألم تكن يتيماً، فجعل الله لك من يحميك ويؤويك؟ ﴿ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ وجدك ضائعاً تائهاً لا تعرف الدين والشريعة، فهداك الله إلى الإسلام ﴿عَآئِلًا﴾ فقيراً محتاجاً فأغناك عن الخلق ﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾ لا تقهر اليتيم فقد ذقتَ طعم اليُتْم ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ لا تزجره وتغلظ له القول ﴿فَحَدِّثْ﴾ وأمّا بفضل الله عليك، فحدِّث به الناس، كما علَّمك ربك وهداك!!

نصف الحزب ٦٠

سورة الشرح

﴿نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ قد شرحنا لك صدرك، بالحكمة والنبوّة ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ الحمل الثقيل بتيسير أحكام الشريعة ﴿أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أثقله بتحمل أعباء النبوّة ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ لا يذكر الله إلا ويُذكر معه محمد ﷺ ﴿فَٱنصَبْ﴾ اجتهد في عبادة ربك، واجعل همَّك ورغبتك في ما عند الله..



سُورَةُ التِّينِ — ترتيبها ٩٥ — آياتها ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَلَقِ — ترتيبها ٩٦ — آياتها ١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

سورة التين

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ أقسم تعالى بالتين والزيتون، لبركتهما وكثرة منافعهما ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ الطور الذي كلَّم الله عليه موسى ﴿وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ وأقسم بمكة المكرمة، التي جعلها اللَّهُ حَرَماً آمناً.. **وقيل**: المراد هو القَسَمُ بالأماكن المقدَّسة: أرض فلسطين، وجبل الطور، والبلد الحرام ﴿أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ خلقنا الإنسان في أحسن شكل، وأجمل صورة ﴿أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ثم نردُّه إلى أسفل دركات النار ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لهم أجر دائم غير مقطوع.

سورة العلق

﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ خلق جنس الإنسان، من دودة صغيرة تشبه العلقة ﴿الْأَكْرَمُ﴾ الكريم الجليل الذي لا يتناهى كرمه ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ علَّم الإنسان الكتابة والقراءة ﴿لَيَطْغَىٰ﴾ يتجاوز الحدَّ في الطغيان ﴿رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ لأنه أصبح غنياً ذا ثروة ومال ﴿الرُّجْعَىٰ﴾ الرجوع للحساب والجزاء ﴿يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ أخبرني عن حال ذلك الشقي، الذي ينهى محمداً عن الصلاة!! نزلت في «أبي جهل» قال: لئن رأيت محمداً يصلِّي لأطأنَّ على رقبته، ولأعفرنَّ وجهه في التراب، إلى آخر القصة كما رواها مسلم ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ لنسحبنَّه من مقدمة شعر رأسه، ونقذف به في جهنم ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ فليدع عشيرته وأنصاره، ليخلِّصوه من عذابنا ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ سندعو نحن خزنة جهنم الأشداء ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ اسجد يا محمد لربك، وتقرَّبْ إليه في صلاتك، ولا تطع ذلك الشقيَّ الفاجر، الذي ينهاك عن الصلاة، فنحن نحفظك ونرعاك!!

الجزء الثلاثون سورة القدر

سُورَةُ القَدْرِ ترتيبها ٩٧ آياتها ٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ البَيِّنَةِ ترتيبها ٩٨ آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

سورة القدر

﴿لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ أنزلنا هذا القرآن المعجز في ليلة الشرف والفضل ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ العمل الصالح فيها خير من العمل في ألف شهر ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ تتنزّل في هذه الليلة ملائكة العرش والسماء ومعهم جبريل ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ بأمره سبحانه ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ هذه الليلة ما هي إلا سلامة وخير كلّها إلى وقت طلوع الفجر.

سورة البينة

﴿مُنفَكِّينَ﴾ منتهين عمّا هم عليه من الكفر ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ حتى تأتيهم الحجة الواضحة، بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين ﴿رَسُولٌ﴾ هي رسالة محمد ﷺ ﴿كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ في هذه الصحف أحكام إلّهية قيّمة، تفصل الحق عن الباطل ﴿وَمَا تَفَرَّقَ﴾ لم يختلف اليهود والنصارى في شأن رسالة محمد ﷺ ﴿جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ الحجة الواضحة، الدالة على رسالة خاتم الأنبياء. كان أهل الكتاب ينتظرون بعثه ﷺ ومجيئه، فلما بُعث كانوا أول من كذب برسالته، لأنه بُعث من العرب ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ دين الملّة المستقيمة ﴿كَفَرُوا۟﴾ جحدوا رسالة محمد ﷺ ﴿وَٱلْمُشْرِكِينَ﴾ عبدة الأوثان في نار الجحيم ﴿شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ شرُّ الخلق على الإطلاق، وهم شرٌّ من دبَّ ودَرَج.! والعجبُ من قوم يزعمون العلم، ويقولون: إن اليهود والنصارى ليسوا كفاراً، لأن لهم ديناً سماوياً يتمسكون به، وأنهم يدخلون الجنة، كما يدخلها المؤمنون!! والله يقول فيهم: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ فكيف يدخلون الجنة وهم يكذّبون رسالة خاتم النبيّين ﷺ؟ وقد حكم الله عليهم بالخلود في جهنم، وجعلهم شرَّ الخليقة على الإطلاق!؟

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلزَلَةِ — ترتيبها ٩٩ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَادِيَاتِ — ترتيبها ١٠٠ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾

سورة الزلزلة

﴿زُلْزِلَتِ﴾ اهتزَّتْ بمن عليها اهتزازاً عنيفاً يُفزع الألباب ﴿زِلْزَالَهَا﴾ الزلزلة التي تليق بها، وهي زلزلة الساعة ﴿أَثْقَالَهَا﴾ ما في باطنها من الأموات والدفائن ﴿مَا لَهَا﴾ ما للأرض تزلزلت هذه الزلزلة العظيمة؟ ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ تشهد على كل عبدٍ أو أمةٍ بما عمل على ظهرها ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أمرها سبحانه بالنطق والإخبار ﴿يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ﴾ يرجع الخلق من موقف الحساب ﴿أَشْتَاتًا﴾ متفرِّقين، فريق إلى الجنة، وفريق إلى السعير، وفي الحديث: «**أتدرون ما أخبارها؟ هو أن تشهد على كل إنسان ما صنع على ظهرها**» رواه الترمذي.

سورة العاديات

ثلاثة أرباع الحزب ٦٠

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ قَسَمٌ بِخيل المجاهدين المسرعات في هجومها على الأعداء ﴿ضَبْحًا﴾ يُسمع لأنفاسها صوتٌ شديد من أثر الركض ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ تخرج شرَرَ النار بحوافرها ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ تغير على الأعداء وقت الصباح ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ هيَّجن الغبار في وجه العدو ﴿فَوَسَطْنَ﴾ توسَّطْن جموع الأعداء ﴿لَكَنُودٌ﴾ جاحد لنعم ربه ﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ شديد الحبّ للمال، وفي الحديث الشريف: «**لو كان لابنِ آدمَ واديانِ من ذهبٍ، لابتغى لهما ثالثاً، ولا يملأُ فمَ ابنِ آدمَ إلَّا الترابُ، ويتوب الله على من تاب**» رواه الترمذي. ﴿بُعْثِرَ﴾ أُخرج ما في القبور من الموتى ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ ما في صدور العباد من الأسرار والخفايا ﴿لَخَبِيرٌ﴾ عالم بجميع ما عملوا، ومجازيهم عليه.

❊ ❊ ❊

وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

سُورَةُ ٱلْقَارِعَةِ — ترتيبها ١٠١ — آياتها ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

سُورَةُ ٱلتَّكَاثُرِ — ترتيبها ١٠٢ — آياتها ٨

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

سورة القارعة

﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ القيامة، سميت (قارعة) لأنها تقرع القلوب بفنون الرهبة والفزع ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ تأكيد لتهويل أمرها وتفظيع لشأنها ﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ يكون الناس فزعين مضطربين، كأنهم فراش منتشر هنا وهناك، من شدة الهَلَع والفزع ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ وتكون الجبال كالصوف المصبوغ ألواناً، المتطاير في الهواء ﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ رجحت موازين حسناتهم ﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ زادت أعمالهم الشريرة على أعمالهم الخيِّرة ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ مسكنه ومصيره نار جهنم، تُؤويهم إليها كما تؤوي الأمُّ أولادها.

سورة التكاثر

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ شغلكم أيها الناسُ التفاخرُ بكثرة الأموال والأولاد عن طاعة الرحمن ﴿زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ حتى جاءكم الموتُ وصرتم من أصحاب القبور ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ زجرٌ وتهديد أي ارتدعوا عن الانشغال بجمع الأموال، فسوف تعلمون عاقبة تفريطكم في جنب الله ﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ لو عرفتم ما أمامكم من أهوال، لما شغلتكم الدنيا عن عبادة الله ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ لترونَّ نار جهنم يقيناً وعياناً ﴿عَيْنَ ٱلْيَقِينِ﴾ ترونها حقيقة بالنظر والمشاهدة ﴿عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ تُسألون في الآخرة عن نعم الدنيا من المأكل، والمشرب، والملبس، والصحة، وسائر النعم التي أفاضها الله عليكم.

❊ ❊ ❊



سورة العصر

﴿وَالْعَصْرِ﴾ أُقسمُ بالدهر والزمان، لأنه رأسُ مال الإنسان ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ جميعُ الخلائق في خسرانٍ، لأنهم يفضّلون العاجلة على الآجلة ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا الذين جمعوا بين الإيمان الصادق، والعمل الصالح ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ بالاستمساك بالإيمان والتوحيد ﴿بِالصَّبْرِ﴾ الصبر على الشدائد والمصائب، وفعل الطاعات، وترك المحرّمات.

سورة الهمزة

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ هلاكٌ ودمار لكل من يعيب الناسَ ويغتابهم ﴿لُّمَزَةٍ﴾ الذي يسخر منهم بعينه وحاجبه ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ افتخر بكثرة المال، وأمسكه عن الإنفاق في سبيل الخير ﴿أَخْلَدَهُ﴾ يظنُّ أن ماله سيخلّده في الدنيا ﴿لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ سيطرح في نار جهنم، التي تحطم كل ما يُلقى فيها ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ يخلص حرُّها إلى القلوب ولا تموت ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾ مغلقة مطبقة عليهم ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ وهم مقيَّدون في السلاسل والأغلال.

سورة الفيل

﴿بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ ألم يبلغك ما صنع الله العظيم الكبير بأصحاب الفيل؟ ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ ألم يجعل مكرهم وسعيهم لتخريب الكعبة في ضياع وخسارة!؟ ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ أرسل على جيش (أبرهة) طيوراً، جاءتهم جماعات جماعات ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ تقذفهم بحجارة صغيرة من طين متحجر، أشد فتكاً من الرصاص القاتل ﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ أهلكهم وجعلهم كورق الشجر المتساقط الذي أكلته الدواب، ثم أخرجته قذراً.

❊ ❊ ❊

سُورَةُ قُرَيْشٍ — ترتيبها ١٠٦ — آياتها ٤

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

سُورَةُ المَاعُونِ — ترتيبها ١٠٧ — آياتها ٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

سُورَةُ الكَوْثَرِ — ترتيبها ١٠٨ — آياتها ٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

سورة قريش

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ الإيلاف: الإلفُ والاعتيادُ، أي من أجل تسهيل الله على قريش ما ألفوه واعتادوه في رحلتهم إلى اليمن في الشتاء، ورحلتهم إلى الشام في الصيف ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ إن لم يعبدوا ربهم لنعمه الجليلة، فليعبدوه لما يسّره لهم من رحلة اليمن والشام ﴿جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ أطعمهم مع شدة جوعهم، فبلادهم ليس فيها زرع، وقد أغناهم الله بما يجبى إليها من الثمرات مع نعمة الأمن والسلامة.

سورة الماعون

﴿يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ يكذّب بالجزاء والحساب ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ يدفع اليتيم بجفوة وغلظة ﴿وَلَا يَحُضُّ﴾ ولا يحثُّ غيره على عون المسكين، فضلاً عن أن يكرمه من ماله!! ﴿سَاهُونَ﴾ غافلون يؤخرونها عن أوقاتها ﴿يُرَآءُونَ﴾ لا يقصدون بصلاتهم وجه الله ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ يمنعون المنافع اليسيرة، كالدلو، والفأس، والملح.

سورة الكوثر

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ أعطيناك يا محمد الخير الكثير الدائم، الذي من جملته (نهر الكوثر) وفي الحديث: «**نهرٌ في الجنة، حافَّتاه من ذهب، ومجراه على الدُّرِّ والياقوت، تربتُه أطيبُ من المسك، وماؤه أحلى من العسل**» رواه الترمذي ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ اجعل صلاتك لربك وحده، وانحر الإبل تقرباً منه ﴿هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ إن مبغضك هو الأبترُ المنقطع عن الخير.. نزلت حين قال المشركون: إن محمداً أبترُ لا يعيش له مولودٌ ذَكَرٌ، فإذا مات انقطع ذِكْرُه وخبرُه.



سورة الكافرون

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ قل لهؤلاء الكفار، الذين يدعونك إلى عبادة الأحجار ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ لا أعبد هذه الأصنام والأوثان، التي تعبدونها من دون الرحمن ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ولا أنتم تعبدون ربي الحقَّ ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ ولا أنا عابد في المستقبل أصنامكم وأوثانكم ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ لكم شرككم وأصنامكم، ولي توحيدي وإيماني.

سورة النصر

﴿نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ إذا نصرك الله وفتح عليك مكة ﴿أَفْوَاجًا﴾ ودخل العربُ في الإسلام جماعات جماعات ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ عظِّمْ ربك واشكره ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ اطلبْ منه المغفرة لك ولأتباعك ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ عظيم التوبة، واسع الرحمة. . هذه السورة تسمى (سورة التوديع) لأن الرسول ﷺ خطب في أصحابه فودَّعهم بعد نزولها، وفيها النعي لرسول الله أجله، ولم يفطن لذلك إلّا (أبو بكر).

سورة المسد

﴿تَبَّتْ يَدَا﴾ هلكت يدا ذلك الشقيّ عمّ الرسول ﷺ (أبي لهب) ﴿وَتَبَّ﴾ وخاب وخسر، الأول دعاء، والثاني إخبارٌ أي وقد هلك وخسر ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾ لم ينفعه ماله الذي جمعه ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ ولا أولاده الذين يفخر بهم ويعتزُّ ﴿نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ سيُحرق في نار شديدة متوقّدة، ذات اشتعال ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ وستدخل معه جهنم امرأته الخبيثة، التي كانت تضع الشوك في طريق الرسول ﷺ ﴿فِي جِيدِهَا﴾ في عنقها حبلٌ من ليفٍ وشوك تُعذّب به في نار الجحيم. !



الجزء الثلاثون — سورة الإخلاص

سُورَةُ الإِخْلَاصِ — ترتيبها ١١٢ — آياتها ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

سُورَةُ الفَلَقِ — ترتيبها ١١٣ — آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

سُورَةُ النَّاسِ — ترتيبها ١١٤ — آياتها ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

سورة الإخلاص

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قل لهؤلاء المشركين: ربي واحد أحدٌ، لا شريك له ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ المقصود في الحوائج على الدوام ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ ليس له سبحانه ذرية من بنين وبنات ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ ولم يولد من أب وأم ﴿كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وليس له شبيهٌ، ولا نظيرٌ، نزلت لمَّا قال اليهود لرسول الله ﷺ: صف لنا ربَّك فنزلت.

سورة الفلق

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أستجير بربِّ الصبح، الذي يفلق نور الصباح ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ ألتجئ إليه من شرِّ مخلوقاته ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ومن شرِّ الليل إذا اشتد ظلامُه ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ ومن شرِّ النساء السَّواحرِ ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ ومن شرِّ كل حاسدٍ يتمنَّى زوال النعمة عني.

سورة الناس

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ أعتصم وأستجير بربِّ الخلق كلهم ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ من شرِّ إبليس اللعين، الذي يلقي الوساوس في صدور البشر لإغرائهم على الفجور والعصيان ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ من شرِّ الإنس والجن جميعاً.. هاتان السورتان ممَّا أمر ﷺ أن يعوِّذ نفسه بهما.

بعونه تعالى تمَّ تأليفه ظهر الاثنين / ١٥/ الخامس عشر من شهر المحرم لعام ١٤٢٢ من الهجرة النبوية الشريفة، وكان البدءُ به بالبلد الحرام (مكة المكرمة) والحمد لله في البدء والختام.

خادم الكتاب والسنة

الشيخ محمد علي الصابوني

دعاء ختم القرآن الكريم

دُعَاءُ خَتْمِ القُرْآنِ الكَرِيمِ

اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِالقُرْءَانِ وَاجْعَلْهُ لِي إِمَامًا وَنُورًا وَهُدًى وَرَحْمَةً

اللَّهُمَّ ذَكِّرْنِي مِنْهُ مَا نَسِيتُ وَعَلِّمْنِي مِنْهُ مَا جَهِلْتُ وَارْزُقْنِي تِلَاوَتَهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ وَاجْعَلْهُ لِي حُجَّةً يَا رَبَّ العَالَمِينَ

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ

اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عُمْرِي آخِرَهُ وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاتِمَهُ وَخَيْرَ أَيَّامِي يَوْمَ أَلْقَاكَ فِيهِ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِيشَةً هَنِيَّةً وَمِيتَةً سَوِيَّةً وَمَرَدًّا غَيْرَ مُخْزِي وَلَا فَاضِحٍ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ المَسْأَلَةِ وَخَيْرَ الدُّعَاءِ وَخَيْرَ النَّجَاحِ وَخَيْرَ العِلْمِ وَخَيْرَ العَمَلِ وَخَيْرَ الثَّوَابِ وَخَيْرَ الحَيَاةِ وَخَيْرَ المَمَاتِ وَثَبِّتْنِي وَثَقِّلْ مَوَازِينِي وَحَقِّقْ إِيمَانِي وَارْفَعْ دَرَجَتِي وَتَقَبَّلْ صَلَاتِي وَاغْفِرْ خَطِيئَاتِي وَأَسْأَلُكَ العُلَا مِنَ الجَنَّةِ

دعاء ختم القرآن الكريم

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ

اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ

اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهَا جَنَّتَكَ وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا

اللَّهُمَّ لَا تَدَعْ لَنَا ذَنْبًا إِلَّا غَفَرْتَهُ وَلَا هَمًّا إِلَّا فَرَّجْتَهُ وَلَا دَيْنًا إِلَّا قَضَيْتَهُ وَلَا حَاجَةً مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا قَضَيْتَهَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْأَخْيَارِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

علامات الوقف ومصطلحات الضبط

عَلامَاتُ الوَقفِ وَمُصْطَلحَاتُ الضَّبْطِ :

مـ تُفِيدُ لُزُومَ الوَقْفِ

لا تُفِيدُ النَّهْيَ عَنِ الوَقْفِ

صلے تُفِيدُ بأَنَّ الوَصْلَ أَوْلَىٰ مَعَ جَوَازِ الوَقْفِ

قلے تُفِيدُ بأَنَّ الوَقْفَ أَوْلَىٰ

ج تُفِيدُ جَوَازَ الوَقْفِ

∴ ∴ تُفِيدُ جَوَازَ الوَقْفِ بِأَحَدِ المَوْضِعَيْنِ وَلَيسَ فِي كِلَيْهِمَا

ه للدِّلَالَةِ عَلَىٰ زِيَادَةِ الحَرْفِ وَعَدَمِ النُّطْقِ بِهِ

ه للدِّلَالَةِ عَلَىٰ زِيَادَةِ الحَرْفِ حِينَ الوَصْلِ .

ـه للدِّلَالَةِ عَلَىٰ سُكُونِ الحَرْفِ

م للدِّلَالَةِ عَلَىٰ وُجُودِ الإقْلَابِ

ـً للدِّلَالَةِ عَلَىٰ إِظْهَارِ التَّنْوِينِ

ـٍ للدِّلَالَةِ عَلَىٰ الإدْغَامِ وَالإخْفَاءِ

ا للدِّلَالَةِ عَلَىٰ وُجُوبِ النُّطْقِ بِالحُرُوفِ المَتْرُوكَةِ

س للدِّلَالَةِ عَلَىٰ وُجُوبِ النُّطْقِ بِالسِّينِ بَدَلَ الصَّادِ
وَإِذَا وُضِعَتْ بِالأَسْفَلِ فَالنُّطْقُ بِالصَّادِ أَشْهَرُ

ـٓ للدِّلَالَةِ عَلَىٰ لُزُومِ المَدِّ الزَّائِدِ

۩ للدِّلَالَةِ عَلَىٰ مَوْضِعِ السُّجُودِ ، أَمَّا كَلِمَةُ وُجُوبِ السُّجُودِ
فَقَدْ وُضِعَ تَحْتَهَا خَطٌّ

۞ للدِّلَالَةِ عَلَىٰ بِدَايَةِ الأَجْزَاءِ وَالأَحْزَابِ وَأَنْصَافِهَا وَأَرْبَاعِهَا

۝ للدِّلَالَةِ عَلَىٰ نِهَايَةِ الآيَةِ وَرَقْمِهَا .

ملحق
في فضائل القرآن الكريم

بابٌ في فضل قراءة القرآن

١ ـ عن أَبي أُمَامَةَ رضي اللهُ عنهُ قالَ: سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: (اقْرَؤُوا القُرْآنَ فإنَّهُ يَأْتي يَوْمَ القِيامَةِ شَفِيعاً لأَصْحَابِهِ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢ ـ وعَن النَّوَّاسِ بن سَمعَانَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: (يُؤْتَى يَوْمَ القِيامَةِ بالْقُرْآنِ وَأَهْلِهِ، الذِين كانُوا يَعْمَلُونَ بهِ في الدُّنيَا، تَقدُمُهُ سورَةُ البَقَرَةِ وَآلِ عِمرَانَ، تُحَاجَّانِ عن صَاحِبِهِمَا) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣ ـ وعن عثمانَ بنِ عفانَ رضِيَ اللهُ عنهُ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القرْآنَ وَعَلَّمَهُ)[١] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٤ ـ وعن عائشةَ رضيَ اللهُ عنهَا قالتْ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: (الَّذِي يَقرَأُ القُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ، مَعَ السَّفَرَةِ الكرَامِ البَرَرَةِ[٢]، وَالذي يَقرَأُ القُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ[٣]، وَهُوَ عليهِ شَاقٌّ له أجْران) مُتَفَقٌ عَلَيْه.

٥ ـ وعن أَبي موسى الأَشْعَرِيِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: (مَثَلُ المُؤمنِ الَّذي يَقرَأُ القرْآنَ، مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ[٤]، رِيحُهَا طَيِّبٌ، وَطَعمُها طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المؤمِنِ الَّذِي لا يَقرَأُ القُرْآنَ، كَمَثَلِ التَّمرَةِ: لَا رِيح لَهَا وَطَعْمهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الذي يَقْرَأُ القرْآنَ، كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ: ريحها طَيِّبٌ وَطَعْمهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الذي لا يَقْرَأُ القرْآنَ، كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ: لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعمُهَا مُرٌّ) مُتَفَقٌ عَلَيْه.

٦ ـ وعن عمرَ بنِ الخطابِ رضي اللهُ عنهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: (إنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهذَا الكِتَابِ أَقْوَاماً[٥] وَيَضَعُ بِهِ آخرين) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآن» لمَّا كان القُرْآنُ كلامُ ربِّ العزة والجلال، وهو أفضل العلوم وأشرفها، كان من تعلّمه وعلّمه، أفضلَ الناس عند الله تعالى.

(٢) «مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرةِ» أي مع الملائكة المقرّبين الأطهار بأعلى المنازل في الجنة.

(٣) «ويَتَتَعْتَعُ فِيهِ» أي يقرأ القرآن ويتعثّر في قراءته، ويصعب عليه، لأنه عاميٌّ، أو لا يعرف اللغة العربية، فله أجران: أجر للقراءة، وأجر للمشقة.

(٤) «مَثَلُ الأُتْرُجَّة» الأُتْرُجَّة: ثمر طيّب الطعم والرائحة، يشبه البطيخ أو المَنْجَا.

(٥) «يَرْفَعُ بِهذَا الكِتَابِ أَقْوَاماً» أي يرفع به منزلة أقوام، ويخفض منزلة آخرين، ولهذا الحديث سرٌّ دقيق، وخبر عجيب، فقد رُوي أن عمر رضي الله عنه سأل نافعاً: «من استعملت على أهل مكة؟ قال: «ابنَ أَبْزَى» قال: ومن هو؟ قال: مَوْلى من موالينا ـ أي عبداً مملوكاً من عبيدنا ـ قال: استخلفتَ عليهم مَوْلى؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنه قارئٌ لكتاب الله، عالمٌ بالفرائض!! فقال عمر: أحسنتَ! سمعتُ نبيّكم ﷺ يقول: إن الله يرفعُ بهذا الكتاب أقواماً، ويضَعُ بِهِ آخَرين» رواه مسلم.

٧ ـ وعنِ ابن عمرَ رضيَ اللهُ عنهمَا، عنِ النَّبيِّ ﷺ قال: (لا حَسَدَ إلَّا في اثنَتَيْنِ[١]: رَجُلٌ آتاهُ اللهُ القُرآنَ، فهوَ يَقُومُ بِهِ آناءَ اللَّيلِ وَآناءَ النَّهارِ، وَرَجُلٌ آتاهُ اللهُ مَالاً، فهُوَ يُنْفِقهُ آناءَ اللَّيلِ وَآناءَ النهارِ) مُتَفَقٌ عَلَيْهِ، الآناء: الساعات.

٨ ـ وعنِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الكَهْفِ، وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبوطٌ بِشَطَنَيْنِ[٢]، فَتَغَشَّته سَحَابَةٌ فَجَعَلَت تَدْنُو، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِر مِنها، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذلكَ لَهُ، فقالَ: تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ للقُرآنِ»[٣] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، «الشَّطَنُ» بفتحِ الشينِ المعجمةِ والطاءِ المهملة: الحبلُ.

٩ ـ وعن ابنِ مسعودٍ رَضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ قَرَأَ حَرْفاً مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ، والحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمثَالِهَا، لا أقولُ: «الم» حَرْفٌ، وَلكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ) رَوَاهُ الترمِذيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

١٠ ـ وعنِ ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: (إنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ[٤] شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ، كالبَيْتِ الخَرِبِ)[٥] رَوَاهُ الترمِذِيُّ وقال: حديث حسن صحيح.

١١ ـ وعن عبدِ اللهِ بن عَمْرو بن العاصِ رَضيَ اللهُ عَنْهُمَا، عنِ النبيِّ ﷺ قال: (يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ، وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤهَا) رَوَاهُ أبو داود، والترْمذي وقال: حديث حسنٌ صحيح.

بابٌ في الأمر بتعهّد القرآن والتحذير من تعريضِهِ للنِّسيَان

١٢ ـ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عنهُ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: (تَعَاهَدُوا هَذَا القُرْآنَ[٦] فَوَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الإبلِ في عُقُلِهَا)[٧] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) «لا حَسَدَ إلَّا في اثْنَتَيْنِ» والحسد قسمان: مذمومٌ، ومحمود، أمّا المذموم فهو تمنّي زوال النعمة عن صاحبها، وأما المحمود فهو أن يتمنى مثل النعمة التي وهبها الله لغيره، ويسمى «حسد الغبطة» وهو الذي عناه الحديث الشريف.

(٢) «مَرْبُوط بِشَطَنَيْنِ» الشَّطَنُ: الحبل، أي مربوط بحبلَيْن، ومعنى «تغشَّتْه سحابة» أي أظلّته.

(٣) «تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ للقُرآنِ» أي الرحمةُ والوقار تنزلت لتلاوة القرآن.

(٤) «لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ القُرْآنِ» أي لا يحفظ شيئاً من القرآن في صدره.

(٥) «كَالبَيْتِ الخَرِبِ» أي كالبيت المتهدِّم لا يُنتفع به في سكنى، ويكون مأوى للهوام والأفاعي، كذلك قلب الإنسان إذا خلا من آيات القرآن، يكون خرِباً ميتاً، لا نور فيه ولا ضياء، وهو تمثيل بديع لمن خلا جوفه من نور الكتاب المبين.

(٦) «تعَاهَدُوا هَذَا القُرْآنَ» أي جدِّدُوا عهدكم بالقرآن بملازمة تلاوته.

(٧) «أَشَدُّ تَفَلُّتاً مِنَ الإِبلِ» أي أكثر انفلاتاً من الصدور، من الإبل المربوطة إذا أفلتت من الحِبَال، ولهذا قال ﷺ: «إن عاهَدَ عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبَتْ».

١٣ ـ وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عنهُمَا، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: (إنَّما مَثَلُ صَاحِبِ القُرْآنِ كَمَثَلِ الإبِلِ المُعَقَّلَةِ، إنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا، أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا، ذَهَبَتْ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

بابٌ في استِحباب تَحْسِينِ الصَّوتِ بالقرآن وطلبُ القراءةِ مِنْ حَسَنِ الصَّوتِ والاسْتِمَاع لَهَا

١٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنهُ قال: سمِعتُ رسولَ الله ﷺ يَقولُ: (مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ[1] مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ، يَتَغَنَّى بِالقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ)[2] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١٥ ـ وعن أَبِي موسى الأَشْعَرِيِّ رضيَ اللهُ عنهُ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال له: (لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَاراً منْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ)[3] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١٦ ـ وفي روايةٍ لمسلمٍ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ لهُ: (لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ البَارِحَةَ)[4].

١٧ ـ وعنِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ رضيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: (سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ قَرَأَ في العِشَاءِ بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، فَمَا سَمِعْتُ أَحَداً أَحْسَنَ صَوْتاً مِنْهُ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١٨ ـ وعنْ أبي لُبَابَةَ بَشِيرِ بن عبدِ المُنْذرِ رضيَ اللهُ عنهُ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: (مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ فَلَيْسَ مِنَّا) رَوَاهُ أبو داود بإسنادٍ جيد.

وَمَعنى «يَتَغَنَّى»: يُحَسِّنُ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ.

---

(١) «مَا أَذِنَ الله لِشَيْءٍ» أي ما استمع ربُّ العزة والجلال لشيء من الأشياء، كاستماعه لنبيٍّ يقرأ القرآن، بصوت نديٍّ، يجهر بتلاوته، مع حسن الصوت، ومعنى أَذِنَ: أي استمع، قال تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أي استمعتْ لأمر الله واستجابت.

(٢) «يَتَغَنَّى بالقُرْآنِ» أي يجهر بتلاوته مع حسن التلاوة، قال الشافعي: المراد بالتَّغَنِّي تحسينُ القراءة وترقيقُها لحديث: (زيِّنوا القرآنَ بأصواتكم) أي حسِّنوه للناس بجمال التلاوة، فإن الصَّوْتَ الحسنَ يؤثِّر في القلوب.

(٣) «مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ» شبَّه حسن الصوت، وحلاوة نغمته، بصوتِ المزمار، و«داود» عليه السلام هو النَّبِيُّ الكريم، الذي إليه المنتهى في حسن الصوت بالتلاوة، كان إذا قرأ الزبور بصوته الرخيم، تقف الطيور عن الطيران فتردِّد معه، وكذلك الجبال، قال تعالى: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ أي رجِّعي معه التسبيح يا أيتها الجبال، ويا أيتها الطيور، وإذا سبَّح تسبح معه الجبال الراسيات، والطيور السارحات.

(٤) «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ» جواب «لو» محذوف أي لأعجبك ذلك، والحديث الذي رواه مسلم له سبب ورود، فقد روي «أن النبي ﷺ مرَّ على منازل الأشعريِّين، فسمعَ «أبا موسى الأشعري» يقرأ في بيته القرآن، فوقف يستمع لقراءته، فلما انتهى من القراءة، انصرفَ رسولُ الله ﷺ، وفي اليوم التالي لقيَ الرسولُ ﷺ أبا موسى الأشعري فقال له: لو رأيتني وأنا أستمع إلى قراءتك البارحة!! لقد أُعطيتَ مزماراً من مزامير آل داود!؟ فقال: يا رسولَ الله أكنتَ تستمعُ إلى قراءتي؟ قال: نعم، فقال له أبو موسى: لو علمتُ أنك كنت تسمعُ، لحبَّرتُه لك تحبيراً» أي لحسَّنت لك القراءة تحسيناً أروعَ وأبدع!!

١٩ ـ وعن ابنِ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ قَالَ: قَالَ لي النَّبيُّ ﷺ: (اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ، فَقُلْتُ: يا رسُولَ اللهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قال: إنِّي أُحِبُّ أنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى جِئْتُ إلى هذه الآيَة: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال: حَسْبُكَ الآنَ[١] فالْتَفَتُّ إلَيْهِ، فإذا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ)[٢] مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

بابٌ في الحثّ على سُوَر وآيات مخصوصَة

فضل سورة الفاتحة

٢٠ ـ عن أبي سعيدٍ «رافع بنِ المُعَلَّى» رَضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لي رسولُ اللهِ ﷺ: (أَلا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ في الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ؟ فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ إنَّكَ قُلْتَ: لأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ في الْقُرْآنِ؟ قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذي أُوتِيتُهُ)[٣] رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

فضل سورة الإخلاص

٢١ ـ وعن أبي سعيدِ الخُدْرِيِّ رضيَ اللهُ عنهُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قَالَ في: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: (وَالَّذي نَفْسي بِيَدِهِ، إنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ).

٢٢ ـ **وفي روايةٍ**: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ لأصْحَابِهِ: (أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ بِثُلُثِ الْقُرْآنِ في لَيْلَةٍ؟ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذلكَ يَا رسولَ الله: فقالَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ثُلُثُ القُرْآنِ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٢٣ ـ وعَنْ أبي سعيد الخُدْرِيِّ رَضِيَ الله عَنْهُ (أَنَّ رَجُلاً سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إلى رسولِ الله ﷺ فَذَكَرَ ذلكَ لَهُ ـ وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُّهَا ـ فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: وَالَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ، إنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) «حَسْبُكَ الآنَ» أي يكفي ما قرأتَ الآنَ عليَّ.

(٢) «فإذا عيناه تذرفان» أي تسكبان الدمع خشوعاً لكلام الرحمن!! رسولُ الله يسمع القرآن فيبكي، وتنهمر الدموعُ من عينيه مدراراً، ونحن اليوم نقرأ، ولا نبكي ولا نتأثر، بآيات الذكر الحكيم، فقد قست القلوب، بسبب كثرة الذنوب، وبسبب الغفلة عن فهم كلام رب العالمين، وشأنُ المؤمن أن يخشع ويبكي عند سماع القرآن: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.

(٣) «الحَمْدُ لله رَبِّ العالمين هي السَّبْعُ المثاني» سُمِّيَتْ «سورة الفاتحة» بالسبع المثاني، لأنها سبعُ آياتٍ تُتلى وتُكرَّر آياتها، في كل ركعة من ركعات الصلاة، وهي أعظم سورة في القرآن العظيم، كما قاله عليه أفضل الصلاة والتسليم.

٢٤ ـ وعن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ (أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: إنَّها تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٥ ـ وعنْ أنسٍ رضي اللهُ عنهُ (أنَّ رَجُلاً قال: يا رسولَ اللهِ إني أُحِبُّ هذِهِ السُّورَةَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قال: إنَّ حُبَّها أدْخَلَكَ الجَنَّةَ) رواه الترمذي وقال: حديثٌ حسن، ورَوَاهُ الْبُخَارِيُّ في صحيحِهِ تعليقاً.

فضل قراءة المعوذتين

٢٦ ـ وعن عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ رَضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: (أَلَمْ تَرَ آياتٍ أُنْزِلَتْ هذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قطُّ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٢٧ ـ وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضيَ اللهُ عنهُ قال: (كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجانِّ، وَعَيْنِ الإنْسَانِ، حَتَّى نَزَلَتِ المُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتا، أَخَذَ بِهِما وَتَرَكَ ما سِوَاهُمَا) رَوَاهُ الترمِذِيُّ وقال: حديث حسن.

فضل سورة المُلْك

٢٨ ـ وعن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ: (مِن القُرْآنِ سُورَةٌ ثَلاثُونَ آيَةً، شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾) رَوَاهُ أبو داود والترمذِي وقال: حديث حسن.

وفي رواية أبي داود: «تَشْفَعُ».

فضل سورة البقرة

٢٩ ـ وعن أبي مسعودٍ البَدْرِيِّ رضيَ اللهُ عنهُ، عنِ النبيِّ ﷺ قال: (مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ في لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يعني كَفَتَاهُ المَكْرُوهَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَقِيلَ: كَفَتَاهُ مِنْ قِيامِ اللَّيْلِ.

٣٠ ـ وعن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: (لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ[1] إنَّ الشَّيطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ) رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(١) «لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ» أي لا تجعلوا بيوتكم كالمقابر، لا تُتلى فيها آيات الذكر الحكيم، فالقرآنُ نور وضياء، وتلاوته تُطرد الشياطين.

فضل آية الكرسي

٣١ ـ وعن أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رَضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (يا أَبا المُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيّ آيةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾، فَضَرَبَ في صَدْرِي وَقَالَ: لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا المُنذِرِ)[١] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٣٢ ـ وعن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قال: (وَكَّلَني رسولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَاني آتٍ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ[٢]، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ!! قَالَ: إنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَبي حَاجَةٌ شَديدَةٌ، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا أَبا هُرَيرةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ[٣]؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ شَكَا حَاجَةً وَعِيَالاً، فَرَحِمْتُهُ[٤]، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ!! فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَقُلْتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: دَعْني فَإِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ لا أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لي رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، ما فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، شَكَا حَاجَةً وَعِيالاً فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبيلَهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ[٥]» فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فقلتُ: لأَرْفَعَنَّكَ إلى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهذا آخِرُ ثَلاثِ مَرَّاتٍ، إِنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ! فقال: دَعْني فَإِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بهَا، قلتُ: مَا هُنَّ؟ قال: إذا أَوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرسِيِّ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ حَتَّى تَخْتِمَ الآية، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لي رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُني كَلِمَاتٍ يَنْفَعُني اللهُ بهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَه!! قالَ: مَا هِيَ؟ قلت: قالَ لي: إذا أَوَيْتَ إلى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِها حَتَّى تَخْتِمَ الآيةَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وقالَ لي: لا يَزَال عَلَيْكَ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَنْ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ. فقالَ النبيُّ ﷺ: أَمَا إِنَّه قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تخاطِبُ مُنْذ ثَلاثٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟ قلت: لا، قال: ذَاكَ شَيْطَانٌ) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) «لِيَهْنِكَ العِلْمُ أَبَا المُنْذِرِ» أي لتهنأ بالعلم الذي في صدرك، فقد وفَّقك الله لمعرفة الصواب، و «أبو المنذر» كنيةُ (أُبَيِّ بن كَعب) رضي الله عنه.

(٢) «يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ» أي يسرق من أموال الصدقة أي الزكاة والمراد بالطعام هنا: القمحُ والتمر.

(٣) «ما فَعَلَ أَسِيرُكَ؟» أي ماذا صنعت باللصِّ الذي سرق الطعام؟

(٤) «شَكَا حَاجَةً وعيالاً» أي اشتكى إليَّ الفقرَ، وكثرةَ العيال فتركتُه.

(٥) «كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ» أي كذب عليك وسيعود ليسرق من الطعام مرة أخرى!! وقوله: «فرصدتُه» أي أيقنتُ بمجيئه مرة أخرى، ليقيني بصدق رسول الله ﷺ فترقبتُ مجيئه للقبض عليه فأمسكته، وقد أخبره ﷺ بعد المرة الثالثة بأنه الشيطان اللعين كان يتردد عليه.

فضل سورة الكهف

٣٣ ـ عن أبي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عنهُ، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آياتٍ مِن أوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، عُصِمَ منَ الدَّجَّالِ»[1].

وفي رواية: (مِنْ آخِرِ سُورَةِ الكهْفِ) رَوَاهما مسلم.

فضل خواتيم سورة البقرة

٣٤ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: (بَيْنَمَا جِبْرِيلُ عليهِ السَّلام قاعِدٌ عِندَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضاً[2] مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَه فَقَالَ: هذا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليَوْمَ، ولَمْ يُفْتَح قَطُّ إلَّا اليَوْمَ، فَنَزَلَ مِنه مَلَكٌ فقالَ: هذا مَلَكٌ نَزَلَ إلى الأرْض، لمْ ينزِلْ قَطُّ إلَّا اليَوْمَ، فَسَلَّمَ وقالَ: أبشِرْ بنورَين أوتيتَهمَا، لَمْ يُؤتهمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتحَةِ الكِتَابِ، وخَوَاتِيم سُورَةِ البَقرةِ، لَن تَقرأَ بحَرْفٍ منها إلَّا أُعْطِيتَه) رَوَاهُ مُسْلِمٌ، «النَّقِيض» الصَّوت.

استحبابُ الاجتماع على قراءة القرآن

٣٥ ـ وَعَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنه، قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: (ومَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ من بُيوتِ اللهِ يَتْلُونَ كتَابَ اللهِ، ويَتَدَارَسُونَه بَيْنَهُم، إلَّا نَزَلَتْ عَلَيهِم السَّكِينَةُ[3]، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَة، وَحَفَّتْهُم المَلائِكَة، وذَكَرَهُم الله فِيمَنْ عِندَه)[4] رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

هذه باقة من الأحاديث النبوية الشريفة وكلُّها أحاديثُ صحيحة من (ميراث النبوّة) نقلناها من كتاب (رياض الصالحين) للإمام النَّوويِ رحمه الله، وقد أكرمني الله عزَّ وجل بشرح هذا الكتاب القيِّم شرحاً وافياً، ليس بالطويل المُمِلِّ، ولا بالموجز المُخِلِّ، وطبع كتاب (شرح رياض الصالحين) طبعة أنيقة، طبعته (دار الأفق) للطباعة والنشر، نسأله تعالى التوفيق والسداد، وصلى الله على خير العباد (محمد بن عبد الله) وآله وصحبه أجمعين.

خادم الكتاب والسنة
الشيخ محمد علي الصابوني

---

(١) «عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ» أي نجّاه الله وسلّمه من فتنة المسيح الدَّجّال، الذي يظهر في آخر الزمان، يدّعي الربوبية ويتبعه خلْقٌ كثير.

(٢) «سَمِعَ نَقِيضاً» أي صوتاً عظيماً من جهة السماء، نزل بعده مَلَكٌ من ملائكة الرحمن.

(٣) «نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ» أي الطمأنينة وخشوع القلب والأمانُ، قال تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئنُّ قلوبُهم بذكر الله﴾.

(٤) «وَذَكَرَهُمْ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ» أي ذكرهم بالثناء عند الملائكة الأبرار الأطهار!! ما أعظم أن يذكرك الله في الملأ الأعلى وأنت تقرأ كتاب الله؟

فصل
في خواص القُرآن الكريم

أفرده بالتصنيف جماعة، منهم: حجة الإسلام الغزاليّ، واليافعيّ، وها أنا أبدأ بما ورد من ذلك في الحديث، ثم ألتقط عيوناً ممّا ذكره السلف والصالحون:

أخرج ابن ماجه، من حديث ابن مسعود: (عليكم بالشفاءين: العسلِ، والقرآن) ومن حديث عليّ: (خير الدواء القرآن).

وأخرج أبو عبيد، عن طلحة بن مطرّف، قال: (كان يقال إذا قرئ القرآن عند المريض، وَجَدَ لذلك خفّة).

وأخرج البيهقي في الشُّعب، عن واثلةَ بن الأسْقَع: (أنَّ رجلاً شكا إلى النبي ﷺ وَجَع حلْقه، قال: عليك بقراءة القرآن).

وأخرج ابن مردويه، عن أبي سعيد الخدري، قال: (جاء رجل إلى النبي ﷺ قال: إنّي أشتكي صدري، قال: اقرأ القرآن، لقول الله تعالى: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يُونس: الآية ٥٧].

وأخرج البيهقيّ من حديث عبد الله بن جابر: (في فاتحة الكتاب شفاءٌ من كلّ داء).

وأخرج الخُلَعيّ في فوائده، من حديث جابر بن عبد الله: (فاتحة الكتاب شفاءٌ من كلّ شيء، إلّا السام) والسَّامُ: الموتُ.

وأخرج البخاري من حديثه أيضاً، قال: (كنّا في مسير لنا فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إنّ سيّد الحيّ سليمٌ ـ أي مريضٌ ـ فهل معكم راقٍ؟ فقام معها رجل، فرقاه بأُمّ القرآن فبرئ، فذُكر للنبي ﷺ فقال: وما كان يدريه أنها رُقْية)؟

وأخرج الطبرانيّ في الأوسط، عن السائب بن يزيد، قال: (عوّذني رسول الله ﷺ بفاتحة الكتاب تفْلاً).

وأخرج البزار من حديث أنس: (إذا وضعتَ جنبك على الفراش، وقرأتَ فاتحةَ الكتاب، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ قد أمنت من كلّ شيء إلا الموت).

وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة: (إنّ البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان).

وأخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ـ بسند حسن ـ عن أُبي بن كعب قال: (كنت عند النبي ﷺ، فجاء أعرابي فقال: يا نبي الله، إنّ لي أخاً وبه وجعٌ، قال: «وما وَجَعُه»؟ قال: به لَمَمٌ، قال: فأتني به. فوضعه بين يديه، فعوَّذه النبيُّ ﷺ بفاتحة الكتاب، وأربع آيات من أول سورة البقرة، وهاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ...﴾ [البقرة:١٦٣]، وآية الكرسيّ، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة، وآية من آل عمران: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨]، وآية من الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾ [الأعرَاف: الآية ٥٤]، وآخر سورة المؤمنون: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [المؤمنون: الآية ١١٦]، وآية من سورة الجنّ: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ [الجنّ: الآية ٣]، وعشر آيات من أول الصافَّات، وثلاث آيات من آخر سورة الحشر، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: الآية ١] والمعوذتين، فقام الرّجل كأنه لم يَشْكُ قط).

وأخرج الدّارميّ عن ابن مسعود موقوفاً: (من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة، وآية الكرسيّ، وآيتين بعد آية الكرسيّ، وثلاثاً من آخر سورة البقرة، لم يقربه ولا أهلَهُ يومئذٍ شيطانٌ، ولا شيء يكرهه، ولا يُقْرَأْنَ على مجنون إلا أفاق).

وأخرج البخاريّ عن أبي هريرة في قصة الصدقة: (أنّ الجنّي قال له: إذا أويت إلى فراشكَ، فاقرأ آية الكرسيّ، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتّى تصبح، فقال النبيّ ﷺ: أما إنه صدقك، وهو كذوب).

وأخرج المحامليّ في «فوائده»، عن ابن مسعود، قال: (قال رجل: يا رسول الله، علّمني شيئاً ينفعني الله به، قال: «اقرأ آية الكرسي، فإنّه يحفظك وذرّيتك، ويحفظُ دارك، حتّى الدّويرات حول دارك).

وأخرج الدّينوريّ في «المجالسة» عن الحسن: أن النبي ﷺ قال: (إنّ جبريل أتاني فقال: إنّ عفريتاً من الجن يكيدك، فإذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسيّ).

وأخرج الدّارميّ عن المغيرة بن سَبيع ـ وكان من أصحاب عبد الله- قال: (من قرأ عشر آيات من البقرة عند منامه، لم ينسَ القرآن: أربع من أولها، وآية الكرسي، وآيتان بعدها، وثلاث من آخرها).

وأخرج الطّبراني عن معاذ: أن النبيّ ﷺ قال له: (ألا أعلمك دعاءً تدعو به، لو كان عليك من الدَّيْن مثل ثَبير أدّاه الله عنك: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾ إلى

قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦ ـ ٢٧]، رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطي من تشاء منهما، وتمنع من تشاء، ارحمني رحمة تغنيني بها عن رحمة مَنْ سواك).

ثَبِيرٌ: اسمُ جبلٍ في مكة.

وأخرج البيهقي عن ابن عباس: (إذا استصعبَتْ دابّةُ أحدكم، أو كانت شموساً، فليقرأ هذه الآيـة في أذنيهـا: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٨٣].

وأخرج البيهقي في «الشُعَبِ» عن عليّ، موقوفاً: (سورة الأنعام ما قرئت على عليل إلّا شفاه الله).

وأخرج ابنُ السنّي عن فاطمة: (أنّ رسول الله ﷺ ـ لمّا دَنَا ولَادُها ـ أَمَرَ أمّ سلمة، وزينب ابنة جحش أن يأتيا فيقرآ عندها آية الكرسيّ، و﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ...﴾ [الأعراف:٥]، ويعوّذاها بالمعوّذتين).

وأخرج ابن السنيّ من حديث الحسين بن عليّ: (أمانٌ لأمّتي من الغرق، إذا ركبوا أن يقرؤوا: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود:٤١]. ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: الآية ٩١] وغيرها الآية).

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ليث، قال: (بلغني أنّ هؤلاء الآيات شفاء من السّحر، يُقرأن على إناء فيه ماء، ثم يُصَبُّ على رأس المسحور: الآية التي في سورة يونس: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ٨١ ـ ٨٢] وقوله: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١١٨] إلى آخر أربع آيات [١١٨ ـ ١٢١]. وقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ [طه: ٦٩] الآية.

وأخرج الحاكم وغيره من حديث أبي هريرة: (ما كَرَبني أمرٌ إلّا تمثّل لي جبريل، فقال: يا محمد، قل: توكلتُ على الحيّ الذي لا يموت ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء:١١١]).

ومن حديث ابن عباس مرفوعاً: (هذه الآية أمانٌ من السرَق: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء:١١٠] إلى آخر السورة).

وأخرج البيهقي من حديث أنس: (ما أنعم الله على عبدٍ نعمةً في أهلٍ، ولا مال، ولا ولدٍ، فيقول: «ما شاء الله لا قوة إلّا بالله» فيرى فيه آفة دون الموت).

وأخرج الترمذي والحاكم، من حديث سعد بن أبي وقاص: (دعوةُ ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٨٧] ، لم يدعُ بها رجل مسلم في شيءٍ، إلا استجاب الله له).

وعند ابن السّني: (إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فُرّج عنه، كلمة أخي يونس: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٨٧]).

وأخرج البيهقي عن ابن مسعود (أنه قرأ في أذن مبتلى فأفاق، فقال رسول الله ﷺ : «ما قرأتَ في أذنه؟» قال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا..﴾ [المؤمنون:١١٥] إلى آخر السورة، فقال: لو أنّ رجلاً موقناً قرأ بها على جبل لزال).

وأخرج الديلميّ، من حديث أبي ذرّ: (ما من ميّت يموت، فيُقرأ عنده يّس إلا هوّن الله عليه).

وفي المستدرك عن (أبي جعفر) محمد بن عليّ قال: (من وَجَد في قلبه قسوةً، فلْيكتب يسٓ في جامع بماء وردٍ وزعفران، ثم يشربه).

وأخرج الترمذيّ، من حديث أبي هريرة: (من قرأ الدخان كلّها، وأول غافر إلى﴿إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: الآية ٣] ، وآية الكرسي حين يمسي، حُفظ بها حتى يصبح، ومن قرأها حين يُصبح، حُفظ به حتى يُمسي).

وأخرج البيهقي، عن ابن مسعود مرفوعاً: (من قرأ كل ليلة سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبداً).

وأخرج البيهقي في «الدعوات» عن ابن عباس موقوفاً- في المرأة يعسر عليها ولادها- قال: (يُكتب في قرطاس ثم تُسقى: بأسم الله الذي لا إله إلا هو الحليم الكريم، سبحان الله وتعالى رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النّازعات: الآية ٤٦] ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف:٣٥]).

وأخرج أبو داود، عن ابن عباس، قال: إذا وجدْتَ في نفسك شيئاً- يعني الوسوسة- فقل: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد:٣].

وأخرج الطبراني، عن عليّ قال: لدغَتِ النبيَّ ﷺ عقرب، فدعا بماء وملح، وجعل يمسح

عليها ويقرأ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: الآية ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفَلَق: الآية ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [النَّاس: الآية ١].

وأخرج الترمذي والنسائي، عن أبي سعيد: (كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان، وعينِ الإنسان، حتى نزلت المعوِّذات، فأخذها وترك ما سواها).

ومن لطيفهِ: ما حكاه ابن الجوزيّ، عن ابن ناصر، عن شيوخه، عن ميمونة البغدادية، قالت: (آذانا جارٌ لنا، فصليت ركعتين، وقرأت من فاتحة كلّ سورة آية حتى ختمت القرآن، وقلت: اللهم اكفنا أمره، ثم نمت وفتحت عيني، وإذا به قد نزل وقت السحر، فزلّت قدمُه، فسقط ومات).

تنبيه: قال ابن التّين: الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى، هو الطبُّ الروحاني، إذا كان على لسان الأبرار من الخلق، حصل الشفاء بإذن الله، فلما عزّ هذا النوعُ، فَزِع الناسُ إلى الطب الجثماني.

قلت: ويشير إلى هذا قوله ﷺ: «لو أن رجلاً موقناً قرأ بها على جبل لزال».

وقال القرطبي: تجوز الرقية بكلام الله وأسمائه، فإن كان مأثوراً استحب.

وقال الربيع: سألت الشافعي عن الرقية؟ فقال: (لا بأسَ أن يرقى بكتاب الله، وما يعرف من ذكر الله).

وقال ابن بطّال: في المعوذات سرّ ليس في غيرها من القرآن، لما اشتملت عليه من جوامع الدّعاء التي تعمّ أكثر المكروهات، من السحر والحسد وشر الشيطان ووسوسته وغير ذلك؛ فلهذا كان ﷺ يكتفي بها.

وقال ابن القيّم في حديث الرّقية بالفاتحة: إذا ثبت أن لبعض الكلام خواصّ ومنافع، فما الظن بكلام رب العالمين، ثم بالفاتحة التي لم ينزل في القرآن، ولا غيره من الكتب مثلُها، لتضمنها جميع ما في الكتاب، فقد اشتملت على: ذكر أصول أسماء الله ومجامعها، وإثبات المعاد، وذكر التوحيد، والافتقار إلى الرب، في طلب الإعانة به، والهداية منه، وذكر أفضل الدعاء، وهو طلب الهداية إلى الصراط المستقيم، المتضمن كمال معرفته وتوحيده وعبادته، بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه، والاستقامة عليه، ولتضمّنها ذكر أصناف الخلائق، وقسمتهم إلى منعَم عليه، لمعرفته بالحق والعمل به، ومغضوب عليه لعدوله عن الحقّ بعد

معرفته، وضال لعدم معرفته له، مع ما تضمنته من: إثبات القدر، والشرع، والأسماء، والمعاد، والتوبة، وتزكية النفس، وإصلاح القلب، والردّ على جميع أهل البدع، وحقيق بسورة هذا بعض شأنها أن يستشفى بها من كل داء) انتهى.

مسألة: قال النووي في شرح المهذب: لو كتب القرآن في إناء، ثم غسله وسقاه المريض، فقال الحسن البصريّ ومجاهد وأبو قلابة والأوزاعي: لا بأس به، وكرهه النّخعي، قال: ومقتضى مذهبنا أنه لا بأس به، فقد قال القاضي حسين والبغويّ وغيرهما: لو كتب قرآن على حلوى وطعام فلا بأس بأكله. انتهى.

قال الزركشيُّ: ممن صرّح بالجواز في (مسألة الإناء) العماد النيهيّ، مع تصريحه بأنه لا يجوز ابتلاع ورقة فيها آية، لكن أفتى ابن عبد السلام بالمنع من الشرب أيضاً، لأنه يلاقيه نجاسة الباطن. وفيه نظر.

من كتاب «الإتقان في علوم القرآن»
للإمام جلال الدين السيوطي رحمه الله

❊ ❊ ❊

فصل
في أحكام التلاوة والتجويد

ربما كان تعلّم أحكام التلاوة لا يكفي فيه الكتابةُ، ويحسن الاسترشاد فيه بمن له معرفة بها، لأنها أحكام تتعلق بالنطق، ولكنّنا نوضّح هنا القواعد والأحكام، ونحاول قدر الإمكان تبيان كيفية النطق بها، وجدير بالذكر أن بعض المصاحف تتخذ قواعد في الكتابة لإظهار النطق، يحسن الالتفات إليها، والرجوع إلى تعريف المصحف بآخره إن وجد، وسنشير إلى بعض ذلك في موضعه.

أولاً: النون الساكنة والتنوين:

لاحظ نطق هذه الكلمات إذا رُسِمَتْ بهاتين الطريقتين:

غَفُورُنْ - غَفُورٌ　　　شَرَابُنْ - شَرَابٌ

قَلِيلَنْ - قَلِيلاً　　　حَمِيمِنْ - حَمِيمٍ -

نجد أن النطق واحد لا يتغيّر، رغم اختلاف الرسم - لذلك نجد أن النون الساكنة والتنوين لها أحكام واحدة، لأن التنوين لا يخرج عن كونه نون ساكنة، أُضيفت بعد الحرف المتحرك.

١ - **الإدغام**: فالنون الساكنة أو التنوين إذا أعقبه راء أو لام فإنها تدغم إدغاماً كاملاً فلا تنطق النون الساكنة أو التنوين.

مثل: (ر) مِنْ رَّبِّهِم - غَفُورًا رَحِيماً. (ل) لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ - لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ.

ولبعض المصاحف في إظهار هذه القاعدة طريقة، هي التي أثبتنا بها هذه الأمثلة السالفة، فمثلاً تكتب النون في (من ربهم) عارية من السكون مع تشديد الراء فتنطق (مِرَّ بِّهِمْ).

كذلك يلاحظ وضع الشدّة على راء (رحيمًا) في (غَفُورًا رَّحِيماً) وعلى لام للمطففين في (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ) وعلى لام (للشاربين) في (لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ) فتنطق (لَذَّتِلِّشَّارِبِينَ).

٢ - **الإدغام بغنة**: إذا جاء بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف كلمة «ينمو» تدغم النون الساكنة أو التنوين وتغن. والإدغام بغنة يعني عدم النطق بالنون نطقاً ظاهراً، بحيث يقرعه اللسان، ولا إدغامها تماماً كأنها غير موجودة، وتعطى الغنّة حركتان. وسنعرض لمعنى الحركتين عند الكلام عن المد إن شاء الله.

ويلاحظ في شكل إثباتها هنا طريقة بعض المصاحف وهذه بعض الأمثلة.

(ي) مَنْ يَعْمَلْ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ.

(ن) وَمَنْ نُّعَمِّرْهُ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَة.

(م) بلوٰءٌ مُّبِينٌ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي.

(و) رَحِيمٌ وَّدُودٌ مِن وَّالٍ.

ويستثنى من هذه القاعدة كلمات ثلاث، لا تدغم ولا تغن وإنما تظهر، وهي: صِنْوَان ـ قِنْوَان ـ دُنْيَا.

٣ ـ **الإظهار**: إذا جاء بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من الستة المذكورة في البيت:

همز فهاء ثم عين حاء مهملتان ثم غين خاء

ويُقال لهذه الحروف إنها حروف الحلق، كما جُمعت في هذا البيت:

وحَرْفُ حَلْقٍ هَمْزَةٌ والهَاءُ عَيْنٌ وَغَيْنٌ ثُمَّ حَاءٌ خَاءُ

تظهر النون الساكنة أو التنوين إظهاراً كاملاً بحيث يقرعه اللسان. (مهملتان أي ليس عليهما نقط). مثل:

(ء) يَنْأون عَنْهُ وَلَا شَرَاباً إِلَّا.

(هـ) يَنْهَوْنَ عَنْهُ لِكُلٍّ قَوْمٍ هَادٍ.

(ع) مِنْ عِلْمٍ سَمِيعٌ عَلِيم.

(ح) رُخَاءً حَيْث غَفُورٌ حَلِيم.

(غ) مِنْ غَيْرِ سُوء

(خ) مِنْ خَيْر مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُشْرِكٍ.

٤ ـ **الإقلاب**: النون الساكنة أو التنوين، إذا تلاه باء يقلب التنوين أو النون إلى ميم. مثال ذلك: مَشَّاءٍ بِنَميم ـ أَنْبِئْهُمْ ـ كِرَامٍ بَرَرَة ـ مُنْبِثاً ـ يَنْبَغِي.

ويلاحظ في كتابة المصاحف وضع (م) صغيرة على النون الساكنة أو الحرف المنوّن في حالات الإقلاب، دلالة إقلابه ميماً، فإذا كان النطق العادي لعبارة (كرام بررة) بدون مراعاة لهذه القاعدة هكذا (كِرَامِنْ بَرَرَة) فإن مضمون القاعدة أن تنطق (كِرَامِمْ بَّرَرَة).

٥ ـ الإخفاء: ذكرنا في الحالات السابقة من الحروف التي تلي النون الساكنة أو التنوين (ثلاث عشرة) حرفًا، فيبقى من حروف الهجاء (خمس عشرة) حرفاً، إذا جاء أحدها بعد النون الساكنة أو التنوين، يُخْفَى إخفاءً أشبه ما يكون بغنة، فيخفى التنوين أو النون الساكنة عند الحرف الثاني فهي قريبة من قاعدة الإدغام بغنة.

وهذه الحروف هي: (ت. ث. ج. د. ذ. ز. س. ش. ص. ض. ط. ظ. ف. ق. ك).

أمثلة:

(ت) كُنتُمْ ـ مَا أَنتَ ـ مَنْ تَوَلَّى.
(ث) جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ ـ مِنْ ثَمَرَة.
(ج) نُنْجِي.
(د) عِنْدَهُمْ.
(ذ) لِيُنْذِرَ.
(ز) يَنْزَغُ.
(س) زُلْفَةً سِيئَتْ.
(ش) إن شَاءَ ـ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ.
(ص) نَنْصُرُ.
(ض) مِنْ ضَرِيع.
(ط) كَلِمَةٍ طَيِّبَة ـ وَإن طَائِفَتان.
(ظ) يَنْظُرُونَ.
(ف) قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ـ فَإِن فَاءُوا ـ رَسُولاً فَيُوحِي.
(ق) يَنْقَلِب ـ من قَبْلِهِم.
(ك) إِنْ كُنتُمْ ـ مَنْ كَانَ.

ثانياً ـ الميم الساكنة:

إذا أعقب الميمَ باءٌ أو ميمٌ، تُدْغم الميم الأولى وتُغَنُّ، مثل:
(ب) مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ـ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ الله ـ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ.
(م) إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ـ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ.

وفي بعض المصاحف تعرى الميم الساكنة، فإن تبعها باء تشكل الباء بشكلها العادي، وإن تبعها ميم تشدد الميم الثانية.

قاعدة: النون والميم المشدّدتان تُغنَّان دائماً.

ثالثاً ـ القلقلة:

إذا جاء أحد حروف كلمة (قطب جد) ق ط ب ج د ساكناً فإنه يقلقل أي يمال سكونه إلى حركة خفيفة. مثل:

الْقَدْر ـ سُبْحَان ـ أَنُطْعِمُ ـ وُجْدِكُمْ ـ صّ (تنطق صَاد).

رابعاً ـ المد:

ونعرض هنا إلى ما يُمَد حركة وحركتان وثلاث حركات وست وهكذا، وليس معنى هذا أن الحركة لها زمن معين يقاس بكذا من الثواني مثلاً، ولكنه شيء نسبي بين الحروف بعضها وبعض، لتنظيم نطق الحروف بمدّها أو عدمه، بمقدار معين، فمثلاً كلمة «ذَرَأَ» أو «أَكَلَ» أو «فَصَلَ» نعتبر كل كلمة منها ثلاث حركات، باعتبار كل حرف من حروفها المتحركة حركة واحدة، بمعنى أننا حين نقرأ «فَصَلَ طَالُوتُ» ونمد ألف «طالوت» حركتين، فإننا نعطيها من الزمن في النطق مقدار ما ننطق به حرفين من كلمة «فَصَل».

والمدّ أنواع، نذكرها فيما يلي:

١ ـ **المد الطبيعي**: وهو حركتان:

مثل «مالك يوم الدين» موضع المد في ألف (مالك) وياء (الدين).

٢ ـ **المد العارض للسكون**: ويمد من حركتين إلى ست حركات.

وهو ما بعده سكون في آخر الكلمة مثل: «واللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ».

فإذا وقفت في القراءة على «بالظالمين» بتسكين النون كان هذا مدًّا عارضاً للسكون.

٣ ـ **مدّ الهمزة المتصل**: وهو أربع حركات أو خمس، وهو ما جاء بعده همز متصل في كلمة واحدة، مثل:

جَآءَ ـ جِيءَ ـ هٰؤُلَاء ـ الْمَلَائِكَة.

٤ ـ **مد الهمزة المنفصل**: وهو من ثلاث حركات إلى خمس، وهو ما كان الهمز فيه بعد المد، ولكن في كلمة أخرى مثل:

وَإِذَآ أَرَدْنَا ـ إِلآ أَن يُحَاطَ ـ يَآ أَيُّهَا.

٥ ـ **المد اللازم**: وهو ست حركات.

وهو ما يأتي بعده ساكن أو شدة مثل:

الطَّآمَّة ـ تَأْمُرُونِّي ـ الضَّالِّين ـ الٓم «ألف لاَمّيم».

٦ ـ مد اللين: وهو أربع حركات:

وهو ما كان في حرف الواو أو الياء المتحركة إذا وقف على الحرف بعدها، كما في كلمة: يَوْم ـ دَيْن.

هذه نبذة يسيرة عن أحكام التجويد مختصرة، ونؤكّد على أهمية هذا العلم، وأنه يُؤخذ بطريق التلقي، وهو واجب شرعيٌ يأثم الإنسان إذا لم يرتّله على الوجه الذي تلاه جبريل على رسول الله ﷺ، وعلّمه الرسولُ ﷺ لأصحابه، ولهذا قالوا:

وَالأَخْذُ بِالتَّجْوِيدِ حَتْمٌ لَازِمُ ... مَنْ لَمْ يُجَوِّدِ القُرْآنَ آثِمُ

لِأَنَّهُ بِهِ الإِلَهُ أَنْزَلَا ... وَهَكَذَا مِنْهُ إِلَيْنَا وَصَلَا

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

دعـــــاء

اللهمَّ لك الحمدُ على نعمة الإيمان، ولك الحمدُ على نعمة القرآن، ولك الحمدُ على نعمة الإسلام، اللهمَّ اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، وشفاء صدورنا، وضياءَ أبصارنا، وجلاءَ همومنا وأحزاننا، اللهمَّ علِّمنا منه ما جهلنا، وذكِّرنا منه ما نُسِّينا، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطرافَ النهار، واجعله شافعاً لنا يوم الدين ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

تم الانتهاء من تصحيحه ومراجعته

في العاشر من شهر رمضان المبارك ١٤٢٣هـ

خادم الكتاب والسنة

الشيخ محمد علي الصابوني

كتب صدرت للمؤلف

الرقم	اسم الكتاب
١ ـ	صفوة التفاسير ـ ثلاثة مجلدات
٢ ـ	المواريث في الشريعة الإسلامية ـ مجلد واحد
٣ ـ	من كنوز السُّنَّة النبوية ـ مجلد واحد
٤ ـ	روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن ـ مجلدان
٥ ـ	قبس من نور القرآن الكريم ـ ثمانية مجلدات
٦ ـ	السنة النبوية المطهرة قسم من الوحي الإلهي ـ غلاف
٧ ـ	موسوعة الفقه الشرعي الميسر ـ ثمانية مجلدات
٨ ـ	الزواج الإسلامي المبكر سعادة وحصانة ـ مجلد واحد
٩ ـ	التفسير الواضح الميسر ـ مجلد واحد
١٠ ـ	الهدي النبوي الصحيح في صلاة التراويح ـ غلاف
١١ ـ	إيجاز البيان في سور القرآن ـ مجلد واحد
١٢ ـ	موقف الشريعة الغراء من نكاح المتعة ـ غلاف
١٣ ـ	حركة الأرض ودورانها حقيقة علمية أثبتها القرآن ـ غلاف
١٤ ـ	التبيان في علوم القرآن ـ مجلد واحد
١٥ ـ	عقيدة أهل السُّنَّة في ميزان الشرع ـ غلاف
١٦ ـ	النبوة والأنبياء ـ مجلد واحد
١٧ ـ	رسالة الصلاة ـ غلاف
١٨ ـ	المهدي وأشراط الساعة ـ غلاف
١٩ ـ	المقتطف من عيون الشعر ـ غلاف
٢٠ ـ	كشف الافتراءات في رسالة التنبيهات حول صفوة التفاسير ـ غلاف
٢١ ـ	درة التفاسير (على هامش المصحف) ـ مجلد واحد
٢٢ ـ	جريمة الربا أخطر الجرائم الدينية والاجتماعية ـ غلاف
٢٣ ـ	التبصير بما في رسائل بكر أبو زيد من التزوير ـ غلاف
٢٤ ـ	شرح رياض الصالحين ـ مجلد واحد
٢٥ ـ	شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ ـ غلاف
٢٦ ـ	رسالة في حكم التصوير ـ غلاف
٢٧ ـ	معاني القرآن (للنحاس) ـ ستة مجلدات ـ دراسة وتحقيق
٢٨ ـ	المقتطف من عيون التفاسير (للمنصوري) ـ خمسة مجلدات ـ دراسة وتحقيق
٢٩ ـ	مختصر تفسير ابن كثير ـ ثلاثة مجلدات ـ اختصار وتحقيق
٣٠ ـ	مختصر تفسير الطبري ـ مجلدان ـ اختصار وتحقيق
٣١ ـ	تنوير الأذهان من تفسير روح البيان (للبروسوي) ـ أربعة مجلدات ـ دراسة وتحقيق
٣٢ ـ	المنتقى المختار من كتاب الأذكار (للنووي) ـ مجلد واحد ـ اختصار وتحقيق
٣٣ ـ	فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن (للأنصاري) ـ مجلد واحد ـ دراسة وتحقيق
٣٤ ـ	تفسير الدعوات المباركات (للأيديني) ـ غلاف ـ دراسة وتحقيق
٣٥ ـ	نكاح المتعة في الإسلام حرام (للحامد) ـ غلاف ـ دراسة وتحقيق

تطلب جميع الكتب من:



المكتبة العصرية ـ بيروت ص.ب ١١/٨٣٥٥ ـ تلفاكس ٠٠٩٦١١٦٥٥٠١٥

صيدا ص.ب ٢٢١ ـ تلفاكس ٠٠٩٦١٧٧٢٠٣١٧

E.mail alassrya@terra.net.lb

alassrya@cyberia.net.lb

موقعنا على الإنترنت

www.almaktaba-alassrya.com




شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتجليد
لبنان


شركة أبناء شريف الأنصاري
للطباعة والنشر والتجليد
لبنان

